

وقف لله تعالى
إيقاظ أولي الهمم العالية
إلى اغتنام الأيام الخالية

وقفِ لَهِ تَعَالَى
إِقَاطُ أَوْلَى الِهِمَمِ الْعَالِيَةِ
إِلَى اِعْتِنَامِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عَبْدُ الْعَزِيزِ الْحَسَنُ السَّلْمَانِيُّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الطبعة الثامنة

١٤١٨ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكل

عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

مَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنْ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الرَّحِيمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالايان والاسلام وتفضل علينا
ببيان الشرائع والأحكام ووعد من أطاعه واتبع رضاه الثواب في دار
السلام .

وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام .
نحمده على ما أفاض علينا من الأنعام . ونشكره وشُكْرُ
المنعم واجبٌ على الأنام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام .
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه
السادة الأعلام .

وبعد فإني قد جمعت بعون الله وتوفيقه في كتابي هذا فوائد
ومواعظ ونصائح وحِكْمًا .

وأحكاماً ووصايا وآداباً وأخلاقاً فاضلة .
من كلام الله جل جلاله وتقدَّست أسماؤه .
ومن كلام رسول الله ﷺ ومن كلام أئمة السلف .
وصالح الخلف الذين امثلوا في أفعالهم وأقوالهم ما قاله الله
جل جلاله وما قاله رسوله ﷺ .

وجمَّعتُ مما قاله الحكماء والعلماء والعباد والزهاد أنواعاً جمة .
في فنون مختلفة وضروب متفرقة ومعاني مؤتلفة .
بذلتُ في ذلك جُهدِي حَسَبَ مَعْرِفَتِي وَقُدْرَتِي .
لَكِنَّ قُدْرَةَ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ

وَالنَّمْلُ يُعْذِرُ فِي القَدْرِ الَّذِي حَمَلَا
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن

تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء
قدير .

يا الله يا حي وياقيوم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم .

يا بديع السموات والأرض .

فالتق الحب والنوى ذا الجلال والاکرام .

الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن

له كفواً أحد .

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

الخالق الباريء المصور .

الأول الآخر الظاهر الباطن الذي أحاط بكل شيء علماً .

القوي العزيز الرحمن الرحيم .

الغفور الودود ذا العرش المجيد .

المبدؤ المعيد الفعال لما يريد .

نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصاً لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَأَنْ تَفْتَحَ

لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ .

وَأَنْ تَنْفَعَ بِهَذَا الْكِتَابِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ تَأْجِرَ مَنْ

طَبَعَهُ أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ .

أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَقَفاً لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ يُوزَعُ عَلَى مَنْ يَنْتَفِعُ

بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ، ،

عبدالعزیز آل محمد السلمان

[فصل في الحكمة]

قال الله تبارك وتعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذُكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هديةً أفضل من حكمة يزيد بها هدى ويرده بها عن ردى » أخرجه البيهقي في شعب الأيمان وأبو نعيم في الحلية .
وقال عليه الصلاة والسلام « أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصاراً » .

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ .

وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه البخاري ومسلم .
وقيل إن في التوراة أن الله قال لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [عظم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة .

وخرج أبو يعلى الموصلي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إني أوتيت جوامع الكلم ونحواته واختصر لي الكلام اختصاراً وقال ﷺ : أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً .

وقال لقمان إن القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر .

وَقَالَ أَبَانُ بْنُ سُلَيْمٍ : كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ أَخِيكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَالٍ يُعْطِيكَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْحِكْمَةُ صَدِيقَةُ الْعَقْلِ ، وَمِيزَانُ الْعَدْلِ ، وَعَيْنُ الْبَيَانِ ، وَرَوْضَةُ الْأَرْوَاحِ ، وَمُزِيحَةُ الْهَمُومِ عَنِ النَّفُوسِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَأَنْسُ الْمُسْتَوْحِشَ وَأَمْنُ الْخَائِفِ وَمَتَجَرُّ الرَّابِحِ وَحَظُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ .

وَسَلَامَةُ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ .

وَقَالَ آخِرُ الْحِكْمَةِ نُورُ الْأَبْصَارِ وَرَوْضَةُ الْأَفْكَارِ وَمَطِيئَةُ الْحِلْمِ وَكَفِيلُ النَّجَاحِ .

وَضَمِيمِ الْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالِدَاعِيَةِ إِلَى الصَّوَابِ وَالسَّفِيرِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْقُلُوبِ .

لَا تَنْدِرْسْ آثَارَهَا وَلَا تَعْفُو رُبُوعَهَا كُلَّ ذَلِكَ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَرَوَى عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ لَيَسْمَعَ كَلِمَةً وَاحِدَةً يَنْتَفِعُ بِهَا فِيهَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ عَمْرِهِ مَا رَأَيْتَ أَنَّ سَفْرَهُ قَدْ ضَاعَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَفَرَّدَ بِالْعِلْمِ لَمْ تُوَحِّشْهُ الْخَلْوَةُ وَمَنْ تَسَلَّى بِالْكِتَابِ لَمْ تَفْتَهُ سَلْوَةٌ وَإِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

وَالْحِكْمَةُ مُوقِظَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سِنَةِ الْحَيْرَةِ وَمُحْيِيَةٌ لَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ مَوْتِ الْجَهَالَةِ وَمُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا مِنْ ضَيْقِ الضَّلَالَةِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

[حكم وفوائد ومواعظ]

قيل لبعض العلماء لم تركت مجالسة الناس قال ما بقي إلا كبير يتحفظ عليك أو صغير لا يوقرك .

من سوء الأدب في المجالسة : أن تقطع على جليسك حديثه أو تبدئه إلى تمام ما ابتدأ به تريه أنك أحفظ له منه .

قال رسول الله ﷺ « المجالس بالأمانة وإنما يتجالس الرجلان بأمانة الله - عز وجل - فإذا تفرقا فليستر كل منهما حديث صاحبه » .

روي عن عيسى عليه السلام أنه قال جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله .

قال مسعر بن كدام رحم الله من أهدي إلي عيوي في ستر بيني وبينه فهو الناصح فإن النصيحة في الملاء تفرغ .

إياك وكل جليس لا يفيدك علماً ولا تكسب منه خيراً وإياك وطول المجالسة لمن لا يفيدك علماً نافعاً فإن الأسد إنما يجترؤ عليها من أدام النظر إليها .

وقيل أزهّد الناس بالعالم أهله وجيرانه لكثرة الاتصال بينهم كل شيء إذا تكرر يمل إلا كلام الله وكلام رسله .

جميع الكتب يدرك من قراها ملال أو فتور أو سآمة
سوى القرآن فافهم واستمع لي وقول المصطفى إذا الشهامة

وقال آخر : يا بني لا تمكن الناس من نفسك فإن أجراً
الناس على السباع أكثرهم لها معاينة .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ حَيَاةَ الْمَرْءِ تُرَخِّصُ قَدْرَهُ فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتَهُ الْمَنِيَا الطَّوَائِحُ
كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ ابْتِدَاةً كَذَا تُخْلِقُ الْمَرْءَ الْعَيُونَ النَّوَامِعُ

وقال بعض العلماء يصف أهل بلده :

يَرَوْنَ الْعَجِيبَ كَلَامَ الْغَرِيبِ وَأَمَّا الْقَرِيبُ فَلَا يُعْجِبُ
وَجَوَابُهُمْ عِنْدَ تَعْنِيفِهِمْ مُغْنِيَةُ الْحَيِّ لَا تُطْرَبُ

من التواضع الرضا بالدون من المجلس .

ويروى عن ابن مسعود أنه قال إن من التواضع أن ترضى

بالدون من المجلس وأن تبدأ بالسلام من لقيت .

قال إبراهيم النخعي إن الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم

بالكلام يريد الله به فتصيبه الرحمة فتعم من حوله .

وإن الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يسخط الله به

فتصيبه السخطة فتعم من حوله .

وقال عليه السلام « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ النَّاسَ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ

وَيْلٌ لَهُ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ » .

وقال عليه السلام « إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ إِتْقَاءَ

السُّنَّتِهِمْ » .

قلت وفي زمننا هذا قد كثروا جداً فكن علي حذر منهم ومن

يتصل بهم عافانا الله وإياك من شرهم . والله أعلم وصلى الله على محمد

فصل في حكم وفوائد ومواعظ ووصايا

ينبغي الاعتناء بها

أجل السرور رضى الرب جلّ وعلاً وتقدّس .

أغني الغنا صحة العقيدة والفقه في الدين .

القلوب الفارغة من طاعة الله مُوكَّلةً بالشهوات .
أفضل أمر الدين والدنيا وأشرفه العلم النافع والعمل
الصالح والعلم النافع ما جاء عن النبي ﷺ :
أفضل ما في الآخرة رضى الله ورؤيته وسماع كلامه .
ومما أوصى به بعضهم ما يلي .

لا تمل مع الهوى وحلاوة الدنيا فإنها يصدّانك عن الشغل
بمَعَادِكَ وتكون كالغريق المشتغل عن التدبير للخلاص نفسه بحمْلِ
بِضَاعَةٍ ثَقِيلَةٍ قد اغتر بحسنها وهي سبب عَطْبِهِ .
وقال : أبعُدُوا عن مُخَالَطَةِ الخَوْنَةِ والفسقة ومُبْتَغِي المَلاهي
والضُّلالِ وأصحاب البدع كالأشاعرة والرافضة والمعتزلة والجهمية
والصوفية المنحرفة .

واحذر أن تغتر بقول المغفلين نخالطهم لنجذبهم إلى
الاستقامة وهذا غلط .

أهل البدع والفسقة وأصحاب المَلاهي كأصحاب الكورة
والتلفاز والفيديو مجالستهم تضر وهم مرضاء عقول .
والصحيح هو الذي يتضرر بمخالطة المريض .
وأما المريض فلا يبرأ بمخالطة الصحيح وقديماً قيل :
وما ينفعُ الجرباءُ قُرْبُ صَحيحةٍ

إليها ولكن الصَّحيحة تُجربُ

يَبْقَى الصَّالِحُ صَالِحاً حَتَّى يُصَاحِبَ فَاسِداً فَإِذَا صَاحِبُهُ
فَسَدَ مِثْلَ مِيَاهِ الأَنْهَارِ تَكُونُ حُلُوءَةً عَذْبَةً حَتَّى تُخَالِطَ ماءَ البَحْرِ فَإِذَا
خَالَطَتْهُ مَلْحَةٌ وَأَمْتَرَتْ وَفَسَدَتْ .

ولكن الدعاية إلى مخالطة أهل المنكر لجذبهم عنه خدعة من
إبليس وأتباعه لسُخْفَاءِ العُقُولِ .

فكم أوقعوا في هذه الشبكة من مُغفل زعم أنه يجذبهم
فجذبوه وأغرقوه وبقي في الحسرة والندامة .

وقال : اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله سبحانه وتعالى هي
الحكمة الكبرى والنعمة العظيمة والسبب الداعي إلى الخير
والفاتح لأبواب الفهم والعقل والخير .

كَيْفَ الرَّحِيلُ بِلا زَادٍ إِلَى وَطَنٍ

مَا يَنْفَعُ المرءَ فِيهِ غَيْرُ تقْوَاهُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَهُ التَّقْوَى فَلَيْسَ لَهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدْرٌ عِنْدَ مَوْلَاهُ

وقال استشعروا الحكمة وابتغوا الديانة وعودوا أنفسكم الوقار
والسكينة وتحلوا بالآداب الحسنة الجميلة وترووا في أموركم ولا
تعجلوا ولا سبوا في مجازاة المسيء .

واجعلوا خشية الله حشو جنوبكم في الحكم واحذروا النفاق
والرياء ولا تزكوا الخونة ولا تخونوا الأركياء .

وقال إذا جادلكم المخالفون لكم في الدين بالفضاضة
والغلظة وسوء القول فلا تقابلوهم بمثل ذلك بل قابلوهم بالرفق
واللين واللفظ والدلالة والهداية .

قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما
يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ .

وقال عز من قائل في صفة أهل العبودية الخاصة ﴿ وعباد

الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قال سلاماً ﴿١﴾ وقال ﴿٢﴾ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴿٣﴾ .

وقال جل وعلا وتقديس ﴿٤﴾ والذين هم عن اللغو معرضون ﴿٥﴾ .
وقال عز من قائل ﴿٦﴾ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴿٧﴾ .

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
سَكَتٌ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِي عَيَّيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيَّيْتُ
وقال حكيم أكثروا من الصمت في المحافل ولا تطلقوا
ألسنتكم بحضرة المتحفظين عليكم بما عسى أن يجعلوه سلاحاً
يضر بونكم به وأقلوا المراء والهذر والفضل من القول .

واحدروا مصاحبة الأشرار ، وأصحاب البدع في الدين ،
والحساد ، والمشمولين على العداوة والأحقاد والجهال .

وإذا هممتم بالخير فقدموا فعله لئلا يعارضكم سواه فتوقفوا
عنه . قال الشاعر :

وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ سُوءٍ فَاتَّئِدْ وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ خَيْرٍ فَاعْجَلْ
وقال إتفقوا وتحابوا في الله وثابروا على الأعمال الصالحة من
صيام وصلاة مع الجماعة وزكاة وحج .

ببصائر صافية ونية نقية صالحة غير متقسمة ولا مشوبة
وتوادوا على طاعة الله عز وجل والتقوى له ، واسعوا للخير
وافعلوا له ، واجتهدوا فيه . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله
وسلم .

[فصل]

عباد الله احرصوا على تأديتكم لفرائض الله بالكمال والتمام
والخشوع والخضوع ، من غير عجب ولا استكبار ، وإيّاكم
والتفاخر والتكاثر .

وعليكم بالسكينة والإخبات والتواضع لِتَسْتَمِرُّوا الخير من
عمالكم . وتفوزوا برضاء ربكم .

وإذا فرط من الانسان بادرة إثم بأن ارتكب منكرا فعليه أن
يُقْلَع فوراً ويتوب توبة نصوحا ولا تحمله السلامة منها على العودة
إليها .

فإنها وإن سترت عليه في الدنيا فإن أمامه يوم الدين يوم
المجازات على الأعمال ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

وأوصيكم بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك
إنك على صراط مستقيم ﴾ وقال جل وعلا ﴿ فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ﴾ وقال ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » .

وتأدبوا بأدبها أي الكتاب والسنة ، واقتدوا بالعلماء
العامين بعلمهم الذين جعلوا الدنيا مطية للآخرة .

واحذروا كل الحذر من المتسمين بالعلم الذين هدفهم الدنيا
فقط فضررهم عظيم وتحذروا من المآكل الخبيثة فإن الله طيب لا
يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا .

واحتشموا المكاسب الدنيئة فإنها سبب لعدم قبول الدعاء .
اجتمعوا بين محبة الديانة والحكمة وقفوا نفوسكم على
تعلّمها .

وإن قدرتم على أن يكون زمان مقامكم في هذه الدنيا مصروفاً

بأسره إلى العمل بالكتاب والسنة فافعلوا .
ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم ما يصعب على غيركم
وكان ما يحصل لكم من شرف الفضيلة أنفع من ذخائر الأموال .
لأن عُرُوض الدنيا تفنى ولا تبقى وثواب الله يَبْقَى ولا
يَفْنَى .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿بَلْ تَوَثَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْأَبْرَارِ﴾ عباد الله ساووا بين ظواهركم وبواطنكم في المخاطبات
بينكم ، ولا تكن السننكم مخالفةً لضعائركم .
ولا تُخَالِفُوا الرَّأْيَ الصَّوَابَ ، وَمُشَاوَرَةَ النُّصَحَاءِ ، لِتَأْمَنُوا مِنَ
النَّدَامَةِ ، وَتَسَلِمُوا مِنَ الْمَلَامَةِ .

وَلتَكُنْ أَفْوَاهُكُمْ مَمْلُوءَةً بِحَمْدِ اللَّهِ ، وَذِكْرِهِ ، وَشُكْرِهِ ،
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَتَقْدِيسِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ .
وليكن همكم مَصْرُوفاً إِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،
وَاجْتَهِدُوا فِي دَعَائِهِ بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ ، وَاعْتِقَادَاتٍ مُسْتَقِيمَةٍ .
يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَيُبَلِّغْكُمْ آمَالَكُمْ ، وَيَفْتَحْ لَكُمْ أَبْوَابَ
الرَّشْدِ فِي مَسَاعِيكُمْ وَمُتَوَجِّهَاتِكُمْ ، وَيَعْصِمَكُمْ مِنَ أَفْكَارِ السُّوءِ ،
وَيَحْفَظْ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ ، وَيُنَجِّيكُمْ مِنْ فِخَاخِ الْآثَامِ ، وَيُرَدِّ
عَنكُمُ الْمَخَافَ ، فَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا .

وقال اكتسبوا الأصدقاء ، وقدموا الاختبار لهم قبل
الاستئانة إليهم ، ولا تعجلوا بالثقة بهم قبل الاختبار ، لئلا
يلحقكم الندم والأسف ، وتنالكم منهم المصرة .
أَبْلِ الرَّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذَا ظَفِرَتْ بَدَى الْأَمَانَةَ وَالتَّقَى فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرٌ عَيْنٌ فَاشْدُدْ

صُحْبَةُ أَهْلِ الصَّلَاحِ تُورِثُ فِي الْقَلْبِ الصَّلَاحَ وَصَحْبَةُ
أَهْلِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ تُورِثُ فِي الْقَلْبِ الْفَسَادَ .
أَخُوكَ مَنْ عَرَّفَكَ الْعُيُوبَ وَصَدِيقُكَ مَنْ حَذَّرَكَ مِنَ
الذُّنُوبِ .

كان بعض العلماء لا يدع أحداً يغتاب في مجلسه أحداً يقول
إن ذكرتم الله أعناكم وإن ذكرتم الناس تركناكم .
وقال آخر : لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوهُ في السرِّ .
وقال كل ما شغلك عن الله عز وجل من أهلٍ ومالٍ وولدٍ
فهو عليك شؤم .

إذا كانت الآخرة بالقلب جاءت الدنيا تزاحمها وإذا كانت
الدنيا بالقلب لم تزاحمها الآخرة لأنها كريمة فاجعل الآخرة في قلبك
ومن أعطاه الله فضلاً في دنيا فليحمد الله ، وليكثر من
شكره وذكره ، ولا يفخرن به على أخيه ، ولا يتداخله الكبر
والعجب والتعاضم .

وقال : لا تبدر منكم عند الغضب كلمة الفحش ، فإنها
تزيد العار والمنقصة ، وتلحق بكم العيب والهجنة ، وتجرب عليكم
المآثم والعقوبة .

وقال خيرُ الملوك شرفاً من بدّل سنة السوء في مملكته
بالسنة الصالحة ، وشراً من بدّل السنة الصالحة بالحسنة بالسنة
السوء .

والدليل على غريزة الجود السباحة عند العسرة ومعنى
العسرة (الضيق والشدة) .

والدليل على غريزة الورع الصدق عند السخط والبعد عن

الشبهات ومَوَاضِعِ الرَّيْبِ والاكثار من ذكر الله وحمده وشكره
والتفتيش على المآكل والمشارب والملابس ونحوها بدقة .

والدليل على غريزة الحلم العفو عند الغضب .
وَمِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مُصِيبَةً مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقْلٌ وَلَا حِكْمَةٌ ،
وَلَا لَهُ فِي الْأَدَبِ رَغْبَةٌ .

لَا يَبْخُلُ بِالْعِلْمِ عَلَى مُسْتَحِقِّهِ إِلَّا جَاهِلٌ قَلِيلٌ الْعِلْمِ ، وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ قَلِيلٌ الْعِلْمِ فَهُوَ ذَنْبِيءٌ الْهَيْمَةُ حَسَادٌ .

وَمَنْ جَادَ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ جَادَ بِالْمَالِ وَأَبْقَى
لِذِكْرِهِ ، لِأَنَّ الْمَالَ يَفْنَى وَالْعِلْمَ يَبْقَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل يحتوي على حكم وأداب متنوعة]

مَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَطْلُبَ طَاعَةَ غَيْرِهِ وَطَاعَةَ نَفْسِهِ مُتَنَعَةً

عَلَيْهِ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ مِنَ الضَّنِيِّ

كَيْمًا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَوِيٌّ
مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا عَظْتَ وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
إِذَا وَلَّيْتَ أَمْرًا فَأَبْعَدْ عَنْكَ الْأَشْرَارَ وَالْفَسَقَةَ وَالْمَجْرُمِينَ فَإِنْ
جَمِيعَ غُيُوبِهِمْ تُنْسَبُ إِلَيْكَ رَضِيَتْ أَمْ سَخِطَتْ .

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَسِمُ

آخِرُ : فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ يُرْدِي وَشَاهِدِي

كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

الحكمة كالجواهر في الصدف في قعور البحار ، فلا تُنال إلا
بالغواصين الحذاق .

العاقِل لا تدعه عُيُوبُهُ يفرح بها ظهر من محاسنه .

النصح بين الناس تقريع .

إعادة الاعتذار تذكير للذنب وما عفا عن الذنب من ويخ
بِهِ .

رُبَّ كلام جوابه السُّكُوت ، ورُبَّ عمل الكف عنه أفضل ،
ورُبَّ خصومة الاعراض عنها أصوب .

الدنيا تهن من كانت تكرمه ، والأرض تأكل من كانت تطعمه .
نمير من أمنا الغبراء ميرتنا وللبسيطة من أجساد ناميسر
أمر الدنيا أقصر من أن تتعادي فيه النفوس ، وأن تتفانا وأن
تطاع فيه الضغائن والأحقاد .

وقال : لا يستطيع أحد أن يجد الخير والحكمة إلا أن تُخلص
نفسه في المعاد ، ولا خلاص له إلا أن تكون له ثلاثة أشياء :
وزير ، وولي ، وصديق .

فوزيره عقله ، ووليّه عفته ، وصديقه عمله الصالح .

الجود هو أن تجود بهالك ، وتصون نفسك عن مال غيرك ،

وأقصى غاية الجود أن تجود بنفسك في سبيل الله .

يجود بالنفس إن ظن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قابل غضبك بحلمك ، وجهلك بعلمك ، ونسيانك

بذكرك ، وتزود من الخير وأنت مقبل خير من أن تزود وأنت مدبر .

العجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة ولا يترك الذنوب مخافة

رب العالمين . ويستحي من الخلق ولا يستحي ممن لا تخفى عليه

خافية . قال تعالى ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ﴾ .

العمى خير من الجهل ، لأن العمى يخاف منه السقوط في حفرة ، والجهل يخاف منه الوقوع في الهلاك .
ينبغي للرئيس أن يتبدي بتقويم نفسه قبل أن يتبدي بتقويم رعاياه .

وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلٍ مُعوجَّ قبل تقويم عوده الذي هو ظلُّ له .

إبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا إنتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يقبل ما تقول ويقتدى بالرأي منك وينفع التعليم

استدامة الصحة تكون بإذن الله بترك التكاثر عن التعب
وبترك الامتلاء من الطعام والشراب وترتيب المآكل .
للقلب آفتان الهم والغم ، فالغم يعرض منه النوم ، والهم يعرض منه السهر .

العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم أحسنه وما بلغك قليله إلى كثيره .

ما حوى العلم من الخلق أحد لا ولو حاوله ألف سنه
إنما العلم كبحر زاخر فأنخذ من كل شيء أحسنه

عجبا لمن عرف الدنيا وأنها دار فناء كيف تلهيه عن دار
البقاء التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر .

إعطاء المريض ما يشتهيه أنفع له من أخذه بكل ما لا يشتهيه .

الدُّنْيَا تَنْصَحُ تَارِكَهَا وَتَغْشَى طَالِبَهَا فَتَنْصِيحُهَا لِتَارِكِهَا مَا تُرِيهِ
مِنْ تَغْيَرِهَا بِأَهْلِهَا وَفَتْكِهَا بِهِمْ وَنَكْدِهَا وَكُدْرِهَا وَغُمُومِهَا وَهُمُومِهَا .
وَوَغْشِهَا لِطَالِبِهَا مَا تَذِيقُهُ مِنْ لَذَّةِ سَاعَتِهَا ثُمَّ تَعْقِبُهُ مَرَارَةً
طَعْمِهَا وَسُوءَ مُنْقَلِبِهَا .

طَالِبُ الدُّنْيَا كَنَاطِرِ السَّرَابِ يَحْسِبُهُ سَبَبَ الرِّيحِ فَيَتَعَبُ نَفْسَهُ فِي
طَلْبِهِ فَإِذَا جَاءَهُ خَانَهُ ظَنَّهُ وَفَاتَهُ أَمَلُهُ وَيَقِي عَطَشُهُ وَدَامَتْ حَسْرَتُهُ
وَنَدَامَتُهُ وَخَسِرَ طَوْلَ عَنَائِهِ .

وقال آخر : الانسان في الدنيا مُعَذَّبٌ بجميع أحوالها غير
باق عليه ما يصيرُ إليه من أسبابها .

قليل التهنئة بما يجده من ملاذها دائم النكد والكبد
والغصص بمفارقة أحابيه فيها .

يا هذا الدنيا وراءك والآخرة أمامك والطلب لما وراءك هزيمة
إنما يُعْجَبُ بالدنيا من لا فهم له الدنيا كأضغاث أحلام تسرُّ

النائم .

لُعِبَ خِيَالُ يَحْسِبُهَا الطُّفْلُ حَقِيقَةً فَأَمَّا العَاقِلُ فَيَفْهَمُهَا .

رَأَيْتُ خِيَالَ الظلِّ أَكْبَرَ عُبْرَةٍ لِمَنْ هُوَ فِي عِلْمِ الحَقِيقَةِ رَاقِي
شُخُوصٍ وَأَشْبَاحٍ تَمُرُّ وَتَنْقُضِي جَمِيعاً وَتَفْنِي وَالمُحَرِّكُ بَاقٍ

قال ثابت بن قرة : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة الروح
في قلة الآثام ، وراحة اللسان في قلة الكلام قلت إلا بذكر الله
فكثرته أولا .

والذنوب للقلب بمنزلة السُموم إن لم تُهْلِكْهُ أضعفته ولا بُدَّ ،
والضعيف لا يقوى على مقاومة العوارض ، قال عبدالله بن
المبارك :

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذَّلَّ إِذْمَانَهَا
وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَضِيَانَهَا
كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رَخِصَ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْعَقْلَ كُلَّمَا كَثُرَ أَحَدُهُمَا
غَلَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فـصـل]

أَشَدُّ الْأُمُورِ تَأْيِيداً لِلْعَقْلِ أَرْبَعَةٌ : اسْتِخَارَةُ اللَّهِ ، ثُمَّ مُشَاوَرَةُ
الْعُلَمَاءِ الْمَخْلِصِينَ ، وَتَجَرُّبَةُ الْأُمُورِ ، وَحُسْنُ التَّسْبُوتِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ .
وَأَشَدُّهَا ضَرراً عَلَى الْعَقْلِ الاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ ، وَالتَّهَاقُوتُ ،
وَالعَجَلَةُ .

قال بعض العلماء إذا ظفر إبليس من ابن آدم بثلاث لم
يطلبه بغيرهن : إذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسي ذنوبه .

ثلاثة من أقل الأشياء ولا يزددن إلا قلة : درهم حلال تنفقه
في حلال ، وأخ في الله تأنس به وتسكن إليه ، وأمين تطمئن إليه
وتستريح إلى الثقة به .

إذا عادتت أمراً فلا تعادي جميع أهله ، بل صادق بعضهم ،
ليكن سلاحاً لك عليه ، ويكف أذيته عنك .

قيل لبعضهم من الذي يسلم غالباً من الناس ، قال من لم
يظهر منه لهم خيراً ولا شراً ، لأنه إن ظهر منه لهم خيراً عاداه
شراًهم ، وإن ظهر منه شراً عاداه خیارهم .

إحرص على مجالسة العلماء المستقيمين فإن العقول تلحق
العقول ، واحذر من علماء الدنيا كل الحذر فهم الذئاب الضارية .
لا تُفني عمرك في البطالة ولا بالكد فيما لا منفعة لك به .

ولكن أفنيه في الباقيات الصالحات لتفوز برضا الله .
قال أحد الملوك لأحد الحكماء من ترى نُويّ القضاء قال ولّه
من لا يهزه المدح ولا يمجحه الاغراء ولا تضجره فدامة الغبي ولا
يغره فهمم الذكي .

وقال آخر : إن السعاة أحبُّ من اللصوص لأن اللصوص
يسلبون الأموال وهؤلاء يسلبون المودات . قلت ويوقعون في المهالك
والأضرار .

تنعم بهالك قبل أن يتنعم به غيرك واحرص على بذله فيما
يقربك إلى الله والدار الآخرة كبناء مساجد وبيت كتب دينية تعين
على فهم الكتاب والسنة واحذر أن يكون عوناً على معاصي الله .
من نزلت به مصيبة فأراد تخفيفها وتمحيقها فليتصور أكثر مما
هي وأعظم تهن عليه وليرجو ثوابها يرى الربح في الاقتصار عليها .
وليتصور سرعة زوالها فإنه لولا كرب الشدة ما رجيت ساعة
الراحة .

ولتعلم أن مدة مقامها كمدة مقام الضيف فليتفقد حوائجه
في كل لحظة فيا سرعة انقضاء مقامه .

قال عمر بن الخطاب : الفواقير في ثلاث : جار سوء في دار
مقام إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وإمرأة سوء إن
دخلت لسننك (أي سليطة اللسان) وإن غبت لم تأمنها ، وسلطان
جائر إن أحسنت لم يحمذك وإن أسأت قتلك .

قال الحسن لولا ثلاث ما وضع ابن آدم رأسه : المرض ،
والفقر ، والموت .

كدر العيش في ثلاث : الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة
السيئة الخلق .

حب الدنيا يُورثُ الضَّغائنَ والعداوات ويَزْرَعُ الأحقادَ
ويُكْمِنُ الشرَّ ويَمْنَعُ البرَّ ويسببُ العُقوقَ وقَطِيعَةَ الرِّحْمِ والظُّلمَ .
طالب الدنيا قصيرُ العمرِ كثيرُ الفكرِ فيما يضرُّ ولا ينفعُ .
طالب الدنيا كراكب البحر إن سلم قيل مُخَاطِرٌ وإن عَطِبَ
قيل مَغْرُورٌ .

شعراً :

ألا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ
فَقُلْ لِغَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ رَاجِلٌ
وَمَا تَعْدِمُ الدُّنْيَا الدِّينَةَ أَهْلِهَا
تُجْرَعُ فِيهَا هَالِكاً فَقَدْ هَالِكٌ
فلا تُحَسِبِ الدُّنْيَا إِذَا مَا سَكَنَتْهَا
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ
عَلَيْكَ بَدَارٌ لا يَزَالُ ظِلَاهُنَا
فَمَا يَبْلُغُ الرَّاضِي رِضَاهُ يَبْلُغُهُ
وَذُو نَسَبٍ فِي الهَالِكِينَ عَرِيقٌ
إِلَى مَنْزِلٍ نَائِي المَحَلِّ سَحِيقٌ
شِوَاظَ حَرِيقٍ أودُخَانَ حَرِيقٍ
وتشجى فَرِيقاً مِنْهُمُوا بِفَرِيقٍ
قَرَاراً فَمَا دُنْيَاكَ غَيْرُ طَرِيقٍ
لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
ولا يَتَأَذَى أَهْلُهَا بِمَضِيقٍ
ولا يَنْفَعُ الصَّادِي صَدَاهُ بَرِيقٍ

مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ عَمِلَ مَا يُؤَمِّنُهُ ، فَمَنْ خَافَ مِنَ المَوْتِ
فَلْيَعْمَلْ مَا يَرْجُو بِهِ السَّلَامَةَ وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ ، وَأَبْوَابُ الخَيْرِ
مَفْتُوحَةٌ . وقد حثَّ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهَا .

العَاقِلُ يُعْرِفُ بِكثْرَةِ صَمْتِهِ ، وَالجَاهِلُ يُعْرِفُ بِكثْرَةِ كَلَامِهِ .
الكلام مملوكٌ لِلانسانِ ما لم يَنْطِقْ بِهِ صَاحِبُهُ فَإِذَا نَطَقَ بِهِ
خَرَجَ عَن مُلْكِهِ لَهُ .

حُسْنُ الخُلُقِ يُغَطِّي غَيْرَهُ مِنَ القَبَائِحِ ، وَسُوءُ الخُلُقِ يُغَطِّي
غَيْرَهُ مِنَ المَحاسِنِ .

مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ طَابَتْ عَيْشَتُهُ وَدَامَتْ سَلَامَتُهُ فِي الْغَالِبِ
وَتَأَكَّدَتْ فِي النُّفُوسِ مَحَبَّتُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ تَنَكَّدَتْ عَيْشَتُهُ وَدَامَتْ
بُغْضَتُهُ وَنَفَرَتِ النُّفُوسُ مِنْهُ .

قال الله جل وعلا وتقدس لنبيه ﷺ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ

القلب لانفضوا من حولك﴾ .

حُسْنُ الْخُلُقِ يُؤَدِّي غَالِبًا إِلَى السَّلَامَةِ وَيُؤْمِنُ مِنَ النَّدَامَةِ
وَيُسَبِّبُ الْأَلْفَةَ وَيَبْعَثُ عَلَى الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَيُؤْمِنُ مِنَ الْفُرْقَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَكْدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

شعراً :

لأن كانت الأفعال يوماً لأهلها	كَمَالًا فَحُسْنُ الْخُلُقِ أُنْبَى وَأَكْمَلُ
وإن كانت الأرزاق رزقاً مقدرًا	فَقَلَّتْ جُهْدِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وإن كانت الدنيا تعدُّ نفيسية	فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وإن كانت الأبدانُ للموت أنشئت	فَقَتْلُ أَمْرِيءٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
وإن كانت الأموال للترك جمعها	فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ

وقال ﷺ « البر حسن الخلق » .

وقال ﷺ « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » .

وقال ﷺ « ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم
القيامة من حسن الخلق » .

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله ،
وحسن الخلق » .

وقال ﷺ « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » .

وقال ﷺ « إن المؤمن ليُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ

القائم » .

وقال ﷺ « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وقيل في تفسير حُسن الخُلُق : هو طَلَاقَةُ الْوَجْهِ ، وَبَذَلُ الْمَعْرُوفِ ، وَكَفُّ الْأَذَى وَطَيْبُ الْكَلَامِ وَقَلَّةُ الْغَضَبِ وَاحْتِمَالُ الْأَذَى .

لَأَجْلِ حُبِّ الدُّنْيَا صُمَّتِ الْأَسْمَاعُ عَنْ مَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ دُنْيَاً وَآخِرَى ، وَعَمِيَّتِ الْقُلُوبُ عَنْ نُورِ الْبَصِيرَةِ .

يُنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْتَرَّ بِحُسْنِ شَبَابِهِ وَصِحَّةِ جِسْمِهِ .
فَإِنَّ عَاقِبَةَ الصَّحَّةِ السَّقَمُ وَرَبْمَا أَعْقَبَهُ الْمَوْتُ .

لَا تَغْتَرَّ بِشَبَابِ نَاعِمٍ خَظِلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانٌ
مَنْ أَلْهَمَ نَفْسَهُ حُبَّ الدُّنْيَا أَمْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ ثَلَاثٍ خِلَالَ : فَقَرَّ
لَا يُدْرِكُ غِنَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهَا ، وَشُغْلٌ لَا يُدْرِكُ فَنَاهُ .

مِمَّا يَنْبَغِي وَيُسْتَحْسَنُ عِمَارَةُ الذِّهْنِ بِالْحِكْمَةِ ، وَجِلَاءُ الْعَقْلِ
بِالْأَدَبِ ، وَقَمْعُ الْغَضَبِ بِالْحَلْمِ ، وَقَمْعُ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ
بِالتَّوَاضُعِ .

وَقَمْعُ الشَّهْوَةِ بِالزُّهْدِ وَالْعِفَّةِ ، وَتَذْلِيلُ الْمَرْحِ بِالسُّكُونِ ،
وَرَدْعُ الْحِرْصِ بِالْقَنَاعَةِ يُكْسِبُ رَاحَةَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ .

هي القناعة فالزمتها تكن ملكاً
آخر : إذا كنت في الدنيا قنوع
آخر : أكرم يديك عن السؤال فإنها
ولقد أضمت إلي فضل قناعتي
وأرى الغدو على الخصاصة شارة
وإذا الفتى أفنى الليالي حسرة

لو لم يكن لك الإراحة البدن
فأنت ومالك الدنيا سواء
قدر الحياة أقل من أن تسألاً
وأبيت مشتتلاً بها متزماً
تصف الغنى فتخالني متمولاً
وأمانياً أفنيتهن توكلاً

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال لقمان لابنه يا بني أكثر من ذكر الله عز وجل ، فإن الله
ذاكر من ذكره قال جل وعلا وتقدس ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾

يا بُنَيَّ لَتَكُنْ ذُنُوبُكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَعَمَلُكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ ،
وَفِرٌّ مِنْ ذُنُوبِكَ إِلَى اللَّهِ ، وَلَا تَسْتَكْثِرْ عَمَلَكَ .
يا بُنَيَّ إِذَا رَأَيْتَ الْخَاطِيَةَ فَلَا تُعَيِّرْهُ وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ فَإِنَّمَا تَسْأَلُ
عَنْ عَمَلِكَ .

يا بُنَيَّ اطع الله فإنه من أطاع الله كفاه ما أهمه وعصمه من
خلقه .

يا بُنَيَّ لَا تَرَكْنِ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تُشْغِلْ قَلْبَكَ بِحُبِّهَا فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ
لَهَا وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نِعْمَتَهَا ثَوَابًا
لِلْمُطِيعِينَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ .

مَيِّزْتُ بَيْنَ جَمَاهَا وَفِعَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاخَةُ بِالْقَبَاحَةِ لَا تَفِي
خَلْفَتْ لَنَا أَنْ لَا نَخُونَ عُهُودَنَا فَكُنَّا خَلْفَتْ لَنَا أَنْ لَا تَفِي

وقال الله جل وعلا ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا

وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ﴾ وقال تعالى ﴿ بل
تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ وقال ﷺ « من أصبح
وهمه الآخرة جمع الله عليه أمره وحفظ عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي
راغمه » الحديث .

وحقيقة الزهد خروج حب الدنيا والرغبة فيها من القلب .
وهوان الدنيا على العبد حتى يكون إدبار الدنيا وقلة الشيء
أحب إليه وأثر عنده من إقبالها وكثرتها هذا من حيث الباطن .
وأما من حيث الظاهر فيكون متجافياً عنها مع القدرة عليها .

ويكون مقتصرًا من سائر أمتعتها مأكلاً وملبساً ومسكناً وغير ذلك على ما لا بد منه . قلت هذا في عصرنا نادر الوجود كالكبريت الأحمر . كما قال عليه السلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » .
يا بُنَيَّ لا تَفْرَحْ بِطُولِ الْعَافِيَةِ ، وَاکْتُمِ الْبَلَوَى فَإِنَّهُ مِنْ كُنُوزِ
الْبِرِّ ، وَاصْبِرْ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ ذُخْرٌ لَكَ فِي الْمَعَادِ .
يا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَمَجَاهِدَةِ نَفْسِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ
الصَّبْرَ فِيهِ الشُّوقُ (أَي الشَّرْفُ) .
وفيه الشَّفَقَةُ وَالزَّهَادَةُ وَالتَّرَقُّبُ .

فإذا صبرت عن محارم الله وزهدت في الدنيا وتهاونت بالمصائب (أي مصائب الدنيا) لم يكن أحب إليك من الموت وأنت تترقبه .

وإِيَّاكَ وَالْغَفْلَةَ ، خَفِ اللَّهَ وَلَا تُعَلِّمْ بِذَلِكَ النَّاسَ ، وَلَا يَغُرَّنِكَ النَّاسُ بِمَا لَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ ، لَا تَغْتَرِ بِقَوْلِ الْجَاهِلِ إِنْ فِي يَدِكَ لَوْلُؤَةٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا بَعْرَةٌ .

يا بُنَيَّ كُنْ لَيْنَ الْجَانِبِ ، قَرِيبَ الْمَعْرُوفِ ، كَثِيرَ التَّفَكُّرِ قَلِيلَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْحَقِّ ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ قَلِيلَ الْفَرَحِ .
ولا تمازح ولا تصاحب ولا تمار ، وإذا سكتت فاسكتت في تفكير ، وإذا تكلمت فتكلم بحكم .

يا بُنَيَّ لا تُضَيِّعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ ، فَإِنْ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ، وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ .

يا بُنَيَّ اجْعَلْ هَمَّكَ فِيهَا كُفَيْتَ ، لا تَهْتَمَّ لِلدُّنْيَا فَتَشْغَلُكَ عَنِ الْآخِرَةِ .

وقال يا بُنَيَّ إذا أنعم الله عليك نعمةً فليُرْ أَثْرُهَا عَلَيْكَ فِي شُكْرِكَ وَتَوَاضُعِكَ وَإِحْسَانِكَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ .

وقال لكل شيء آفة وآفة العمل العجب ، لا تُرائي الناس
بما يعلم الله منك غيره .
ولا تُعجبين بما تعمل وإن كثر ، فإنك لا تدري أيقبل الله
منك أم لا . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[فصل]

يا بني أداء صلاتك التي فرضت عليك أفضل من كل ما
تعمل .

يا بني جالس قوماً يذكرون الله ، فإن كنت عالماً نفعك
علمك ، وإن كنت جاهلاً علموك ، وإن نزلت عليهم رحمة أو رزق
شركتهم فيه .

يا بني لا تجالس قوماً لا يذكرون الله ، فإن كنت جاهلاً
زادوك ، وإن كنت عالماً لم ينفعك علمك شيئاً ، وإن نزلت عليهم
لعنة أو سخط شركتهم فيها .

وقال اعتزلوا شرار الناس تصلح لكم قلوبكم وتسترخ
أبدانكم وتطب نفوسكم .

وقال : اشكر لمن أنعم عليك وأنعم علي من شكرك فإنه لا
بقاء للنعمة إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت .

وقال : لقاء أهل الخير عمارة القلوب .

وقال يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير،
فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ، والأعمال الصالحة بضاعتك التي
تحمل فيها .

والحرص عليها ربحك ، والأيام موجهها ، وكتاب الله
دليلها ، ورد النفس عن الهوى جبالها والموت ساحلها والقيامة

أَرْضُ الْمُتَجَرِّ التي تُخْرَجُ إليها ، والله مَالِكُهَا .
يا مَنْ تَمَسَّكَ بالدنيا وَزُخْرُفِهَا وَجَدَّ في جَمْعِهَا بالكَدِّ وَالتَّعَسُّبِ
هَلَّا عَمَرْتَ لِدارِ أَنْتِ تَسْكُنُهَا دارِ القَرارِ وفيها مَعْدِنُ الطَّلَبِ
فَعَنْ قَلِيلٍ تَرَاهَا وهي دائِرَةٌ وَقَدْ تَمَزَّقَ ما جَمَعْتَ مِنْ نَسَبِ

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يُؤْتَى بالدنيا
يَوْمَ القِيامَةِ على صُورَةِ عَجُوزِ شَمْطَاءِ زَرْقَاءَ ، أُنْيابُها باديَةٌ مُشَوَّهَةٌ
الْخَلْقَةَ لا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلا كَرِهَها ، فَتُشْرِفُ على الخلائِقِ فيقال لَهُمْ
أَتَعْرِفُونَ هَذِهِ .

فيقال لَهُمْ هَذِهِ التي تَفَاخَرْتُمْ وَتَحَارَيْتُمْ عَلَيْها ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِها
إلى النارِ فَتَقُولُ يا رَبِّ أَيْنَ أَتَباعِي وَأَصحابِي وَأَحبابِي فيلْحَقونَها .
وَوَجْهُهُ إِلقائُها في النارِ لِيَنْظُرَ إليها أَهلُها فيروُنَ هوانَها على الله
جَلَّ وَعَلا .

وذكر في الخبر عن عيسى عليه السلام أنه كان ذات يوم
ماشيًا إذ نظر إلى امرأة عليها من كل زينة فذهب ليغطي وجهه عنها

فَقالَتْ إِكشِفْ عَن وَجْهِكَ فَلَسْتُ بِامْرَأَةِ انا الدنيا ، فقال
لِها أَلِكِ زَوْجٌ ، فَقالَتْ لَهُ لِي أَزْواجٌ كَثيرٌ فقال أَكُلُ طَلَّقَكَ أَمْ كُلا
قَتَلْتُ .

فَقالَتْ بَلْ كُلا قَتَلْتُ فقال حَزَنْتُ على أَحَدٍ مِنْهُمْ فَقالَتْ هُمْ
يَحْزَنُونَ عَلَيَّ ولا أَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَيَبْكُونَ عَلَيَّ ولا أَبْكِي عَلَيْهِمْ .

ولو كانتِ الدُّنيا عَرُوسًا وَجَدَّتْها بِها قَتَلْتُ أَوْلادَها لا تَزْوجُ
أَخر

اخـر :

ولو كانت الدنيا من الإنس لم تكن سوى موسى أفنت بها ساء عمرها
وروي أن رجلاً قديم على النبي ﷺ من أرض فسأله عن
أرضهم فأخبره عن سعتها وكثرة النعيم فيها فقال رسول الله ﷺ :
كيف تفعلون .

قال إنا نتخذ ألواناً من الطعام ونأكلها ، قال رسول الله
ﷺ : ثم تصير إلى ماذا .

قال إلى ما تعلم يا رسول الله ، يعني تصير بولا وغائطاً فقال
رسول الله ﷺ : فكذلك مثل الدنيا .

قد نادى الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر أفنيته وجامع بددت ما يجمع
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

ثم اعلم أن الدنيا عبارة عن كل ما يشغل عن الله قبل الموت
فكلما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل
الوفاة فهي الدنيا .

وليس كل ذلك مذموم بل المذموم المنهى عن محبته هو كل
ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة .

وإذا سمعت بدم الدنيا فاعلم أنه ليس راجعاً إلى زمانها
الذي الليل والنهار المتعاقبان إلى قيام الساعة .

فإن الله سبحانه وتعالى جعلها خلفه لمن أراد أن يذكر أو
أراد شكورا .

وليس الدم راجعاً إلى مكان الدنيا وهو الأرض ولا إلى ما
أنبت الله فيها من الشجر والزرع .

فإن ذلك كله من نعم الله على عباده لما لهم فيه من
المنافع والمصالح والاعتبار والاستدلال بذلك على وحدانية الله
وقدرته وعظمته وحكمته ورحمته بعباده .

قال جل وعلا ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾
وقال تعالى ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ .

وإنما المذموم أفعال بني آدم من المعاصي الكبائر والصغائر
كالشرك وترك الصلاة وترك الزكاة أو الصوم أو الحج وكالكذب
على الله أو على رسله أو كراهة ما أنزل الله أو قتل نفس بغير حق
أو ظلم أو شهادة زور

واللواط وقذف المحصنات والسحر والزنا والربا والتولي يوم
الزحف والرياء والعقوق وقطيعة الرحم وأكل مال اليتيم والسرقة
والغصب والنميمة والغيبة والكبر والحسد والعُجب والخمر
والدخان .

واللهو واستعمال الآته والاجتماع مع الكفار والتاركين
للصلاة ومواكلتهم واستخدامهم مزارعين أو سائقين أو خدامين أو
خياطين أو فراشين أو نحو ذلك .

نسأل الله الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم أن
يعصمنا وإخواننا المسلمين منهم وأن يتوفانا ما أضلنا سقفاً معهم .
ومما يدخل في الدنيا المذمومة ، ما قاد العبد إلى المعاصي
وشوقه إليها وألهاه عن ذكر الله وأغفله عن الآخرة .

وذلك كاللعب بالكورة ، والجلوس عند التلفاز ، والفيديو،
والمذياع ، وضياع الوقت في المجلات ، والجرائد ، واللعب في

الورق ، والاشتغال بحفظ الدنيا ، والإعراض عن الله .
والتكاسل عن طاعته والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد ،
وإيثار ملذات الدنيا وشهواتها على الآخرة .

جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع رجلاً
يسب الدنيا فقال له : إنها لدار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن
فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود بها .
مسجد أحباب الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ومتجر
أوليائه .

اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذم
الدنيا وقد آذنت بفراقها ، ونادت بعيبها ، ونعت نفسها وأهلها ،
فمثلت ببلائها وشوقت بسرورها إلى أهل السرور .
فدمها قوم عند الندامة ومدحها آخرون ، حدثتهم فصدقوا
وذكرتهم فذكروا .

فيا أيها المغتر بالدنيا المغتر بغرورها ، متى استلأمت إليك
الدنيا ، بل متى غرتك أَمْضاجِ آبائك تحت الثرى ، أم
بمصارع أمهاتك من البلى .

نِقْمَتَ عَلَى الدِّينِ وَلَا ذَنْبَ أَسْلَفَتْ إِلَيْكَ فَانْتَ الظَّالِمُ الْمُتَكَبِّرُ
وَهَبَّهَا فَتَاةً هَلْ عَلَيْهَا جِنَايَةٌ بِمَنْ هُوَ صَبُّ فِي هَوَاهَا مُعَذِّبُ

كم قلبت بكفيك ومرضت بيدك تطلب له الشفاء وتسال له
الأطباء فلم تظفر بحاجتك ولم تسعف بطلبتك قد مثلت لك الدنيا
بمصرعه مصرعك غداً ولا يغني عنك بكائك ولا ينفعك أحبابك .

قال ابن رجب رحمه الله على كلام علي بن أبي طالب رضي
الله عنه :

فَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تُدَمُّ مُطْلَقًا وَأَنَّهَا
تُحَمَّدُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ تَزُودُ مِنْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَأَنَّ فِيهَا مَسَاجِدُ
الْأَنْبِيَاءِ وَمَهَبَطُ الْوَحْيِ .

وَهِيَ دَارُ التِّجَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبُّحُوا بِهَا
الْجَنَّةَ فَهِيَ نِعَمَ الدَّارِ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ .
وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهَا تَغْرُ وَتُخَدَعُ فَإِنَّهَا تُنَادِي بِمَوَاعِظِهَا
وَتُنصِّحُ بِعِبَرِهَا وَتُبَدِي عُيُوبَهَا بِمَا تَرَى مِنْ أَهْلِهَا مِنْ مَصَارِعِ
الْهَلَكَى .

وَتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ مِنَ الصِّحَّةِ إِلَى السَّقَمِ ، وَمِنَ الشَّبِيحَةِ إِلَى
الْهَرَمِ وَمِنَ الْغِنَى إِلَى الْفَقْرِ وَمِنَ الْعِزِّ إِلَى الدُّلِّ وَلَكِنْ مُحِبُّهَا قَدْ أَعْمَاهُ
وَأَصَمَّهُ حُبُّهَا .

نَعَمْ إِنَّهَا الدُّنْيَا إِلَى الْغَدْرِ دَعْوَةٌ أَجَابَ إِلَيْهَا عَالِمٌ وَجَهْلٌ
فَفَارَقَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ شَقِيقَتَهُ وَخَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيْلٌ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

رَوَى أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْهُ
الْوَفَاةُ إِتُّونِي بِكَفْنِي الَّذِي أَكْفَنُ فِيهِ أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا لِي مِنْ كَبِيرٍ مَا أَخْلَفْتُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا هَذَا ثُمَّ وَلَّى
ظَهْرَهُ فَبَكَى وَهُوَ يَقُولُ : أَفِ لَكَ مِنْ دَارٍ وَإِنْ كَانَ كَثِيرُكَ لَقَلِيلٌ وَإِنْ
كَانَ طَوِيلُكَ لَقَصِيرٌ وَإِنْ كُنَّا مِنْكَ لَفِي غُرُورٍ .

مَكْرُ الذُّنُوبِ عَلَيْنَا غَيْرُ مَأْمُونٍ فَلَا تَظُنَّنَّ أَمْرًا غَيْرَ مَظْنُونٍ
بَلْ الْمَخَوفُ عَلَيْنَا مَكْرُ أَنْفُسِنَا ذَاتِ الْمَنَى دُونَ مَكْرِ الْبَيْضِ وَالْجُودِ
إِنَّ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ قَدْ كَشَفَتْ مِنْ مَكْرِهَا كُلِّ مَسْتُوْرٍ وَمَكْنُونٍ

وَحَدَّثْنَا بِأَنَا مِنْ فَرَائِسِهَا
وَاسْتَشْهَدَتْ مَنْ مَضَى مِنَّا فَأَبَانَا
وَأَمْ سُوءٌ إِذَا مَا رَامَ مُرْتَضِعٌ
وَنَحْنُ فِي ذَاكَ نُصْفِيهَا مَوَدَّتْنَا
نَشْكُو إِلَى اللَّهِ جَهْلًا قَدْ أَضْرَبْنَا
أَغْوَى الْهَوَى كُلَّ ذِي عَقْلٍ فَلَسْتَ تَرَى

نَوَاطِقًا بِفَصِيحٍ غَيْرِ مَلْحُونٍ
عَنْ ذَاكَ كُلِّ لَقِيَ مِنَّا وَمَدْفُونٍ
أَخْلَافَهَا صَدَّ عَنْهَا صَدَّ مَزُونٍ
تَبًّا لِكُلِّ سَفِيهِ الرَّأْيِ مَغْبُونٍ
بَلْ لَيْسَ جَهْلًا وَلَكِنْ عَلِمَ مَفْتُونٍ

إِلَّا صَحِيحًا لَهُ أَفْعَالٌ مَجْنُونٍ
سَفَاهَةٌ وَنَبِيْعُ الْفَوْقِ بِالْأَدُونِ
فِيهَا بِكُلِّ طَرِيرِ الْحَدِّ مَسْنُونٍ
وَقَدْ أَبَى قَبْلَنَا تَخْلِيدَ قَارُونِ
عَنْهَا النُّفُوسُ وَلَا نَسْخُوا بِهَا عُونِ
إِلَّا تَأَخَّرَ نَقْدٌ بَعْدَ عُرُونِ

حَتَّى مَتَى نَشْتَرِي دُنْيَاً بِآخِرَةِ
نَبِيِ الْمَعَاقِلِ وَالْأَعْدَاءِ كَامِنَةِ
وَنَجْمُ الْمَالِ نَرْجُو أَنْ يُخْلِدَنَا
نَظْلٌ نَسْتَنْفِقُ الْأَعْمَارَ طَيِّبَةً
وَمَا تَأَخَّرَ حَيٍّ بَعْدَ مَيْتِهِ

وكان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية يرْفُلُ في زاهي حُللِ
الملك ويتقلَّبُ في أنواع النعيم والشرف ، وبعد أن سلَّبه تاشفين
ملكه وقبض عليه وأسرهُ وسجَّنه في أغمات ، دخلت عليه في
السجن بناته بعد مدة وكان يوم عيد وكنَّ بعد ما انتزع الملك من
أبيهن يعزلن للناس بالأجرة في أغمات حتى إن إحداهن غزلت
لأهل بيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها فيما مضى
وهو في سلطانه فراهن في أطهار رثة وحالة سيئة يرثى لها فصَدَّ عَنْ
قلبه فأنشد هذه الأبيات :

فِيهَا مَضَى كُنْتُ فِي الْأَعْيَادِ مَسْرُورًا
تَرَى بِنَاتِكَ فِي الْأَطْهَارِ جَائِعَةً
فَسَاءَكَ الْعَيْدُ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورًا
يَعْزَلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكُنَّ قِطْمِيرًا

ولما رَجَعَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهٍ مِنْ مُحَاصِرَةِ
بَغْدَادِ إِلَى هَمْدَانَ أَصَابَهُ مَرَضٌ السِّلِّ فَلَمْ يَنْجِ مِنْهُ .
وَقَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ أَمْرٌ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَا يَمْلِكُهُ وَيُقَدَّرُ
عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَنْظَرَةِ .

فَرَكِبَ الْجَيْشَ بِكَمَالِهِ وَأَحْضَرَتِ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا وَمَمَالِكُهُ حَتَّى
جَوَارِيهِ وَحَظَايَاهُ .

فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَذِهِ الْعَسَاكِرُ لَا يَدْفَعُونَ عَنِّي مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَا يَزِيدُونَ فِي عُمْرِي لِحُظَّةٍ .
ثُمَّ نَدِمَ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَفِيِّ وَأَهْلِ
بَغْدَادِ وَحِصَارِهِمْ وَأَذِيَّتِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ : وَهَذِهِ الْخَزَائِنُ وَالْأَمْوَالُ وَالْجَوَاهِرُ لَوْ قَبَلَهُمْ مَلِكُ
الْمَوْتِ مِنِّي فِدَاءً لَجُدْتُ بِذَلِكَ جَمِيعَهُ لَهُ .
وَهَذِهِ الْحَظَايَا وَالْجَوَارِي الْحِسَانَ وَالْمَمَالِكِ لَوْ قَبَلَهُمْ فِدَاءً مِنِّي
لَكُنْتُ بِذَلِكَ سَمَحاً لَهُ .

ثُمَّ قَالَ : (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ هَلَكَتْ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) ثُمَّ فَرَّقَ
شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ ثُمَّ تَوَفَّى .

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءٌ وَكُلْنَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ نَسَاءً
خَسِئْتُ يَا دَارَ دُنْيَانَا فَأَفَّ لِمَنْ يَرْضَى الْخَسِيسَةَ أَوْ نَاسٌ أَحْسَاءُ
لَقَدْ نَطَقْتَ بِأَصْنَافِ الْعِضَاتِ لَنَا وَأَنْتِ فِيهَا يَظُنُّ النَّاسُ خَرَسَاءُ
إِذَا تَعَطَّفْتَ يَوْمًا كُنْتَ قَاسِيَةً وَإِنْ نَظَرْتَ بَعَيْنٍ فَهِيَ شَوْسَاءُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُمْ عِزَّةٌ فِي الْمَلِكِ قَعَسَاءُ
نَالُوا يَسِيرًا مِنَ اللَّذَاتِ وَارْتَحَلُوا بَرَعْمِهِمْ فَإِذَا النَّعْمَاءُ بِأَسَاءُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل]

قيل إن حاتم الأصم قال لأولاده إني أريد الحج ، فبكوا وقالوا إلى من تكلنا ، فقالت ابنته لهم اسكتوا دعوه فليس هو برزاق إن الله هو الرزاق فباتوا جوعاً وجعلوا يوبخون البنت ، فقالت اللهم لا تُخجلني بينهم .

فمرَّ أميرُ البلدِ وطلبَ ماءً فناولَه أهلُ حاتمِ كوزاً جديداً فيه ماءٌ باردٌ فشربَ ، وقال دارٌ من هذه فقالوا دارُ حاتمِ الأصمِ فرمى فيها منطقةً من ذهبٍ .

وقال لأصحابه من أحبني فعَلْ مثلي ، فرمى من حوله كلهم مثله فجعلت بنت حاتم تبكي فقالت لها أمها ما يبكيك وقد وسع الله علينا .

فقالت مخلوقٌ نظرَ إلينا فاستغنيننا ، أي فما ظنك بالخالق جل وعلا الذي سخر لنا هذا المخلوقَ فعطفه علينا .

قيل لبعض العلماء كيف تركت الصبيان ، فقال ﴿وليتخس الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ تقوى الله لنا وهم .

قيل إنه كان عبدالله بن المبارك يتجر في البحر ويقول لولا خمسة ما اتجرت : سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السهك وابن علية .

وكان يخرج فيتجر إلى خراسان فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة .

فقدم سنة فقيل له : قد ولي ابن علية القضاء فلم يأتِه ولم يصله بالصرّة التي كان يصله بها في كل سنة .

فبلغ ابنُ عليَّة أن ابنَ المبارك قد قدِمَ فركب وتنكس على رأسه فلم يرفع به عبد الله بن المبارك رأساً ولم يكلمه فانصرف .
فلما كان من الغد كتب إليه رقعة « بسم الله الرحمن الرحيم »
أسعدك الله بطاعته وتولاك بحفظه وحاطك بحياطته قد كنت مُنتظراً لبرك وصلتك أتبرك بها .

وَجئتُك أمس فلم تُكلمني ورأيتك واجداً عليّ فأبي شيء رأيت مني حتى اعتذر إليك منه .

فلما وردت الرقعة على ابن المبارك دعا بالدواة والقرطاس ثم كتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » وكتب إليه أبياتا نذكر بعضها :

أين رواياتك في سردها عن ابن عَوْنٍ وابن سَيْرين
أين رواياتك في سردها لترك أبواب السُّلَاطِين

فلما وقف ابنُ عليَّة على الأبيات قام من مجلس القضاء فوطىء بساط هرون الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين الله الله إرحم شيبتي فإني لا أصبر على القضاء .

فأعفاه من القضاء فلما اتصل بعبد الله بن المبارك وجهه إليه بالصرّة التي كان يتحفه بها مع زملائه أهد .

عن الشعبي قال : جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما : اشتريت من هذا داراً فوجدت فيها عشرة آلاف درهم فقال خذها فقال له إنما اشتريت الدار .

فقال للبائع فخذها أنت فقال له ولم وقد بعته الدار بها فيها فأدار الأمر بينهما .

فأتى زياداً فأخبره فقال ما كنت أرى أن أحداً هكذا
بقي وقال لشریح أدخل بيت المال فألق في كل جراب
قبضة حتى تكون للمسلمين .

وقيل كان مورك العجلي يتجر فيصيب المال فلا يأتي جمعة
وعنده منه شيء يلقي الأخ فيعطيه أربعمئة أو خمسمئة أو ثلاثمئة
فيقول ضعها عندك حتى نحتاج إليها .

قال ثم يلقاه بعد ذلك فيقول الأخ لا حاجة لي فيها فيقول :
والله إنا ما نحن بأخذها أبداً فشأنك بها ، وعلى هذه الطريقة كان
كثير من السلف على حد قول الشاعر :

لا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرْتَنَا

لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهوَ مُنْطَلِقُ

رُوي أن صحابياً رأى طفلاً في المسجد يُصلي بخشوعٍ
وإتقانٍ فقال له بعد صلاته ابن من أنت .

فقال إني يتيم فقدت أبي وأمي فقال أترضى أن تكون لي ولداً
فقال هل تطعمني إذا جعت قال نعم .

قال وهل تكسوني إذا عريت قال نعم قال وهل تُحييني إذا
مت فدهش الصحابي وقال هذا ليس إليه سبيل .

فأشاح الصبي بوجهه وقال إذن اتركني للذي خلقني ثم
رزقني ثم يميتني ثم يحييني فقال الصحابي لعمرى من توكل على الله
كفاه .

شكى أحدهم إلى عالم كثرة العيال وقلة الرزق فقال : ارجع
إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك .
هدد الحجاج محمد بن علي رضي الله عنه بكتاب .

فكتب إليه إن لله ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو
 أن ينظر الله إليَّ نظرةً يَمْنَعُنِي بها منك .
 مَنْ اتَّكَلَّ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُ لَمْ يَتَمَنَّ غَيْرَ مَا اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ
 التَّوَكُّلَ اعْتِمَادَ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ ،
 مع الثقة بالله وفعل الأسباب .

وَكُنْ بِالَّذِي قَدْ خُطَّ بِاللُّوْحِ رَاضِيًا فَلَا مَهْرَبُ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطَّاهُ
 وَإِنْ مَعَ الرِّزْقِ اشْتَرَا طُ التِّمَاسِيَه وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
 وَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِ الطَّيْرِ قُوَّتَهُ وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لِقَطْعَهُ

قال النبي ﷺ لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما « إني
 أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ،
 إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن
 الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد
 كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا
 بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » .

قال بعضهم يوصي إخوانه :

إن الجنة لا تنال إلا بالعمل إخلطوا الرغبة بالرهبة ودوموا على
 صالح الأعمال والقوا الله بقلوب سليمة وأعمال صادقة من خاف
 أدلج .

مَا دَارُ دُنْيَا لِلْمُقِيمِ بَدَارِ وَبِهَا النُّفُوسُ فَرِيْسَةُ الْأَقْدَارِ
 مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
 طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا وَالْيُسْرُ لِلْإِنْسَانِ كَالْإِعْسَارِ
 وَالْعَيْشُ يَعْقُبُ بِالْمَرَارَةِ حُلُوهُ وَالصَّفْوُ فِيهِ مُخَلَّفُ الْأَكْدَارِ

وكأنها تَقْضِي بُنْيَاتُ الرِّدَى
 والمرءُ كَالطَّيْفِ الْمُطِيفِ وَعَمْرُهُ
 خَطْبُ تَضَاءَلَتِ الْخَطُوبُ لَهُوْلِهِ
 نَلَقَى الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لَهُوْلِهِ
 إنَّ الَّذِينَ بَنَوْا مَشِيدًا وَانْتَشَرُوا
 سَلَبُوا النُّضَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَاصْبَحُوا
 تَرَكَوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
 خَلَطَ الْحِيَامُ قُوِيَهُمْ بِضَعِيفِهِمْ
 وَالخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ
 وَتَعَاقَبُ الْمَلَوْنِ فِينَا نَائِرٌ
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

لَا تَسْتَعِينَنَّ فِي حَاجَةٍ بِمَنْ يَبْتَغِي مِثْلَهَا فَيَنْسِي الَّذِي كَلَّفَتْهُ
 أَوْ يَتَنَاسَاهُ ، وَيَبْدُو بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُ أَهَمُّ .

تسعة لا يُفَارِقُهُمُ الْحُزْنُ وَلَا الْكَآبَةُ : الْحَقُودُ ، وَالْحَسُودُ ،
 وَجَدِيدُ عَهْدٍ بِغِنَاهُ ، وَغَنِيٌّ يَخْشَى الْفَقْرَ ، وَفَقِيرٌ مَدْيُونٌ ، وَطَالِبٌ
 رُتْبَةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا قَدْرُهُ ، وَجَلِيسٌ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ ،
 وَالْمَسْجُونُ ، وَمَنْ يَطْلُبُ بَثَارَ .

مَنْ أَهْتَمَّ بِالدُّنْيَا ضَيَّعَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ أَهْتَمَّ بِنَفْسِهِ زَهَدَ فِي
 الدُّنْيَا ، طَالِبُ الدُّنْيَا لَا يَخْلُو مِنَ الْحُزْنِ فِي حَالَيْنِ : حُزْنٌ عَلَى مَا
 فَاتَهُ كَيْفَ لَمْ يَنْلَهُ ، وَحُزْنٌ عَلَى مَا نَالَهُ يَخْشَى أَنْ يُسَلَبَهُ ، وَإِنْ أَمِنَ
 سَلَبَهُ أَيْقَنَ بِتَرْكِهِ لِغَيْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَهُوَ مَغْمُومٌ وَمَحْزُونٌ فِي جَمِيعِ

أحواله .

ومهما كان الانسان آمناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه
وليلته فحزنه وغمه وكدره بسبب أمر الدنيا علامة على نقصان عقله
وجهله و حماقته فإن ذلك لا يخلو إما أن يكون تأسفاً على ما مضى
أو خوفاً من مُستقبل أو حُزناً على سبب حاضر في الحال .
فإن كان على فائت فالعاقل بصير بأن الجزع والحزن على ما
فات لا يُلْمُ شَعَثًا وَلَا يَرْمُ مَا انْتَكَثَ .
وما لا حيلة فيه فالغمُّ والهَمُّ عليه جهلٌ ولذلك يَقُولُ اللهُ جَلَّ
وعَلا وتَقَدَّسَ ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ .

وقال الشاعر :

ولا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ

وقال الآخر :

وهل جَزَعٌ مُجْدٍ عَلِيٍّ فَأَجْزَعُ

وإن كان تأسفٌ على حاضر فإمّا أن يكون حسداً لوصول
نعمةٍ إلى مَنْ يَعْرِفُهُ أو يكون حُزْناً لِلْفَقْرِ وفقدان المال والجاه وأسباب
الدنيا .

وسبب هذا الجهل بغوائل الدنيا وتقلباتها وسُمومها
وأكدارها .

ولو عَرَفَهَا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا لشكر الله قائماً وقاعداً وماشياً على
كونه مِنَ الْمُخَفِّينَ دُونَ الْمُثْقَلِينَ .

قال رسول الله ﷺ « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي
جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا » رواه
الترمذي وقال حديث حسن .

إذا ما كان عندي قوت يومٍ طَرَحْتُ الهمَّ عني يا سَعِيدُ
ولم تخطر هموم غدٍ ببالٍ لأن غدا له رزق جديد
عن ابن عباس وعمران بن الحصين رضي الله عنهم عن
النبي ﷺ قال « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »
الحديث متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «
يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح .

قال أحمد بن عاصم : أنفع اليقين ما عَظَّمَ في عَيْنِكَ ما به
أيقنت وأنفع الخوف ما حَجَزَكَ عن المعاصي ، وأطال منك الحزن
على ما فات ، وألزمك الفكر في بقية عمرك وخاتمة أمرك .
وأنفع الصدق أن تقرَّ الله عزَّ وجلَّ بغيوب نفسك ، وأنفع
الحياء أن تستحي أن تسأله ما تُحِبُّ وتأتي ما يكره .
وأنفع الصبر ما قوَّاك على خلاف هواك وأفضل الجهاد
مجاهدتك نفسك لتردها إلى قبول الحق .

وأوجب الأعداء منك مجاهدة أقربهم منك دنواً وأخفاهم
عنك شخصاً وأعظمهم لك عداوةً وهو إبليس .
قلتُ : فما ترى في الأُنس بالناس ؟ قال : إن وجدت
عاقلاً مأموناً فأنس به واهرب من سائرهم كهريك من السباع .
قلتُ : فما أفضل ما أتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : ترك
مُعاصيه الباطنة .

قلتُ : فما بال الباطنة أولى من الظاهرة ؟ قال : لأنك إذا
أجتنبت الباطنة بطلت الظاهرة والباطنة .

قُلْتُ : فَمَا أَضْرُّ الطَّاعَاتِ لِي ؟ قَالَ : مَا نَسِيتَ بِهَا
مَسَاوِئَكَ ، وَجَعَلْتَهَا نُصَبَ عَيْنِكَ إِذْ لَأَلَّ بِهَا وَأَمْنًا .

قال : وسمعتَه يقول : اسْتَكَثِرْ مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلِّ لِنَفْسِكَ
قَلِيلَ الرِّزْقِ تَخَلُّصًا إِلَى الشُّكْرِ ، وَاسْتَقْلِلْ مِنْ نَفْسِكَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلِّ
كَثِيرَ الطَّاعَةِ إِزْرَاءً عَلَى النَّفْسِ وَتَعَرُّضًا لِلْعَفْوِ .

وَاسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التِّيَقُظِ بِشِدَّةِ الْخَوْفِ ؛ وَادْفَعْ عَظِيمَ
الْحَرِصِ بِإِيثارِ الْقَنَاعَةِ ، وَاقْطَعْ أَسْبَابَ الطَّمَعِ بِصِحَّةِ الْيَأْسِ ؛
وَسُدِّ سَبِيلَ الْعُجْبِ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ .

وَاطْلُبْ رَاحَةَ الْبَدَنِ بِأَجْمَامِ الْقَلْبِ ، وَتَخَلَّصْ إِلَى إِجْمَامِ
الْقَلْبِ بِقِلَّةِ الْخُلُطَاءِ ، وَتَعَرَّضْ لِرِقَّةِ الْقَلْبِ بِدَوَامِ مَجَالِسَةِ أَهْلِ
الذِّكْرِ ، وَبَادِرْ بِانْتِهَازِ الْبُغْيَةِ عِنْدَ إِمْكَانِ الْفُرْصَةِ ، وَأَحْذَرُكَ
«سَوْفَ» .

وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ فِي عَسَى وَإِيَّاكَ مَهْلًا فَهِيَ أَحْطَرُ عَلَيَّ
وَجُدُّ بِسَيْفِ الْعِزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجُدَّ تَجُدُّ نَفْسًا فَالْنَفْسُ إِنْ جُدَّتْ جُدَّتْ

عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس تقووا
بهذه النعم التي أصبَحْتُمْ فيها على الهربِ من نار الله الموقدة التي
تطلع على الأفئدة .

فإنكم في دارِ الثَّوَاءِ فيها قليل وأنتم فيها مُؤَجَّلُونَ خَلَائِفَ
مِنْ بَعْدِ الْقُرُونِ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا مِنَ الدُّنْيَا أَنْفَهَا وَزَهْرَتَهَا .
فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً وأمدَّ أجساماً وأعظمَ آثاراً
فَخَدُّوا الْجِبَالَ وَجَابُوا الصُّخُورَ وَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ مُؤَيَّدِينَ بِبَطْشِ
شَدِيدٍ وَأَجْسَامِ كَالْعِمَادِ .

فَمَا لَبِثَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي أَنْ طَوَّتْ مُدَدَهُمْ وَعَفَّتْ آثَارَهُمْ
وَأُخْوَتْ مَنَزِلَهُمْ وَأَنْسَتْ ذِكْرَهُمْ ، فَمَا تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْزاً .

كَانُوا بِلَهْوِ الْأَمَلِ آمِنِينَ لِبَيَاتِ قَوْمٍ غَافِلِينَ أَوْ لِصَبَاحِ قَوْمٍ
نَادِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِي نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ بَيَاتًا مِنْ عُقُوبَةٍ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

فَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ وَأَصْبَحَ الْبَاقُونَ
يَنْظُرُونَ فِي آثَارِ نِقْمَةٍ وَزَوَالِ نِعْمَةٍ وَمَسَاكِنِ خَاوِيَةٍ فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى .
وَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي أَجَلٍ مَنْقُوصٍ وَدُنْيَا مَقْبُوضَةٍ فِي
زَمَانٍ قَدْ وَلَّى عَفْوُهُ وَذَهَبَ رِخَاؤُهُ .

فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ إِلَّا حُمَةٌ شَرٌّ وَصُبَابَةٌ كَدْرٌ ، وَأَهَاوَيْلُ عِبْرٍ ،
وَعُقُوبَاتٌ غَيْرُ وَأَرْسَالٌ قِتْنٌ ، وَتَتَابِعُ زَلَازِلٌ وَرَذَالَةٌ خَلْفَ بَهِمٍ ظَهَرَ
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

فَلَا تَكُونُوا أَشْبَاهًا لِمَنْ خَدَعَهُ الْأَمَلُ وَغَرَّ بِطُولِ الْأَجَلِ وَتَبَلَّغَ
بِالْأَمَانِيِّ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ وَعَى نَذْرَهُ ، وَعَقَلَ فَمَهْدَ
لِنَفْسِهِ .

كُتِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخٍ يُوصِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ،
وَالْعَمَلِ بِمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمِرَاقَبَةِ حَيْثُ لَا يِرَاكُ أَحَدٌ إِلَّا
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالِاسْتِعْدَادَ لِمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ حِيلَةٌ ، وَلَا تَنْفَعِ النَّدَامَةَ
عِنْدَ نَزْوَلِهِ .

فَاحْسِرْ عَنِ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْعَافِينَ ، وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ الْمَوْتَى ،
وَشَمِّرْ لِلسَّبَاقِ غَدًا فَإِنَّ الدُّنْيَا مِيدَانُ الْمَسَابِقِينَ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَنْ أَظْهَرَ

النُّسك ، وتَشَاغَلَ بالوصف ، وترك العمل بالموصوف .
واعلم يا أخي أنه لا بد لي ولك من المقام بين يدي الله عز
وجل ، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وسأوس الصدور ،
ولحظات العيون ، وإصغاء الأسماع ، وما عسى أن يعجز مثلي عن

صِفته .
واعلم أنه مما وُصف به منافقوا هذه الأمة أنهم خالطوا أهل
الدنيا بأبدانهم وطابقوهم عليها بأهوائهم ، وخضعوا لما طمِعوا من
نائلهم ، ودَاهَن بعضهم (بعضاً) في القول والفعل ، فأشِرُّ ونَطِرُّ
قولهم ، ومُسرُّ خبيث فعلهم ، تركوا باطن العمل بلا تصحيح
فحرمهم الله تعالى بذلك الثمن الربيع .

واعلم يا أخي أنه لا يجزى من العمل القول ، ولا من البذل
العِدَّة ، ولا من التقوى ولا من التوقى التلاوم .
وقد صيرنا في زمانٍ هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد
تعرض للمقت وصدَّ عن سَوَاء السبيل . وفقنا الله عزَّ وجلَّ وإياك
لما يحب ويرضى ، إنتهى والله أعلم وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم .

[فوائد ومواعظ]

قال مالك بن دينار : مَثَلُ قُرَاءِ هَذَا الزَّمانِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
نَصَبَ فِخْأً وَنَصَبَ فِيهِ بُرَّةً فَجاءَ عُصْفُورٌ .

فقال : ما غَيَّبَكَ فِي التُّرابِ ؟

قال : التَّواضَعُ قالَ لِأَيِّ شَيْءٍ إِنْحَنَيْتَ قالَ مِنْ طُولِ

العِبَادَةِ .

قال فما هذه البرَّة المنصوبة فيك قال أعددتها للصائمين فقال

نعم الجار أنت .

فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ .
فقال العصفور : إن كان العباد يحنقون خنقك فلا خير في
العباد اليوم ومرّ والي البصرة بهالك بن دينار والوالي يرقل (أي يجرّ
ذيله ويتبختر) فصاح به مالك أقل من مشيتك هذه فهم خدام
الوالي بهالك فقال دعوه .

ثم قال ما أراك تعرفني فقال له مالك ومن أعرف بك مني أما
أولك فنظفة مذرة وأما آخرك فجيفة قذرة ثم أنت بين ذلك تحمل
البول والعذرة فنكس الوالي رأسه ومشى .

عن مالك بن دينار قال قدمت من سفر لي فلما صرت
بالجسر قال العشار (الذي يأخذ العشر ضريبة) لا يخرجني أحد
من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه فأخذت ثوبي فوضعت على
عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض .

فقال العشار ما أخرجك قلت ليس معي شيء قال إذهب
فقلت في نفسي هكذا أمر الآخرة (يعني ما يحصل للمخف تعويق
يوم القيامة) التعويق يحصل لأهل الأموال كل بحسبه .

وقال بعض العلماء ما يسر العاقل أن الدنيا له منذ خلقت
إلى أن تفنى يتنعم فيها حلالا لا يسأل عنه يوم القيامة ، وأنه حجب
عن الله عز وجل ساعة واحدة ، فكيف بمن حجب أيام الدنيا
وأيام الآخرة .

من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير ، ومن علم أن منطقه من
عمله قل كلامه (إلا بذكر الله وحمده وشكره) .

عن الأوزاعي قال كان يقال يأتي على الناس زمان أقل شيء
في ذلك الزمان أخ مؤنس أو درهم من حلال ، أو عمل في سنة .

وقال كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء كأن على رؤوسهم الطير مُقبلين على أنفسهم لو أن حميماً (أي صديقاً أو قريباً) لأحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه .

فلا يزالون كذلك حتى يكون قريباً من طلوع الشمس ، ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلّقون ، وأول ما يفيضون فيه أمرٌ معادهم ، وما هم صائرون إليه ، ثم يتحلّقون إلى النقه والقرآن .

من توفيق الله للانسان أن يكون له إخوان في الله يزداد علمه بمخالطتهم وتزداد طاعاته ويزداد حفظاً لأوقاته .

من لم يكن بين إخوان يسر فإن أوقاته نقص وخسران وأطيب الأرض ما للنفس فيه تقى سم الخياط مع الأحاب ميدان وأحب الأرض ما للنفس فيه أذى خضر الجنان مع الأعداء نيران

عن عامر أن ابناً لشریح قال لأبيه : بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمتهم فقصر قصته عليه .

فقال انطلق فخاصمتهم فانطلق فخاصمتهم إليه فقضى على ابنه .

فقال له لما رجعت إلى أهله والله لو لم أتقدم إليك لم أملك فضحتني .

فقال والله يا بني لأنت أحب إلي من مليء الأرض مثلهم ولكن الله هو أعز على منك أخشى أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم . تأمل يا أخي هل يوجد مثل العدل والورع .

قيل لإياس بن معاوية ، فيك أربع خصال : دمامة ، وكثرة كلام ، واعجاب بنفسك ، وتعجيل بالقضاء .

قال : أما الدمامة فالأمر فيها إلى غيري ، وأما كثرة الكلام
فبصواب أتكلّم أم بخطأ قالوا بصواب ، قال فالأكثر من الصواب
أمثل (أي أحسن) .

وأما اعجابي بنفسي أفيعجبكم ما ترون مني قالوا نعم ، قال
فإني أحق أن أعجب بنفسي .
وأما قولكم فإني أتعجل القضاء فكّم هذه وأشار بأصابع
يده فقالوا خمسة فقال أعجلتم ألا قلتم واحداً واثنين وثلاثة وأربعة
 وخمسة .

قالوا ما نعدُّ شيئاً قد عرفناه قال وأنا ما أحبس شيئاً قد تبين
لي فيه الحكم .

عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي قال ما رأينا في القراء
أحداً مثل عيسى بن يونس أرسلنا إليه فاتانا بالرقعة فاعتل قبل أن
يرجع فقلت يا أبا عمرو قد أمر لك بعشرة آلاف فقال هي فقلت
خمسون ألفاً ، قال لا حاجة لي فيها فقلت لم والله لأهينكها هي
والله مائة ألف .

قال لا والله لا يتحدّث أهل العلم أني أكلت للسنّة ثمناً ،
ألا كان هذا قبل أن تُرسلوا إليّ ، فأما على الحديث فلا والله ولا
شراية ماء ولا هليلجة .

وقالوا أبو بكر المرزوي سمعت أحمد بن حنبل وذكر ورع
عيسى بن يونس ، قال قدم فأمر له بمائة ألف أو قال بهال فلم
يقبل ، وتدرى ابن كم كان عيسى أراد أنه كان حدّث السن .

وقال محمد بن المنكدر حج الرشيد فدخل الكوفة
فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما فأمر له
المأمون بعشرة آلاف درهم .

فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها ، فأمر له بعشرين ألفا ،
فقال عيسى لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول
الله ﷺ ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف .
طلب الخليفة هشام بن عبد الملك ذات يوم أحد
العلماء ، فلما دخل عليه قال السلام عليك يا هشام ثم
خلع نعليه وجلس بجانبه .
فغضب هشام وهمم بقتله ولما تحدث معه وجدته عالماً
كبيراً .

فلما انتهى الحديث عاتبه بقوله له لقد سميتني باسمي ولم
تكنني أو تدعني بالخلافة ، وخلعت نعليك وجلست بجانبني
فلم فعلت ذلك .

فقال له : لم أدعك بالخلافة لأن الناس لم ينتخبوك كلهم .
وسميتك ولم أكنك .

لأن الله جل وعلا وتقدس نادى الأنبياء بأسمائهم ، فقال يا
عيسى ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا نوح ، يا داود .
وكنى عدوه فقال ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ .

وخلعت نعلي بجانبك وأنا أخلعهما لما أدخل بيت ربي .

وجلست بجانبك لأنى سمعت أن رسول الله ﷺ قال « من
سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار » .

فكرهت لك النار فأمر له هشام بهال فلم يقبله وانصرف .

تأمل يا أخي هذا الورع عن أخذ شيء من حطام الدنيا

على ما حدثها به وقال لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة

ثمنا .

فما ظنك بمن يأكل بالكتب التي تحتوي على الآيات
والأحاديث باسم تحقيق أو نشر ويحتكرها نسأل الله العفو والعافية
في الدنيا والآخرة . نعوذ بالله من عمى البصيرة قال الله
تعالى ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ .

قال يوسف بن أسباط : عَجِبْتُ كَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ مَعَ الْمَخَافَةِ
أَوْ يَغْفُلُ قَلْبٌ مَعَ الْيَقِينِ بِالْمَحَاسِبَةِ .

من عرف وجوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل
عيناه أبداً إلا باعطاء المجهود من نفسه .
خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقُلُوبَ مَسَاكِنَ لِلذِّكْرِ ، فَصَارَتْ مَسَاكِنَ
لِلشَّهَوَاتِ .

الشهوات مُفْسِدَةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَتَلْفٌ لِلْأَمْوَالِ ، وَإِنْخِلَاقٌ
لِلْوُجُوهِ ، وَلَا يَمْحُو الشَّهَوَاتِ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا خَوْفٌ مُزْعَجٌ أَوْ شَوْقٌ
مُغْلِقٌ .

وقال الزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ أَشَدُّ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا .
وَكَانَ يُقَالُ إِعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَا يُنَجِّئُهُ إِلَّا اللهُ ثُمَّ عَمَلُهُ ،
وَتَوَكَّلْ تَوَكَّلْ رَجُلٍ لَا يَصِيبُهُ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسِي وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَكَ مِنْ قَلْبِي .
وَقَالَتْ زَوْجَتُهُ كَانَ يَقُولُ اشْتَهِي مِنْ رَبِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ قُلْتُ
وَمَا هُنَّ قَالَ : اشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ حِينَ أَمُوتَ وَلَيْسَ فِي مُلْكِي دِرْهَمٌ ،
وَلَا يَكُونُ عَلَيَّ دَيْنٌ ، وَلَا عَلَى عَظْمِي لَحْمٌ .

فَأَعْطَى ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَقَدْ قَالَ لِي فِي مَرَضِهِ أَبْقِي عِنْدَكَ نَفَقَةً
فَقُلْتُ لَا قَالَ فَمَاذَا تَرَيْنَ .

قُلْتُ أَخْرَجْ هَذِهِ الْخَابِيَةَ لِلْبَيْعِ فَقَالَ يَعْلَمُ النَّاسُ بِحَالِنَا
وَيَقُولُونَ مَا بَاعُوهَا إِلَّا وَثَمَّ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ .

فَأَخْرَجَ إِلَيَّ شَيْئًا كَانَ أَهْدَاهُ إِلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَبَاعَهُ بِعَشْرَةِ

دِرَاهِمٍ .

وَقَالَ اعْزِلِي مِنْهَا دِرْهَمًا لِحَنُوطِي وَأَنْفِقِي بَاقِيَهَا فَمَاتَ وَمَا بَقِيَ

غَيْرُ دِرْهَمٍ .

لِرَبِّي عِبَادٌ وَحَدَهُ يَعْْبُدُونَهُ	يُرُومُونَهُ لَا يَسْتَقْرُونَ دُونَهُ
هُوَ السَّنْدُ الْأَقْوَى الَّذِي اسْتَنْدُوا بِهِ	هُوَ الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى الَّذِي يَقْصُدُونَهُ
إِذَا اعْتَمَدَ الْمُضْطَرُّ فِي الْخَطْبِ غَيْرَهُ	فَلَيْسَ سِوَى مَوْلَاهُمَا يَطْلُبُونَهُ
وَإِنْ حَسَدَ النَّاسُ الْمُلُوكَ بِمُلْكِهِمْ	فَلَيْسَ لَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ يَحْسُدُونَهُ
لَأَنَّهُمْوَا حَلُّوا بِسَاحَةِ مَالِكِ	فَمَهْمَا أَرَادُوا عِنْدَهُ يَجِدُونَهُ
مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةُ الَّذِي يَقْتَدُونَهُ	وَتَوْحِيدُهُ الْوَرْدُ الَّذِي يَرْدُونَهُ
مَتَى فَاتَهُمْ مِنْ وَصْلِهِ قَدْرٌ ذَرَّةٌ	فَبِالرُّوحِ ذَاكَ الْقَدَرِ هُمْ يَفْتَدُونَهُ
لِهَذَا اضْطَفَاهُمْ لِلْعِبَادَةِ دُونَ مَنْ	سِوَاهُمْ فَهُمْ طُولَ الْمَدَى يَعْْبُدُونَهُ
تَوَلَّاهُمُوا دُونَ الْوَرَى فَوَلَاؤُهُ	طَرَزٌ عَلَى ثَوْبِ التَّقَى يَرْتَدُونَهُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

عَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَابِدٍ وَإِذَا أَهْلُ بَيْتِهِ حَوْلَهُ
فَإِذَا هُوَ مَجْهُودٌ قَدْ أَجْهَدَهُ الْإِجْتِهَادُ .

قَالَ فَبَكَى أَبُوهُ فَانْظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا الشَّيْخُ مَا الَّذِي
يُبْكِيكَ ، قَالَ يَا بُنَيَّ أَبُوكِي فَقَدَكَ ، وَمَا أَرَى مِنْ جَهْدِكَ .

قال فبكت أمه ، فقال أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ما الذي يبكيك ، قالت يا بني فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك .

قال فبكى أهله وصبياناه ، فنظر إليهم ثم قال يا معشر اليتامى بعد قليل ما الذي يبكيكم ، قالوا يا أبانا نبكي فراقك وما تتعجل من اليتيم بعدك .

قال فقال أقعدوني أرى كلكم يبكي لدنياي ، أما فيكم من يبكي لآخرتي ، أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي .
أما فيكم من يبكي لمسألة منكر ونكير وإيائي .
أما فيكم من يبكي لوقوف بين يدي الله ربي .

قال ثم صرخ صرخة فمات .

عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال كان عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية خلا لِعَبْدِ الملك بن مروان فلما مات عبد الملك بن مروان وتصدع الناس عن قبره وقف عليه .

فقال أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك وتوعدني فأخافك أصبحت وليس معك من ملكك غير ثوبك وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين .

ثم انكفا إلى أهله واجتهد في العبادة حتى صار كأنه شن بالي .

فدخل عليه بعض أهله فعاتبه في نفسه وإضراره بها فقال للقائل أسألك عن شيء تصدقني عنه قال نعم قال أخبرني عن حالتك التي أنت عليها أترضاها للموت . (المعنى أترضى أن يأتيك الموت وأنت عليها) قال اللهم لا .

قال أفَعَزَمْتَ على انتقالٍ منها إلى غيرها قال ما انتصحتُ
رأبي في ذلك .

قال أفَتَأْمَنُ مِنْ أَنْ يَأْتِيكَ الموتُ على حَالِكَ التي أنتَ عليها .
قال اللهم لا ، قال حالٌ ما أقامَ عليها عاقِلٌ ثم انكفأ إلى
مُصَلَاةٍ .

وروي أن سُلَيْمَانَ بن عبد الملك تَجَمَّلَ يوماً ولبسَ ثيابه
واعْتَمَّ بعمامةٍ وعندهُ جاريةٌ فقال لها كيفَ ترىنِ الهيئةَ .

فقلت أنتَ أجملُ العربِ لولا .

فطلب منها أن تكملَ الجوابَ وتصرحَ بما أضمرتُ فقلت :

أنتَ نِعَمَ المتاعِ لو كُنتَ تَبْقَى غيرَ أن لا بقاءَ لِلانْسَانِ
أنتَ خِلْقٌ مِنَ العُيُوبِ ومما يَكْرَهُ الناسُ غيرَ أَنَّكَ فَانٍ
فتكدرُ عليه ما كان فيه من الأبهةِ والنعيمِ وما لبثَ بَعْدَهَا إِلَّا
أياماً قلائِلٌ حتى تُوفى .

فقلْ لِلذِي قد غرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ وما قد حوَاهُ مِنْ زَخَارِفِ تَخْدَعُ
أفقٌ وانظرِ الدنيا بعينِ بَصِيرَةٍ تَجِدُ كُلَّ ما فيها ودائعَ تُرْجَعُ

آخر :

مَوَاعِظُ بِرِ تُوْرِثُ النَّفْسَ عِبْرَةً وَتُتْرِكُهَا وَهَاءَ حَوْلَ المَقَابِرِ

مَوَاعِظُ إِذَا تَسَامَ النَّفْسُ ذِكْرَهَا تُهَيِّجُ أَحْزَاناً مِنَ القَلْبِ ثَائِرِ

فَدُونِكَ إِذَا الفَهْمُ إِنْ كُنْتَ ذَانُهُ فَبَادِرُ فَإِنَّ الموتَ أَوَّلُ زَائِرِ

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لأن أدمع

دمعةً من خشيةِ الله عزَّ وجلَّ أحبُّ إليَّ من أن أتصدقَ بألفِ دينارٍ .

ولما حضرت غامر بن قيس الوفاة بكى وقال إني لم أبك جزعاً
من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على عدم قضاء وطري
من طاعة ربي وقيام الليل في أيام الشتاء .
وبكى أحد العباد عندما احتضر وقال ما تأسفي على دار
الهموم والأنكاد والأحزان والخطايا والذنوب وإنما تأسفي على ليلة
نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله .

أيضيء ظلام الليل حُسن وجوههم فهم في الليالي المظلمات بدور
هم القوم لا يلهيهم عن ملبكهم تعاليل دنياً بالغرور تدور
ولما احتضر مسروق بن الأجدع بكى ف قيل له ما هذا الجزع
قال ما لي لا أجزع وإنما هي ساعة ولا أدري أين يسلك بي وبين
يدي طريقان لا أدري إلى الجنة أم إلى النار ، والله أعلم وصلى الله
على محمد وآله وسلم .

[فصل]

الناس في القناعة والزهد أقسام منهم من عمل لدنياه
وأخرته واستمتع من الدنيا بما رزقه الله ورضي وقنع به وهذا عيش
المؤمن والقناعة محمودة ، قال بعضهم :
يقولون لي من أرغد الناس عيشةً ومن بات عن سبل المخاوف نائياً
فقلت لبيب عارف قهر الهوى وصار بحكم الله في الرزق راضياً
آخر :

يا لهف قلبي على شئين لو جمعا
عندي لكنت إذا من أسعد البشر
كفاب عيش يقيني شر مسألة
ونخدمة العلم حتى ينتهي عمري

القسم الثاني من الناس وجدَ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
عَرَضاً زَائِلاً وَلَذَّةً مُؤَقَّتَةً وَشَاغِلاً لَهُ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ،
فَأَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَعَاشَ عَيْشَ الكِفَافِ مِنَ الكَسْبِ
الحلال .

وَصَرَفَ مُعْظَمَ أَوْقَاتِهِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ طَمَعاً فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرِضَاهِ
عَمِلاً بِقَوْلِهِ ﷺ « إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيهَا عِنْدَ النَّاسِ
يُحِبُّكَ النَّاسُ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَرَفَ كَيْفَ يُصَرِّفُ وَقْتَهُ
عَكْسَ مَنْ ذَهَبَتْ أَعْمَارُهُمْ فُرْطاً .

وأهم الزهد في الدنيا أن لا تُلْقَى لها بالاً إِنْ أَتَتْ لَمْ تَفْرَحْ بِهَا ،
وَإِنْ لَمْ تَأْتِ لَمْ تَأْسَفْ عَلَيْهَا ، وَتَخْرُجُهَا مِنْ قَلْبِكَ وَتَصْرِفُ رَغْبَتَكَ
وَفَرَحَكَ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَقِسْمٌ مِنَ النَّاسِ وَرِعُونَ وَدَرَجَةُ الْوَرَعِ عَالِيَةٌ ، وَهِيَ
اجْتِنَابُ الشَّبَهَاتِ خَوْفاً مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ ، وَالْإِقْلَالُ مِنَ
الحلال لِئَلَّا يُشْغِلَ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَالْوَرَعُ مِلاكَ الدِّينِ وَآفَةُ الدِّينِ الطَّمَعُ .

وأهم ما في الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ، الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ وَالْوَرَعُ عَنِ
الشَّبَهَاتِ وَحُسْنُ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ .

روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه له دَيْنٌ عَلَى رَجُلٍ فِي
بَغْدَادَ فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ ، وَذَلِكَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ ،
وَالْحَرُّ شَدِيدٌ فَطَرَقَ الْبَابَ عَلَى الدَّائِنِ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْبَابِ لَوْجُودِ
سَقِيْفَةٍ فَوْقَ الْبَابِ لَهَا ظِلٌّ يَبْقَى مِنَ حَرِّ الشَّمْسِ .

فقال له أحد تلاميذه لم ابتعدنا عن السقيفة ووقفنا في الشمس ، فقال أبو حنيفة لنا دين على صاحب السقيفة ، ووقفنا تحت السقيفة هو استفادة من الدين ، وهذه شبهة ربا .
جاءت امرأة إلى عمرو بن قيس بثوب فقالت يا أبا عبد الله اشتر هذا الثوب واعلم أن غزله ضعيف وكان إذا جاءه إنسان يعرضه عليه قال إن صاحبتة أخبرتني أنه كان في غزله ضعف حتى جاء رجل فاشتراه وقال برأناك منه .

وبعث أبو حنيفة إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة وأعلمه أن ثوبا من المبيع فيه عيبا فبينه للمشتري .
فباع حفص المتاع ونسي أن يبين العيب واستوفي الثمن كاملا ، وقيل إن الثمن كان ثلاثين ألفا أو خمسة وثلاثين ألفا .
فبعث أبو حنيفة لشريكه وكلفه أن يبحث عن المشتري فلم يهتدي إلى الرجل .

ففارق أبو حنيفة شريكه وتواركا ، ورفض أبو حنيفة أن يضيف الثمن إلى حرم ماله وتصدق به كاملا .
وكان عند يونس بن عبيد حُلل مختلفة فيها ما قيمتها أربعمائة وفيها ما قيمتها مائتان .

فخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي فطلب حلة بأربع مائة فعرض عليه من الذي قيمته مائتان فاشتراها بأربعمائة .
فاستقبله يونس وهي على يده فعرفها فقال له بكم اشتريتها فقال بأربعمائة ، فقال لا تساوي أكثر من مائتين فأرجع حتى تردّها .

فقال هذه في بلدنا تساوي خمسمائة وأنا ارتضيتها ، فقال

يونس إنصرفَ معي فإنَّ النصحَ في الدِّينِ خيرٌ من الدنيا وما فيها
ثم أتى معَه إلى الدكانِ وردَّ عليه مائتي درهم .

وخاصم ابن أخيه في ذلك ووبخه ، وقال أما استحييتَ أما
اتقيت الله تبيع مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين .
فقال ما أخذها إلا وهو راضٍ بها ، قال فهلا رَضِيتَ له بما
ترضاهُ لِنَفْسِكَ .

وقيل لمجمع التيمي وقد جلب شاته للبيع كيف شاتك قال
ما أرضاها .

وروي عن محمد بن المنكدر أن غلامه باع لأعرابي في غيبته
ما يساوي خمسةً بعشرة ، فلم يزل يطلبُ الأعرابي ويسأل عنه حتى
وجده .

فقال له إن الغلام قد غلَطَ فباعك ما يساوي خمسةً بعشرة ،
فقال يا هذا قد رَضِيتُ فقال وإن رَضِيتَ ، فإننا لا نرضى لك إلا
ما نرضاهُ لأنفسنا وردَّ عليه خمسة .
ولله در القائل :

ولقد علمتُ فلا تظني غيرةً أن التورع عند هذا الدرهم
فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن هناك تقوى المسلم
وفي المثل السائر الدنيا محك الدين .

وعرض محمد بن واسع بسوق مرو حماراً له على البيع فقال
له رجل أترضاهُ لي قال لو رَضِيتَهُ لك لم أبعه .

وذكر أن جرير بن عبد الله وكان من أفاضل الصحابة اشترى
له غلامه فرساً بثلاثمائة فلما رأى جرير الفرس أعجبه .
فذهب إلى صاحبه وقال له : إن فرسك خيرٌ من ثلاثمائة

(أي تسوى أزيد) وما زال يزيده في الثمن حتى أعطاه ثمانمائة .
تأمل يا أخي هذا الورع هل له نظير في زمننا الذي ساد فيه
الغش بَلِّغْ يَا أُخِي مَعْشَرَ الْغَشَّاشِينَ وَالطَّمَاعِينَ وَالغَرَارِينَ وَالخَدَّاعِينَ
وروى ابن أبي حاتم بسنده أن أبا الدرداء رضى الله عنه لما
رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ، وغرس الأشجار ،
قام خطيباً في مسجدهم .

فنادى يا أهل دمشق ، فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى
عليه ، ثم قال : أَلَا تَسْتَحْيُونَ أَلَا تَسْتَحْيُونَ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ
وتبنون ما لا تسكنون ، وتؤملون ما لا تدركون .
إنه قد كان قبلكم قرون ، يجمعون فيوعون ، ويبنون
فيوثقون ، ويؤملون فيطيلون .

فأصبح أملهم غروراً وأصبح جمعهم بُوراً ، وأصبحت
مساكنهم قبوراً ، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً
وركاباً ، فمن يشتري مني ميراث عادٍ بدرهمين .

إذا مرضنا نوثنا كلُّ صالحه وإن شفيننا فمنا الزبيغ والزلل
نرجو الاله إذا خفنا ونسخطه إذا أمننا فما يزكو لنا عمل
وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، أما بعد
فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حبه إلى
خلقه .

وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله ، فإذا أبغضه الله بغضه
إلى خلقه .

وكتب مرة إلى أخ له : أما بعد فلست في شيء من أمر
الدنيا إلا ما قدمت لنفسك ، فأثرها على المصلح من ولدك فإنك

تَقَدَّمَ عَلَى مَنْ لَا يَعْذُرَكَ وَتَجْمَعُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ .
وَإِنَّمَا تَجْمَعُ لَوَاحِدٍ مِنْ اثْنَيْنِ إِمَّا عَامِلٌ فِيهِ بَطَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ ، فَيَسْعَدُ بِهَا شَقِيَّتَ بِهِ .
وَإِمَّا عَامِلٌ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَشْقَى بِمَا
جَمَعَتْ لَهُ .

وَلَيْسَ وَاللَّهِ وَاحِدٌ مِنْهَا بِأَهْلٍ أَنْ تُبَرِّدَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ ، وَأَنْ
تُؤَثِّرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .
أَرْجُ لِمَنْ مَضَى مِنْهُمْ رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَثِقْ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بَرزقِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّلَامَ .

وَقِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ مَالِكَ لَا تَشْعُرْ قَالَ قَدْ قُلْتُ فَاسْمَعُوا :
يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ أَوْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
يَقُولُ الْمَرْءُ فَائِدَتِي وَمَالِي وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا
وَقَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَفِي عَقْلِهِ نَقْصٌ عَنْ حِلْمِهِ وَعِلْمِهِ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَتَتْهُ الدُّنْيَا بِزِيَادَةٍ فِي مَالٍ ظَلَّ فَرِحًا مَسْرُورًا .
وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ دَائِبَانِ فِي هَدْمِ عُمْرِهِ لَا يُحْزِنُهُ ذَلِكَ ، ظَلَّ
ظَلَالَهُ ، مَا يَنْفَعُ مَالٌ يَزِيدُ وَعُمْرٌ يَنْقُصُ .

وَقَالَ نَعْمَ صَوْمَعَةَ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ بَيْتُهُ يَكْفُ لِسَانَهُ وَفَرْجَهُ
وَبَصْرَهُ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَجَالِسِ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّمَا تَلْهِي وَتَلْغِي .
خَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعَادِ وَذَكَرَهُ وَتَشَاغَلُوا بِالْحِرْصِ وَالْأَطْمَاعِ
صَارَتْ مَجَالِسُ مَنْ تَرَى وَحَدِيثُهُمْ فِي الصُّحُفِ وَالتَّلْفَازِ وَالمَذْيَاعِ
وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ أَخُوفُ مَا أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ : أَعَلِمْتَ أَمْ جَهَلْتَ .
فَإِنْ قُلْتَ عَلِمْتَ لَا تَبْقَى آيَةٌ أَمِيرَةٌ أَوْ زَاجِرَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ

بَفَرِيضَتِهَا الْأَمْرَةُ هَلْ ائْتَمَرْتَ وَالزَّاجِرُ هَلْ ازْدَجَرْتَ .
فَاعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ
وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وقال لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت ، لما أكلتم طعاماً
على شهوة ، ولا شربتم شراباً على شهوة ، ولا دخلتم بيتاً
تستظنون .

وَلخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعِدَاتِ تَضْرِبُونَ صُدُورَكُمْ ، وَتَبْكُونَ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِي شَجَرَةٌ تُعْضِدُ ثُمَّ تُوَكَّلُ .
وعن جبير بن نفير قال لما فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا فَبَكَى
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِساً وَحْدَهُ يَبْكِي .

فَقُلْتُ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ
وَأَهْلَهُ .
قال وَبِحُكِّكَ يَا جُبَيْرُ مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عِزُّوهُ إِذَا تَرَكُوا
أَمْرَهُ .
بَيْنَاهِي أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمَلِكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ فَرَأَيْتَهُمْ كَمَا
تَرَى .

لَا تُخْذَعَنَّكَ مَنَى الْحَيَاةِ فَإِنِهَا تُلْهِي وَتَنْسِي وَالْمَنَى تَظْلِيلٌ
وَتَأْهَبُنْ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ فَالْمَوْتُ حَتْمٌ وَالْبَقَاءُ قَلِيلٌ

[فَوَائِدُ وَنَصَائِحُ]

إِجْعَلْ مُرَاقِبَتَكَ لِمَنْ لَا تَغِيبُ عَنْ نَظَرِهِ إِلَيْكَ وَاجْعَلْ شُكْرَكَ
لِمَنْ لَا تَنْقَطِعُ نِعْمُهُ عَنْكَ وَاجْعَلْ خُضُوعَكَ لِمَنْ لَا تُخْرَجُ عَنْ مُلْكِهِ .
وقال العَمْرِيُّ إِنْ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ إِعْرَاضُكَ عَنِ اللَّهِ
بِأَنْ تَرَى مَا يُسَخِّطُهُ فَتَجَاوِزُهُ وَلَا تَأْمُرُ وَلَا تَنْهَى خَوْفاً مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ
ضِراً وَلَا نَفْعاً .

الشكر من أعلى المقامات وهو أعلى من الصبر والخوف
والزهد ، وهو مقصود لِنَفْسِهِ ولذلك لا ينقطع في الجنة ، وليس
فيها خوف ، ولا توبة ولا صبر ، ولا زهد .

والشكر دائم في الجنة ، ولذلك قال جل وعلا ﴿ وآخِرُ
دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقال عن أهل الجنة ﴿ وقالوا
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ .

أما كيفية شكر الله فيتم بأمور ، أولا : أن يحمد الله على
نعمه بلسانه ويشكره .

ثانيا : أن يعتقد أن هذه النعمة أو النعم آتية من الله تعالى
كرماً منه وإحساناً .

ثالثا : أن لا يستعين بها على معاصيه بل يطيع الله فيها .

رابعا : أن يعرف فضل الله عليه وكرمه فيستحي منه فلا
يعصه ، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال سهل بن عبد الله استجلب حلاوة الزهد بقصر
الأمَل ، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس ، وتعرض لرقه
القلب بمجالسة أهل الذكر .

واستفتح باب الحزن بطول الفكر ، وتزين لله بالصدق في
كل الأحوال .

وإياك والتسويف ، فإنه يغرق الهلكى ، وإياك والغفلة فإن
فيها سواد القلب ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر .

وقال يحيى بن معاذ عمل كالسراب وقلب من التقوى

خَرَاب ، وَذُنُوبٍ بِعَدَدِ الرَّمْلِ وَالتُّرَابِ ، ثُمَّ تَطْمَعُ فِي الكَوَاعِبِ
الْأُتْرَابِ .

هِيَهَاتَ أَنْتَ سَكْرَانٌ بِغَيْرِ شَرَابٍ ، مَا أَكْمَلَكَ لَوْ بَادَرْتَ
أَمَلَكَ ، مَا أَجَلَّكَ لَوْ بَادَرْتَ أَجَلَكَ ، مَا أَقْوَاكَ لَوْ خَالَفْتَ هَوَاكَ .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَا ابْنَ آدَمَ طَلَبْتَ الدُّنْيَا طَلَبَ مَنْ لَا بُدَّ
لَهُ مِنْهَا ، وَطَلَبْتَ الْآخِرَةَ طَلَبَ مَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَيْهَا .
وَالدُّنْيَا قَدْ كُفِّتْهَا وَإِنْ لَمْ تَطْلُبْهَا ، وَالْآخِرَةَ بِالطَّلَبِ مِنْكَ
تَنَالُهَا ، فَاعْقِلْ شَأْنَكَ .

وَقَالَ مَفَاوِزُ الدُّنْيَا تُقَطَّعُ بِالْأَقْدَامِ ، وَمَفَاوِزُ الْآخِرَةِ تُقَطَّعُ
بِالْقُلُوبِ .

وَقَالَ يَا ابْنَ آدَمَ لَا يَزَالُ دِينُكَ مُتَمَزِقًا مَا دَامَ قَلْبُكَ بِحُبِّ
الدُّنْيَا مُتَعَلِّقًا .

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمَزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ أَثَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوَقَّعُ
الدُّنْيَا لَذَّةُ سَاعَةٍ ، يَتَّبِعُهَا حُزْنٌ طَوِيلٌ ، وَهَمُومٌ وَغَمُومٌ
وَأَنْكَادٌ ، وَمَصَائِبٌ ، وَمَتَاعِبٌ .

وَالْآخِرَةُ صَبْرٌ قَلِيلٌ ، وَسُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ ، لَا نِهَايَةَ لَهُ لِمَنْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرَتِهِ :
« فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » ثُمَّ
قَرَأَ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وعن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى ﴿ تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﴾ رواه مسلم .

[حكم ووصايا]

أخوك من عرفك العيوب وصديقك من حذرَكَ من الذنوب ، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق .
وعلى قدر حبك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك .
عجب ممن يحزن على نقصان ماله كيف لا يحزن على نقصان عمره .

وقال أيها المريدون ، إن اضطررتم إلى طلب الدنيا ، فاطلبوها ولا تحبوها ، واشغلوا بها أبدانكم ، وعلقوا بغيرها قلوبكم .

فإنها دار ممر ، وليست بدار مقر ، الزاد منها ، والمقيل في غيرها .

الناس قد علموا أن لا بقاء لهم لو أنهم عملوا مقدار ما علموا وقال آخر : يا من قد بلغ أربعين سنة ، وكل عمره نوم وسنة ، يا متعباً في جمع المال بدنه ، ثم لا يدري لمن خزنه ، أعلم هذه النفس الممتحنة ، إنها بكسبها مرتنة .

ألا يعتبر المغرور بمن قد دفنه ، كم رأى من جبارٍ فارق أهله

وأولاده ومسكنه ، انتبهوا يا راحلين بالإقامة ، يا هالكين
بالسلامة .

أين من أخذ صفو ما أنتم في كدره ، أما وعظكم بسيره في
سيره ، بل قد حمل بريد الإنذار أخبارهم ، وأراكم تصفح الآثار
آثارهم .

وحدثتكَ الليالي أن شيمتها تفرق ما جمعه فاسمع الخبرا
وكن على حذر منها فقد نصحت وانظر إليها ترى الآيات والعبرا
فهل رأيت جديدا لم يعد خلقا وهل سمعت بصفو لم يعد كدرا
حبال الدنيا خيال تغر الغر ، المتمسك بها يلعب بلعب
الشمس وبيت العنكبوت ، الدنيا كالمرأة الفاجرة لا تثبت مع زوج .
ولو كانت الدنيا من الانس لم تكن سوى مؤمس أفنت بهساء عمرها
يا مقيما في دائرة الغير ، كم حضرت فيها من محتضر ، وكم
عأنت فيها من قبر يحتفر ، لقد ألانت مواعظها كل صلد وحجر ،
إسمع يا من إذا عامل خان وظلم .

يا هذا أما علمت أن اللطف مع الضعيف أكثر لما كانت
الدجاجة لا تحو على الولد أخرج كاسيا ، ولما كانت النملة ضعيفة
البصر أعينت بقوة الشم فيها تجد ريح المطعوم من بعيد فتطلب .
ولما كان التمساح مختلف الأسنان كلها أكل حصل بين
أسنانه ما يؤذيه فيخرج إلى شاطئ البحر فاتحا فاه طالبا للراحة
فيأتي طير فينقر ما بين أسنانه فيكون ذلك رزقا للطائر وترويحاً عن
التمساح .

وهذه الخلد دويبة عمياء من أقوى المخلوقات سمع قال

الشاعر:

فَهُمْ فِي جُمُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَايَةَ وَهُمْ فِي ضَجِيحٍ لَا يُحْسُ بِهِ الْخُلْدُ
قَدْ أَهَمَّتْ هَذِهِ الدُّوَيْبَةَ الْعَمِيَاءَ وَقَدْ حَاجَتِ لِلْقُوَّةِ أَنْ تَفْتَحَ
فَاهَا فَيَسْقُطَ الذَّبَابُ فِيهِ فَتَنَاولَ مِنْهُ .

وهذه الأطيوار تترنم طول النهار فيقال للضفدع مالك لا
تنطقين فتقول مع صوت الهزار يستبشع صوتي .
فَيُقَالُ هَذَا اللَّيْلُ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْأَخْرَسَ لَا يَقْدِرُ
عَلَى الْكَلَامِ سُلْبَ السَّمْعِ لئَلَّا يَسْمَعَ مَا يَكْرَهُ وَلَا يُمَكِّنُهُ الْجَوَابُ
فَكُلُّ أَخْرَسٍ أَطْرُوشٌ .

وَمَا تَوَلَّعَ الْجَذَامُ بِأَظْفَارِ أَصْحَابِهِ صَعَبَ عَلَيْهِمُ الْحَكُّ فَمُنِعَ
مِنْهُمُ الْقَمْلُ فَلَيْسَ فِي ثِيَابِ الْمَجْدُومِ قَمْلَةٌ .
سُبْحَانَ مَنْ هَذَا لُطْفُهُ وَهَذِهِ حِكْمُهُ ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ﴾ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ و ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ .

من أدعية المضطرين : يَا وَدُودُ يَاذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيءُ
يَا مُعِيدُ يَا فَعَالُ لِمَا تُرِيدُ أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ
عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ .
وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مُغِيثُ
أَغْنِنِي .

قيل لجعفر الصادق مالنا ندعوا فلا يستجاب لنا قال لأنكم تدعون
من لا تعرفونه .

عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي
دارين (قرية في بلاد فارس) فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له
فيهن : نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَطَلَبَ الْمَاءَ لِيَتَوَضَّأَ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ
وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدك وفي سبيلك نُقاتِلُ عَدُوَّكَ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا

غَيْثًا نَتَوَضَّأُ مِنْهُ وَنَشْرَبُ فَإِذَا تَوَضَّأْنَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبٌ غَيْرُنَا .
 فَسِرْنَا قَلِيلًا فَإِذَا نَحْنُ بِهَاءِ حِينَ أَقْلَعْتُ عَنْهُ السَّيِّئَ فَتَوَضَّأْنَا مِنْهُ
 وَتَزَوَّدْنَا وَمَلَأْتُ إِدْوَاتِي (إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ) وَتَرَكْتُهَا مَكَانَهَا حَتَّى
 أَنْظُرَ هَلْ اسْتُجِيبَ لَهُ أَمْ لَا ؟ فَسِرْنَا قَلِيلًا ثُمَّ قُلْتُ لِأَصْحَابِي :
 نَسِيتُ إِدْوَاتِي . فَجِئْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُصِبهُ مَاءٌ قَطُّ . ثُمَّ
 سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا دَارَيْنِ وَالْبَحْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ : يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ
 يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ إِنَّا عَبِيدُكَ وَفِي سَبِيلِكَ نُقَاتِلُ عَدُوَّكَ ، اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ
 لَنَا إِلَيْهِمْ سَبِيلًا . فَتَقَحَّمِ الْبَحْرَ فَخُضْنَا مَا يَبْلُغُ لِبُودُنَا . فَخَرَجْنَا
 إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَجَعَ أَخَذَهُ وَجَعُ الْبَطْنِ فَمَاتَ فَطَلَبْنَا مَاءً نَغْسَلُهُ فَلَمْ نَجِدْهُ
 فَلَفَقْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ وَدَفَنَاهُ .

فَسِرْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ فَإِذَا نَحْنُ بِهَاءِ كَثِيرٍ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : لَوْ
 رَجَعْنَا فَاسْتَخَرْنَا فَنَغْسَلْنَاهُ ، فَارْجَعْنَا فَطَلَبْنَا فَمَا نَجِدْهُ . فَقَالَ
 رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ . إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ أَخْفِ
 عَلَيْهِمْ مَوْتِي أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا وَلَا تُطْلِعْ عَلَيَّ عَوْرَتِي أَحَدًا . فَارْجَعْنَا
 وَتَرَكْنَاهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فـصـل]

إِعلم وفقنا الله وإياك أن الأعمال الصالحة تُفيد الراحة في
 الدنيا والتنعم في الآخرة .

وعمارة الدنيا تكسب التعب فيها والشقاء بعد مفارقتها .
 ومن صدق نفسه بفناء الدنيا زهد فيها ومن صدق نفسه
 ببقاء الآخرة رغب فيها .

احذر كل الحذر من الكذاب ، والممثل ، والنمام ،

وَالْمُتَجَسِّسُ ، وَالسَّاحِرُ ، وَالغَشَّاشُ وَالْحَاسِدُ ، وَالْعَيَّانُ ،
وَالْمُتَكَبِّرُ ، وَالْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، وَالْمُتَهَمُ بِاللُّوَاطِ ، وَالْمُتَهَمُ بِالزُّنَا ، فَإِنْ
هَؤُلَاءِ قُرْبُهُمْ وَخِيَمٌ وَضُرَّرَهُمْ عَظِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَغْتَنِمَ أَوْقَاتَهُ فِي الدُّنْيَا ، إِمَّا بِسَبَبِ يُثْمِرُ
رَاحَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ يُثْمِرُ نَعِيمًا وَحَمْدًا فِي الْآخِرَةِ ، وَهَذَا مَا يَتَمَنَاهُ
اللَّيْبُ الْعَاقِلُ .

أَيَا ابْنَ آدَمَ لَا تَغْرُرْكَ عَافِيَةٌ عَلَيْكَ شَامِلَةٌ فَالْعُمْرُ مَعْدُودٌ
مَا أَنْتَ إِلَّا كَزُرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْآفَاتِ مَقْصُودٌ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْآفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كِهَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا لِمَنْ لَا يَهْتَمُّ بِمَوْئِنِ الشِّتَا حَتَّى يَقْوَى الْبَرْدُ ، وَلَا
بِمَوْئِنِ الصَّيْفِ حَتَّى يَشْتَدُّ الْحَرُّ ، وَمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا « فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا » .

هَذَا الطَّائِرُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْأَنْثَى قَدْ حَمَلَتْ أَخَذَ يَنْقُلُ الْعِيدَانَ لِبِنَائِهِ
الْعِشَّ قَبْلَ الْوَضْعِ أَفْتَرَاكَ مَا عَلِمْتَ قُرْبَ رَحِيلِكَ إِلَى الْقَبْرِ الْمَظْلَمِ الَّذِي
سَتَنْفِرُ فِيهِ وَحَدَّكَ وَبَسَدُ عَلَيْكَ فِيهِ بِاللَّبَنِ وَالطِّينِ .
فَهَلَّا عَمِلْتَ لَكَ فِرَاشَ تَقْوَى ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَمَنْ
عَمِلَ صَالِحًا فَلْأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ .

تَزُودٌ مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي ظَفِرْتَ بِهَا مَا لَمْ تَعْقُكِ الْعَوَائِقُ
فَلَا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدٍ وَلَا يَوْمُكَ الْآتِي بِهِ أَنْتَ وَائِثِقُ
وَهَذَا الْيَرْبُوعُ لَا يَتَّخِذُ بَيْتًا إِلَّا فِي مَوْضِعٍ طَيِّبٍ مُرْتَفِعٍ لِيَسْلَمَ مِنْ
سَيْلٍ أَوْ حَافِرٍ ، ثُمَّ لَا يَجْعَلُهُ إِلَّا عِنْدَ أَكْمَةِ أَوْ صَخْرَةٍ لِئَلَّا يَضِلَّ عَنْهُ إِذَا عَادَ
إِلَيْهِ ، وَلِيَجِدَهُ بِسُرْعَةٍ عِنْدَمَا يَحْذَرُ مِنْ شَيْءٍ .
ثُمَّ يَجْعَلُ لَهُ أَبْوَابًا مِنْ جِهَاتٍ ، وَيُرَقِّقُ بَعْضَهَا لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ ،

فإذا أتى من باب دَفَعِ بِرَأْسِهِ مَارِقًا وَخَرَجَ .

وهذا الأيل يأكل الحيات فيشتد عطشه فيحوم حول الماء ولا يشرب لعلمه أن الماء ينفذ السموم إلى أماكن لا يبلغها الطعام .
ومن عادته أنه يسقط قرنه كل سنة وهو سلاحه فيختفي إلى أن ينبت فسبحان من أعطي كل شيء خلقه ثم هدى .

وهذه الحية تختفي طول الشتاء بالأرض فتخرج وقد عشى بصورها فتحكه بأصول الرازيانج لأنه يزيل الغشاء فسبحانه من حكيم عليم أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وهذا الفهد إذا سمن علم أنه مطلوب وشحمه يمنعه من الهرب فهو يستر نفسه إلى أن ينحل جسمه ويزول الشحم ، فسبحانه من إله بصير بكل شيء .

وهذه النملة تدخر في الصيف للشتاء فإذا خافت فساد الحب وتعفنه أخرجته إلى الهوى فإذا حذرت أن ينبت نقرت موضع القطمير .

وهو الشق في الحبة والنواة فسبحانه من إله حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم أحاط بكل شيء علما .

وهذه السمكة إذا حبستها الشبكة قفزت بكل قوتها لتقطع الحابس وأنت لو نهضت بقوة العزم لانخرقت شبكة الهوى .

اسمع يا من ضيق على نفسه الخناق بفعل المعاصي ، فما أبقى لعذر موضعا ، يا مقهورا بغلبة النفس قم عليها بسوط العزم ، فإنها إن علمت منك الجد والاجتهاد والعزم الصادق استأسرت لك فامنعها ملذوذها ليقع الصلح على ترك الحرام .

وخالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِبْهُمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ
كَمْ حَسُنَتْ لَذَّةُ لِلْمَرْءِ قَاتِلُهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السَّمَّ فِي الدَّسَمِ

تم اعلم أن الدنيا والشيطان خارجان عنك
خارجان عنك فالنفس عدو مبطن .

ومن آداب الجهاد ما أرشدنا إليه الله قال جل وعلا وتقدس

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾ .

وليس من بارز بالمحاربة كمن كمن واختفى فما دامت النفس
حية تسعى ، فهي حية تسعى أقل فعلها تمزيق العمر بكف التبذير
كالخرقاء وجدت صوفاً .

أخل بنفسك في بيت الفكر ساعة وانظر هل هي معك أو
عليك ، نادهها بلسان التذكرة ، وقل يانفس صابري عطش
الهجير ، يحصل الصوم وتحزمي تحزم الأجير فإنها هويوم .

الجد بالجد والحرم في الكسل فانصب نصب عن قريب غاية الأمل
إن الفتى من بماضى الحزم متصفاً وما تعود نقض القول والعمل
ولا يضيع ساعات الزمان فلن يعود ما فات من أيامه الأول
ولا يعد عيوباً بالسورى أبداً بل يعتني بالذي فيه من الخلل
ولا يؤمل آمالاً بصبح غد إلا على وجل من وثبة الأجل
ولا يصد عن التقوى بصيرته لأنها للمعالي أوضح السبل
من لم يضمن عرضه مما يذنبه عار وإن كان مغموراً من الحلل
يا هذا دبر دينك كما دبرت دنياك لو علق بثوبك مسهاراً
رجعت إلى وراء لتخلصه .

هذا مسهار الأضرار قد تشبت بقلبك ، فلو عدلت إلى الندم

خطوتين تخلصت .

ولكن هيهات صبي الغفلة ، كلما حرك نام .
 كل يوم تحضر المجلس وتسمع الموعظة ، فإذا خرجت كما
 دخلت قال الشيطان فديت من لا يفلح .
 ويحك إبك بكاء من يدري قيمة الفائت من الوقت .

يا هذا اسمع كلام الناصح المخلص الذي يريد نفع جميع
 المسلمين ، الدنيا حمالة المصائب كدرة المِشَارِبِ تُورث للبرية أنواع
 البلية مع كل لقمة غصة فما أحد فيها إلا وهو في كل حال غرض
 لأسهم ثلاثة : سهم نعمة وسهم رزية وسهم منية .
 تناضله الأوقات من كل جانب فتخطئه طورا وطورا تُصيبه
 فمن كان معتبرا بها يتجدد كل يوم من حلول الحوادث
 بأصحابها .

ومعتبرا بها يتجدد كل يوم من ارتجاع النعم من أربابها
 وشدة حزنهم واغتمامهم بفقدتها لم يأسف على قوايتها .
 أرى الدهر أغنى خطبه عن خطابه
 له قلب تهدي القلوب صواديا
 هو الليث إلا أنه وهو خادِرُ
 وهيهات لم تسلم خلاوة شهديه
 مبيد مباديه تغر وإنما
 ألم تر من ساس الممالك قادرا
 ودانت له الدنيا وكادت تجلته
 لقد أسلمته حصنه وحصونه
 فلا فية أنجته عند انفضاضه
 سلا شخصه ورأه بترائيه
 بوغظ شفى البائنا بلبابه
 إليها وتعمى عن وشيك انقلابه
 سطا فأغاب الليث عن أنس غابه
 لصاب إليه من مرارة صابه
 عواقبه نختومة بعقابه
 وسارت ملوك الأرض تحت ركابه
 على شهبها لولا خمود شهباه
 غداة غدا عن كسبه باكتسابه
 ولا ذهب أغناه عند ذهبه
 وأفرده أترابه بترابه

ومَهْمَا أَمَعَنَ اللَّيْبُ فِكْرَهُ فِي أَصْحَابِ الدُّنْيَا وَغَفَلَتِهِمْ عَنِ
الْآخِرَةِ وَكَثْرَةِ مَصَائِبِهِمْ فِيهَا ، تَسَلَى عَنْهَا وَهَانَ عَلَيْهِ تَرْكُهَا .
وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُحْضِرُ دَارَ الْمَرْضَى لِيُشَاهِدَهُمْ وَيُشَاهِدَ عَلَيْهِمْ
وَمِحْنَهُمْ ، وَيُحْضِرُ السُّجُونََ وَالْمُسْتَشْفِيَاتِ وَالْمَقَابِرَ مَسَاكِينَ الْمَوْتَى .
فِيُشَاهِدُ أَرْيَابَ الْعَزَاءِ وَأَسْفَهُمْ عَلَى مَا فَرَّطُوا وَعَلَى مَا لَا يَنْفَعُ
مَعَ اشْتِغَالِ الْمَوْتَى بِمَا هُمْ فِيهِ .
وَكَانَ يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ طَوَّلَ النَّهَارَ عَلَى نِعْمِ اللَّهِ
عَلَيْهِ فِي تَخْلِيصِهِ مِنَ الْبَلَايَا .

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ
يُشْكِرُ اللَّهَ وَيُحَمِّدُهُ وَيَنْظُرُ فِي الدِّينِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ لِيَجْتَهِدَ وَيُسَمِّرَ
لِيَلْحَقَهُ .

وَإِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ إِذَا اسْتَوَى وَاسْتَحُوذَ عَلَى الْإِنْسَانِ نَكَسَ
هَذَا النَّظَرَ وَعَكَسَهُ .

فَإِذَا قِيلَ لَهُ لَمْ تَتَّعَاطَى هَذَا الْفِعْلَ الْقَبِيحَ ، إِعْتَذَرَ بِعُذْرٍ
قَبِيحٍ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ فَلَانُ يَتَّعَاطَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ .
وَإِذَا قِيلَ لَهُ لَمْ لَا تَقْنَعُ بِهَذَا الْمَوْجُودِ ، يَقُولُ فَلَانُ أَغْنَى مِنِّي
وَلَا قَنَعَ فَلِمَ أَصْبِرُ عَلَى مَا لَيْسَ يَصْبِرُ عَنْهُ .
وَهَذَا عَيْنُ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِخْوَانِي الدُّنْيَا غَرَّارَةٌ ، غَدَّارَةٌ ، خَدَّاعَةٌ ،
مَكَّارَةٌ ، تَظُنُّهَا مُقِيمَةٌ وَهِيَ سَيَّارَةٌ ، وَتَظُنُّهَا مُصَالِحَةٌ ، وَهِيَ قَدْ شَنَّتْ
عَلَى أَهْلِهَا الْغَارَةَ ، فَانْتَبِهْ لَهَا .

يَا أَيُّهَا الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْأَمَلُ وَدُونََ مَا يَأْمُلُ التَّنْغِيصُ وَالْأَجَلُ
أَلَا تَرَى إِنَّمَا الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا كَمَنْزِلِ الرَّكْبِ حَلُّوا ثَمَّتْ أَرْتَحَلُّوْا

حُتُوفُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ وَصَفُوهَا كَدْرٌ وَمُلْكُهَا دَوْلٌ
تَظَلُّ تُفْرِعُ بِالرَّوْعَاتِ سَاكِنَهَا فَمَا يَسُوغُ لَهُ عَيْشٌ وَلَا جَدْلٌ
كَأَنَّهُ لِلْمَنَايَا وَالرَّذَى غَرَضٌ تَظَلُّ فِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ تَتَّظِلُّ
وَالنَّفْسُ هَارِبَةٌ وَالْمَوْتُ يَتَّبِعُهَا وَكُلُّ عَثْرَةٍ رَجُلٍ عِنْدَهَا جَلَلٌ
وَالْمَرْءُ يَسْعَى بِمَا يَسْعَى لِوَارِثِهِ وَالقَبْرُ وَارِثٌ مَا يَسْعَى لَهُ الرَّجُلُ
قَالَ وَهَبُ بْنُ كَيْسَانَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ بِمَوْعِظَةٍ .
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَهْلَ التَّقْوَى عِلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا وَيُعْرَفُونَهَا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ .

مَنْ صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَرَضِيَ بِالْقَضَاءِ وَشُكِرَ لِلنِّعْمَاءِ وَذُلَّ
لِحُكْمِ الْقُرْآنِ .

وَإِنَّمَا الْإِمَامُ كَالسُّوقِ مَا نَفَقَ فِيهَا حَمَلٌ إِلَيْهَا إِنْ نَفَقَ الْحَقُّ
عِنْدَهُ حَمَلٌ إِلَيْهِ وَجَاءَ أَهْلُ الْحَقِّ وَإِنْ نَفَقَ عِنْدَهُ الْبَاطِلُ جَاءَ أَهْلُ
الْبَاطِلِ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ مَنْ يَعْرِفُ كُلَّ الْعِلْمِ قَالَ كُلُّ النَّاسِ ، قُلْتُ :
هَذَا غُلْطٌ وَاضِحٌ مَا يَعْرِفُ كُلَّ الْعِلْمِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَالَ عَزَّ مِنْ
قَائِلٍ ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِابْنِهِ : ضَعُ خَدِّي
عَلَى التُّرَابِ فَوَضَعَهُ فَبَكَا حَتَّى لَصِقَ الطِّينُ بِخَدِّهِ وَعَيْنُهُ .

وَجَعَلَ يَقُولُ : وَيْلِي وَيْلٌ أُمِّي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي ، وَدَخَلَ
عَلَيْهِ كَعْبٌ وَكَانَ قَدْ قَالَ لَهُ : إِنَّكَ مَيِّتٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَلَمَّا رَأَى
أَنْشَدَ :

وَوَاعَدَنِي كَعْبٌ ثَلَاثًا يَعُدُّهَا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَهُ كَعْبٌ
وَمَا بِي جِدَارَ الْمَوْتِ إِنْ لَمِيتُ وَلَكِنْ جِدَارَ الذُّبِّ يَتَّبِعُهُ الذُّبُّ

وَأَعَجَبًا مِنْ خَوْفِ عُمَرَ مَعَ كِمَالِهِ وَأَمْنِكَ مَعَ نُقْصَانِكَ قِيلَ
لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَيُّ رَجُلٍ كَانَ عَمْرٌ فَقَالَ كَانَ كَالطَّائِرِ
الْحَذِرِ الَّذِي لَهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ شَرَكًا .

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقْتُ مَعِينٍ يَنَامُ فِيهِ فَكَانَ
يَنْعَسُ وَهُوَ قَاعِدٌ .

فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَنَامُ فَقَالَ : كَيْفَ أُنَامُ إِنْ نُمْتُ
بِالنَّهَارِ ضَيَّعْتُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ .

وَإِنْ نُمْتُ بِاللَّيْلِ ضَيَّعْتُ حَظِي مِنْ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

قَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ : مَا أَتَيْنَا سَلِيمَانَ التَّيْمِيَّ فِي سَاعَةِ يَطَاعِ
اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلَّا وَجَدْنَاهُ مَطِيعًا .

فَإِنْ كَانَ فِي سَاعَةِ صَلَاةٍ وَجَدْنَاهُ مُصَلِّيًا فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَاعَةُ
صَلَاةٍ وَجَدْنَاهُ مُتَوَضِّئًا أَوْ عَائِدًا مَرِيضًا أَوْ مُشِيْعًا لِحَنَازَةٍ أَوْ قَاعِدًا
يُسَبِّحُ فِي الْمَسْجِدِ .

وَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ سَالِمٍ : سَمِعْتُ مُعْتَمِرَ بْنَ سَلِيمَانَ التَّيْمِيَّ
قَالَ : سَقَطَ بَيْتٌ لَنَا كَانَ أَبِي يَكُونُ فِيهِ فَضَرَبَ فُسْطَاطًا فَكَانَ فِيهِ
حَتَّى مَاتَ فَقِيلَ لَهُ : لَوْ بَنَيْتَهُ فَقَالَ : الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ غَدَاً
الْمَوْتِ .

تَبْنِي الْمَنَازِلَ أَعْمَارٌ مُهَدَّمَةٌ مِنْ الزَّمَانِ بِأَنْفَاسٍ وَسَاعَاتٍ
آخِرٌ : اتَّبَنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَرَفْتَ قَلِيلٌ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَفِيهِ رَحِيْلٌ
فِيَا مُسَدُّودَ الْفَهْمِ بِكَثْرَةِ الشَّوَاغِلِ حَضْرُ قَلْبِكَ لِحُظَّةٍ
لِلْمَوْعِظَةِ ، يَا عَبْدَ الطَّمَعِ طَالِعَ دَارِ الْأَحْرَارِ الْقُنُوعِينَ .

ما أطولَ غَشِيَّةَ غَفْلَتِكَ فَلَمَنْ نُحَدِّثُ .
قَلْبُكَ فِي غِلَافِ غَفْلَةٍ وَفِطْنَتِكَ فِي غِشَاوَةِ غَبَاوَةٍ .
وَكَلَامُنَا يَدُورُ حَوْلَ سُتُورِ سَمْعِكَ وَمَوَانِعِ الْهَوَى تَحْجُبُهُ أَنْ
يَصِلَ فَلَوْ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ أَثَرُ .

قِيلَ إِنَّهُ عَضَّتْ رَجُلًا حَيَّةٌ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا حَيَّةٌ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ .
فَلَمَّا أَخْبِرَ أَنَّهَا حَيَّةٌ مَاتَ لِأَنَّهُ حِينَ أَخْبِرَ انْفَتَحَتْ مَسَامُهُ
فَوَصَلَ السُّمُّ إِلَى الْقَلْبِ .

فِيَا أَعْمَى الْبَصِيرَةَ إِمْسِ مَعَ مَنْ يُبْصِرُ .
وَيَا أَطْرَشَ الْهَوَى صَاحِبُ مَنْ يَسْمَعُ .
جَالِسِ الْمُخْبِتِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْبَكَائِينَ فَلَعَلَّكَ أَنْ تَتَأَثَّرَ فَتَأْتِي
الضُّحْبَةَ أَمْرًا لَا يَخْفَى .

يَا مَنْ يَشَاهِدُ مَا يَجْرِي عَلَى الْخَائِفِينَ وَلَا يَنْزِعُ .
أَقْلُ الْحَالَاتِ أَنْ تَبْكِي رَحْمَةً لَهُمْ إِذَا رَأَيْتِ دُمُوعَ التُّكْلِ
وَالْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ فَلأَبَدٍ مِنَ الرَّحْمَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ نَزَعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ
الرَّحْمَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل في فوائد نافلة لمن له عقل وفهم]

أَطْلُبْ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمَ وَالْمَالَ : الْعِلْمُ لِإِزَالَةِ الْجَهْلِ عَنِ
نَفْسِكَ وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالُ لِاسْتِعْمَالِهِ فِي مَا يَرْضَى اللَّهُ لَا لِلتَّكَاثُرِ
وَالْتَبَاهِي تَحْرُزُ بِهِمَا الرِّيَاسَةَ عَلَى النَّاسِ .
لأنهم يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ : خَوَاصٍ وَعَوَامٍ ، فَالْخَاصَّةُ
تُفْضِلُكَ بِهَا تُحْسِنُ وَالْعَامَّةُ تُفْضِلُكَ بِهَا تَمْلِكُ .

لا تَطْلُبُ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ حُسْنَهُ وَجَوْدَتَهُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وَالنَّاسُ لَا يَسْأَلُونَ كَمْ يَوْمٌ
اسْتَفْرَقَتْ مُدَّةُ الْعَمَلِ وَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنِ جَوْدَةِ صَنْعَتِهِ .

المُعَلِّمُ زَارِعٌ وَالنَّفُوسُ مَزَارِعٌ وَالدراسةُ ماءُ التَّربِيَةِ فَمَنْ لَمْ
تَكُنْ مَزْرَعَتُهُ نَقِيَّةً وَمَاؤُهَا مُتَدَفِّقًا لَمْ يَنْجَحِ الزَّرْعُ .

القدوةُ مُعَلِّمٌ يُفِيدُ بِلَا لِسَانٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمُرْشِدٌ نَاصِحٌ مِنْ غَيْرِ
بَيَانٍ .

وهي مدرسة الإنسان العلمية التي يَرَسَخُ تَعْلِيمُهَا فِي
النَّفُوسِ وَيَعْلَقُ بِالأفهامِ .

والناسُ مائلون دائماً إلى أن يَتَعَلَّمُوا بَعْيُونَهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّمُونَ
بِأَذَانِهِمْ .

والمُرْتَبِيُّ يُؤَثِّرُ أَكْثَرَ مِنَ المَقْرُوءِ وَالمَسْمُوعِ .
وَتَعْلِيمُ الْعَمَلِ أَنْفَعُ مِنْ تَعْلِيمِ القَوْلِ وَالأرْشَادُ يُرَى الطَّرِيقَ
وَلَكِنِ القُدُوةُ البَكْمَاءُ تُسِيرُهُ فِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَمَهْمَا أُوتِيَ المُعَلِّمُ مِنَ الفَصَاحَةِ وَالبَرَاعَةِ فِي تَهْدِيبِ النُّفُوسِ
فَلَيْسَ بِبَالِغٍ مَا يَبْلُغُهُ زَمِيلٌ لَهُ دُونُهُ فِي المَهَارَةِ وَفوقَهُ فِي السِّيَرَةِ .

وَهَذَا قِيلَ خَيْرَ النِّصَحِ إِفْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ لَا كَمَا أَقُولُ وَلِمَا كَانَتْ
غَرِيْزَةُ التَّشْبِيهِ أَقْوَى فِي الأَحْدَاثِ يَنْبَغِي أَنْ يَنْشَأُوا فِي بَيْئَةٍ صَالِحَةٍ
لِيَنْشَأُوا نَافِعِينَ فَإِنَّهُمْ يَتَشَبَّهُونَ وَيَتَمَثَّلُونَ بِمَنْ حَوْلَهُمْ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْ بَلْقِيسَ ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ
قَوْمِ كَافِرِينَ ﴾ .

ولهذا قالوا إنظر إلى الحشرات الصغيرة تتلون بلون النبات الذي تقات به .

ومن أجل ذلك كانت التربية البيتية أبلغ في نفوسهم من التربية المدرسية .

فالبیت أصل المجتمع ومن ينبوعه تنبعث الآداب والأخلاق ولهذا يجب الإعتناء به .

وصفات الوالدين تظهر في أولادهما وأفعالهما المختلفة التي يمارسونها تحيا في أولادهما بعد أن يكونوا قد نسوا تعليمها الشفوي . ونظرة واحدة من الأب أو الأم قد تبقى مؤثرة في الولد مدى الحياة .

وعن نهشل بن كثير ، عن أبيه قال : أدخِل الشافعي يوماً إلى بعض حُجَر هَارُونَ الرَّشِيدِ لِيَسْتَأْذِنَ لَهُ وَمَعَهُ سِرَاجُ الْخَادِمِ . فَأَقْعَدَهُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبِ أَوْلَادِ هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَقَالَ سِرَاجُ لِلشَّافِعِيِّ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَؤُلَاءِ أَوْلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا مُؤَدِّبُهُمْ فَلَوْ أَوْصَيْتَهُ بِهِمْ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ ، لِيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ بِهِ مِنْ إِصْلَاحِ أَوْلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِصْلَاحَكَ نَفْسِكَ ، فَإِنْ أَعْيَنَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا تَسْتَحْسِنُهُ وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَكْرَهُهُ : عَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا تُكْرَهُهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلُوهُ وَلَا تَتْرَكُهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . ثُمَّ رَوَّاهُمْ مِنَ الشَّعْرِ أَعْفَهُ وَمِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَلَا تُخْرِجُهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يُحْكِمُوهُ فَإِنْ أَرَدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضِلَّةٌ لِلْفَهْمِ .

إذا وَقَفَتِ النَّفْسُ عَمَّا اشْتَبَهَ عَلَيْهَا وَقَبِلَتْ مَا اتَّضَحَ لَهَا فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى ذِكَائِهَا وَوَرَعِهَا .

نُفُوسُ الْأَبْرَارِ تَنْفُرُ مِنْ أَعْمَالِ الْفُجَّارِ .
وَنُفُوسُ الْأَشْرَارِ مُتَبَرِّمَةٌ وَمُتَكَرِّهَةٌ لِأَعْمَالِ الْأَبْرَارِ .
مُتَّبِعُ الشَّهَوَاتِ نَادِمٌ فِي الْعَاقِبَةِ مَذْمُومٌ فِي الْعَاجِلَةِ ، وَتَارِكُ
الشَّهَوَاتِ سَالِمٌ غَانِمٌ فِي الْعَاجِلَةِ ، مَحْمُودٌ مُغْتَبِطٌ فِي الْآجِلَةِ .
مَنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا تَعَجَّلَ التَّعَبَ فِيهَا ، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ
فَنَائِهِ .

وَمَنْ زَهَدَ فِيهَا اسْتَرَاحَ مِنْ عَنَائِهَا وَأَحَبَّهُ أَهْلُهَا ، وَأَمِنَ خَوْفَ
الْعَاقِبَةِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا .
مَا أَغْفَلَ مَنْ يَتَيَقَّنُ بِالرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ دَائِبٌ جَادٌ فِي
عِمَارَتِهَا .

وَجَدِيرٌ بِالْعَاقِلِ أَنْ لَا يُجِدَّ فِي عِمَارَةِ شَيْءٍ يَتْرَكُهُ لِغَيْرِهِ .
لِلَّهِ عَشْرٌ مِنَ الْأَعْوَامِ بِأَهْرَةٍ مَضِينٌ كَالسَّهْمِ أَوْ كَالْبَرْقِ فِي عَجَلٍ
كَذَا تَمُرُّ لَيَالِي الْعُمُرِ رَاحِلَةً عَنَّا وَنَحْنُ مَعَ الْأَمَالِ فِي شُغْلٍ
نُمِسِي وَنُصْبِحُ فِي هَوٍ نُسْرُ بِهِ جَهْلًا وَذَلِكَ يُدْنِينَا مِنَ الْأَجَلِ
وَالْعُمُرُ يَمْضِي وَلَا نَذْرِي فَوَا أَسْفَا عَلَيْهِ إِذْ مَرَّ فِي الْآثَامِ وَالزَّلَلِ
يَأْتِي شِعْرِي غَدًا كَيْفَ الْخِلَاصُ بِهِ وَلَمْ نُقَدِّمْ لَنَا شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ
يَارِبُ عَفْوِكَ عَمَّا قَدْ جَنَّتْهُ يَدِي فَلَيْسَ لِي بِجَزَاءِ الذَّنْبِ مِنْ قَبْلِ

[حِكْمٌ مُتَنَوِّعَةٌ]

الْحُزْنُ عَلَى فَقْدَانِ الطَّاعَةِ مَعَ عَدَمِ الْقِيَامِ وَالِاجْتِهَادِ فِي
طَلِبِهَا مِنْ عِلَامَاتِ الْإِغْتِرَارِ .
إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُشَاوِرَ أَحَدًا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ نَفْسِكَ فَانظُرْ
كَيْفَ يُدَبِّرُ ذَلِكَ الْمُسْتَشَارُ أَمْرَ نَفْسِهِ .

فإن كان لم يصلح تدبير نفسه ولم يكسبها خيراً فأنت أخرى
أن لا تنتفع به ولست ألزم عليه من نفسه .
الحكمة والذكر الحسن أبقى وأحسن من المال عند العقلاء ،
لأن المال مضمحل والحكمة والذكر الحسن باقيان .
وقد يكون المال عند السفل والأراذل .
وأما الحكمة والذكر الجميل فعند أهل الفضل .
العجز يُعرف في الرجل من ثلاث خصال : قلة اهتمامه
بمصالح نفسه وقلة مخالفته لما يشتهي وقبوله الشيء بدون تفكير
ونصر في العواقب .
كن مع والديك كما تحب أن يكون معك ولدك .
يا هذا مثل لنفسك صرعة الموت وما قد عزمتم أن تفعل
حينئذ وقت الأسر فافعله وقت الإطلاق .
ومثل نفسك في زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكي أبداً
وأبوابها مغلقة وسقفها مظلمة وهي سوداء مظلمة .
لا رفيق تأنس به ولا صديق تشكو إليه ولا نوم يريح ولا
نفس ولا طعام إلا الزقوم ولا شراب إلا الحميم .
قال كعب : إن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب من
الندامة على تفريطهم وما يشعرون بذلك .
فانتبه يا غافل لا غنام عمرك وازرع في ربيع حياتك قبل
جدوية أرض شخصك .
وادخر من وقت قدرتك لزمن عجزك واعتبر رحلك قبل
رحيلك .
فكانك بحرب التلّف قد قامت على ساق وانهممت جيوش

الأمل .
وإذا ملك الموت قد بارز الروح يجتذبها بخطاطيف الشدائد
من تيار العروق .
وقد أوثق كتاف الذبيح وحار البصر لشدّة الهول .
ولا تسأل عن حال المحتضر وما نزل به من الكروب
والسكرات .

فتيقظ يا مسكين وتهبأ لتلك الساعة وحصل زاداً قبل العوز .
أفكر في موتي وتعد فضيحتي فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي
وتبكي دماً عيني وحق لها البكا على سوء أفعالي وقلّة حيلتي
فما لي إلا الله لا أرج غيرة ولا سبباً عند اقتراب مني
وأسأل ربي في وفاتي مؤمناً على ملة الاسلام أشرف ملة
يا عجباً ربنا جل وعلا يتحبب إلينا بالنعم وهو غني عنا وعن
كل خلقه أهل السموات والأرض .

ونتممّت وتبغض إليه بالمعاصي ونحن محتاجون إليه بل
مضطرون إليه .

علامة محبة الله إثار طاعته وتجنب معاصيه
ومتابعة رسوله ﷺ .

قال بعضهم : أحببت ربي حباً سهل عليّ كلّ مُصيبةٍ
ورضائي في كلّ قضية .

فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت وأرجو
أن أكون من أحبابه .

قال أحد الشعراء أبياتاً في مخلوق لا تصلح إلا لرب العزة
والجلال تبارك وتعالى فعدلنا فيها ووجهنا الطلب والتمني إلى الله :

فَلَيْتَكَ تَعْفُوَ وَالْحَيَاةُ مَرِيْرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ يَا خَالِقَ الْوَرَى فَكُلِ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

قال سفيان الثوري : لا يجتمع في هذا الزمان لأحد مال إلا
وعنده خمس خصال : طول الأمل ، وحرص غالب ، وشح
شديد ، وقلة الورع ، ونسيان الآخرة .
سته أشياء هُنَّ غَرِيْبَةٌ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ : الْمَسْجِدُ غَرِيْبٌ بَيْنَ
نَاسٍ لَا يَصِلُونَ فِيهِ ، وَالْمَصْحَفُ غَرِيْبٌ فِي مَنْزِلِ قَوْمٍ لَا يَقْرَأُونَ
فِيهِ ، وَالْقُرْآنُ غَرِيْبٌ فِي جَوْفِ الْفَاسِقِ .
وَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ الصَّالِحَةُ غَرِيْبَةٌ فِي يَدِ رَجُلٍ ظَالِمٍ سِيءِ الْخُلُقِ ،
وَالرَّجُلُ الْمُسْلِمُ الصَّالِحُ غَرِيْبٌ فِي يَدِ امْرَأَةٍ رَدِيْئَةٍ سَيِّئَةِ الْخُلُقِ ،
وَالْعَالَمُ غَرِيْبٌ بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ .
إِعْلَمُ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ تُعَالِجُ بِأَمُورٍ :
أولاً : الإقلاع عمَّا هي عليه مِنَ الْمَعَاصِيِ وَذَلِكَ بِحُضُورِ
مَجَالِسِ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّرْغِيبِ ، وَأَخْبَارِ الصَّالِحِينَ ،
وَالْإِكْتِثَارِ مِنْ مِطَالَعَةِ الْكُتُبِ الْمَحْتَوِيَةِ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ
الْقُلُوبَ بِإِذْنِ اللَّهِ .

الثاني : ذكر الموت فيكثر من ذكر هادِمِ اللذات ، ومُفَرِّقِ
الجماعات ، ومُمَيِّتِ البين والبنات .
يُروى أَنَّ امْرَأَةً شَكَتُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قساوة قلبها فقالت : أكثرني من ذكر الموت يرق قلبك .
ففعلت ذلك فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة .

قال بعض العلماء : يامن يجد في قلبه قسوة إحذر أن تكون
نقضت عهداً فإن الله تعالى يقول ﴿ فيها نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ .

ولما احتضر عمرو بن قيس الملائي بكى فقال له أصحابه :
علام تبكي من الدنيا فوالله لقد كنت تبغض العيش أيام حياتك .
فقال : والله ما أبكي على الدنيا إنما أبكي خوفاً أن أحرم
خوف الآخرة .

وكان إذا نظر إلى أهل السوق قال : ما أغفل هؤلاء عما أعد
لهم .

قال جابر لمسعر بن كدام بكى مسعراً فبكت أمه فقال لها
مسعر : ما أبكاك يا أماه فقالت : يا بني رأيتك تبكي فبكيت .
فقال : يا أماه لمثل ما نهجم عليه غداً فلنظل البكاء ،
قالت : وما ذاك فانتحب فقال : القيامة وما فيها ، قال ثم غلبه
البكاء فقام .

وكان يقول : لولا أُمي ما فارقت المسجد إلا لما لا بد منه ،
وكان إذا دخل بكا ، وإذا خرج بكا وإن صلى بكى وإن
جلس بكا .

ولما حضرته الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعا ،
فقال له : تجزع فوالله لو ددت أني مت الساعة .
فقال مسعر : أقعدوني فأعاد سفيان الكلام عليه ، فقال
إنك لو اتق بعملك ياسفيان .

لكني والله على شاهقة جبل لا أدري أين أهبط فبكى سفيان
وقال : أنت أخوف لله مني .

قال بعضهم : من غَضَ بَصْرَهُ عن المحارم وأمسك نفسه
عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهرة باتباع السنة وعود
نفسه أكل الحلال لم تُخطِ له فِرَاسَة .

[فصل في بعض ذكر فوائد ذكر الموت]

إعلم أن في ذكر الموت فوائد عديدة من ذلك أنه يردع عن
المعاصي ، ويُلين القلب القاسي .

ثانيا : يُذهبُ الفرحَ والسرورَ بالدنيا ، ويُرْهَدُ فيها ، ويُهَوِّنُ
المصائبَ .

ثالثا : التأثر في مشاهدة المحتضرين الذين تخرج أرواحهم ،
فإن في النظر إليهم ومشاهدة سكراتهم عند نزع أرواحهم ،
وشخص أبصارهم عند نزعها ، وعجزهم عن الكلام ، عند
تسلل الروح من الجسد .

وتأمل صورهم بعد خروج الروح ما يقطع عن النفوس
لذاتها ويترد عن القلوب مسراتها ويمنع الجفون من النوم ويمنع
الأبدان من الراحة .

ويبعث على الجِدِّ والاجتهاد في العمل للآخرة فروي أن
الحسنَ البصري دخل على مريض يعود فوجده في سكرات
الموت .

فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون
الذي خرج به من عندهم .

فقالوا له الطَّعامَ فَلَمْ يَأْكُلْ وقال : فوالله لَقَدْ رَأَيْتُ مَصْرَعاً
لا أَزَالُ أَعْمَلُ لَهُ حَتَّى اللَّقَاءِ .

الرابع : مِمَّا يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ زِيَارَةُ الْقُبُورِ .
فإنها تَبْلُغُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا لا يَبْلُغُهُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ لِأَنَّهَا
تَذَكِّرُ بِالْآخِرَةِ .

ولم أَرَى كَالْأَمْوَاتِ أَفْجَعَ مَنْظِراً ولا وَاِعْظِي جُلَّاسِهِمْ كَالْمَقَابِرِ
آخِر :

وَعَظَّتْكَ أَجْدَاثُ وَهَنَّ صُمُوتُ وَأَصْحَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفِصَتْ
الخامس : زيارَةُ الْمَسْتَشْفِيَّاتِ وَالْمَسْتَوْصِفَاتِ فإنها تَلَيِّنُ
الْقُلُوبَ وَتَحْتِ الْإِنْسَانَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَعَلَى الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ
فِيهَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْآخِرَةِ .
وَيُنَبِّغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُقَوِّي ظَنَّهُ بِاللَّهِ وَيَسْتَحْضِرُ رَحْمَتَهُ وَرَأْفَتَهُ
وَلُطْفَهُ بِعِبَادِهِ وَلَا سِيَّيَا عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ .

قال ﷺ « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » رواه
مسلم وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال الله
عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي » الحديث متفق عليه .
ولا رَيْبَ أَنْ حُسْنَ الظن برب العالمين الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى الحليم الكريم الجواد الرحمن الرحيم الرؤوف
بالعباد الغني عنا وعن أعمالنا وعن تعذيبنا وعقابنا .
من أعظم ما نتقرب به إليه ومن أجزل ما نتوجه به عليه .
أَيُّ عِبَادَةٍ أَعْظَمُ مِنْ حُسْنِ ظَنِّنا برب العالمين مع الخوف من
مُعَامَلَتِهِ إِيَّانَا بَعْدَ لِه .
فالعاقل يكون بين الخوف والرجاء لكن يُغَلِّبُ الرَّجَاءَ عِنْدَ

الاحتضار ومحسن الظن بالكريم الغفار ويستحضر أنه قادم على
أكرم الأكرمين . وأجود الأجودين البر الرحيم .

وإن حَصَلَ أن يتلى عند المحتضر آيات الرجاء وأحاديث
الرجاء ليقوى ظنه بالله تعالى أجودُ الأجودين وأكرم الأكرمين .

ومن آيات الرجاء قوله جَلَّ وعلا وتقدس ﴿ قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر
الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ وقوله ﴿ والذين
لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا
بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً يضاعف له العذاب
يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

وقوله ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ﴾ .

ومن أحاديث الرجاء ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال : قُدِمَ على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي
تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فالزقته ببطنها فأرضعته .

فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار
قلنا لا يارسول الله فقال : الله أرحمُ بعباده من هذه بولدها »
متفق عليه .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « فإن الله حرم على
النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » متفق عليه .
وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الخلق كتب في

كِتَابُ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبُ غَضَبِي وَفِي رِوَايَةٍ
غَلَبَتْ غَضَبِي وَفِي رِوَايَةٍ سَبَقَتْ غَضَبِي « مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
وَرَوَى عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لَوْلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ :
أَلْقِ عَلَيَّ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ .

لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَمِعَ آيَاتِ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثَ الرَّجَاءِ قَوِيَ
حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاشْتَقَّ إِلَى لِقَاءِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي هُوَ
أَرْحَمُ بِهِ مِنَ وَالِدَيْهِ وَأَوْلَادِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَهْوَنُ عَلَيْهِ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ .

إِذَا اشْتَكَّتْ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْ عَدَّهَا

وَصَلَّ الْمُحِبُّ فَتَحِيًّا عِنْدَ مِيعَادِ

وَالْمَهْمُ أَنَّهُ يَحْرِصُ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى تَقْوِيَةِ حَسَنِ ظَنِّهِ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

وَقِيلَ إِنَّ الْأَعْضَاءَ يَسْلَمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي تَذَكُّرِ
الْقَرْطَبِيِّ عَنِ أَنَسِ مَرْفُوعًا « إِنَّ الْعَبْدَ لِيُعَالِجُ كُرْبَ الْمَوْتِ وَإِنْ
مَفَاصِلُهُ لِيُسَلِّمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ تُفَارِقُنِي
وَأَفَارِقُكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

أَيُّ يُوَدِّعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

خُلِقْنَا لِأَحْدَاثِ اللَّيَالِي فَرَائِسًا تُزْفُ إِلَى الْأَجْدَاثِ مِنَّا عَرَائِسًا
تُجَهِّزُ مِنَّا لِلْقُبُورِ عَسَاكِرًا وَتُرْدِفُ أَعْوَادَ الْمَنَايَا فَوَارِسًا
إِذَا أَمَلُّ أَرْخَى لَنَا مِنْ عِنَانِهِ غَدَاً أَجَلٌ عَمَّا نَحَاوُلُ حَابِسًا
أَرَى الْغُصْنَ لَمَّا اجْتَثُّ وَهُوَ بِهَائِهِ رَطِيبًا وَمَا أَنْ أَصْبَحَ الْغُصْنَ يَابِسًا
نَشِيدُ قُصُورًا لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً وَنَصْبِرُ مَا شَتْنَا فَتُورًا دَوَارِسًا

وقد نعت الدنيا إلينا نفوسنا
 لقد ضربت كسرى الملوك وتبعنا
 نرى ما نرى منها جهارا وقد غدا
 وقد فضح الدنيا لنا الموت واعظاً
 بمن مات منا لو أصابت أكاسياً
 وقيصراً أمثالاً فلم نر قائساً
 هواها على نور البصيرة طامساً
 وهيهات ما نزداد إلا تقاعساً
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال مالك بن دينار : عجبا لمن يعلم أن الموت مصيره والقبر
 مورده ، كيف تقر بالدنيا عينه ، وكيف يطيب فيها عيشه ، ثم
 يبكي حتى يسقط مغشياً عليه .

قال الحارث بن سعيد : كنا عند مالك بن دينار وعنده
 قارىء يقرأ ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ فجعل مالك ينتفض
 وأهل المجلس يبكون .

حتى إنتهى القارىء إلى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ،
 ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، فجعل مالك يبكي ويشهق
 حتى غشي عليه ، فحمل بين القوم صريعا .

وأحترق بيته فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجها ،
 فقيل له يا أبا يحيى البيت فقال : ما فيه إلا السندانة ما أبالي أن
 يحترق .

وروى عنه أنه كان يقول : إن الله عز وجل إذا أحب عبداً
 انتقصه من دنياه وكف عنه ضيعته ، ويقول لا تبرح من بين يدي ،
 قال فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل .

وإذا أبغض عبداً دفع في نحره شيئاً من الدنيا ، ويقول

أَعَزُّبٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ فَلَآ أَرَاكَ بَيْنَ يَدَيْ ، فَتَرَاهُ مُعَلَّقُ الْقَلْبِ بِأَرْضِ
كَذَا وَبِتِجَارَةِ كَذَا .

وروي عن أبي عبد الله البرائي أنه كان يقول : حَمَلْتَنَا
الْمَطَامِعُ عَلَى أَسْوَأِ الصَّنَائِعِ نَذُلُ لِمَنْ لَا يَقْدِرُ لَنَا عَلَى ضَرَرٍ وَلَا عَلَى
نَفْعٍ ، وَنَخْضَعُ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ لَنَا رِزْقًا وَلَا حَيَاةً وَلَا مَوْتًا وَلَا نَشُورًا
فَكَيْفَ أَرْعُمُ أَنِي أَعْرِفُ رَبِّي حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَأَنَا أَصْنَعُ ذَلِكَ ، هِيَهَاتَ
هِيَهَاتَ .

قيل إنه مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته ، فجاء إلى
مالك بن دينار فذكر ذلك له ، قال فقام مالك فمشى إلى العشار ،
فلما رآوه قالوا : يا أبا يحيى ألا تَبْعَثُ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ ، قال حاجتي أن
تُخَلِّوا سَفِينَةَ هَذَا الرَّجُلِ .

قالوا : قد فعلنا ، قال وكان عندهم كُوْزٌ يجعلون فيه ما
يأخذون من الناس من الدراهم ، فقالوا : ادْعُ اللَّهَ لَنَا يَا أبا يحيى .
قال : قُولُوا لِلْكَوْزِ يَدْعُو لَكُمْ .

كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم أترى يُسْتَجَابُ لِوَاحِدٍ
وَلَا يُسْتَجَابُ لِأَلْفٍ .

وقال الربيع : نَصَبَ الْمُتَّقُونَ الْوَعِيدَ مِنَ اللَّهِ أَمَامَهُمْ فَنَظَرَتْ
إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ بِتَضَدِّيقٍ وَتَحْقِيقٍ ، فَهَمُّ وَاللَّهُ فِي الدُّنْيَا مُنْغَصُونَ ،
وَوَقَفُوا ثَوَابَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ خَلْفَ ذَلِكَ .

فمتى سمت أبصار القلوب وإرتاحت إلى حلول ذلك فهم
والله إلى الآخرة متطلعون بين وعيد هائل ووعدٍ حق صادق لا
يَنفُكُونَ مِنْ خَوْفٍ وَعِيدٍ إِلَّا رَجَعُوا إِلَى شَوْقِ مَوْعُودٍ .
فهم كذلك وعلى ذلك وفي الموت جُعِلَتْ لَهُمُ الرَّاحَةُ ثُمَّ

يبكي .

وقال : إن لله عيادا أخصُّوا له البُطون عن مطاعِمِ الحرام
وغَضُّوا له الجُفونَ عن مناظرِ الآثامِ .

وأهملُوا له العُيونَ لما اختلَطَ عليهم الظلامُ رجاءً أن يُنيرَ
قُلُوبَهُمْ إذا تَضَمَّتْهُمُ الأَرْضُ بين أطباقِها فهُم في الدنيا مُكْتَتِبُونَ
وإلى الآخرة مُتَطَلِّعُونَ .

فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقرُّ أعينُهُم
بطلعةِ ملكِ الموتِ .

وقال في كلام له : قَطَعْنَا غَفْلَةَ الأمالِ عن مُبادَرةِ الأجالِ
فَنَحْنُ في الدنيا حَيَارَى لا نَنْتَبَهُ مِنْ رَقْدَةٍ إِلا أَعْقَبْتَنَا في أثرِها غَفْلَةٌ .
فيا إخوتاه نَشِدْتُكُمْ بالله هل تعلمون مُؤمناً بالله أغرَّ وَلِنِقْمَتِهِ
أَقَلَّ حَذراً مِنْ قومٍ هَجَمَتْ بِهِم العِبرُ والأمثالُ فَطاشَتْ عُقُوبُهُمْ
وَضَلَّتْ أَحلامُهُمْ بما رَأَوْا مِنَ العِبرِ والأمثالِ ثم رَجَعُوا عن ذلك إلى
غيرِ قِلعةٍ ولا نُقْلةٍ .

فبالله يا إخوتاه هل رَأَيْتُمْ عاقلاً رَضِيَ مِنْ حالِهِ لِنَفْسِهِ مثل
هَذِهِ حالاً والله يا عبادَ الله لَتَبْلُغَنَّ مِنْ طاعةِ الله وِرِضاهُ أو لَتُنْكِرُنَّ
ما تَعْرِفُونَ مِنْ حُسْنِ بِلائِهِ وتَوَاتُرِ نَعْمائِهِ .

فإن تُحْسِنُ أيُّها المرءُ يُحَسِّنُ إليك وإن تُسِيءَ فَعَلَى نَفْسِكَ
بالعُتبِ فارْجِعْ فقد بَيَّنَّ وحَدَّرَ فَمَا لِلناسِ على الله حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ
﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

نَزَلَ جَماعَةٌ مِنَ العُبَّادِ ذاتَ لَيْلَةٍ على السَّاحِلِ فَهَيَّأَ لَهُمُ أَحَدُ
إخوانِهِم طَعاماً ودَعاهُمْ إليه فجاؤا فلَمَّا وُضِعَ الطَعامُ بَيْنَ أيديهِمْ إذا
قائلٌ يَنشُدُ وهو على ساجِلِ البَحْرِ هذا البيتُ :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع
فبكى القوم ورفع الطعام وما ذاقوا منه لقمة .

رؤيدك فالدنيا الدنية كم دنت بمكروهمها من أهلها وصحابها
لقد فاق في الأفاق كل موفق أفاق بها من سكرها وصحابها
فسل جامع الأموال فيها بحر صه أخلفها من بعده أم سرى بها
هي الأل فاحذرها وذرها لأهلها وما الأل إلا لعة من سراها
وكم أسد ساد البرايا بيسره ولو نابها خطب إذا ما ونى بها
فأصبح فيها عبرة لأولى النهى بمخلبها قد مزقتة ونابها
وقال بعض العباد : لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً ما

لدوا بعيش أبدا والله إني لما رأيت الليل وهولة وشدت سواده .
ذكرت به الموقف (أي موقف القيامة) وشدة الأمر هناك
وكل امرئ يومئذ تهمة نفسه يوم ﴿ لا يجزي والد عن والده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئاً ﴾ .

كانت إحدى العابدات تقول : طوى أملي طلوع الشمس
وغروبها ، فما من حركة تسمع ، ولا من قدم توضع ، إلا ظننت
أن الموت في أثرها .

وكانت تقول : سكان دار أودنوا بالنقلة (أي أعلموا
بالارتحال) وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم ، أو
التأذين ليس لهم ، والمعنى بالأمر سواهم .

أه من عقول ما أنقصها ، ومن جهالة ما أتمها ، بؤساً لأهل
المعاصي ، ماذا غرؤوا به من الإمهال والاستدراج .
بسطوا آمالهم ، فأضاعوا أعمالهم ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال
خفت عليهم الأعمال .

وكانت تقول : لم يَنْلِ الْمُطِيعُونَ ما نالوا مِنْ حُلُولِ الجِئانِ
ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله والقيام لله بحقه في المنشطِ
والمكره .

وعن أبي سنان القسَملي قال : سمعتُ وهبَ بنَ مُنبه ،
وأقبل على عطاء الخرساني فقال (وَنَحْكَ ياعطاء ألم أخبر أنك تحمل
علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ؟ وَنَحْكَ ياعطاء تأتي مَنْ يُغلق
عَنكَ بابَه ، وَيُظهِرُ لَكَ فقرَه ، وَيُواري عَنكَ غِناه ، وتَدَع مَنْ يفتَحُ
لَكَ بابَه ، وَيُظهِرُ لَكَ غِناه ويقول ﴿ ادْعوني استجب لكم ﴾ .

وَنَحْكَ ياعطاء ارضَ بالدُّونِ مِنَ الدنيا مَعَ الحكمة ولا ترضُ
بالدونِ مِنَ الحكمة مع الدنيا . ونحك ياعطاء إن كان يُغنيك ما
يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما
يكفيك فليس في الدنيا شيءٌ يكفيك . ونحك ياعطاء إنها بطنك
بحرٍ مِنَ البُحورِ وواديٍّ مِنَ الأودية فليس يملؤه إلا الرب .

قال مقاتل بن صالح الخراساني : دخلت على حماد بن سلمة
فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه
وجرابٌ فيه علمه ومِطْهَرَةٌ يتوضأ منها .

فبينما أنا عنده جالسٌ إذا دقَّ البابُ فقال : يا صبيَّةُ أخرجي
فانظري مَنْ هذا ، فقالت : رسولُ محمد بن سليمان أمير البصرة .
قال : قولي له يَدْخُلُ وحده فدخل فناوله كتاباً فإذا فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة ،
أما بعد فَصَبَّحَكَ اللهُ بما صبح به أوليائه وأهل طاعته وَقَعْتَ مَسْأَلَةً
فَاتِنَا نَسْأَلُكَ عنها والسلام .

قال : يا صبية هلمي الدواء ثم قال لي : إقلب الكتاب (أي الورقة) واكتب : أما بعد وأنت فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته .

إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا .
فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألنا عما بدا لك .
وإن أتيتني فلا تأتيني إلا وحدك ولا تأتيني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام .

فبينما أنا عنده ذق الباب داق فقال : يا صبية أخرجني فانظري من هذا ، فقالت : محمد بن سليمان .
قال : قولي له ليدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه .

فقال : مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً .
فقال حماد : سمعت ثابتاً البنان يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء وإذا أراد أن يكتنزه به الكنوز هاب من كل شيء » .
فقال : أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه .

قال : ارددها على من ظلمته بها .
قال : والله ما أعطيتك إلا ما ورثته .
قال : لا حاجة لي فيها إزوها عني (أي أبعدها عني) زوى الله عنك أوزارك .
قال : فتقسّمها ، قال : فلعلني إن عدلت في قسمتها أن

يَقُولُ بَعْضُ مَنْ لَمْ يُرْزَقْ مِنْهَا لَمْ يَعْدِلْ إِزْوَاهَا عَنِي زَوَى اللَّهُ عَنكَ
أَوْزَارَكَ أَه .

تأمل يا أخي كَيْفَ يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ كَلَامُ الْمُخْلِصِينَ الَّذِي لَا
يُرِيدُونَ الدُّنْيَا وَعُرُوضَهَا ، قَالَ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ : لَا يَعْمَلُ
الْوَعْظُ إِلَّا مِنْ مُتَقَشِّفٍ مُتَزَهِّدٍ مُتَوَرِّعٍ فِي نِظَافَةِ جِسْمٍ (قُلْتُ
وَنِظَافَةِ قَلْبٍ) قَالَ : فَأَمَّا مَنْ يَخْرُجُ بَطِينًا فَاخِرَ الثِّيَابِ مُدَاخِلًا
لِلْأَمْرَاءِ فَكَيْفَ تَسْتَجِيبُ لَهُ الْقُلُوبُ إِنَّمَا يُسْمَعُ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى سَبِيلِ
الْفُرْجَةِ . قُلْتُ وَالْإِنْتِقَادَ وَالْإِسْتِهْزَاءَ وَالسَّخْرِيَّةَ .

وَكَانَ حَمَادٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مَشْغُولًا بِنَفْسِهِ إِمَّا أَنْ يَحْدِثَ وَإِمَّا أَنْ
يَسْبَحَ وَإِمَّا أَنْ يَصَلِّيَ كَانَ قَدْ قَسَمَ النَّهَارَ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ .
هُمُ الرِّجَالُ وَغَبْنٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَالِي وَصْفِهِمْ رَجُلٌ
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى يُونُسَ بْنِ عَبِيدٍ فَشَكَاَ إِلَيْهِ ضَيْقًا مِنْ حَالِهِ
وَمَعَاشِهِ وَاعْتِمَاءًا مِنْهُ بِذَلِكَ .

فَقَالَ لَهُ يُونُسُ : أَيَسْرُكَ بِيَصْرِكَ هَذَا الَّذِي تُبْصِرُ بِهِ مِائَةَ
أَلْفٍ ، قَالَ : لَا .

قَالَ : فَسَمِعْتُكَ الَّذِي تَسْمَعُ بِهِ يَسْرُكَ بِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ، قَالَ : لَا .

قَالَ : فَيَدَاكَ يَسْرُكَ بِهِمَا مِائَةَ أَلْفٍ ، قَالَ : لَا .

قَالَ : فَرَجُلَاكَ قَالَ فَذَكَرَهُ نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يُونُسُ فَقَالَ : أَرَى لَكَ مِئِينَ أَوْ لُوفًا وَأَنْتَ تَشْكُو

الْحَاجَةَ .

وَجَاءَتْهُ إِمْرَأَةٌ بِجُبَّةٍ خَزَّ فَقَالَتْ لَهُ : اشْتَرَاهَا ، فَقَالَ : بِكَمْ

تَبِيعِينَهَا ؟ قَالَتْ : بِخَمْسِ مِائَةِ (٥٠٠) ، قَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ

(يَعْنِي تَسْوَى أَزِيدَ) .

قالت : بستمائة (٦٠٠) قال هي خير من ذلك فلم يزل يقول هي خير من ذلك حتى بلغت ألفاً (١٠٠٠) وقد بذلتها له بخمسمائة (٥٠٠) .

وكان يشتري الإبريسم من البصرة فيبعث به إلى وكيله وكان وكيله يبعث إليه بالخز (أي الحرير) فإن أخبر وكيله أن المتاع عنده زائد لم يشتر منهم أبدا حتى يخبرهم أنه زائد ، لئلا يغتروا .
وإذا زاد عندهم المتاع قال لوكيله : أخبر من تشتري لنا منه أن الشيء زائد عندنا .

وكان يقول : لو أصبت درهماً حلالاً من تجارة لا شترت به براً ثم صيرته سويقاً ثم سقيته المرضى .
وأخرج شاة للبيع وقال للدلال : بعها وابراً من أنها تقلب العلف وتنزع الود (أي شرط على المشتري هذا العيب) هل يوجد مثل هذا النصح والورع في زمننا .

وكان السلف رحمهم الله قد جمعوا خصالاً حميدة منها النصح للأمة والصدع بالحق ولو أدى ذلك إلى ضررهم وبذل المال والجاه والمحافظة على الأوقات أعظم من محافظة أهل الأموال على أموالهم .

يَقْطَعُونَ الأوقات إما بتعليم علم مما جاء به النبي ﷺ وإما بصلاة .

وإما بالباقيات الصالحات لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أو نحو ذلك .
وأما أكثر أهل هذا الزمان فقد ذهبت أعمارهم فرطاً مضاعفةً عند قتالات الأوقات فيما يضر ولا ينفع كالتلفزيون والفيديو والمذياع والكورة والورق والقييل والقال والكذب والغيبة والنميمة

وما أشبه ذلك . وقد اتسع في زمننا مجال الغيبة والنميمة والسعاية بسبب التلفون لأنها بالزمان الأول لأبد من اجتماع الأبدان .
ويندرُ جداً أن تجدَ الفطنَ اللوذعي المحاسبَ لنفسه على الحركات واللحظات الصائِنَ لوقته عن الضياع .

لا يُحقرُ الرجلُ الرفيعُ دقيقةً في السَّهْوِ فيها للوضيعِ معاذِرُ
فكَبائرُ الرجلِ الصَّغيرِ صَغيرةٌ وصغائرُ الرجلِ الكَبيرِ كَبائرُ
آخر :

ولا يَذهبَنَّ العُمُرُ منك سَبهلاً ولا تُغبنَنَّ بالنُّعمَتينِ بَلْ أَجهدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللذاتِ نَالَ المُنَى وَمَنْ أَكَبَّ على اللذاتِ عَضَّ على اليَدِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

يُنَبغي للانسان أن يكون دائم الذكر للموت ليلاً ونهاراً لثلا
يفجاءه قبل الاستعداد والتأهب له كما هي طريقة كثير
من السلف .

والناسُ في ذكرا الموت أقسام ثلاثة :

قسم لا يذُكره أبداً .

وقسم يذُكره رُعباً وخشيَةً .

وقسم يذُكره عقلاً وحكمة .

القسم الأول : أحق وهو الذي لا يتذكر الموت ولا يجرى له
على خاطر كأنه قد ثبت في عقله أن لا مَوْت .

فلا يحس هذه الحقيقة إلا عند المشاهدة ، ولا يذكر الموت
إلا ريثما تنقضي تلك المشاهدة كأن يشتد به المرض أو يختطف الموت
أحد أهله أو جيرانه أو يحصل عليه حادث يقربه من الهلاك .

فهو لا يتفكر في الموت وما يعقبه إلا نظراً في حال ماله وأولاده عند موته ، ولا ينظر ويتدبر في أحوال نفسه .

وعندما يرى جنازة يقول بلسانه (إنا لله وإنا إليه رجعون) ولا يرجع إلى الله بأفعاله بل يرجع بأقواله فقط ، وهذا على خطر عظيم .

القسم الثاني : يذكره دائماً لخشية وقوعه وخوفٍ من نُزوله فيتولاهم الرعب ويستولي عليهم الفرع .

وأكثر ما يذكرونه إذا خلوا من أشغالهم وانتقلوا إلى أوقات فراغهم فيكدر عليهم صفاء هَنَاءَتِهِمْ وأشد ما يكون كدرهم ونكدهم إذا أقبلت عليهم الدنيا وتتابعت عليهم النعم وازدادوا من متاع الدنيا وزينتها .

فتراهم في هم دائم وقلق وعناءٍ مُقيم للتوقي من الأخطار والتَّحَرُّز من أسباب الهلاك ويتوهمون في كلِّ لَقْمَةٍ تَحْمَةً وفي كلِّ جُرْعَةٍ غُصَّةً وتجدهم مُهْتَمِينَ دائماً بالفحص عن أبدانهم خوف الموت القسم الثالث : وهو الذي وفقه الله للاستعداد للموت والتأهب للقاء الله فهذا لا يفارقه ذكر الموت كالمثقل من محلٍ إلى محلٍ آخر أو كالمسافر من بلدٍ إلى بلدٍ ليقيم فيها .

فإنه لا يفارقه ذكر مقصده ، وذلك لأنه يعلم أن ذكر الموت يطرُد فُضُول الأمل ، ويقطعُ المنى ، ويهونُ المصائب ، ويحولُ بين الإنسان والطُغيان ، ومن فوائد ذكر الموت أنه يُولدُ القنَاعَةَ بما رُزِقَ ، والرضا بالميسور ، والمبادرة إلى التوبة .

والأعتناء بالوصية ، والتخلص من حقوق الله وحقوق عباده ، وترك التحاسد ، والحرص على الدنيا ، والابتعاد عن الكبر

والعجب ، ومن فوائد ذكره أنه يزيد النشاط في العبادة .

فعلى العاقل أن يكثر من ذكره ، ولا يهمل نفسه ، بل يصبح كل يوم على تقدير الاستعداد لِلرَّحَلَةِ لِأَنَّهُ مَا مِنْ وَقْتٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ فِيهِ مُمْكِنٌ وَهَذَا أَمْرٌ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

والناس مختلفون في كل الأشياء إلا الموت فلا خلاف فيه قال

الله تبارك وتعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .

أَكْذَحَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي مَهَلٍ
إِنِ الْمَيِّتَةَ مَوْرُودٌ مَنَاهَلُهَا
وَفِي اللَّيَالِي وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ
بَعْدَ الشَّبَابِ يَصِيرُ الصَّلْبُ مُنْحَنِيًا
يُفْنِي النُّفُوسَ وَلَا يُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
لِمُسْتَقَرٍّ وَمِيقَاتٍ مُقَدَّرَةٍ
وَمَنْ تَعَاقَرَهُ الْأَيَّامُ تُبَدِّلُهُ
نَحْلًا بُرُوجًا وَأَوْطَانًا مُشَيَّدَةً
فِيَالَهُ سَفَرًا بُعْدًا وَمُعْتَرِبًا
بِمَوْحَشٍ ضَيِّقٍ نَاءٍ مَحَلَّتُهُ
كَمْ مِنْ مَهِيْبٍ عَظِيمِ الْمَلِكِ مُتَّخِذٍ
أَضْحَى ذَلِيلًا صَغِيرِ الشَّانِ مُنْفَرِدًا
وَقَبْلَكَ النَّاسُ قَدْ عَاشُوا وَقَدْ هَلَكُوا

ولا تكن جاهلاً في الحق مرتاباً
لا بُدَّ مِنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ أَحْقَابًا
يَزْدَادُ فِيهَا أَوْلُو الْأَبَابِ أَلْبَابًا
وَالشَّعْرُ بَعْدَ سَوَادٍ كَانَ قَدْ شَابَا
لَيْلٌ سَرِيْعٌ وَشَمْسٌ كَرَّهَا دَابَا
حَتَّى يَعُودَ شُهُودُ النَّاسِ غِيَابًا
بِالْجَارِ جَارًا وَبِالْأَصْحَابِ أَصْحَابًا
وَمُؤْنِسِينَ وَأَصْهَارًا وَأَنْسَابًا
كُسِيَتْ مِنْهُ لَطُولِ النَّأْيِ أَثْوَابًا
وَلَيْسَ مَنْ حَلَّهُ مِنْ غَيْبَةِ آبَا
دُونَ السَّرَادِقِ حُرَّاسًا وَحُجَّابًا
وَمَا يُرَى عِنْدَهُ فِي الْقَبْرِ بَوَابَا
فَأَضْرَبَ الْحَيُّ عَنِ ذِي النَّأْيِ إِضْرَابَا

اللهم ارحم ذلنا يوم يقوم الأشهاد وأمن خوفنا من فزع المعاد
ووقفنا لما تنجيننا به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا تخزنا يوم القيامة
إنك لا تخلف الميعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء
منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصل الله على محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

[فصل]

ثم اعلم أن للموت نُذْر قال القرطبي : وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ
بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ : أَمَا لَكَ رَسُولٌ تُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ
يَكُونُ النَّاسَ عَلَى حَذَرٍ مِنْكَ قَالَ : نَعَمْ لِي وَاللَّهِ رَسُولٌ كَثِيرَةٌ مِنَ
الْإِعْلَالِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْهَرَمِ وَتَغْيِيرِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالشَّيْبِ .
فَإِذَا لَمْ يَتَذَكَّرْ مَنْ نَزَلَ بِهِ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَّبِعْ نَادِيَّتَهُ إِذَا قَبِضَتْهُ أَلَمْ
أَقْدِمْ لَكَ رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ وَأَنَا النَّذِيرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَذِيرٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَسَاقَطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعُفُ نَاطِرٌ وَتَقْصُرُ خُطَوَاتٌ وَيَثْقُلُ مَسْمَعٌ
فَمَا مِنْ يَوْمٍ تَطْلُعُ شَمْسُهُ إِلَّا وَمَلِكٌ يُنَادِي يَا أَبْنَاءَ الْأَرْبَعِينَ
هَذَا وَقْتُ اخْتِذَا الزَّادِ أَذْهَانُكُمْ حَاضِرَةٌ وَأَعْضَاؤُكُمْ قَوِيَّةٌ شِدَادٌ يَا أَبْنَاءَ
الْخَمْسِينَ قَدْ دَنَا الْأَخْذُ وَالْحَصَادُ يَا أَبْنَاءَ السِّتِينَ نَسِيتُمُ الْعِقَابَ
وَعَفَلْتُمْ عَنِ الرَّجَاءِ .

وَمَنْ سَارَ نَحْوَ الدَّارِ سِتِينَ حَجَّةً فَقَدْ حَانَ مِنْهُ الْمُلتَقَى وَكَأَنَّ قَدِ
وَوَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى إِمْرٍ أَخْرَجَهُ
حَتَّى بَلَغَ سِتِينَ سَنَةً وَرُوي أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ دَخَلَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا يَهَابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ
الْقُصُورِ وَلَا يَقْبَلُ الرُّشَاءَ .

قَالَ : فَإِذَا أَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ وَلَمْ أُسْتَعِدَّ بَعْدُ قَالَ : يَا دَاوُدُ
أَيْنَ فُلَانٌ جَارُكَ أَيْنَ فُلَانٌ قَرِيبُكَ قَالَ مَاتَا ، قَالَ : أَمَا كَانَ لَكَ فِي
هَؤُلَاءِ عِبْرَةٌ لِتُسْتَعِدَّ :

يَا سَاهِيًّا لَاهِيًّا عَمَّا يُرَادُ بِهِ أَنْ الرَّحِيلُ وَمَا قَدَّمْتَ مِنْ زَادٍ
تَرْجُ الْبَقَاءَ صَحِيحًا سَلْمًا أَبَدًا هَيْهَاتَ أَنْتَ غَدًا مَعَ مَنْ غَدَا غَادٍ

آخر: تمضي الحياة وأبناء الزمان به في غفلة بانصرام العمر ما شعروا
قيل إنها تعرض على الانسان في الدار الآخرة ساعات أيامه
ولياليه في هيئة الخزائن .

كل يوم ليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتها فيرى
الساعة التي عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نورا فيفرح بذلك
فرحاً شديداً . والتي عمل فيها بمعصية الله مملوءة ظلمة .

والتي لم يعمل فيها بطاعة ولا معصية يجدها فارغة لا شيء فيها .
فيعظم ندمه وحسرتة إذا نظر إلى الفارغة ، ويتمنى لو ملأها
بذكر الله جل وعلا ، قال جل وعلا وتقدس ﴿ يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه
أمداً بعيداً ﴾ .

وأما التي يجدها مملوءة ظلمة فلا تسأل عن عظم حسرتة
وحزنه وندامته .

فلو قضي عليه أن يموت عند النظر إليها من الأسف
والحسرة لمات غير أن لا موت في الآخرة .

قال جل ذكره وتقدس اسمه ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي
الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ .

وقال عز من قائل ﴿ يوم تبلو كل نفس ما أسلفت ﴾
فالعامل بطاعة الله يكون فرحاً مسروراً مغتبطاً على الدوام يزيد
فرحه واغتباطه ويكاد فواده يطير من شدة الفرح .

وعكسه العامل بمعاصي الله يكون مغموماً محزوناً قلقاً يزداد
حزنه وحسرتة وندامته إلى غير نهاية .

ففكر يا أخي واختر لنفسك رحمة الله وإياك وجميع المسلمين

ما دُمتَ في قَيْدِ الحَيَاةِ في دَارِ الاختيارِ لم تطوى صحيفتك .
فالبدار البدار فيما يَنْفَعُكَ وَيَرْفَعُكَ وَإِيَّاكَ والتسوية فإنه شرٌّ
والانسان معرض للآفات والشواغل الكثيرة .
قال ﷺ « اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك
وحياتك قبل موتك .

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن
النبي ﷺ قال « المؤمن يموت بعرق الجبين » وقال ابن مسعود :
إن المؤمن يبقى عليه خطايا يُجَازَى بها عند الموت فيعرق لذلك
جبينه .

وقال سفيان : كانوا يستحبون العرق للموت ومن ثم قال
عَلَقَمَةُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : أَحْضُرْنِي فَلِقْنِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ عَرِقَ
جَبِينِي فَبَشِّرْنِي .

قال بعض العلماء : وإنما يعرق جبينه حياءً من ربه لما اقترب
من مخافته لأن ما سفل منه قد مات وإنما بقيت منه قوة الحياة
وحركاتها فيما علا .

والحياء في العيين والكافر في عما عن هذا كله والموحد
المعذب في شغل عن هذا بما حل به .

ولما احتضر عمرو بن العاص قال ابنه : يا أبت إنك كنت
تقول ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند الموت حتى يصف ما يجد وأنت
ذلك الرجل فصف لي الموت .

قال : يا بني والله لكأنني أتنفس من سم إبرة وكان غصن
شوك يجرب به من قدمي .

وقال : أجدُ كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما
وكان نفسي تخرج على ثقب لأبرة وكان غضن شوك يجذب به من
هامتي إلى قدمي .

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

سمع بعضهم بكاء على ميت ، فقال : عجباً من قوم
مسافرين ييكون على مسافر قد بلغ منزله .

قال عمر بن عبدالعزيز : ما أحب أن تهون عليّ سكرات
الموت لأنه آخر ما يؤجر عليه المؤمن .

أهل القبور محبوسون ندموا على ما قدموا وأهل الدور
منتظرون يقتتلون على ما عليه أهل القبور متندمون .

فلا هؤلاء إلى هؤلاء يرجعون ولا هؤلاء هؤلاء يعتبرون .

سئل بعضهم هل من علامة تدل على أن الله قد قبلك ؟

فقال : إذا رأيت الله عز وجل قد عصمك عن المعاصي كلها

وكرهها إليك ووفقك لطاعته علمت أنه قد قبلك قلت لو قال قوي

ظنك ورجاؤك لكان أولى . إن للسيئة ظلمة في القلب وشيئاً في

الوجه ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق

ونقصاً في العقل والدين . وأما الحسنة فإن لها نورا في الوجه ونشاطاً

في البدن وزيادة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وزيادة في العقل

والدين .

حجابُ عمرك يا مغرور مهتوك

كفأك ما قمشت كفاك من نشب

لله بك على زلاته ندماً

وبيت عزك لو فكرت منهوك

لابد يضح يوماً وهو متروك

دماً يخضب منه النحر مسفوك

لا شك في الأجل المحتوم يُلحَقُهُ وإيكُ الفِكْرِ في الآياتِ مَأْفُوكُ
يُقَلَى الثَّوَاءَ بَدَارَ غَيْرِ ثَأْوِيَةٍ فِيهَا اسْتَوَى مَالِكٌ هُلْكَأً وَمَمْلُوكُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[موعظة]

أَيُّهَا الْعَبْدُ حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي خَلُوتِكَ وَتَفَكَّرْ فِي سُرْعَةِ
إِنْقِرَاضِ مُدَّتِكَ وَاعْمَلْ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ فِي زَمَانِ فَرَاغِكَ لَوْ قَتَّ
حَاجَتِكَ وَشِدَّتِكَ .
وَتَدَبَّرْ قَبْلَ الْفِعْلِ مَا يُمَلَى فِي صَحِيْفَتِكَ وَانظُرْ هَلْ نَفْسُكَ
مَعَكَ عَلَى الشَّيْطَانِ وَالْهَوَى وَالْدُنْيَا أَوْ عَلَيْكَ فِي مَجَاهِدَتِكَ .
لَقَدْ سَعِدَ مَنْ حَاسَبَهَا وَفَازَ مَنْ حَارَبَهَا وَقَامَ بِاسْتِيفَاءِ الْحَقُوقِ
مِنْهَا وَطَالَبَهَا وَكَلِمًا قَصُرَتْ أَوْ وَنَتْ عَاتِبَهَا وَكَلِمًا تَوَقَّفَتْ جَذْبَهَا .
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا
بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعِاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .
وَقَالَ عُمَرُ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا وَطَالِبُوا
بِالْصَّدَقِ فِي الْأَعْمَالِ قَبْلَ أَنْ تَطَالَبُوا وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوَزَنُوا فَإِنَّهُ
أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا وَتَزِينُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ ﴿ يَوْمَئِذٍ
تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

[فصل]

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرِكِ وَابْنُ سَعْدٍ عَنِ عَوَانَةَ بِنِ
الْحَكَمِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ كَانَ يَقُولُ : عَجَبًا لِمَنْ نَزَلَ بِهِ
الْمَوْتُ ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَبَتِ إِنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ : عَجَبًا لِمَنْ
نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَعَقْلُهُ مَعَهُ كَيْفَ لَا يَصِفُّهُ ، فَصِفُّ لَنَا الْمَوْتَ .

قال : يا بني أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُوصَفَ ، ولكن سأُصِفُ لك منه شيئاً أَجْدُنِي كَانَ عَلَى عُنُقِي جَبَالَ رَضْوَى ، وَأَجْدُنِي كَانَ فِي جَوْفِي شَوْكُ السَّلَانِ وَأَجْدُنِي كَانَ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةِ .
وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكَعْبٍ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَوْتِ ، قال : يا أمير المؤمنين هُوَ مِثْلُ شَجَرَةٍ كَثِيرَةِ الشُّوكِ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ فَلَيْسَ مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا وَفِيهِ شَوْكَةٌ وَرَجُلٌ شَدِيدُ الذِّرَاعَيْنِ فَهُوَ يُعَالِجُهَا وَيَنْزِعُهَا .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال « أَحْضِرُوا مَوْتَكُمْ وَلِقِنُوهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنَشْرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ . فَإِنَّ الْحَلِيمَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَتَحَيَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمُعَايِنَةٌ مَلَكَ الْمَوْتِ أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسِّيفِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَخْرُجُ نَفْسُ عَبْدٍ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَأَلَّمَ كُلُّ عِرْقٍ مِنْهُ عَلَى حَيَاتِهِ » .

قال بعضهم : مَنْ خَافَ الْوَعِيدَ قَصَرَ الْبَعِيدَ ، وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ ضَعُفَ عَمَلُهُ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .
واعلم يا أخي أَنَّ كُلَّ مَا يَشْغُلُكَ عَنِ رَبِّكَ فَهُوَ عَلَيْكَ مَشْوَمٌ .

واعلم أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ إِنَّمَا يَفْرَحُونَ بِمَا يُقَدِّمُونَ ، وَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا يُخَلِّفُونَ .

وَأَهْلُ الدُّنْيَا يُقْتَتِلُونَ وَيَتَنَافَسُونَ فِيهَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْقُبُورِ يَنْدَمُونَ .

وقال مالك بن دينار : إِنْ اللَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ مَفْرٍ وَالْآخِرَةَ

دار مقر فخذوا لمقركم من مفركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل
أن تخرج منها أبدانكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم .
ففي الدنيا حيتهم ولغيرها خلقتهم إنما مثل الدنيا كالسُم أكله
من لا يعرفه واجتنبه من عرفه .

ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السُم القاتل
يَحذرُها ذووا العقول ، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم .
وقال رجل لمالك بن دينار ، يأمرائي قال متى عرفت
إسمي ، ما عرف اسمي غيرك .

وقال : ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب .
وقال : إن العالم إذا أتته في بيته رأيت حصيره للصلاة
ومصحفه ومطهرته في جاب البيت ترى أثر الآخرة .

وقال : إن الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البر وإن الفجار تغلي
قلوبهم بأعمال الفجور والله يرى همومكم فانظروا ما
همومكم رحمكم الله .

محمدا ما أعددت للقبر والبلى وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة ولا ترعوي عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه فقدم له زاداً إلى البعث والنشر

قال بعض العلماء : الأشياء المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ
بالله أربعة : التهاون بالصلاة ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ،
وإيذاء المسلمين ، وزاد بعضهم النظر إلى الأحداث .

وعن أبي سعيد قال : دخل رسول الله ﷺ مُصلاًه فرأى ناساً
يكتشرون (أي يضحكون) فقال : « أما إنكم لو أكثرتم من ذكر
هاذم اللذات لشغلكم عما أرى » .

فأكثر ذكراً ذم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا يتكلم فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود .

فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر أهلاً ومرحباً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فستري صنيعي بك فيتسع مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة .

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فستري صنيعي بك .

قال : فيلتئم عليه حتى تلتقى وتختلف أضلاعه وقال ﷺ « في أصابعه وأدخل بعضها في بعض ويقبض له تسعون تيناً لو أن واحداً نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يفضى به إلى الحساب » .

قال : وقال رسول الله ﷺ « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » أخرجه الترمذي .

وقال هذا حديث حس غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
قال الحافظ بن رجب : لكن روى معناه من وجوه ذكر بعضها أه .

فتفكر يا مغرور بالموت وسكراته وصعوبة كأسه ومرارته فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعد له .
فكفى بالموت مقرحاً للقلوب ومبكياً للعيون ومفرقاً للجماعات وهاذماً للذات وقاطعاً للأمنيات .
فهلاً تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك وانتقالك من

مَوْضِعِكَ ، وَنُقِلْتَ مِنْ سَعَةٍ إِلَى ضَيْقٍ ، وَفَارَقَكَ الصَّاحِبُ
وَالرَّفِيقُ .

وَهَجَرَكَ الْأَخُ وَالصَّدِيقُ ، وَأَخَذْتَ مِنْ فُرْشِكَ وَغِطَائِكَ إِلَى
حُفْرٍ وَغَطُّوكَ مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ لِحَافِكَ بِتُرَابٍ وَمَدِيرٍ .

نُزَاعٌ لَذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ وَتَعَرَّضُ الدُّنْيَا فَنَلَّهَوا وَنَلَّعَبُ
يَقِينٌ كَأَنَّ الشُّكَّ غَالِبٌ أَمْرِهِ عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ
آخِرُ :

وَمُنْتَظِرٌ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَشِيدُ وَبِنِي دَائِبًا وَيُحْصِنُ
لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةٌ مُوقِنٌ وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالٌ مِنْ لَيْسَ يُوقِنُ
عِيَانٌ كإِنْكَارٍ وَكَالْجَهْلِ عِلْمُهُ بَمَذْهَبِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَّقِنُ
فِيَا جَامِعَ الْمَالِ وَالْمَجْتَهِدِ فِي الْبِنْيَانِ لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا

الْأَكْفَانُ بَلْ هِيَ لِلْخِرَابِ وَجِسْمُكَ لِلتُّرَابِ وَالْمَاءِ .

فَأَيْنَ الَّذِي جَمَعْتَهُ مِنَ الْمَالِ أَنْقَذَكَ مِنَ الْأَهْوَالِ كَلَّا بَلْ تَتْرَكُهُ

إِلَى مَنْ لَا يَحْمَدُكَ وَقَدِمْتَ بِأَوْزَارٍ إِلَى مَنْ لَا يَعْذُرُكَ .

إِذَا كُنْتَ جَمَاعًا لِلْمَالِكِ مُسِكًا فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينٌ

تُوَدِّيهِ مَذْمُومًا إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ فَيَأْكُلُهُ عَفْوَاً وَأَنْتَ دَفِينٌ

كَانَ بَعْضُهُمْ يُوبِخُ نَفْسَهُ ، فَيَقُولُ : عَمَلٌ كَالسَّرَابِ وَقَلْبٌ

مِنَ التَّقْوَى خِرَابٌ ، وَذُنُوبٌ بَعْدَ الرَّمْلِ وَالتُّرَابِ .

ثُمَّ تَطْمَعُ فِي الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ هِيَهَاتَ أَنْتَ سَكْرَانٌ بغيرِ

شَرَابٍ .

مَا أَكْمَلَكَ لَوْ بَادَرْتَ أَمْلَكَ ، مَا أَجَلَّكَ لَوْ بَادَرْتَ أَجْلَكَ ،

مَا أَقْوَاكَ لَوْ خَالَفَتْ هَوَاكَ .

وَقَالَ آخِرُ : الْعِلْمُ عِصْمَةُ الْمُلُوكِ ، لِأَنَّهُ يَمْنَعُهُمْ مِنْ

الظلم ، ويردهم إلى الحلم ، ويصدّهم عن الأذية ويعطفهم على الرعية .

فمن حقهم أن يعرفوا حقه ، ويستبطنوا أهله ، فأما المال فظلّ زائل وغارية مسترجعة ، وليس في كثرته فضيلة ، إلا لمن يسلطه الله على هلكته في الحق .

كمن ينفقه في الجهاد في سبيل الله ، وعمارة المساجد وسائر المشاريع الدينية ، ويتنسخ من زكاته .

كان موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين يدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل وكان كريها إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه ، بعث إليه بهال .

وبعث موسى إلى الرشيد من الحبس رسالةً إنه لن ينقضي عني يومٌ من البلاء إلا انقضى عنك معه يومٌ من الرخاء حتى نُفّضي جميعاً إلى يومٍ ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون .

أخي إنما الدنيا محلة نغصبةٍ ودارٌ غرور آذنت بفراق
تزود أخي من قبل أن تسكن الثرى وتلتف ساق للمات بساق
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[فصل]

من فوائد ذكر الموت أنه يُورث الاستشعار بالانزعاج عن هذه الدار الفانية المملوءة بالأكدار والأنكاد والهموم والغموم .
ويحشك ذكر الموت على التوجه في كل لحظة إلى الآخرة بالاستعداد لها ثم إن الانسان لا ينفك عن حالتي ضيقٍ وسعةٍ ونعمةٍ ومحنةٍ .

فإن كان في حالٍ ضيقةٍ ومحنةٍ فذكر الموت سهل عليه بعض ما هو فيه إذ لا مُصيبةَ إلا والموتُ أعظمُ منها وهو ذائقه ولا بُد .
قال الله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وإن كان في حال سعةٍ ونعمةٍ .

فذكر الموت يمنعه من الإغترار بالدنيا والركون إليها لتحقق عدم دوامها وتحقيق ذهابها عنه وانصرامها .
قال الله جلّ وعلاً وتقدس ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

يُسِيءُ أَمْرٌ مَنَا فَيُبْغِضُ دَائِمًا وَدُنْيَاكَ مَا زَالَتْ تُسِيءُ وَتُؤَمِّقُ
أَسْرٌ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالكَهْلُ وَالْفَتَى بِجَهْلٍ فَمَنْ كُلُّ النَّوَظِرِ تُرْمَقُ
وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤَهَّلَ مِثْلُهَا لَوْدٍ وَلَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أَحْمَقُ

وكتبَ عُمرُ بنُ عبد العزيز إلى بعض أهل بيته : أما بعدُ
فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض
إليك كلِّ فان .

وقال بعض العلماء . الأيام سَهَامٌ والناس أغراضٌ والدهر
يرميك كلَّ يومٍ بسهامه ويحترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق
ويستكمل جميع أجزاءك فكيف تبقى سلامتك مع وقوع الأيام
بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك
من النقص لاستوحشت من كلِّ يومٍ يأتي عليك واستثقلت ممرَّ
الساعات بك ولكن تدبيرُ الله فوق كلِّ تدبير .

وَمِثْلُ لَعَيْنِكَ الْحَمَامِ وَوَقَعَهُ وَرَوْعَةَ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ
وَأَنَّ قُصَارَى مُنْتَهَى الْحَيِّ حُفْرَةٌ سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزِلًا عَنْ قُبَابِهِ

آخر :

نَطْوِي سُبُوتًا وَآحَادًا وَنَشْرَهَا وَنَحْنُ فِي الطِّي بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ
فَعُدَّ مَا سُبَّتَ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْمَطْوِيُّ فِي الْعَدَدِ
وَبِالسُّلُوعِ عَنْ غَوَائِلِ الدُّنْيَا وَأَنْكَادِهَا وَتَكْدِيرَاتِهَا وَجَدَّ طَعْمُ
لذَاتِهَا وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مِنَ الْعَلَقِمِ وَالصَّبْرِ وَالْمَرْ وَالْحَنْظَلِ إِذَا عَجَنَهَا الْحَكِيمُ
وَقَدْ أَعْيَتِ الْوَاصِفُونَ لُغْيُومَهَا بظَاهِرِ أَفْعَالِهَا وَمَا تَأْتِي بِهِ مِنَ الْعَجَائِبِ
أَكْثَرَ مِمَّا يُحِيطُ بِهِ الْوَاعِظُ وَالْمُحَذِّرُ مِنْهَا وَمَعَ هَذَا فَالْقَلْبُ مَتَعَلِّقٌ بِهَا
أَعْظَمُ تَعَلُّقًا . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ
يَسْأَلُكُمْ فِيهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْلُوا ﴾ وَأَمَّا اللِّسَانُ فَيَذُمُّ
الدُّنْيَا وَأَمَّا الْقَلْبُ فَمَحَبَّتُهَا فِي سُؤْدَاتِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لِسَانُكَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ مُشَاحِنٌ وَقَلْبُكَ فِيهَا لِللِّسَانِ مُبَايِنٌ
وَمَا ضَرَّهَا مَا قُلْتَ فِيهَا وَقَدْ صَفَا لَهَا مِنْكَ وَدٌّ فِي فُؤَادِكَ كَامِنٌ

آخر :

وَإِنَّا لِنَهْوَاهَا عَلَى الْغَدْرِ وَالْقِلَابِ وَنَمْدَحُهَا مَعَ عِلْمِنَا بِالْمَعَائِبِ

آخر :

أَبِي الْقَلْبُ أَلَّا أُمَّ دَفَّرَ كَمَا أَبِي سِوَى أُمَّ عَمْرٍو مُوَجَّعُ الْقَلْبِ هَائِمٌ
هِيَ الْمُسْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السُّهَى أَمَانِي مِنْهَا دُونَهُنَّ الْعَظْمَاءِ
وَلَمْ تُلْفِنَا إِلَّا وَفِينَا تَحَاسُدٌ عَلَيْهَا وَإِلَّا فِي الصُّدُورِ سَخَاءِمٌ

تنبيهه :

إِعلم يَا أَخِي أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَذُمُّ لِذَاتِهَا وَكَيْفَ يَذُمُّ مَا مَنَّ اللَّهُ
بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا هُوَ ضَرُورَةٌ فِي بَقَاءِ الْإِنْسَانِ وَسَبَبٌ فِي إِعَانَتِهِ عَلَى
تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْجِدٍ يُصَلِّي
فِيهِ وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَخَذَ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ أَوْ تَنَاوَلَهُ عَلَى وَجْهِ السَّرْفِ

لا على مقدار الحاجة ويُصَرَّفُ النفس فيه بمُقْتَضَى رُعُونَاتِهَا لا بإذن
الشرع فالعاقل يجعلها مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ فينفقها في سبيل الله في
المشاريع الدينية من طباعة مصاحف وكتب دينية وعمارة مساجد
وبذل للفقراء الذين لا موارد لهم .

وقال آخر : وَقَدْ اسْتُوصِفَ الدُّنْيَا وَقَدَّرَ بَقَائُهَا فَقَالَ : الدُّنْيَا
وَقَتُّكَ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْكَ فِيهِ طَرْفُكَ لِأَنَّ مَا مَضَى عَنْكَ فَقَدْ فَاتَكَ
أَذْرَاكُهُ وَمَا لَمْ يَأْتِ فَلَا عِلْمَ لَكَ بِهِ وَالدهرُ يَوْمٌ مُعْبِلٌ تَنْعَاهُ لَيْلَتُهُ
وَتَطْوِيهِ سَاعَاتُهُ وَأَحْدَاثُهُ تَتَوَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ بِالتَّغْيِيرِ وَالنُّقْصَانِ
وَالدهرُ مُوَكَّلٌ بِتَشْتِيتِ الْجَمَاعَاتِ وَانْخِرَامِ الشُّمُلِ وَتَنْقُلِ الدُّوَلِ
وَالأَمَلُ طَوِيلٌ وَالعَمْرُ قَصِيرٌ وَإِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .

يَا أَدْمِي أَتَدْرِي مَا مُنِيَتْ بِهِ أَمْ دُونَ ذُهْنِكَ سِتْرٌ لَيْسَ يَنْجِبُ
يَوْمٌ وَيَوْمٌ وَيَفْنَى الْعُمْرُ مُنْطَوِيًّا عَامٌ جَدِيدٌ وَعَامٌ فِيهِ إِخْصَابٌ
فَلَا تَغْرَنَّاكَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا فَأَرِيهَا إِنْ بَلَاهَا عَاقِلٌ صَابٌ
وَالْحَزْمُ يَجْنِي أُمُورًا كُلُّهَا شَرَفٌ وَالخُرْقُ يَجْنِي أُمُورًا كُلُّهَا عَابٌ
أَمَّا عُمْرُكَ كُلُّ يَوْمٍ يُنْتَهَبُ ، أَمَا الْمُعْظَمُ مِنْهُ قَدْ تَوَلَّى وَذَهَبُ ،
إِلَى أَيِّ حِينٍ أَنْتَ فِي جَمْعِ الْوَرَقِ وَالذَّهَبِ ، تَبْخُلُ بِالْمَالِ وَأَوْقَاتِ
الْعُمْرِ تَهَبُ ، يَا مَنْ إِذَا خَلَا تَفَكَّرَ وَحَسَبُ ، فَأَمَّا لِنُزُولِ الْمَوْتِ فَمَا
قَدَّرَ وَحَسَبُ .

تَاهَبُ فَإِنَّكَ مُقْبِلٌ عَلَى كُرْبَةٍ لَا كَالْكُرْبِ ، تَطْلُبُ النِّجَاةَ مِنْ
غَيْرِ بَابِ الطَّلَبِ ، وَتَقِفُ فِي الصَّلَاةِ وَإِنَّ صَلَاتَكَ لِعَجَبُ ، الْجِسْمُ
حَاضِرٌ وَالْقَلْبُ فِي شُعْبِ .

الجَسَدُ بِالْعِرَاقِ وَالْقَلْبُ فِي حَلَبِ ، الْفَهْمُ أَعْجَمِي وَاللَّفْظُ
لَفْظُ الْعَرَبِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْهَوَى عَلَى قَلْبِكَ
قَدْ غَلَبَ .

فكأنكم بالدنيا قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانت
وذلت ، وبكؤوس الأسي والتأسف قد أنهلت وعلت ، وبحمول
الظاعنين على الأسف قد استقلت .
متى يُقال لهذه الغمرة التي جلت قد تجلت ، فواعجباً
لنفس ما تنبّه وقد زلت .

عين المنية يقضى غير مطرقة وطرف مطلوها مذ كان وسنان
جهلاً تمكّن منه حين مولده فالنطق صاح ولب المرء سكران
قال أحد العلماء : وجدت الدنيا شيئين فشيء منها هو لي
فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض .
وشيء منها هو لغيري فلم أنله فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي
يمنع الذي لي من غيري كما يمنع الذي لغيري مني ففي أي
هذين أفني عمري .

ووجدت ما أعطيت من الدنيا شيئين فشيء يأتي أجله قبل
أجلي فأغلب عليه وشيء يأتي أجلي قبل أجله فأموت وأخلفه لمن
بعدي ففي أي هذين أعصي ربي عز وجل .

وعن مصعب بن عبدالله قال : سمع عامر بن عبدالله المؤذن
وهو يجود بنفسه أي في النزاع ومنزله قريب من المسجد فقال خذوا
بيدي .

ف قيل له إنك عليل ، فقال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ،
فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الامام ركعة ثم
مات . بلغ يا أخي الذين إذا سمعوا داعي الله تفلّفوا بأرديتهم
كان لتاجر صاحب أكياس عبد صالح فقال لعبده : افتقدنا
بعض الأكياس ففتش لعلك تجدّها فلما لم يجدّها ، قال لعبده :

أَتَعْرِفُ مَنْ هِيَ عِنْدَهُ قَالَ لَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ حَضَرَتِ الصَّلَاةَ فَصَلَّ
التَّاجِرُ وَتَذَكَّرَهَا فِي صَلَاتِهِ وَبَعْدَ إِنتِهَاءِ الصَّلَاةِ قَالَ لِمَلُوكِهِ : لَقَدْ
ذَكَرْتُ مَنْ هِيَ عِنْدَهُ عِنْدَ فُلَانٍ أَذْهَبُ فَأَتِ بِهَا .

فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا عَمُّ أَنْتَ فِي صَلَاتِكَ كُنْتُ طَالِبَ أَكْيَاسٍ
أَوْ طَالِبَ خَالِقٍ .

فَأَعْتَقَهُ حَيْثُ نَبَّهَهُ لِلْخَلَلِ فِي صَلَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَا
يُحَاسِبُ عَنْهُ الْعَبْدُ .

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ تَفْرِقَةِ
الْقَلْبِ ، قِيلَ وَمَا تَفْرِقَةُ الْقَلْبِ ، قَالَ : أَنْ يَوْضِعَ لِي فِي كُلِّ وَادٍ مَالٌ .
وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ
تَمْتَلِيءُ قُلُوبُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا فَلَا تَدْخُلُهُ الْخُشْيَةُ .
عَنْ مَجَاهِدٍ قَالَ : مَرَرْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ عَلَى خَرَبَةِ فَقَالَ :
يَا مَجَاهِدُ نَادِ يَا خَرَبَةَ مَا فَعَلَ أَهْلُكَ أَيْنَ أَهْلُكَ قَالَ فَنَادَيْتُ فَقَالَ ابْنُ
عُمَرَ : ذَهَبُوا وَبَقِيَتْ أَعْمَاهُمْ .

وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ : مَرَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مَرْبَلَةَ
فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا فَكَأَنَّ أَصْحَابَهُ تَأَذَّوْا بِهَا فَقَالَ : هَذِهِ دُنْيَاكُمْ الَّتِي
تَحْرَصُونَ عَلَيْهَا .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ
السَّمَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا لَخِفْتُ أَنْ
أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْوَاحِدَ .

وَلَوْ نَادَى مُنَادٍ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ النَّارَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا
لرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْوَاحِدَ .

وَقَالَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ أَنِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَلَا أُدْرِي

إلى أيتها يؤمر بي لإخترت أن أكون رَمَاداً قبل أن أعلم إلى أيتها
أصير .

وعن عَوْنِ بن ذكوان قال : صَلَّى بنا زرارةُ بنُ أوفى صلاةَ
الصبحِ فقرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ ﴾
فخر مَغْشِيًا وَكُنْتُ فِيْمَنْ حَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ .

وقال عبد الأعلى التيمي : شَيْثَانٌ قَطَعَا عَنِي لِدَاتِ الدُّنْيَا
ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ .

أتى رجل إلى خِيَّاطٍ لِيَخِيْطَ لَهُ ثَوْبًا ، فَاجْتَهَدَ الْخِيَّاطُ لِتَكُونَ
الْخِيَّاطَةُ جَيِّدَةً وَمُتَقَنَّةً .

ولما جَاءَ صَاحِبُ الثَّوْبِ أَعْطَاهُ الْأَجْرَةَ وَأَخَذَ الثَّوْبَ وَذَهَبَ .
وفي اليوم الثاني عاد الرجل وأتى الخِيَّاطَ وقال له وَجَدْتُ فِي
الْخِيَّاطَةِ بَعْضَ الْعُيُوبِ وَأَرَاهُ إِيَّاهَا .

فَبَكَى الْخِيَّاطُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ مَا قَصَدْتُ أَنْ أَحْزِنَكَ وَأَنَا
رَاضٍ بِالثَّوْبِ .

فقال له الخِيَّاطُ : لَيْسَ عَلَيَّ هَذَا أَبْكَى لِأَنِّي عَمِلْتُ جُهْدِي
لَأَتَقِنَ لَكَ الْخِيَّاطَةَ ثُمَّ خَرَجْتُ هَذِهِ الْعُيُوبَ فَأَنَا أَبْكَى عَلَى طَاعَتِي
لِرَبِّي وَقَدْ اجْتَهَدْتُ بِهَا عُمُرِي فَكَمْ فِيهَا مِنَ الْعُيُوبِ .
تأمل يا أخي هذا التفكير لله دره .

وعن أبي عثمان النهدي قال : تَضَيَّفْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ سَبْعًا فَكَانَ
هُوَ وَإِمْرَأَتُهُ يَتَعَقَّبُونَ اللَّيْلَ اثْلَاثًا .

يُصَلِّي هَذَا ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا ، وَيُصَلِّي هَذَا ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا .
وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة ، قال ما وَجَعُ أَحَبَّ
إِلَيَّ مِنَ الْحُمَّى لِأَنَّهَا تُعْطَى كُلَّ مَفْصِلٍ قِسْطَهُ مِنَ الْوَجَعِ وَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يُعْطَى كُلَّ مَفْصِلٍ قِسْطَهُ مِنَ الْأَجْرِ .

عن عبدالرحمن بن مهدي قال : ليلة بات سفيان عندي فلما اشتد به الأمر جعل يبكي فقال له رجل : يا أبا عبدالله أراك كثير الذنوب .

فرفع شيئاً من الأرض فقال : والله لذنوبي أهون عندي من ذا إني أخاف أن أسلب الأيمان قبل الموت .

قال ابن القيم :

والله ما خوفي الذنوب فإنها لعلى سبيل العفو والغفران
لكنها أخشى أنسلاخ القلب من تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضاً بآراء الرجال وخرصها لا كان ذاك بمنه المنان

قال وهيب : عجباً للعالم كيف تُجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات .

وعن وهيب يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وعظمتي ما من عبد أثر هوائي على هواه إلا أقللت همومه وجمعت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر .

وعزتي وعظمتي وجلالي ما من عبد أثر هواه على هوائي إلا كثرت همومه وفرقت عليه ضيعته ونزعت الغنى من قلبه وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبالي في أي أوديتها هلك .

وعن وهيب قال : بلغني أن موسى عليه السلام قال : يارب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك .

فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتني أهيبك له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذلك آية رضاي عنه .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

وعن حفص بن ميسرة قال : قال أبو حازم عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مَرَحَلَةً ، ويدعون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مَرَحَلَةً .

وقال : شيئان إذا عملت بهما أصبت خير الدنيا والآخرة ، تحمل ما تكره إذا أحبه الله ، وتترك ما تحب إذا كرهه الله .

وقال : يسير الدنيا يشغل عن كثير من الآخرة .

وقال : ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدّمه اليوم ، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم .

حج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال : نشدتك بالله ألسنتُ أعملُ بالحق ألسنتُ تراني أعدلُ .

فقال ابن أبي ذئب أما إذا نشدتك بالله ، فأقول : اللهم لا أراك تعدل ، وإنك لجائر ، وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير .

قال محمد بن عمر فحدثني محمد بن إبراهيم بن يحيى وأخبرت عن عيسى بن علي قالوا فظننا أن أبا جعفر سيُعاجله بالعقوبة فجعلنا نلفُ إلينا ثيابنا مخافة أن يُصيبنا من دمه .

فجزع أبو جعفر واغتم وقال له : قم فاخرج .

تأمل يا أخي هل يوجد هذا الطراز ممن لا تأخذهم في الله لومة لائم أظنه معدوم في هذا الوقت ما فيه اليوم من يصدع بالحق فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

دخل عمرو بن عبید على المنصور فقال : أن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر منه نفسك ببعضها وإني لأحذرُك ليلة تتمحضُ صبيحتُها عن يوم القيامة .

ثم قال له عن حاشيته : إن هؤلاء اتخذوك سُلماً لشهواتهم .
فأنت الآخذُ بالقرنين وهم يَحْلُبُونَ .
فاتق الله فإنك ميّتٌ وخذك ومحاسبٌ وخذك ومبعوثٌ وخذك
ولن يُغنوا عنك هؤلاء من ربك شيئاً .
فقال له : أعني بأصحابك فأستعين بهم دون هؤلاء فردّ عليه
أظهر الحق يتبعك أهله .

فقال له : ألك حاجةٌ قال : نعم قال : ما هي قال : ألا
تبعث إليّ حتى آتيك قال : إذا لا نلتقي قال : عن حاجتي سألت
ثم ذهب .

قال الحجاج ليحيى بن يعمر : ما تقول في واسط (مدينة
بناها الحجاج) فقال له : ما أقول فيها وقد بنيتها من غير مالك
وسيسكنها غير أهلِكَ .
فقال له الحجاج في غيظٍ وغضبٍ : ما حملك على ما قلت
قال : ما أخذ الله تعالى على العلماء من العهد إلا يكتُموا الناس
حديثاً .

فقال له : ألم تخش سيفَ الحجاج ؟
فقال : لقد ملأتني خشيةُ الله جل وعلا فلم تدع مكاناً
لخشيةِ سواه .

وقيل إن الحجاج خطب يوماً فقال : أيها الناس الصبر عن
محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله فقام إليه رجل فقال له :
ومحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك تفعل ما تفعل وتقول
مثل هذا الكلام خبثت وضل سعيك .
فقال للحرس ؛ خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما

الذي جرأك علي؟ فقال : ومحك يا حجاج أنت تجترى على الله
ولا أجترى عليك ومن أنت حتى لا أجترى عليك وأنت
تجترى على رب العالمين ؟ فقال : خلوا سبيله فأطلق .

ودخل العز بن عبد السلام على السلطان فوعظه وشدد في
الموعظة فعاتبه ولده في ذلك فقال له : هذا إجتماع لله فلا أكدره
بشيء من عرض الدنيا .

يا بني لقد رأيت السلطان في تلك العظمة ، فأردت أن
أهينه لئلا تكبر نفسه عليه فتؤذيه .

ولقد استحضرت هيبته الله تعالى إذ أخاطبه .

فصار السلطان أقل من القط .

ولو كانت بنفسي لديه حاجة من حاجات الدنيا لرأيت الدنيا

كلها .

وأجبر أحد العلماء على أن يدخل على ملك مصر وطلب منه

أن يلبس ملابس خاصة فابى .

وقال : كيف أتجمل له بلباس لا أتجمل به لربي في

الصلاة .

دخل عبادة الخواص على إبراهيم بن صالح وهو أمير

فلسطين فقال له : يا شيخ عظمي فقال : بم أعظك أصدحك الله

بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما

يُعرض على رسوله ﷺ من عملك فبكي حتى سألت دموعه على

لحيته .

وقال مالك : وجه إلى الرشيد أن أحدثه فقلت يا أمير

المؤمنين إن العلم يؤتى ولا يأتي فصار إلى منزلي فاستند إلى الجدار

معي .

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِجْلَالَ ذِي
الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ فَقَامَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ قَالِ فَقَالَ بَعْدَ مُدَّةٍ يَا أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ تَوَاضَعْنَا لِعِلْمِكَ فَانْتَفَعْنَا بِهِ ، وَتَوَاضَعَ لَنَا عِلْمُ سُفْيَانَ بْنِ
عُيَيْنَةَ فَلَمْ نَنْتَفِعْ بِهِ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَاجِبًا جَاءَهُ
مَالِكُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ ابْنِيهِ الْهَادِيَّ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ أَنْ
يَسْمَعَا مِنْهُ فَطَلَبَاهُ إِلَيْهِمَا فَامْتَنَعَ .

فَعَاتَبَهُ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَلْعِلْمِ
نُضَارَةٌ ، يُؤْتَى أَهْلَهُ .

وَفِي رِوَايَةِ الْعِلْمِ أَهْلٌ أَنْ يُوقَّرَ وَيُوقَّرَ أَهْلُهُ فَأَمَرَهُمَا وَالِدُهُمَا
بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ مُؤَدَّبُهُمَا أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ : إِنْ أَهْلَ هَذِهِ
الْبَلَدَةِ يَقْرَءُونَ عَلَى الْعَالَمِ كَمَا يَقْرَأُ الصِّبْيَانُ عَلَى الْمُعَلِّمِ فَإِذَا أَخْطَوْا
أَفْتَاهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَعَاتَبَهُ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ ابْنَ شِهَابٍ يَقُولُ سَمِعْنَا هَذَا الْعِلْمَ مِنْ رِجَالٍ فِي
الرُّوَضَةِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ وَأَبُو سَلْمَةَ وَعُرْوَةَ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسَالِمِ
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَدَّ آخَرِينَ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْرَءُونَ فَقَالَ
الْمَهْدِيُّ فِي هَؤُلَاءِ قَدْوَةٌ صِيرُوا إِلَيْهِ فَأَقْرَؤْا عَلَيْهِ .

أَرَادَ الْوَلِيدُ أَنْ يُولِيَ يَزِيدَ بْنَ مَرْثَدٍ الْقَضَاءَ فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدُ
فَلَبَسَ فَرَوَةَ وَقَلَبَهَا فَجَعَلَ الْجِلْدَ عَلَى ظَهْرِهِ وَالصُّوفَ خَارِجًا وَأَخَذَ
بِيَدِهِ رَغِيفَ (أَيِ خُبْزَةٍ) وَعَرَقًا (أَيِ عَظْمٍ عَلَيْهِ لَحْمٌ) وَخَرَجَ بِلا
رِءَاءٍ وَلَا قَلَنْسُوَةَ (أَيِ أَصْلَعِ الرَّأْسِ) وَلَا نَعْلٍ وَلَا خُفٍّ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ وَيَأْكُلُ .

فَقِيلَ لِلْوَلِيدِ إِنَّ يَزِيدَ قَدْ اخْتَلَطَ (أَيِ خَرَّفَ) وَأَخْبَرَ بِهَا فَعَلَّ
فَتَرَكَهُ الْوَلِيدُ .

قُلْتُ وَفِعْلُ يَزِيدُ يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ تَبَعَةِ الْقَضَاءِ لِأَنَّ الْقَضَاءَ فِيهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ يَحْرَمُ عَلَى مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَلَمْ تَجْتَمِعْ فِيهِ شُرُوطُهُ الدَّخُولُ فِيهِ .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ » وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « مَنْ وُلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذَبَحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ » وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « لِيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطٍ » .

وَفِي لَفْظِ يُدْعَى الْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمُرِهِ قَطٍ .
تَرَكَ خَلْفُ الْبَزَّازِ الرَّوَايَةَ عَنِ الْكِسَائِيِّ فَلَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَسْتَاذَهُ وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي تَصْنِيفِهِ كِتَابِ الْقِرَاءَاتِ وَلَمَّا أَنْ ضَايَقُوهُ لَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ .

قَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ ، قَالَ لِي سَيِّدِي الرَّشِيدُ فَقُلْتُ :
إِنْ إِنْسَانًا مِقْدَارُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ أَنْ يُجَلَّ أَهْلُهَا هَذَا الْإِجْلَالُ لِحَرِيٍّ أَنْ لَا يُؤْخَذَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ .

قُلْتُ : لِلَّهِ دَرَّةٌ حَيْثُ لَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ لِمَنْ يُعَظِّمُ الدُّنْيَا .
فَانظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى شِدَّةِ وَرَعِهِمْ وَتَرْفُعِهِمْ وَتَنْزُهُهِمْ عَنِ مَخَالَطَةِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الدُّنْيَا .

وَصِيَانَةُ الْعِلْمِ وَإِعْزَازُهُ وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ وَالصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ عَظَّمَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلَهُ .

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْمَأْمُونِ كَانَ يَمْشِي فِي النَّاسِ فَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ دُونَ أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا مِنْ قِبَلِ الْخَلِيفَةِ .
فَاسْتَدْعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهُ لِمَ تَأْمُرُ وَتَنْهَى وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ

إلينا ونحن الذين قال الله فيهم ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ .
فقال الرجل صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه .

ولا يُنكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وقال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف فإمض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا وهكذا حين أحسن الرجل الاحتجاج بالقرآن والسنة انقطعت حجة المأمون .

ولم يجد بداً من إقرار الرجل على طريقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعكس هذا الرجل دخل واعظ على المأمون فوعظه وأغلظ عليه في القول .

فقال له المأمون : يارجل ارفق فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق .

بعث موسى وهارون إلى فرعون ، فأوصاهما بقوله : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .
وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى لأن الدليل معه .

بعث الأمير طاهر بن عبد الله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله ، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل ، فوضع كيس الدراهم بين يديه .

فقال : بَعَثَ الأميرُ طاهرُ بهذا المالِ إليك لتُنْفِقَهُ على أَهْلِكَ
فقال خُذْهُ خُذْهُ لا أحتَاجُ إليه فإنَّ الشمسَ قد بَلَغَتْ رُؤُوسَ
الحِيطانِ وإنما تَغْرِبُ بَعْدَ سَاعَةٍ وأنا قد جَاوَزْتُ الثمانينَ سَنَةَ إلى مَتَى
أَعِيشُ .

فرد المال ولم يَقْبَلْ فأخَذَ الرسولُ المالَ وَذَهَبَ ودخَلَ على
الشيخِ ابنه وقال : ياأبتِ ليس لنا الليلة خبز .

قال فذهب بعض أصحابه خلف الرسول ليرد المال إلى
صاحبه خوفاً من أن يَذْهَبَ ابنُه خلفَ الرسولِ فيأخذَ المالَ .

وقال أحدُ الزُّهادِ للمَنصُورِ : أذكرُ ليلةً تَبَيَّتُ في القبرِ لم تَبْتَ
لَيْلَةً مثلها ، واذكرُ لَيْلَةً تَمَخَّضُ عن يومِ القيامةِ لا ليلةً بَعْدَها .
فأفحَمَ المنصورُ قولَه فأمرَ له بِهالِ فَرَدَّهُ وقال : لو احتَجَجْتُ
إلى مالِكَ ما وَعَظْتُكَ .

وقال لابنه لما وُلِّاه العَهْدَ : إسْتَدِمِ النعمةَ بالشكر ، والقدرةَ
بالعفو ، والنصرَ بالتواضع ، والتألفَ بالطاعة ، ولا تَنْسَ نصيبك
من الدنيا ، ونصيبك من رحمة الله ، وقال للربيعِ ويحك لقد رأيتُ
مَناماً هالني رأيتُ قائلاً وَقَفَ في بابِ هذا القصرِ يقول :

كأني بهذا القصرِ قد بادَ أهْلُهُ وأوحشَ منه أهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
وصارَ رَئيسُ القصرِ من بَعْدِ بَهْجَةٍ إلى جَدَثٍ يُبْنِي عليه جَنادِلُهُ

وكان ابنُ أبي ذئبٍ جالساً في المسجدِ النبوي الشريفِ في
المدينة فدخل أميرُ المؤمنين المهدي فلم يَبْقَ أحدٌ إلا قام .

فلما وَصَلَ إلى ابنِ أبي ذئبٍ لم يَقُمْ .
قال المسيبُ بن زهير : قَمَّ هذا أميرُ المؤمنين فقال : إنما يقوم
الناسُ لِربِّ العالمين .

فقال المهدي : دَعُهُ فَلَقَدْ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِي .
فهكذا العلماء المخلصون الذين يحفظ الله بهم الاسلام
ويرفع الله بهم المسلمين .
تأمل يا أخي هل يُوجَدُ في زَمَنِنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ مَا أَظُنُّ يُوجَدُ وَلَا
رَقْمَ ثَلَاثَةَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فَإِنْ قُلْتُ زَنَدَ الْعِلْمَ كَابُ فَإِنَّمَا كَتَبِي حَيْثُ لَمْ تُحْمَى جِمَاهُ وَأَظْلَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِهِمْ وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل في فوائد ومواعظ متنوعة]

قال وهيبُ بنُ الوَرْدِ ، لو أن علماءنا عفا الله عنا وعنهم
نصحووا لله في عباده ، فقالوا : يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم عن
نبيكم ﷺ وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به .
ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفسلة ، كانوا قد نصحووا لله في عباده ،
ولكنهم يابون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنهم وما هم فيه .

وكان عيسى بن مريم يقول : يامعشر العلماء مثلكم مثل
الدَّفْلِ يُعْجَبُ وَرَدُّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَيَقْتُلُ طَعْمُهُ مَنْ أَكَلَهُ .
كلامكم دواء يُبرئ الداء وأعمالكم داء لا يقبل الدواء .
والحكمة تُخْرِجُ مِنَ أَفْوَاهِكُمْ وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آذَانِكُمْ إِلَّا
أَرْبَعُ أَصَابِعٍ ثُمَّ لَا تَعِيهَا قُلُوبِكُمْ .
معشر العلماء كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام

لِيُخْبِرَ بِهِ وَلَا يَطْلُبُهُ لِيَعْمَلَ بِهِ .
الْعِلْمُ فَوْقَ رُؤُسِكُمْ وَالْعَمَلُ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ .
فَلَا أَحْرَارٌ كِرَامٌ وَلَا عَبِيدٌ أَتْقِيَاءُ .

أَهْلُ الْمَشَاغِلِ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
لَوْ أَنَّهُمْ قَنَعُوا بِمَا يُبَلِّغُهُمْ
تَفَوُّتُ الدَّارِ الْآخِرَى وَهِيَ فَانِيَةٌ
لَا دَارَ لَهُمْ لَهْمُوا فِي الدَّهْرِ بَاقِيَةٌ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ سَاهُونَ لَاهُونَ
لَعَجَّلُوا رَاحَةَ مَا يُقَاسُونَ
يَاوِيْلَ عُشَاقِهَا بِمَا يُلَاقُونَ
كَلَّا وَلَا هُمْ لَهَا فِي الدَّهْرِ بَاقُونَ

وقال بعض العلماء : إَعْلَمُ أَنَّ لِلْعَالِمِ الْعَامِلِ بَعْلَمَهُ حَقِيقَةً
عَلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ تُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ اللِّسَانِ الْمَخْلُطِينَ الْمُتَبَعِينَ
لِلْهَوَى الْمُؤَثِّرِينَ لِلدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ .

فَمِنْ عَلَامَاتِ الْعَالِمِ الْحَقِيقِيِّ الْمُمْتَازِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعاً
خَائِفاً وَجَلالاً مُشْفِيقاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ زَاهِداً فِي الدُّنْيَا قَانِعاً
بِالْيَسِيرِ مِنْهَا بَعِيداً عَنِ الْحَسَدِ وَالْعُجْبِ وَالغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ .

مُلْتَمِساً لِلْفُقَرَاءِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمْ الْخَالِيَةِ بِيُوتِهِمْ مِنَ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدٌ وَلَا مَسَاكِنٌ لِيُسَعِفَهُمْ بِهَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ
مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ .

نَاصِحاً لِعِبَادِ اللَّهِ شَفِيقاً عَلَيْهِمْ رَحِيماً بِهِمْ ، أَمراً بِالْمَعْرُوفِ
فَاعِلاً لَهُ وَنَاهِياً عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَجُتُنْباً لَهُ وَمُسَارِعاً فِي الْخَيْرَاتِ مُلَازِماً
لِلْعِبَادَاتِ .

دَالاً عَلَى الْخَيْرِ دَاعِياً إِلَى الْهُدَى ، ذَا صَمْتٍ وَتَوَادَةٍ وَوَقَارٍ
وَسَكِينَةٍ .

حَسَنُ الْأَخْلَاقِ ، وَاسِعَ الصَّدْرِ ، لِيَنَّ الْجَانِبَ ، مَخْفُوضِ
الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، لَا مَتَكَبِرًا ، وَلَا مُتَجَبِّرًا ، وَلَا طَامِعًا فِي النَّاسِ ،
وَلَا حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَا مُؤَثِّرًا لَهَا عَلَى الْآخِرَةِ .

وَلَا مِنْهَمَكَا بِجَمْعِ الْمَالِ ، وَلَا مَانِعًا لَهُ عَنْ حَقِّهِ ، وَلَا فِظًا
وَلَا غَلِيظًا ، وَلَا تُمَارِيًا ، وَلَا مُخَاصِمًا بِالْبَاطِلِ ، وَلَا سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ ،
وَلَا ضَيِّقَ الصَّدْرِ .

وَلَا مُدَاهِنًا ، وَلَا مُخَادِعًا ، وَلَا غَشَّاشًا ، وَلَا مُقَدِّمًا لِلْأَغْنِيَاءِ
عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَلَا مُرَائِيًا ، وَلَا مُجَبِّلاً لِلْوَلَايَاتِ .

وَبِالْجَمَلَةِ فَيَكُونُ مُتَّصِفًا بِجَمِيعِ مَا يَحْتَسِبُهُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ ، مُؤْتَمِرًا بِهَا بِأَمْرَانِهِ بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ .

مُجَانِبًا لِمَا يَنْهَى عَنْهُ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ
الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ الْمَذْمُومَةِ .

وَهَذِهِ صِفَاتٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ وَيَتَحَلَّى بِهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ، إِلَّا
أَنَّ الْعَالِمَ وَطَالِبَ الْعِلْمِ أَوْلَى أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا وَيَحْفَظَ عَلَيْهَا
وَيَدْعُو إِلَيْهَا .

وَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَعَ الْعَامَّةِ فِي حَالِ مَخَالَطَتِهِ
لَهُمْ فِي بَيَانِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ وَنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ وَذِكْرِ الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ .

وَيَكُونُ كَلَامُهُ بِعِبَارَةٍ يَعْرِفُونَهَا وَيَفْهَمُونَهَا ، وَيَبِينُ لَهُمُ الْأُمُورَ
الَّتِي هُمْ مَلَابِسُونَ لَهَا .

ولا ينبغي له أن يسكت حتى يسأل وهو يعلم أنهم محتاجون إليه ، أو مضطرون له والله الموفق .

وقال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد : كيف أصبحت فبكي وقال : أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة وموئل لست أدري علام أهجم ثم بكى .

الأيام ثلاثة : فأمس حكيم مؤدب ترك حكمته وأبقاها عليك ، واليوم صديق مؤدع كان غنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته ، وهو عنك سريع الفراق ، وغداً لا تدري أكون من أهله أو لا تكون .

وكان يقال من أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه ، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه ، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به .

وقال بعضهم لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة .

ف قيل له قد جاء في الوحدة ما جاء قال لا تُفسد إلا جاهلاً .
قيل كان مبدؤ توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاءك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بل في كل يوم وليلة وتسلمي كما تبلى وأنت حبيب
آخر : لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

فَهُمْ جِيزَةٌ الْأَمْوَاتِ أَمَا مَزَارُهُمْ فَذَانِ وَأَمَّا الْمُلتَقَى فَبِعَيْدُ
 وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا وَافَقَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ قَالَ : نَقَصَتْ الْأَعْمَارُ
 بَعْدَكَ وَاقْتَرَبَتْ الْأَجَالُ مَا فَعَلَ جِيرَانِكَ (يَعْنِي أَهْلَ الْقُبُورِ) وَلَعَلَّ
 مَسْكَنَهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَقْبَرَةِ . قُلْتُ وَفِي عَصْرِنَا مَنْ الَّذِي فَازَ فِي الْكُورَةِ
 وَمَا الَّذِي ظَهَرَ فِي التَّلْفَازِ ؟

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فِتْلِكَ دِيَارُهُمْ
 وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا بِمَنْزِلِ وَأَهْلِ الثَّرَى نَحْوَ الْمَقَابِرِ شُرْعًا
 عَلَى ذَاكَ مَرَّوًا أَجْمَعُونَ وَهَكَذَا فَلَا تَحْسِبَنَّ الْوَفْرَ مَالًا جَمَعْتَهُ
 وَلَيْسَ الَّذِي يَبْقَى الَّذِي أَنْتَ جَامِعٌ قَضَى جَامِعُوا الْأَمْوَالِ لَمْ يَتَزَوَّدُوا
 بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا وَمَا بَيْنَ مِيلَادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ
 لِأَنَّ الَّذِي يَأْتِي كَمِثْلِ الَّذِي مَضَى فَصَبْرًا عَلَى الْأَوْقَاتِ حَتَّى تُحَوزَهَا
 وَلَمْ تَرَ فِي الْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ عَلَيْهَا بِجَالِ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ
 عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَنَاءِ لَهُ قَبْرٌ وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِمْ نَشْرٌ
 يَمُرُّونَ حَتَّى يَسْتَرِدَّهُمُ الْحَشْرُ وَلَكِنَّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفُرُ
 وَلَكِنَّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْهُ هُوَ الذُّخْرُ سِوَى الْفَقْرِ يَا بؤْسًا لِمَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ
 وَتَذَكَّرْ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذُّكْرُ إِذَا نَصَحَ الْأَقْسَامُ أَنْفُسَهُمْ عُمُرُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الضِّيقِ النَّزْرُ فَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَهَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

قال بعض العلماء :

إِذَا بَلَغَكَ عَنْ صَدِيقٍ لَكَ مَا تَكْرَهُ فَإِيَّاكَ أَنْ تُبَادِرَهُ بِالْعَدَاوَةِ
 وَقَطْعِ الْوِلَايَةِ فَتَكُونُ مِمَّنْ أزالَ يَقِينَهُ بِشُكِّكَ .
 وَلَكِنْ إلقَهُ وَقُلْ لَهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا واحذرْ أَنْ تُسَمِّيَ

لَهُ الْمُبْلَغُ ، فَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَاغْفُ عَنْهُ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا .

وَإِنْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ فَرَأَيْتَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجْهًا لِعُذْرِ فَاقْبَلْ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ تُرِدْ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ مَاذَا أَرَدْتَ بِهَا بَلِّغْنِي عَنْكَ ، فَإِنْ ذَكَرَ مَا لَهُ وَجْهٌ مِنَ الْعُذْرِ فَاقْبَلْ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَرَ لِدَلِيلِكَ وَجْهًا لِعُذْرِ وَضَاقَ عَلَيْكَ الْمَسْلُوكُ فَحِينَئِذٍ أَثْبِتْهَا عَلَيْهِ .

ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْخِيَارِ إِنْ شِئْتَ كَافَأْتَهُ بِمِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ ، وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْتَ عَنْهُ ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَأَبْلَغُ فِي الْكَرَمِ ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .
فَإِنْ نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ بِالْمُكَافَأَةِ ، فَافْكِرْ فِيهَا سَبَقَ لَدَيْكَ مِنَ الْإِحْسَانِ فَعَاجِلْ لَهُ إِحْسَانًا بِهَذِهِ السَّيِّئَةِ ، وَلَا تَبْخَسْ بَاقِي إِحْسَانَهُ السَّالِفِ بِهَذِهِ السَّيِّئَةِ فَإِنَّهُ ظَلَمَ .

[فَوَائِد]

قَبُولُ السَّعَايَةِ شَرٌّ مِنَ السَّعَايَةِ لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَالْقَبُولُ إِجَازَةٌ وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبَلَ وَأَجَازَ .
قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَا تُنْزِلَنَّ حَاجَتَكَ بِمَنْ أَغْلَقَ دُونَكَ أَبْوَابَهُ وَجَعَلَ عَلَيْهَا حُجَّابَهُ .

وَلَكِنْ أَنْزِلْهَا بِمَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمْرَكَ أَنْ تَدْعُوهُ وَضَمِنَ لَكَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكَ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَدْعُونِي أُسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ .

لَا تَسْأَلَنَّ إِلَى ابْنِ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ

الله يُغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَى آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يُغْضَبُ
قِيلَ إِنَّهُ عَرَضَ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا الْقَضَاءُ فَأَبَى وَلَمَّا أَلْحَ عَلَيْهِ لِقَبُولِ الْقَضَاءِ مُذَكِّراً إِيَّاهُ بِأَنْ أَبَاهُ
كَانَ يَقْضِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنْ أَبِي كَانَ يَقْضِي فَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَإِذَا أَشْكَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَأَلَ جَبْرِيلَ وَإِنِّي لَا أَجِدُ
مَنْ أَسْأَلُ .

وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍوَ إِذَا أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ يَقْرِبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَكَانَ عَبِيدَهُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ ذَلِكَ فَرَبِمَا لَزِمَ أَحَدَهُمْ الْمَسْجِدَ فَإِذَا
رَأَاهُ ابْنُ عَمْرٍوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَعْتَقَهُ .

فَيُقَالُ لَهُ : إِنَّهُمْ يَخْدَعُونَكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ
إِنْ خَدَعْنَا لَهُ .

وَكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ يَجِبُهَا كَثِيراً فَأَعْتَقَهَا وَزَوْجَهَا لِمَوْلَاهُ نَافِعٌ وَقَالَ :
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ .
وَاشْتَرَى مَرَّةً بَعِيراً فَأَعْجَبَهُ لِمَا رَكَبَهُ فَأَدْخَلَهُ فِي إِبْلِ الصَّدَقَةِ .
وَأَعْطَاهُ ابْنُ جَعْفَرٍ فِي نَافِعِ عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَقَالَ : أَوْخَيْرَ مَنْ
ذَلِكَ هُوَ حَرُّ لَوْجِهِ اللَّهُ تَعَالَى .

وَاشْتَرَى مَرَّةً غَلاماً بِأَرْبَعِينَ أَلْفاً وَأَعْتَقَهُ ، فَقَالَ الْغَلامُ : يَا
مَوْلَايَ قَدْ أَعْتَقْتَنِي فَهَبْ لِي شَيْئاً أَعِيشُ بِهِ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفاً .
وَاشْتَرَى مَرَّةً خَمْسَةَ عَبِيدٍ فَقَامَ يَصِلِي فَقَامُوا خَلْفَهُ يَصِلُونَ ،
فَقَالَ : لِمَنْ صَلَّيْتُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ ؟ فَقَالُوا : لِلَّهِ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ أَحْرَارٌ ،
لِمَنْ صَلَّيْتُمْ لَهُ فَأَعْتَقْتَهُمْ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ مَا مَاتَ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ وَرَبِمَا تَصَدَّقَ فِي
الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ بِثَلَاثِينَ أَلْفاً .

وكانت تمضي عليه الأيام الكثير والشهر لا يذوق لحماً إلا وعلى يديه يتيم .

وكان يقول : لا أسأل أحداً شيئاً وما رزقني الله فلا أرد .
عن عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم -
قال : بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعسُ (أي يدور على
البيوت والأسواق يحرسُ الناسَ ويكشف عن أهل الريبة) إذ أعيأ
واتكأ على جانب جدار في جوف الليل .

وإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن
فامذقيه بالماء ، فقالت لها : يا أمّته وما علمت ما كان من عزمته
أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنية قالت : إنه
أمر منادياً فنادى أن لا يشابُ اللبن بالماء فقالت لها يا بنية قومي إلى
اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراكُ عمراً ولا منادياً
عمراً . فقالت الصبية لأُمّها يا أمّته ما كنت لأطيعه في الملاء
وأعصيه في الخلاء .

وعمر يسمعُ كل ذلك فقال : يا أسلم علم الباب واعرف
الموضع . ثم مضى في عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال يا أسلم
امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ؟ وهل لهم من
بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك
أمها وإذا ليس لهم رجل .

فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم
فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ، ولو كان بأبيكم حركة
إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة .

فقال عبد الله لي زَوْجَةٌ . وقال عبد الرحمن : لي زوجة . وقال
عاصِمُ : يا أبتاهُ لا زَوْجَةَ لي فزَوِّجني . فَبَعَثَ إلى الجارية فزَوَّجها
مِنَ عَاصِمٍ فولدت لِعَاصِمٍ بنتاً وولدت البنتُ عُمرَ بنَ عبد العزيز
رحمه الله .

تَجْهَزي بِجَهَّازٍ تَبْلُغينَ بِهِ يا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لِمَ تُخْلَقِي عَبَثًا
ولا تُكْذِبي لِمَنْ يَبْقَى وتَفْتَقِرِي إن الرَّدَ وارثُ الباقي وما ورثاً
مَنْ كان حينَ تُصِيبُ الشمسُ جَبْهَتَهُ أو العُبَّارَ يَخافُ الشَّيْنَ والشَّعْثَا
ويألفُ الظِّلَّ كَي تَبْقَى بِشاشَتِهِ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا راعِماً جَدَثًا
في قَعْرِ مُوحِشَةٍ غِبراءِ مُظْلِمَةٍ يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَى في قَعْرِها اللَّبَثَا
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

وقال في الفنون لقد عَظَمَ اللهُ الحَيوانَ لا سِيمًا ابنَ آدمَ حيثُ
أباحَهُ الشُّركَ عندَ الاكراهِ وخوفِ الضررِ على نفسه فقال جل وعلا
﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ .
مَنْ قَدَّمَ حُرْمَةَ نَفْسِكَ على حُرْمَتِهِ حتى أباحَكَ أن تَتَوَقَّى
وَتُحَامِيَ عن نَفْسِكَ بذكِره بما لا يَنْبَغِي له سبْحانَه .
فحقيق أن تُعْظِمَ شَعائِرَهُ وتُوقِرَ أوامِرَهُ وزَوَاجِرَهُ .
وعَصَمَ عِرْضَكَ بإِيجابِ الحدِّ بِقُدْفِكَ وعَصَمَ مالَكَ بِقَطْعِ
مسلم في سرقة .
وَأَسْقَطَ شَطْرَ الصَّلَاةِ لأجلِ مَشَقَّتِكَ وأقامَ مَسْحَ الخُفِّ مَقامَ

غَسَلَ الرَّجُلَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ مِنْ مَشَقَّةِ الْخَلْعِ وَاللَّبْسِ وَأَبَاحَكَ
الْمَيْتَةَ سَدًّا لِرِمْقِكَ وَحِفْظًا لِصِحَّتِكَ ، وَزَجَرَكَ عَنْ مَضَارِكَ بِحَدِّ
عَاجِلٍ وَوَعِيدٍ آجِلٍ ، وَخَرَقَ الْعَوَائِدَ لِأَجْلِكَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ إِلَيْكَ .
أَيُّحْسُنُ بِكَ مَعَ هَذَا الْإِكْرَامِ أَنْ تُرَى عَلَى مَا نَهَاكَ مِنْهُمْ كَمَا وَعَمَّا
أَمَرَكَ مُتَنَكِّبًا وَعَنْ دَاعِيهِ مُعْرِضًا وَلِسُنَّتِهِ هَاجِرًا وَلِدَاعِيهِ عَدُوًّا فِيهِ
مُطِيعًا .

يُعْظِمُكَ وَهُوَ وَتَهْمِلُ أَمْرَهُ وَأَنْتَ أَنْتَ وَهُوَ حَطَّ رُتَبَ عِبَادِهِ
لِأَجْلِكَ وَأَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ مَنْ أَمْتَنَعَ مِنْ سَجْدَةٍ يَسْجُدُ لِأَبِيكَ .
هَلْ عَادَيْتَ خَادِمًا طَالَتْ خِدْمَتُهُ لَكَ لِتَرْكِ صَلَاةٍ ، هَلْ
نَفَيْتَهُ مِنْ دَارِكَ لِلْإِنْخِلَالِ بِفَرَضٍ أَوْ لِارْتِكَابِ نَهْيٍ ، إِنْتَهَى .
قُلْتَ فِي وَقْتِنَا هَلْ أَخْرَجْتَ الْمَلَاحِي وَالْمُنْكَرَاتِ مِنْ بَيْتِكَ
هَلْ مَنَعْتَ الْأَجَانِبَ وَالْأَجْنَبِيَّاتِ سَوَاقِينَ وَخِدْمَاتٍ مِنْ بَيْتِكَ .

[فـاـئـدة]

كُلَّمَا قَوِيَتْ حَاجَةُ النَّاسِ إِلَى الشَّيْءِ وَمَعْرِفَتِهِ يَسَّرَ اللَّهُ أَسْبَابَهُ
كَمَا يُيسِّرُ مَا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ فِي أَسْبَابِهِمْ أَشَدَّ .
فَلَمَّا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى النَّفْسِ وَالْهَوَى أَعْظَمَ مِنْهَا إِلَى الْمَاءِ
كَانَ مَبْدُولًا لِكُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ .
وَلَمَّا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى الْمَاءِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْقُوَّةِ كَانَ
وَجُودُ الْمَاءِ أَكْثَرَ لِذَلِكَ .
فَلَمَّا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ أَعْظَمَ كَانَتْ آيَاتُهُ
وَدَلَائِلُ رُبُوبِيَّتِهِ وَقَدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهَا .
وَلَمَّا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ صِدْقِ الرِّسْلِ بَعْدَ ذَلِكَ
أَعْظَمَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

أَقَامَ اللهُ مِنْ دَلَائِلِ صِدْقِهِمْ وَشَوَاهِدِ نُبُوَّتِهِمْ وَحُسْنِ حَالِ مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَسَعَادَتِهِ وَنَجَاتِهِ وَبَيَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وَقُبْحِ حَالِ مَنْ خَالَفَهُمْ وَشَقَاوَتِهِمْ وَجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ مَا يَظْهَرُ لِمَنْ تَدَبَّرَ ذَلِكَ ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

قال وهيب بن الورد : بلغنا أن الخبيث إبليس تبتدى ليحيى ابن زكريا عليهما السلام فقال له : إني أريد أن أنصحك .

قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرني عن بني آدم .

قال : هم عندنا على ثلاثة أصناف ، أما صنفٌ منهم فهم أشدُّ الأصنافِ علينا نُقْبَلُ حَتَّى نَفْتِنَهُ وَنَسْتَمَكِنُ مِنْهُ .

ثم يفرع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا

منه .

ثم نعود له فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عنا .

وأما الصنفُ الآخرُ ، فهم بين أيدينا بمنزلة الكره في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا فقد كفونا أنفسهم .

وأما الصنفُ الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على

شيء .

فقال له يحيى : على ذاك هل قدرت مني على شيء ؟

قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل

أشهيه لك حتى أكلت أكثر مما تريد ففيمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها .

قال فقال له يحيى : لا جرم لا شبعت من طعام أبدا حتى

أموت .

فقال له الخبيثُ : لا جرمَ لآنصحتُ آدمياً بعدك .
إني بُليتُ بأربعِ ما سلطوا إلا لأجلِ شقاوتي وعَنائي
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى كيفَ الخلاصُ وكلُّهم أعدائي
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[مواعظ وفوائد]

ما أقبح الغفلة عن طاعة مَنْ لا يغفل عن بركٍ وعن ذكرٍ مَنْ
أمرَكَ بذكره .

قال أبو حازم : يسيرُ الدنيا يُشغلُ عن كثيرِ الآخرة ، وقال :
ما أحببتُ أن يكونَ معَكَ في الآخرة فقدمهُ اليوم ، وما كرهتُ أن
يكونَ معَكَ في الآخرة فاتركهُ اليوم .

وقال بعضهم يُوصي ابنه : إنه مَنْ قنعَ بما قسمَ الله له
استغنى ، ومَنْ داخلَ السفهاءَ حقر ، ومَنْ خالطَ العلماءَ وقر .
ومَنْ دخلَ مداخلَ السوءِ اتهم ، يا بني قلِ الحقُّ لك أو
عليك ، وإياك والنميمةُ فإنها تزرعُ الشحناء .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : مَنْ اشتاق إلى الجنة سارع إلى
الخيراتِ ومَنْ أشفق من النار انتهى عن الشهواتِ ومن تيقنَ بالموتِ
انهدمتُ عليه اللذاتِ ومَنْ عرفَ الدنيا هانتُ عليه المصائبُ .

وقال : بُدِيلُ العُقيلي مَنْ أرادَ بعمله وجهَ الله عزَّ وجلَّ أقبلَ
الله عليه بوجهه وأقبلَ بقلوبِ العبادِ إليه ، ومَنْ عملَ لغيرِ الله عزَّ
وجلَّ صرفَ الله عزَّ وجلَّ عنه وجهه وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه .

وقال محمد بن واسع : إذا أقبلَ العبدُ بقلبه إلى الله عزَّ وجلَّ
أقبلَ الله عزَّ وجلَّ إليه بقلوبِ المؤمنين .

وقال الحارث بن نبهان : سَمِعْتُ ابْنَ وَاسِعٍ يَقُولُ :
وَاصِحَابَاهُ ذَهَبَ أَصْحَابِي فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَلَيْسَ قَدْ نَشَأَ شَبَابٌ
يَصُومُونَ النَّهَارَ وَيَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ أَخٌ وَتَفَلُّ أَسْفَدَهُمُ الْعُجْبُ .

قلت فكيف لو رأى شبابَ زماننا الحالقين لِلْحَا الْمَسْبِلِينَ
لِلثِيَابِ الْمُخْنَفِسِينَ أَصْحَابِ الشُّبُنَاتِ .
سئل بعضهم هل يعرف العبد إذا تاب أن تَوْبَتَهُ قُبِلَتْ أَمْ
رُدَّتْ ، قَالَ لَا أَحْكَمُ فِي ذَلِكَ .

ولكن لذلك علامات ، إحداهما أن يرى نفسه غير
معصومة من المعصية ، ويرى في قلبه الفرح غائبا والحزن شاهداً ،
ويُقَرِّبُ أَهْلَ الْخَيْرِ ، وَيُبَاعِدُ أَهْلَ الشَّرِّ وَيَرَى الْقَلِيلَ مِنَ الدُّنْيَا
كَثِيراً .

ويرى الكثير من عمَلِ الْآخِرَةِ قَلِيلاً وَيَرَى قَلْبَهُ مُشْتَغِلاً بِمَا
ضَمِنَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَارْغَا عَمَّا ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ ، وَيَكُونُ حَافِظاً
لِللِّسَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ ، لِأَزْمِ الْغَمِّ وَالنَّدَامَةِ .

وقال يحيى بن معاذ : مِنْ أَعْظَمِ الْأَغْتِرَارِ عِنْدِي التَّهَادِي فِي
الدُّنُوبِ عَلَى رَجَاءِ الْعَفْوِ مِنْ غَيْرِ نَدَامَةٍ ، وَتَوَقُّعِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى بِغَيْرِ طَاعَةٍ .

وَأَنْتَظَرُ زَرْعَ الْجَنَّةِ بِبَذْرِ النَّارِ وَطَلْبُ دَارِ الْمَطِيعِينَ بِالْمَعَاصِي ،
وَأَنْتَظَرُ الْجَزَاءَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَالتَّمَنِّي عَلَى اللَّهِ مَعَ الْإِفْرَاطِ .

تَرْجُوا النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا

إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ

وقال الحسن البصري : فساد القلوب متولد من ستة أشياء ، أولها : يذنبون برجاء التوبة ، ويتعلمون العلم ولا يعملون به .

وإذا عملوا لا يُخْلِصُونَ ، ويأكلون رزق الله ولا يشكرون ، ولا يرضون بقسمة الله ، ويدفنون موتاهم ولا يعتبرون .

عن أبي وائل قال : خرجنا مع عبدالله بن مسعود ومعنا الربيع بن خيثم ، فمررنا على حداد فقام عبدالله ينظر حديدة في النار .

فنظر الربيع إليها فتهايل ليسقط فمضى عبدالله ، حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات .

فلما رآه عبدالله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ﴾ إلى قوله ﴿ ثبورا ﴾ . فصعق الربيع بن خيثم فاحتملناه فجئنا به إلى أهله .

قال : ثم رابطة عبدالله إلى الظهر فلم يُفِقْ ، ثم رابطة إلى العَصْرُ فلم يفق ، ثم رابطة إلى المغرب فلم يُفِقْ ، ثم إنه أفاق فرجع عبدالله إلى أهله .

عن سعيد بن جبیر قال : إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيتك فتلك الخشية والذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن .

كتب أبو الدرداء إلى سلمان رضي الله عنهما : يا أخي اغتتم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده واغتتم دعوة المبتلى .

يا أخي ليكن المسجدُ بَيْتَكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول « المساجدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ وَقَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ بِيُوتِهِمْ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْجَوَازُ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ » حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَالْبَزَارُ وَقَالَ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

وروى عن عيسى عليه السلام : لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم ، قيل ومن الموتى قال : المحبون للدنيا .
قال بعض العلماء : من عجيب ما نَقَدْتُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ كَثْرَةَ مَا نَاحُوا عَلَى خَرَابِ الدِّيَارِ وَمَوْتِ الْأَقْرَابِ وَالْأَسْلَافِ وَالتَّحَسُّرُ عَلَى الْأَرْزَاقِ بِذَمِّ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَذِكْرِ نَكِدِ الْعَيْشِ فِيهِ .

وَقَدْ رَأَوْا مِنْ انْهْدَامِ الْإِسْلَامِ وَمَوْتِ السُّنَنِ وَظُهُورِ الْبِدْعِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَتَقْضِي الْعُمُرِ فِي الْفَارِغِ الَّذِي لَا يُجْدِي وَالْقَبِيحِ الَّذِي يُؤْبِقُ وَيُؤْذِي .

فَلَا أَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ عَلَى دِينِهِ وَلَا بَكَى عَلَى فَارِطِ عُمُرِهِ وَلَا آسَى عَلَى فَائِتِ دَهْرِهِ .
وَمَا أَرَى لِذَلِكَ سَبَبًا إِلَّا قَلَّةَ مُبَالَاتِهِمْ فِي الْأَدْيَانِ وَعِظَمَ الدُّنْيَا فِي عُيُونِهِمْ .

ضِدَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَرْضَوْنَ بِالْبَلَاحِ وَيُنُوحُونَ عَلَى الدِّينِ أَهْ .

كتب عباد الخواص إلى إخوانه يعظهم فقال : إنكم في زمان قد رق فيه الورع وقلَّ فيه الخُشُوعُ وَحَمَلِ الْعِلْمُ مُفْسِدُوهَ فَأَحَبُّوا أَنْ

يُعَرَفُوا بِحَمَلِهِ وَكَرَهُوا أَنْ يُعَرَفُوا بِإِضَاعَةِ الْعَمَلِ بِهِ فَنَطَقُوا فِيهِ
بِالْهَوَى لِيَزِينُوا مَا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ فَذَنُوبِهِمْ ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ
وَتَقْصِيرُهُمْ تَقْصِيرٌ لَا يَعْتَرَفُ بِهِ أَحْبُوبُوا الدُّنْيَا وَكَرَهُوا مَنْزِلَةَ أَهْلِهَا
فَشَارَكُوهُمْ فِي الْعَيْشِ وَزَايَلُوهُمْ بِالْقَوْلِ (أَي فَارَقُوهُمْ فِي الْقَوْلِ) .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فَصْل]

الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل إلا على
المقتفين آثار النبي ﷺ والتابعين لسنته كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

من علامات توفيق العبد أنه إذا زاد جأهه زاد تواضعه ،
وإذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده .
خمس خصال يعرف بها الجاهل : الغضب في غير شيء ،
والثقة بكل أحد ، والكلام في غير نفع ، والعظة في غير موضعها ،
ولا يعرف عَدُوَّهُ مِنْ صَدِيقِهِ .

من توفيق الله للإنسان أن يكون بين قوم صالحين ، إن أمر
بمَعْرُوفٍ آزْرُوهُ ، وإن نهى عن منكر أعانوه ، وإن احتاج إلى شيء
من الدنيا ساعده ، وإن مات دعوا له وشيعوه .

الناس أربعة أقسام منهم من مُخَالَطَتِهِ كَالْغَدَاءِ لَا يَسْتَعْنِي
عنه في اليوم والليلة وهم العلماء بالله وأمره ومكائده وأمراض
القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهؤلاء
مُخَالَطَتُهُمْ رِبْحٌ كُلُّهَا . قلت : وهؤلاء يندر وجود أحد منهم فهم

مثل الكبريت الأحمر . إن ظفرت بأحد منهم ولورقم ٢ فالزمه ليلاً
ونهاراً ونم على عتبة بابه .

الثاني : من مُخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض فما دُمّت
صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته وهم من لا يستغنى عن
مخالطتهم في مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه .

الثالث : من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه
وقوته وضعفه وهم من في خلطته ضرر ديني أو دنيوي .

ومتى ابتليت بواحد من هؤلاء فعاشره بالمعروف حتى يجعل
الله لك فرجا ومتى تمكنت من نقله إلى الخير فهي فرصة .

الرابع : من مخالطته الهلاك والدمار وهو بمنزلة السم وهم
أهل البدع والضلالة ، قلت كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة
والرافضة ونحوهم ومن أضر ما يكون في عصرنا الحالي الأشاعرة
والرافضة .

وقال رحمه الله : حذار حذار من أمرين لهما سوء العواقب ردُّ
الحق لمخالفة هَوَاكَ فَإِنَّكَ تَعَاقِبُ بِتَقْلِيْبِ الْقَلْبِ .

ورَدُّ مَا يَرُدُّ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ رَأْسًا ثَانِيًا التَّهَاوُنَ بِالْأَمْرِ إِذَا حَضَرَ
وقته فإنك تعاقب بالتشيط والاقعاد والكسل .

القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر ، فالمحبة رأسه والخوف
والرجاء جناحاه .

فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ، ومتى
قطع الرأس مات الطائر ومع عدم الجناحان فهو عرضة لكلِّ صائد
وكاسر .

الحياء خلق ناشيء عن حياة القلب ورؤية التقصير في
حقوق الله .

ويشمر الحياء إجتناّب المحرمات والقيام بالواجبات ولهذا قال النبي ﷺ « الحياء لا يأتي إلا بخير » .

كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم اغفر لي ريائي وسُمعتي

قال عون بن عبدالله صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غماً مني أن رأيتُ أحداً أحسن ثياباً مني وأطيب ريحاً مني . فصحبت الفقراء فاسترحت .

وقال ما أحسبُ أحداً تفرغ لِعيبِ الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه .

وقال جالسوا التوابين ، فإنهم أرقّ الناس قلوباً .

وقال : إن من كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم ، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم .

وقال عمرو بن مرة : من طلب الآخرة أضر بالدنيا ، ومن طلب الدنيا أضر بالآخرة ، فاضروا بالفاني للباقي وما كتب لك من الرزق سوف يأتيك .

وفي مُرادِ الهوى عَقْلٌ وتَشْمِيرُ	للناس حِرْصٌ على الدنيا وتَدْبِيرُ
فالعقلُ منهم عن الطاعاتِ مَأْسُورُ	وإن أتوا طاعةً لله رَبَّهُمْ
صَفَاءُ عِشائِهَا هَمٌّ وتَكْدِيرُ	لأجل هذا وذاك الحِرْصُ قَدْ مُزِجَتْ
لَكِنَّهُمْ رُزْقُوهَا بِالْمَقَادِيرِ	لم يُرْزَقُوهَا بعَقْلِ عِنْدَ مَا قُسِمَتْ
طَارَ البُرَاتُ بِأَقْوَاتِ العَصَافِيرِ	لو كان عن قُوَّةٍ أو عَن مُغَالِبَةٍ

كُتِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَشَاوِرُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَكَانَ الْجَوَابُ : اطلب الدنيا على قدر مكنك فيها ، واطلب الآخرة على قدر حاجتك إليها .

قيل للأحنف بن قيس ألا تأتي الأمراء ، قال : فأخرج جرة مكسورة فكبها فإذا فيها كسر (أي كسر خبز وتمر) فقال : مَنْ كَانَ يُجْزِيهِ مِثْلُ هَذَا مَا يَصْنَعُ بِإِتْيَانِهِمْ .

وقيل : كان عامر بن قيس يقول : ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما رأيت مثل النار نام هاربها .

وكان إذا جاء النهار ، قال : أذهبَ حَرُّ النَّارِ النَّوْمَ فَمَا يَنَامُ حَتَّى يُمَسِيَ وَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ : مِنْ خَافِ أَدْلَجَ ، وَعِنْدِ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السُّرَى .

وكان يقول : أَحَبِّتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُبًّا سَهَّلَ عَلَيَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ ، وَرَضَّانِي كُلَّ قَضِيَّةٍ ، فَمَا أَبَالِي مَعَ حُبِّي إِيَّاهُ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ وَمَا أَمْسَيْتُ .

لَقِيَ مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةٍ أَحَدَ إِخْوَانِهِ وَقَدْ جَاءَ مِنَ الْكَلَاءِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةٍ : مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : اشْتَرَيْتُ لِأَهْلِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : وَأَصَبْتَ مِنْ حَلَالٍ .

قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَ : لِأَنَّ أَعْدُو فِيهَا غَدَوْتَ بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَقْوَمِ اللَّيْلِ وَأَصُومِ النَّهَارِ .

قيل لحسان بن أبي سنان : كيف تجددك ؟ قال : بخير إن نجوت من النار فليل له : ما تشتهي ؟ قال : ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيى ما بين طرفيها يعنى بالتهجد وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

لَا صِحَّةَ الْمَرِيءِ فِي الدُّنْيَا تُؤَخِّرُهُ وَلَا يُقَدِّمُ يَوْمًا مَوْتَهُ الْوَجَعُ .
وكان من تجار أهل البصرة وله شريك بالبصرة وحسان مقيم بالأهواز يُجَهِّزُ عَلَى شَرِيكِهِ بِالْبَصْرَةِ ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ عَلَى رَأْسِ السَّنَةِ يَتَحَاسَبَانِ ، ثُمَّ يَقْتَسِمَانِ الرَّبْعَ ، فَكَانَ يَأْخُذُ قُوَّتَهُ مِنْ رِبْحِهِ ، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا بَقِيَ .

وكان صاحبه يبني الدور ، ويتخذ الأرضين ، قال : فقدم
 حسان البصرة ففرق ما أراد أن يفرق .
 فذكر له أهل بيت لم تكن حاجتهم ظهرت فقال : أما نُخبرنا
 فاستقرضهم ثلاثمائة درهم فبعث بها إليهم .
 وقالت إمرأته : كان يجيء فيدخل معي في فراشي ثم
 يخادعني كما تخادع المرأة صبيها .
 فإذا علم أني قد نمت سئل نفسه فخرج ، ثم يقوم فيصلي .
 فقالت له : كم تُعذب نفسك ، فقال : أسكتي ويحك
 فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانا .
 ومرة بغرفة فقال : متى بُنت هذه ثم أقبل على نفسه فقال
 تسألين عملاً يعينك لأعاقبتك بصوم سنة فصامها .
 وكان يفتح باب حانوته فيضع الدواة ، وينشر الحسب ،
 ويرخي ستره ، ثم يصلي فإذا أحس بالإنسان قد جاء يقبل على
 الحسب ، يريه أنه كان في الحسب ، خوفاً من الرياء وكان يقول :
 لولا المساكين ما انجرت .
 وقال شميظ بن عجلان : بادروا بالصحة السقم ،
 وبالفراغ الشغل .
 وبادروا بالحياة الموت ، ويقول : بئس العبد خلق للعاقبة ،
 فصدته العاجلة عن العاقبة فزالت عنه العاجلة ، وشقي في
 العاقبة .
 ويقول : أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا
 بقليل تقنع ولا بكثير تشبع .
 كيف يعمل للأخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته .

وكان يقول : العَجَبُ كل العَجَبِ لِمُصَدِّقِ بدارِ الحقِ ، وهو
يَسْعَى لِدارِ الغُرُورِ .

تُخَبِّرُنِي الْأَمَالَ أَنِّي مُعَمَّرٌ وَأَنَّ الَّذِي أَحْشَاهُ عَنِّي مُؤَخَّرٌ
فَكَيْفَ وَمَرُّ الْأَرْبَعِينَ قَضِيَّةً عَلَيَّ بِحُكْمِ قَاطِعٍ لَا يُغَيِّرُ
إِذَا الْمَرْءُ جَازَ الْأَرْبَعِينَ فَإِنَّهُ أَسِيرٌ لِأَسْبَابِ الْمَنَائِيَا وَمُعَبَّرٌ

أخـر :

أرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَإِنَّهَا لَغَايَةُ مَطْلُوبٍ لَمَنْ هُوَ طَالِبٌ
تِلَاوَةَ قُرْآنٍ وَنَفْسٍ عَفِيفَةً وَإِكْتِثَارَ أَعْمَالٍ عَلَيْهَا أَوْاطِبُ
رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَضْحَكُ وَقَدْ حُقَّ لَهُ فِي
كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مِنْ وَقُودِ النَّارِ .

مِنَ الْغُرُورِ ذِكْرُ الْحَسَنَاتِ وَنِسْيَانُ السَّيِّئَاتِ .
وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ : يَا أُولَى الْأَلْبَابِ لِيَتَفَكَّرَ مُتَفَكِّرٌ فِيهَا
يَبْقَى لَهُ وَيَنْفَعُهُ .

أَمَّا مَا وَكَلَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَتَضَيِّعُونَهُ .
وَأَمَّا مَا تَكْفَّلَ لَكُمْ بِهِ فَتَطْلُبُونَهُ مَا هَكَذَا نَعَتَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ .
أَذُوقُوا عُقُوبَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَبِلَهٍ عَمَّا خُلِقْتُمْ لَهُ فَكَمَا تَرْجُونَ
اللَّهَ بِمَا تُوَدُّونَ مِنْ طَاعَتِهِ فَكَذَلِكَ أَشْفِقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِمَا تَنْتَهِكُونَ
مِنْ مَعَاصِيهِ .

وَقَالَ : عِبَادَ اللَّهِ إَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ فِي أَيَّامٍ قِصَارٍ لِأَيَّامٍ
طَوِيلٍ ، وَفِي دَارِ زَوَالٍ لِدارِ مَقَامٍ ، وَفِي دَارِ نَصَبٍ وَحُزْنٍ لِدارِ نَعِيمٍ
وِخْلَدٍ . وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ عَلَى الْيَقِينِ فَلَا يَتَعَنَّ .

عِبَادَ اللَّهِ هَلْ جَاءَكُمْ مُخْبِرٌ يُخَبِّرُكُمْ أَنَّ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ تَقْبَلُ
مِنْكُمْ أَوْ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ غَفَرَ لَكُمْ .

قال أبو عمرو الأوزاعي : ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي مغروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة . ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا وتقطعت نفسه عليها حسرات فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم إلى يوم .
ابن آدم اعْمَلْ عَمَلْ رَجُلٍ لَا يَنْجِيهِ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ عَمَلُهُ ،
وَتَوَكَّلْ تَوَكَّلْ رَجُلٍ لَا يَصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ .

[فصل]

روى أن امرأة جاءت إلى الإمام أحمد بن حنبل تسأل وتقول : يَمُرُّ بِنَا الْعَسَسُ بِاللَّيْلِ حَامِلِينَ مَشَاعِلَ السُّلْطَانِ وَيَقْفُونَ أَمَامَ بَيْتِنَا فَهَلْ يَحِلُّ لِي أَنْ أُغْزَلَ عَلَى ضَوْءِ مَشَاعِلِهِمْ .
فقال : مَنْ أَنْتِ قَالِ أَخْتُ بَشْرِ الْحَافِي فَقَالَ : لَا يَحِلُّ لَكَ .
وروى عن الإمام النووي أنه كان يلبس من غزل زوجته ونسجها فلبس قميصاً جديداً ذات يوم فشعر بحكة شديدة واستمرت مدة اضطر معها أن يخلع القميص .
ثم سأل زوجته كيف نسجت القميص فذكرت أنها نسجت بَعْضَهُ عَلَى ضَوْءِ الشَّارِعِ فَتَصَدَّقَ بِهِ .

كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز إن قصب السكر أصابته آفة ، فاشتر السكر فيها قبلك ، قال : فاشترى من رجل ، فلم يأت عليه إلا القليل ، فإذا فيها اشترى ربح ثلاثين ألفاً .

قال : فأتى صاحب السكر فقال : يا هذا إن غلامي كان كتب إلي ولم أعلمك فأقلني فيما اشترت منك ، قال : قد أعلمتني الآن وطيبته لك

قال : فرجع حسان فلم يَحْتَمِلْ قلبه ، فأتا البائع وقال يا هذا
إني لم آتي الأمر من وجهه ، أي لأني لم يخبره أن السكر زائد .
قال حسان للبائع : فأحب أن تسترد هذا المبيع ، فما زال به
حتى رده عليه .

دَخَلَ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ حَانُوتًا بَدَانِقَ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ ثَوْبًا فَقَالَ
رَجُلٌ لِصَاحِبِ الْحَانُوتِ هَذَا ابْنُ مُحَيْرِيزٍ فَأَحْسِنْ بَيْعَهُ (أَي سَامِحُهُ)
فَغَضِبَ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ وَخَرَجَ وَقَالَ : إِنَّمَا نَشْتَرِي بِأَمْوَالِنَا لَسْنَا
نَشْتَرِي بِدِينِنَا .

حَمَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْبَخَارِيِّ بَضَاعَةَ أَنْفَذَهَا إِلَيْهِ
الْمُرَاسِلُ لَهُ فَاجْتَمَعَ التَّجَارُ إِلَى الْعَشِيَّةِ فَطَلَبُوهَا مِنْهُ بِرَبْحِ خَمْسَةِ
آلَافِ دَرَاهِمٍ .

فَقَالَ لَهُمْ : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار فطلبوا منه
تلك البضاعة بربح عشرة آلاف فردَّهم .

وقال : إني نويتُ البَارِحَةَ أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْهِمْ بِمَا طَلَبُوا يَعْنِي الَّذِينَ
طَلَبُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَفَعَلَ وَقَالَ : لَا أَحِبُّ أَنْ أَنْقُضَ نَيْتِي .

فَقَنَعَ بِرَبْحِ خَمْسَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ مُحَافَظَةً عَلَى الْنِيَّةِ وَتَرَكَ رِبْحَ
عَشْرَةِ آلَافِ الدَّرَاهِمِ تَوَرَعًا مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

قال حذيفة المرعشي : إنما هي أربعة : عينك ولسانك
وهواك وقلبك فانظر عَيْنَيْكَ لَا تَنْظُرْ بِهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ وَانظُرْ

لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافة من قلبك وانظر قَلْبَكَ لَا
يَكُنْ فِي غَلٍّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَانظُرْ هَوَاكَ لَا تَهْوِ شَيْئًا . أَي

مُخَالَفًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ .
وقال آخر : كان عشرة ممن مضى من أهل العلم لا يدخلون

بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال .

وقال آخر : ليكن عملك لله خالصاً وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وأن تتحرى في مأكلك فلا يدخُل بطنك إلا حلال .

قال حذيفة المرعشي إياكم وهدايا الفجار والسفهاء فإنكم إن قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم .

أنعم الناس عيشاً من تحلى بالعفاف ورضي بالكفاف وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف .

قال بعضهم : طوبى للفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه خراجاً في الدنيا ولا زكاة عليه وفي الآخرة خفيف الحساب .

وقال آخر : كوخ تتبسط فيه خير من قصر تبكي فيه .
ومن تمام نعمة الله عليك أن منعك ما يُطغيك ويحمئك على الكبر والجبروت .

العجب والكبرُ حمق يُغطي به صاحبه عيوبَ نفسه .
مثل الذي لا يجد ما يُفاخرُ به سوى الأباء والأجدادِ مثل البطاطا أهم ما فيه مدفون تحت الأرض .

رؤى رجل يطوف بالكعبة وحوله شرطة يمنعون الناس حوله من الطواف لأجله .

ثم رؤى بعد مدة على جسر بغداد يسأل الناس فعجب منه الذي رآه وسأله فقال : تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه ، فأذلي في موضع يترفع الناس فيه .

مر الحسن بصبيان يأكلون كسر الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فاطعمهم وكساهم .

وقال الفضل لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونا ونحن نجد أكثر مما أعطيناهم .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطوف على العجائز
يقضي حوائجهن ، وقبله الصديق كان يتفقد ضعفاء المسلمين .
وقد ذكرنا عنها في الموارد من القصص ما فيه كفاية .

مَشِيْبُ النَوَاصِي لِلْمُنُونِ رَسُوْلُ
فَصِيْحُ إِذَا نَادَى وَإِنْ كَانَ صَامِتًا
فَوَاعَجِبًا مِنْ مُوقِنٍ بِفَنَائِهِ
أَمِنْ بَعْدَ مَا جَاوَزَتْ سَبْعِينَ حِجَّةً
أَوْمِلُ أَمَالًا وَأَرْغَبُ فِي الْغِنَى
وَإِنْ أَمْرًا دُنْيَاةً أَكْبَرُ هَمِّهِ
فَكَمْ عَالِمٍ وَالْجَهْلُ أَوْلَى بِعِلْمِهِ
وَكَمْ مِنْ قَصِيْرٍ فِي عُلُوْمٍ كَثِيْرَةٍ
فَمَا الْعِلْمُ إِلَّا خَشِيَّةُ اللَّهِ وَالتَّقَى
فِيَارِبٌ قَدْ عَلَّمْتَنِي سُبُلَ الْهُدَى
فِيَارِبٌ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْمًا عَلَى التَّقَى

قال المغيرة بن حبيب :

قال عبدالله بن غالب الحداني لما برزوا للعدو علام آسي
من الدنيا فوالله ما فيها للبيب جدل .

والله لولا محبتي لمباشرتي السهر بصفحة وجهي ، وافترش
الجبهة لك يا سيدي ، والمراوحة بين الأعضاء في ظلم الليل رجاء
ثوابك وحلول رضوانك ، لقد كنت متمنيا لفراق الدنيا وأهلها .
ثم كسر جفن سيفه ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل ، قال
فحمل من المعركة وإن به لرمقات ، فمات دون العسكر .
فلما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك ، قال فرآه رجل

من إخوانه في منامه ، فقال يا أبا فراسٍ ما صنعت ، قال
خير الصنيع .

قال إلى ما صيرت قال إلى الجنة ، قال بيم قال بحسن اليقين
وطول التهجد وظماً الهواجر .

قال فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك ؟

قال : تلك رائحة التلاوة والظماً ، قال قلت : أوصني ،

قال : إكسب لنفسك خيراً لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلاً .

ولا يذهبن العُمُرُ منك سهلاً ولا تُغبنن بالنعمتين بل اجهد

فمن هجر اللذات نال المنى ومن أكب على اللذات غص على اليد

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[عِبْرٌ وَمَوَاعِظ]

قيل إنه مرض بعض العلماء وكف بصره واعتراه ألم لا يهدأ
بالمسكنات فدخل عليه أحد تلاميذته فوجده يبكي فبدأ يواسيه
ويحثه على الصبر على ما أصابه .

فقال له : أنا لا أبكي ضجراً من ألمي ولكنني أبكي فرحاً
وسروراً لأن الله وجدني أهلاً لأن يبتليني وقد قال رسول الله ﷺ
حين سأله سعد بن أبي وقاص أي الناس أشدُّ بلاءً ؟ فقال :
الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

فابتلى الرجل على حسب دينه فإن كان رقيق الدين ابتلى على
حسب ذلك وإن كان صلب الدين ابتلى على حسب ذلك فما تزال
البلايا بالرجل حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة .

وكف بصر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان مجاب

الدعوة تأتي إليه الناس ليدعوا لهم فيستفيدوا .

فقال له أَحَدُهُمْ : يَا عَمَّ إِنَّكَ تَدْعُو لِلنَّاسِ فَلَوْ دَعَوْتَ
لِنَفْسِكَ لِيرُدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بَصَرَكَ .

فقال رضي الله عنه : يَا بُنَيَّ قِضَاءُ اللَّهِ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ
بَصَرِي ، فَالرِّضَا دَرَجَتُهُ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ الصَّبْرِ وَقَلَّمَا يَبْلُغُهَا إِلَّا مَنْ
آتَاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا كَامِلًا وَصَبْرًا عَظِيمًا .

فَتَرَى الرَّاضِيَ مَسْرُورًا بِمَا هُوَ فِيهِ سِوَاءَ كَانَتْ مَا أَصَابَهُ عِلَّةٌ أَوْ
مَرَضٌ أَوْ فَقْرٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ لِأَنَّهَا حَدَثَتْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ .

وقيل إنه لما أصيب جيش الإسلام بعد وقعة اليرموك
بالتطاعون كان المصاب به يُقْبَلُ دُمْلُ الطاعون في يده ويحمد الله
لأنه إذا مات بالتطاعون يكتسب درجة الشهادة فقد قال ﷺ
«التطاعون شهادة لكل مسلم» ومن أدعيته ﷺ «أَسْأَلُكَ الرِّضَا
بِالقِضَاءِ» .

وقال زين العابدين : الرضا بالقضاء أرفع درجات اليقين .
طلب الخليفة من أبي حازم أن يرفع إليه حوائجه فكتب إليه
هيات رفعت حوائجي إلى مَنْ لَا يَخْتَزِنُ الحَوَائِجَ .
فَمَا أَعْطَانِي مِنْهَا قَنِعْتُ وَمَا أَمْسَكَ عَنِّي رَضِيْتُ وَقَالَ شَمِيطُ
بْنِ عَجْلَانَ : يَعْمَدُ أَحَدُهُمْ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَطْلُبُ الْعِلْمَ حَتَّى إِذَا
عَلِمَهُ أَخَذَ الدُّنْيَا فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ وَحَمَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ .

فنظر إليه ثلاثة ضعفاء : إمراة ضعيفة ، وأغرابي جاهل ،
وأعجمي ، فقالوا : هَذَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْهُ لَوْ لَمْ يَرَفِ الدُّنْيَا ذَخِيرَةً مَا
فَعَلَ هَذَا فَرِغُوا فِي الدُّنْيَا وَجَمَعُواهَا . فَصَارَ هُوَ السَّبَبُ فِي جَمْعِهِمْ لَهَا .
وقال : رَأْسُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ حَيْثَمَا زَالَ مَعَهُ لَا يَخْلُفُهُ الرِّجَالُ ،
وَلَا يَأْمَنُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ ، وَقَالَ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسَمَّ الدُّنْيَا بِالْوَحْشَةِ
لِيَكُونَ أُنْسُ الْمُطِيعِينَ بِهِ .

وكان يقول : الناس رجلان ، فَمُتَمَرِّدُونَ من الدنيا ، ومتنعم فيها ، فأنظر أيَّ الرجلين أنت ، إن تطيع الله عز وجل وتحسن عبادته ، وتتقرب إليه بالأعمال الصالحة فطوبى لك .

أم تحب طول البقاء لتأكل وتشرب ، وتجمع الدنيا وتثمرها وتنعم زوجتك وولدك فلبئس ما أردت له البقاء .

وكان يقول : إذا وصّف المؤمنين ، أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر صرفهم عن الباطل فأشهرُوا الأعين وأجاعوا البطون .

وأظهاؤا الأكباد ، وأنفقوا الأموال ، واهتضموا التالد والطارف ، في طلب ما يقربهم إلى الله عز وجل ، وفي طلب النجاة مما خوفهم به .

وكان يقول : إنَّ المؤمنَ اتَّخَذَ كِتَابَ اللَّهِ عز وجل مِرَاةً (أي قدوة يُقتدي به) فَمَرَّةً يَنْظُرُ إِلَى مَا نَعَتَ اللَّهُ بِهِ الْمُغْتَرِّينَ .

ومرة ينظر إلى الجنة وما أعد الله عز وجل فيها .
تلقاه حزينًا كالسهم المرمي به شوقًا إلى ما شوقه الله عز وجل منه .

وكان يقول : إن المؤمن أبصر الدنيا فأنزلها منزلتها فإن هي أقبلت عليه قال لا مرحبًا ولا أهلاً ، والله ما أراك جئت بخير وما فيك من خير إلا أن تطلب بك الجنة ، ويقتدي بك من النار .

فإن هي أدبرت قال : عليك العفاء ، وعلى من يتبعك الحمد لله الذي خار لي وصرف عني فتنك وشغلك .

وكان يقول : أهل الدنيا حيارى سُكَّارَى فارسُهُم يركضُ وراجلهم يسعى سعيًا لا غنيُّهم يشبع ولا فقرهم يقنع .

وكان يقول : إذا وصّف المقبل على الدنيا ، دَائِبُ البُطْنَةِ ، قليل الفطنة ، إنها همه بطنه وفرجه وجلده .

مَتَى أَصْبَحَ فَأَكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَهُوُّ وَأَلْعَبُ ، مَتَى أَمْسَى فَأَنَامُ ،
جِيْفَةً بِاللَّيْلِ بَطَّالٌ بِالنَّهَارِ .
وَيَحْكُ أَهَذَا خُلِقْتَ ، أَمْ بِهَذَا أُمِرْتَ أَمْ بِهَذَا تَطْلُبُ الْجَنَّةَ
وَتَهْرَبُ مِنَ النَّارِ .

وَكَانَ يَقُولُ : إِنْ الْعَافِيَةَ سَتَرْتَ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ ، فَإِذَا جَاءَتِ
الْبَلَايَا اسْتَبَانَ عِنْدَهَا الرَّجُلَانِ .
فَجَاءَتِ الْبَلَايَا إِلَى الْمُؤْمِنِ فَأَذْهَبَتْ مَالَهُ وَخَادِمَهُ وَدَابَّتَهُ ،
حَتَّى جَاعَ بَعْدَ الشَّبَعِ وَمَشَى بَعْدَ الرُّكُوبِ وَخَدِمَ نَفْسَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ
مُخَدُومًا .

فَصَبَرَ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ : هَذَا نَظَرٌ مِنَ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِي هَذَا أَهْوَنُ لِحِسَابِي غَدًا .
وَجَاءَتِ الْبَلَايَا إِلَى الْفَاجِرِ فَأَذْهَبَتْ مَالَهُ وَخَادِمَهُ وَدَابَّتَهُ ،
فَجَزِعَ وَهَلَعَ ، وَقَالَ : مَا لِي وَاللَّهِ بِهَذَا طَاقَةٌ .
وَاللَّهُ لَقَدْ عَوَّدْتُ نَفْسِي عَادَةً مَالِي عَنْهَا صَبْرٌ مِنَ الْحُلُوِّ
وَالْحَامِضِ وَالْحَارِ وَالْبَارِدِ وَلَيْنِ الْعَيْشِ .
فَإِنْ هُوَ أَصَابَهُ مِنَ الْحَلَالِ ، وَإِلَّا طَلَبَهُ مِنَ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ
لِيَعُودَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْعَيْشِ .

وَكَانَ يَقُولُ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ ، فَرَجُلٌ ابْتَكَرَ الْخَيْرَ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ
ثُمَّ دَاوَمَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهَذَا الْمُقَرَّبُ .
وَرَجُلٌ ابْتَكَرَ عُمُرَهُ بِالذُّنُوبِ وَطَوَّلَ الْغَفْلَةَ ثُمَّ رَاجَعَ تَوْبَةً
فَهَذَا صَاحِبُ يَمِينٍ .

وَرَجُلٌ ابْتَكَرَ الشَّرَّ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ
مِنَ الدُّنْيَا فَهَذَا صَاحِبُ شِمَالٍ .

وكان يقول : أيها المغتر بطول صحته ، أما رأيت ميّاً قط
من غير سُقْم ، أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير
عدة ، أبالصحة تغترون ، أم بطول العافية تمرحون ، أم
بالموت تأمنون أم على الملك تجترؤون .

إن ملك الموت إذا جاء لم يَمْنَعُه منك ثروة مالك .
ولا كثرة إحتشادك ، أما عَلِمْتَ أن ساعة الموت ذات كَرْبٍ
شديدٍ وغُصَصٍ وندامة على التفريط .

ثم يقول : رحم الله عبداً عملاً لساعة الموت ، رحم الله
عبداً عملاً لما بعد الموت ، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول
الموت .

قال بعضهم : للبكاء دواعي ، أحدها الفكرة في الذنوب ،
فإن أجابت النفس إلى ذلك وإلا نقلها إلى موقف العرض ، وتلك
الشدائد والأهوال .

فإن أجابت على ذلك وإلا فاعرض عليها التَّقَلُّبُ في أطباق
النيران .

قال يحيى بن سعيد لرجل : اقرأ فقراً (حم) الدخان فلما
بلغ ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ .

صَعِقَ يَحْيَى وَغَشِيَ عَلَيْهِ وَسَقَطَ وَأَصَابَ الْبَابُ فَقَارَ ظَهْرَهُ
وَسَالَ الدَّمُ وَتَقَرَّحَ مَحَلُّ الصَّدْمَةِ .

ثم عادَ إلى فراشه وجعل يُرَدِّدُ الآية ثم ما زالت به القرحة
حتى مات رحمه الله .

قال أحد أقرباء رباح بن عمرو القيسي : كُنْتُ أُدْخِلُ عَلَيْهِ
فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَبْكِي ، وَأَدْخِلُ عَلَيْهِ الْبَيْتَ وَهُوَ يَبْكِي .

فقلتُ له : أنتَ دَهْرَكَ في مآتم ، فبَكَى ثم قال يَحِقُّ لأهلِ
المصائبِ والذنوبِ أن يكونوا هكذا .
وكان يقول إلى كم يالَيْلُ يانهارُ تُحطَّانِ مِن أَجَلِي وأنا غافل
عما يُرادُ بي إنا لله إنا لله .
غشى على مسروق في يوم صائف وهو صائم ، فقالت ابنته
أفطر ، قال : ما أردتِ بي ، قالت الرفق ، قال : يابُنيَّةِ إنا أطلب
الرفقَ لِنَفْسِي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .
قال الحسن البصري : لما أهبط آدم أوحى الله إليه أربعُ
فيهن جماع الأمر لك ولولدك من بعدك .

أما واحدة : فلي .

وأما الثانية : فلك .

وأما الثالثة : فبيني وبينك .

وأما الرابعة : فبينك وبين الناس .

أما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئا .

وأما التي لك فعملك أجزيكهُ أفقر ما تكون إليه .

وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة .

وأما التي بينك وبين الناس فتصاحبهم بما تُحبُّ أن

يُصاحبوك به .

أربعٌ من حصلَ عليها واجتمعتَ عنده اجتمعَ له خير الدنيا

والآخرة .

إمرأةٌ صالحةٌ عفيفةٌ ، وصديقٌ موافقٌ على طاعة الله ، ومالٌ

من حلال واسع ينفقه في مرضي الله ، وعمل صالح .

أوصى رسول الله ﷺ رجلا فقال « هيء جهازك ، وقدم

زادك ، وكن وصي نفسك ، فإنه لا خَلْفَ من التقوى ، ولا عَوْضَ
من الله عَزَّ وَجَلَّ « أهـ .

من كل شىء إذا ضيَّعته عَوْضُ

وما من الله إن ضيَّعته عَوْضُ

وقال عليه السلام لرجل يُوصِيه « عَلَيْكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يَشْغَلُكَ عَمَّا

سِوَاهُ وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الدَّعَاءِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يُسْتَجَابُ لَكَ وَأَكْثَرُ
مِنَ الشُّكْرِ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ » قال أعشى قيس :

أجدك لم تسمع وصاة محمدٍ نبي الاله حين أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للموت الذي كان أرصدا

مرَّ عامرُ بن عبد قيس برجل من أعوان السلطان وهو يجرُّ

ذمياً والذمي يستغيث ، فأقبل على الذمي فقال : أديت جزيتك

قال : نعم .

فأقبل عليه فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكنسُ

دارَ الأمير ، قال فأقبل على الذمي فقال : هل تطيبُ نفسك له

بهذا ، قال : يُشغِلُنِي عَنِ صَنْعَتِي .

قال للرجل : دَعُهُ ، قال : لا أدعُه ، قال : دَعُهُ ، قال :

لا أدعه ، فوضع كِسَاءَهُ فقال : لا تُخْفَرُ ذِمَّةُ مُحَمَّدٍ وَأَنَا حَيٌّ ، ثُمَّ

خَلَّصَهُ مِنْهُ .

قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله : مالي أرى

الناس ينامون ولا أراك تنام ؟ قال : ذكر جهنم لا يدعني أن أنام .

وقال عامر بن عبد قيس : أربع آيات في كتاب الله إذا

ذَكَرْتَهُنَّ لَا أَبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحْتُ أَوْ أَمْسَيْتُ :

(١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُمْسِكْ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ
فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

(٢) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ .

(٣) سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا .

(٤) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا .

وقال : عَلَيْكَ بِمَا يُرَغَّبُكَ فِي الْآخِرَةِ وَيُرْهَدُكَ فِي الدُّنْيَا

وَيُقَرَّبُكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال الموصي قلت ما هو فقال : تَقْصُرُ عَنِ الدُّنْيَا هَمَّكَ ،

وتشحن إلى الآخرة نيتك ، وتصدق ذلك بفعلك .

فإن كنت كذلك لم يكن شيء أحب إليك من الموت ، ولا

شيء أبغض إليك من الحياة .

فقلت : يا أبا عبد الله كنت لا أحسبك تحسن مثل هذا ،

فقال : كم من شيء كنت أحسنه وددت أني لا أحسنه .

وما يغني عني ما أحسن من الخير إذا لم أعمل به ، وكان

يشترط على رفقائه أن ينفق عليهم بقدر طاقته .

عن الحسن قال : كان عامر بن قيس إذا صلى الصبح تنحى

في ناحية المسجد ، فقال : من أقرئه ؟ قال : فيأتيه قوم فيقرئهم .

حتى إذا طلعت الشمس وأمكنته الصلاة قام يصلي إلى أن

يتصيف النهار ، ثم يرجع إلى منزله فيقبل .

ثم يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس فيصلي حتى يصلي

الظهر ، ثم يصلي إلى العصر فإذا صلى العصر تنحى في ناحية

المسجد .

ثم قال : من أقرئه قال : فيأتيه قوم فيقرئهم ، حتى إذا

غربت الشمس صلى المغرب، ثم يصلي حتى يصلى العشاء الآخرة .
ثم يرجع إلى منزله فَيَتَنَاوَلُ أَحَدَ رَغِيفَيْهِ ، فيأكل ثم يهجع
هَجْعَةً خَفِيفَةً .

ثم يقوم فإذا أَسْحَرَ تناول رغيفه الآخر فأكله ، ثم شرب
عليه شربة من ماء ثم يخرج إلى المسجد .

وكان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه فلا يلقي أحداً من
المساكين يسأل إلا أعطاه .

وكان يتجوز في الصلاة النافلة إذا جاءه أحدا خشية الرياء .

وقال بعضهم : جلست إليه وهو يصلي فتجوز في صلاته
(أي خففها) وقال لمن جاءه : أرحني بحاجتك فإني أبادر .

قال : قُلْتُ وما تبادر؟ قال : ملك الموت رحمك الله ، قال :
فقمتم عنه وقام يصلى والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم .

[فصل]

عن أنس عن أبي العالية ، قال : كُنْتُ أُرْحَلُ إِلَى الرَّجْلِ
مَسِيرَةَ أَيَّامٍ ، فَأَوْلُ مَا أَتَفَقَّدُهُ مِنْ أَمْرِهِ صَلَاتَهُ .
فَإِنْ وَجَدْتُهُ يُقِيمُهَا وَيُتِمُّهَا أَقَمْتُ وَسَمِعْتُ مِنْهُ .
وَإِنْ وَجَدْتُهُ يُضَيِّعُهَا رَجَعْتُ وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ ، وَقُلْتُ هُوَ لِغَيْرِ
الصَّلَاةِ أَضَيِّعُ .

عُوتِبَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِيهَا يَقْرِي مِنَ الْمَالِ فِي الْبُلْدَانِ وَلَا يَفْعَلُ
فِي أَهْلِ بَلَدِهِ كَذَلِكَ ، فَقَالَ إِنِّي أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُمْ فَضْلٌ
وَصِدْقٌ طَلَبُوا الْحَدِيثَ وَأَحْسَنُوا الطَّلِبَ فَاحْتَا جُوا .
فَإِنْ تَرَكْنَاهُمْ ضَاعَ عِلْمُهُمْ وَإِنْ أَعْنَاهُمْ بَثُّوا الْعِلْمَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ
ﷺ وَلَا أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ الْعِلْمِ .

كان شابٌ يَخْتَلِفُ إلى ابن المبارك وَيُقُومُ بِحَوَائِجِهِ وَيَسْمَعُ مِنْهُ
الحديث ، فقدم عبدالله الرِّقَّةَ مَرَّةً ، فلم يَرَى ذلك الشاب وكان
مُسْتَعْجِلاً .

فخرج في النفير إلى الجهاد ، فلما قَفَلَ من غزوته وَرَجَعَ إلى
الرقَّة سأل عن الشاب ، فقالوا : إنه محبوس بدين ركبته .
فقال عبدالله : وكم مَبْلَغُ دَيْنِهِ ؟ قالوا : عشرة آلاف درهم ،
فلم يزل يسأل عن صاحب الدين حتى دُلَّ عليه .
فدعا به ليلاً وَوَزَنَ له عشرة آلاف درهم ، وَحَلَفَهُ أَنْ لَا يُخْبِرَا
أحداً مَا دَامَ حَيًّا عبدالله ، وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من
الحبس .

قال بعضهم : لولا أني أكره أن يُعصى الله ، تَمَنَيْتُ أَنْ لَا
يبقى في هذا المصر أحد إلا وَقَعَ فيِّ واغْتَابَنِي .
فأي شيء أهنا من حَسَنَةٍ يجدها الرجل في صَحِيفَتِهِ يوم
القيامة لم يَعْمَلْهَا ولم يَعْلَمْ بِهَا .

وقال يحيى بن معاذ : لَسْتُ أَمْرُكُم بترك الدنيا أمركم بترك
الذنوب ، ترك الدنيا فَضِيلَةٌ وتركُ الذنوب فريضة وأنتم إلى إقامة
الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات .

وقال : لا تكن مِمَّنْ يفضحه يومَ موته مِيرَاثُهُ وَيَوْمَ حَشْرِهِ مِيزَانُهُ .
وقال إبراهيم الخواص : دواء القلب في خمسة أشياء : قراءة
القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند
السحر ، ومجالسة الصالحين .

وقال : على قَدْرِ إِعْزَازِ المرءِ لأمرِ الله يُلبَسُهُ الله مِنْ عِزِّهِ ،
ويقيم له العز في قلوب المؤمنين .

وقال يوسف بن الحسين : على قدر خوفك من الله يهابك الخلق ، وعلى قدر حبك الله يحبك الخلق ، وعلى قدر شُغلك بأمر الله يُشغَلُ الخلقُ بأمرك .

وقال آخر : وقد سئل عن الصحبة مع الله عز وجل قال : بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة .

والصحبة مع الرسول بإتباع سُنَّتِهِ ولزوم ظاهر الحكم .

والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة .

والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخُلُق .

والصحبة مع الاخوان بدوام البشر لهم والانبساط معهم ما

لم يكن إثمًا .

والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم ورؤية نعمة

الله عليك إذ عافاك مما ابتلاهم به .

جلس أحد العلماء للتذكير حتى طال سكوته فناداه رجل ما

ترى أن تقول في سُكُوتِكَ شَيْئاً فأنشأ يقول :

وغيرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتَّقِيِّ

طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ مَرِيضٌ

فَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ وَالضَّجِيجِ .

سئل بعضهم ما علامة العارف ؟ قال : أن لا يفتُرَ مِنْ ذِكْرِ

الله ولا يَمَلُ مِنْ حَقِّهِ ولا يَسْتَأْنِسُ بغيره .

وقال أبا يزيد البسطامي : الناس كلهم يهربون من الحساب

ويَتَجَافُونَ عَنْهُ ، وأنا أسأل الله تعالى أن يُحَاسِبَنِي ، فقيل : لِمَ قال

لعله أن يقول لي فيما بين ذلك يا عبيدي ، فأقولُ لبيك .

فقوله لي يا عبيدي ، أعجب إلي من الدنيا وما فيها ، ثم بعد

ذلك يفعل بي ما يشاء ، وقال أبو يعلى :

وَمَا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهَهَا وَكَدْتُ بِأَخْصِي أَطْوُ الثَّرِيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيَّا
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[فصل]

قال أحد العلماء : لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل ،
ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه ، وتحسينه .
فإن العبد قد يُصَلِّي وهو يَعْصِي الله في صلاته ، وقد يصوم
وهو يَعْصِي الله في صيامه .

وقيل لآخر : كيف أَصْبَحْتَ فبكى ، وقال أَصْبَحْتُ فِي
غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنِ الْمَوْتِ مَعَ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِي ، وَأَجَلٌ
يَسْرَعُ كُلَّ يَوْمٍ فِي عَمْرِي ، وَمَوْئِلٌ لَسْتُ أَدْرِي عَلَامًا أَهْجِمُ ثُمَّ بَكَى .
وقال آخر : لا تَغْتَمِ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ يَضُرُّكَ غَدًا (أي في
الآخرة) ولا تفرح بشيءٍ لا يَسُرُّكَ غَدًا ، وأنفعُ الخوفِ ما حَجَزَكَ
عَنِ الْمَعَاصِي ، وَأَطَالَ الْحُزْنَ مِنْكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَةِ ،
وَأَلْزَمَكَ الْفِكْرَ فِي بَقِيَّةِ عُمْرِكَ .

وقال آخر : عليك بصحبة مَنْ تُذَكِّرُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رُؤْيَاهُ ،
وَتَقَعُ هَيْبَتُهُ عَلَى بَاطِنِكَ ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكَ مَنْطِقَهُ .
وَيُزْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا عَمَلَهُ ، وَلَا تَعْصِي اللهُ مَا دُمْتَ فِي قُرْبِهِ ،
يَعِظُكَ بِلِسَانِ فِعْلِهِ وَلَا يَعِظُكَ بِلِسَانِ قَوْلِهِ .

قال إسرائيل : حضرت ذى النون المصري وهو في الحبس وقد
دَخَلَ الشَّرْطِي بِطَعَامٍ لَهُ ، فَقَامَ ذُو النُّونِ فَنَفَضَ يَدَهُ (أي قبضها
عن الطعام) .

فقيل له : إن أخاك جاء به ، فقال : إنه على يدي ظالم ،

قال : وسمعت رجلاً سأل ما الذي أتعب العباد وأضعفهم ؟
فقال : ذكر المقام وقلة الزاد ، وخوف الحساب ، ولم لا
تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم ، والعرض على الله جل وعلا
أمامهم ، وقراءة كتبهم بين أيديهم .

والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار
والأشرار ، ثم مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم .
وقال : سقم الجسد في الأوجاع ، وسقم القلوب في
الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا
يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب .

وقال : من لم يعرف قدر النعم ، سلبها من حيث لا يعلم .
ما خلع الله على عبد خلعة أحسن ولا أشرف من العقل ولا
قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال
ذلك التقوى .

وقال آخر : أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد الليل
من طول الهجعة ، إنها هو على الجنب فإذا تحرك قال لنفسه : ليس
لك قومي خذي حظك من الآخرة .

وقال أبو هاشم الزاهد : إن الله عز وجل وسّم الدنيا
بالوحشة ، ليكن أنس المريدين به دونها ، وليقبل المطيعون له
بالاعراض عنها ، وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون ، وإلى
الآخرة مشتاقون .

وينظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن
خالد فبكى ، وقال : أعوذ بالله من علم لا ينفع .

وقال أسود بن سالم : ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما
فيها فقليل له هذا خطأ .

فقال : دَعُونَا مِنْ كَلَامِكُمْ ، رَأَيْتُ الْجَنَّةَ رِضَا نَفْسِي ،
وركعتين أصليهما رِضَا رَبِّي ، وِرْضَاءَ رَبِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
رِضَا نَفْسِي ، تَأْمَلْ يَا أَخِي دِقَّةَ هَذَا الْفَهْمِ لِلَّهِ دَرَهُ .
وقال وهيب : الإيْمَانُ قَائِدٌ ، وَالْعَمَلُ سَائِقٌ ، وَالنَّفْسُ بَيْنَهُمَا
حَرْوُنٌ ، فَإِذَا قَادَ الْقَائِدُ وَلَمْ يَسُقِ السَّائِقُ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ شَيْئًا .
وإِذَا سَاقَ السَّائِقُ وَلَمْ يَقْدِ الْقَائِدُ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ شَيْئًا ، وَإِذَا قَادَ
الْقَائِدُ وَسَاقَ السَّائِقُ اتَّبَعَتْهُ النَّفْسُ طَوْعًا وَكَرْهًا وَطَابَ الْعَمَلُ .
قال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها : يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ
قَبْلَ إِنْصِرَامِهَا ، وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيَالِي الْحَيَاةِ وَأَيَامِهَا .
فكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ قَدْ تَشَقَّقْتِ ، وَبِالْأُمُورِ وَقَدْ تَحَقَّقْتِ ،
وَبِوَجْهِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ اشْرَقْتَ ، وَبِرُؤُوسِ الْعِصَاءِ وَقَدْ أَطْرَقْتَ ، قَالَ
تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمَجْرَمُونَ نَاكَسُوا رُؤُوسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ يَا نَفْسُ أَمَا
الْوَرَعُونَ فَقَدْ جَدُّوا ، وَأَمَا الْخَائِفُونَ فَقَدْ اسْتَعَدُّوا ، وَأَمَا الصَّالِحُونَ
فَقَدْ فَرَحُوا وَرَاحُوا وَأَمَا الْوَاعِظُونَ فَقَدْ نَصَحُوا وَصَاحُوا .
الْعِلْمُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالنَّصَبِ وَالْمَالُ لَا يَجْمَعُ إِلَّا بِالتَّعَبِ ،
أَيُّهَا الْعَبْدُ الْحَرِيصُ عَلَى تَخْلِيصِ نَفْسِهِ إِنْ عَزَمْتَ فَبَادِرِي وَإِنْ هَمَمْتَ
فَتَابِرِي وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ الْعِزَّ وَالْمَفَاحِرَ مَنْ كَانَ فِي الصِّفِّ الْآخِرِ .
دَبُّوا إِلَى الْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جُهِدَ النُّفُوسَ وَشَدُّوا دُونَهُ الْأُزْرًا
وَسَاورُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبْرًا
لَا تُحْسِبِ الْمَجْدَ ثَمْرًا أَنْتَ آكَلَهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تُلْعَقَ الصَّبْرًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين]
 أن ظلم العبد نفسه يكون بترك ما ينفعها وهي محتاجة إليه
 وذلك فعل ما أمر الله به وبفعل ما يضرها ، وذلك المعاصي كلها .
 كما أن ظلم الغير كذلك إما بمنع حقه أو التعدي عليه ،
 فإن الله أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم .
 وجاء القرآن بالأمر بالاصلاح والنهي عن الفساد ،
 والصلاح كله طاعة والفساد كله معصية .
 وقد لا يعلم كثير من الناس ذلك على حقيقته فعلى المؤمن
 أن يأمر بكل مصلحة وينهى عن كل مفسدة .
 وكل ما أمر الله به راجع إلى العدل وكل ما نهى عنه راجع
 إلى الظلم .

والظلم الذي حرمه الله على نفسه أن يترك حسنات المحسن
 فلا يجزيه بها ، أو يعاقب البري على ما لم يفعله من السيئات .
 أو يعاقب هذا بذنب غيره ، أو يحكم بين الناس بغير العدل
 ونحو ذلك مما ينزه الله جل وعلا عنه وذلك لكمال عدله وحمده .
 من أسباب قوت الإيمان ونوره سماع القرآن وتدبره ومعرفة
 أحوال النبي ﷺ ومعجزاته .

والنظر في آيات الله والتفكر في ملكوت السموات والأرض
 والتأمل في أحوال نفس الإنسان ومثل رؤية أهل الايمان والنظر في
 أحوالهم ونحو ذلك .

واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا	لله در رجال واصلوا السهرا
إذا نظرتهموا هم سادة بررا	فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم
عما سواه وللذات قد هجرا	كل غدا وقته بالذكر مشتغلا
بما جناه من العصيان منذعرا	يمسي ويصبح في وجد وفي قلق

يَقُولُ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًا
 حَمَلْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا لَا أُطِيقُ لَهُ
 عَصِيَّتُهُ وَهُوَ يُرْخِي سِتْرَهُ كَرَمًا
 وَطَالَمَا كَانَ لِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
 وَإِنِّي تَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وَقَدْ
 لَعَلَّ تَقْبَلَ عُذْرِي ثُمَّ تُجَبِّرُنِي
 وَقَدْ أَتَيْتُ بِذُلِّ رَاجِيًا كَرَمًا
 بِالذَّنْبِ فَاغْفِرْهُ لِي يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرَ
 وَلَمْ أَطْعُ سَيِّدِي فِي كُلِّ مَا أَمَرًا
 يَا طَالَمَا قَدِ عَفَا عَنِّي وَقَدْ سَتَرَا
 إِذَا اسْتَعْنَيْتُ بِهِ مِنْ كُرْبَةٍ نَصَرَا
 وَافَيْتُ بِأَبْكَ يَا مَوْلَايَ مُعْتَذِرًا
 يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا قُدِّمْتُ مُنْكَسِرًا
 إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرًا
 اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ مَعَ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِكَ
 يَا عَزِيزَ يَا غَفَّارَ ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِنْ رُوعَاتِنَا وَأَقْلِنَا مِنْ عَشْرَاتِنَا
 وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فِصْل]

قال محمد بن مهدي : والله لا تجدُ فقدَ شيءٍ تركتهُ ابتغاءَ
 وجهِ الله ، كنتُ أنا وأخي شريكين فأصبنا مالاً كثيراً فدخَلَ قلبي
 من ذلك شيءٌ فتركتهُ لله وخرجتُ منه .
 فما خرجتُ من الدنيا حتى ردَّ اللهُ عليَّ ذلك المالَ عامتهُ إليَّ
 وإلى ولدي ، زوجَ أخي ثلاثَ بناتٍ من بني ، وزوجتُ ابنتي من
 ابنه .
 وماتَ أخي فورثهُ أبي وماتَ أبي فورثتهُ أنا ، فرجعَ ذلك كله
 إليَّ وإلى ولدي في الدنيا .
 عن عطاء الحسن الخرساني أنه كان يقول : إني لا أوصيكم
 بدنياكم أنتم مُستوصون بها ، وأنتم عليها حراص .
 وإنما أوصيكم بآخرتكم ، فخذوا من دار الفناء لدار البقاء ،

واجعلوا الموت كشيء ذقتموه ، فوالله لتذوقنه ، واجعلوا الآخرة
كشيء نزلتموه فوالله لتنزلهن .

وهي دار الناس كلهم ، ليس من الناس أحد يخرج لسفر
إلا أخذ له أهبته ، فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط .

ومن خرج إلى سفر لم يأخذ له أهبته ندم ، فإذا أضحي لم
يجد ظلا ، وإذا ظمى لم يجد ماءً يتروى به ، وإنما سفر الدنيا
منقطع ، وأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع .

وقال آخر يوصي أخاه : أعلم أنك تلقى ما أسلفت ولا
تلقى ما خلفت فمهذ لنفسك فإنك لا تدري متى يفجؤك أمر ربك
قال فأبكاني كلامه وهون علي الدنيا .

قيل للقيمان الحكيم : ما بلغ بك ما ترى (يريدون الفضل)
قال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعني .

عن جابر الجعفي ، قال قال لي محمد بن علي بن الحسين :
يا جابر إني لمحزون ، وإني لمشتغل القلب ، قلت وما حزنك ، وما
شغل قلبك ؟

قال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله
عما سواه .

يا جابر ما الدنيا ما عسى أن تكون هل هو إلا مركب ركبته
أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها .

يا جابر إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم
يأمنوا قدوم الآخرة عليهم .

ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة ، ولم
يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا بثواب
الأبرار .

إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك
مَعُونَةٌ ، إن نَسِيتَ ذَكَرُوكَ ، وإن ذَكَرْتَ أَعَانُوكَ .
قَوَالِيْنٌ بِحَقِّ ، قَوَامِيْنٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَأُنزِلِ الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ نَزَلَتْ
بِهِ وَارْتَحَلَتْ مِنْهُ .

أو كما قال أصبته في منامك فاستيقظت، وليس معك منه شيء ،
واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته .

قال بعضهم : فَكَّرْ فِي ذَنْبِكَ ، وَتُبْ إِلَى رَبِّكَ ، يَنْبُتُ الْوَرَعُ
فِي قَلْبِكَ ، وَأَقْطَعِ الطَّمَعِ إِلَّا مِنْ رَبِّكَ ، ذَمَّ مَوْلَانَا الدُّنْيَا
فَمَدَحْنَاهَا ، وَأَبْغَضْنَاهَا فَأَحْبَبْنَاهَا ، وَزَهَّدْنَا فِيهَا فَأَثَرْنَاهَا ، وَرَغَبْنَا
فِي طَلِبِهَا ، دَعَعْتُمْ إِلَى هَذِهِ الْغَرَارَةِ دَوَاعِيهَا فَأَجَبْتُمْ مُسْرِعِينَ مُنَادِيهَا
خَدَعْتَكُمْ بِغُرُورِهَا تَتَمَرَّغُونَ فِي زَهْرَاتِهَا وَزَخَارِفِهَا ، قَالَ اللَّهُ جَل
وَعَلَا ﴿ فَلَا تَغْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

أتى الحسن بكوز من ماء لِيُفِطِرَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَدْنَاهُ إِلَى فِيهِ بَكَى
وَقَالَ ذَكَرْتُ أَمْنِيَةَ أَهْلِ النَّارِ .

قولهم ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ وَذَكَرْتُ مَا أَجِيبُوا بِهِ
﴿ إِنْ اللَّهُ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقال كعب الأحبار : لَأَنْ أَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَسِيلُ
دُمُوعِي عَلَى وَجْهِتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تُصَدَّقَ بوزني ذهباً .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : كُنَّا إِذَا خَرَجْنَا مَعَ الْفَضِيلِ
فِي جَنَازَةٍ لَا يَزَالُ يَعْظُ وَيَذَكِّرُ وَيَبْكِي حَتَّى لَكَأَنَّهُ يُوَدِّعُ أَصْحَابَهُ
ذَاهِبًا إِلَى الْآخِرَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَقَابِرَ .

فيجلس فكأنه بين الموتى جالس من الحزن والبكاء حتى
يقوم وكأنه رجع من الآخرة ينخر عنها .

وكان يقول : الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل

صحيحاً فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف .
يقول : إذا كان في صحته محسناً عظم رجاءه عند الموت
وحسن ظنه (أي بالله) .
وإذا كان في صحته مسيئاً ساء ظنه عند الموت ولم يعظم
رجاءه .

تُحَدِّثُنِي الْأَمَالَ وَهِيَ كَذُوبَةٌ تُبَدِّلُ فِي تَحْدِيثِهَا وَتُحَرِّفُ
بِأَنِي فِي الدُّنْيَا أَقْضِي مَآرِبِي وَتَعْدُ يَحَقُّ الزُّهْدُ لِي وَالتَّقَشُّفُ
وَتِلْكَ أَمَانِي لَا حَقِيقَةَ عِنْدَهَا أَفِي فِرْقِ الضِّدِّينِ يُبْغَى التَّأَلُّفُ
وقال محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه لابنه : يا بني
إِيَّاكَ وَالضَّجَرَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرِّ إِنَّكَ إِنْ كَسَلْتَ لَمْ تَوَدَّ
حَقًّا ، وَإِنْ ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى حَقِّ .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من
شئ أحب إلى الله عز وجل من أن يُسأل ، وما يدفع القضاء إلا
الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي .
وكفى بالمرء عيباً أن يُبصرَ من الناس ما يَعْمَى عليه من
نفسه ، وأن يأمر الناس بها لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذي
جليسه بها لا يَعْنِيهِ .

كان الربيع بن خيثم إذا أصبح قال : مَرَحَبًا بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ
اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر .

وقال : إذا تكلمت فاذا سمع الله إليك وإذا هممت فاذا ذكر
علمه بك وإذا نظرت فاذا نظره إليك .
وإذا تفكرت فاذا ذكر اطلاعه عليك فإنه يقول ﴿ إن السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً ﴾ .

رأى بعضهم رجلاً يسمع إلى رجل يقع في عرض آخر فقال له : نزه سمعك عن استماع الخناء كما تنزه لسانك عن القول به ، فإن المستمع شريك القائل ، وإنما نظر في شر ما في وعائه فأفرغها في وعائك .

إذا أخبرت عن رجل بريء من الآفات ظاهره صحيح فسألهم عنه هل هو آدمي ولكن بعضنا أهل استتار ومن إنعام خالقنا علينا فلو فاحت لأصبحنا هروباً وضاق بكل منتحل صلاحاً

من الآفات ظاهره صحيح فإن قالوا نعم فالقول ربح وعند الله أجمعنا جريح بأن ذنوبنا ليست تفوح فرادى في الفلا ما نستريح لئن ذنوبه البلد الفسيح

المعاصي تنقسم إلى قسمين ، قسم ذنوب جوارح ظاهرة مثل القذف والغيبة والظلم والاعتصاب والقتل والزنا واللواط والسرقة ونحو ذلك .

والقسم الثاني : وهي ذنوب القلوب وهن المهلكات القاصيات ومنها : الشرك والشك والنفاق والكفر والاعتزاز بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله .

ومنها احتقار الذنوب والتهاون بها والتسويق بالتوبة والإنابة والإصرار على المعاصي والرياء والتهيه والكبر والعجب والخيانة والغدر والحسد والغل والحقد والبغض .

وسوء الظن والجفاء والقطيعة والعقوق والقسوة والشح والحرص والشره على ما لا ينبغي الحرص والشره عليه .

ومنها : الطغيان بالمال والقوة والجاه واحتقار النعم والاحتقار بمصائب الدين ومنها الاستهانة بعلم الله ونظره وسمعه واطلاعه .

ومنها قلة الحياء من الله عز وجل وتقدس وقلة الحياء ممن على اليمين وعلى الشمال من الملائكة عند فعلك ما يكرهه الله ونحو ذلك من الذنوب التي لا يسلم منها إلا من عصمه الله .

[موعظة]

قال ابن الجوزي : ياعجبا كيف أنس بالدنيا مفارقها ، وأمن النار واردتها ، كيف يغفل من لا يغفل عنه ، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره ، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره ، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته .
إخواني : الدنيا في إدبار ، وأهلها منها في استكثار ، والزارع فيها غير التقي لا يحصد إلا الندم .

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها
لا ترجعن على الدنيا بلائمة
تفني البين وتفني الأهل دابة
فما يزيدكم قتل الذي قتلت
آخر : لسانك للدنيا عدو مشاحن
وما ضرها ما قلت فيها وقد صفا
آخر : ولم أرى كالدنيا ندم صروفها
آخر : يذمون دنياهم وهم يجلبونها
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

جدأ وما أفضح الدنيا لأهلها
فعدوها لك باد في مساوئها
ونستنيم إليها لا نعاديتها
ولا العداوة إلا رغبة فيها
وقلبك فيها للسان مبين
لها منك ود في فؤادك كامن
ونوسعها شتاً ونحن عبيدها
ولم أرى كالدنيا تدم وتطلب

[فصل]

إعلم وفقنا الله وإياك أن الصلاة عماد الدين وأجل مباني الاسلام بعد الشهادتين .

وَمَحَلُّهَا مِنَ الدِّينِ مَحَلُّ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا حَيَاةَ
لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ فَكَذَلِكَ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ .

جعلنا الله وإياكم من المحافظين عليها الخاشعين فيها
الدائمين عليها المقيمين لها قال جل وعلا ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنْ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾ وقال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ
الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هَدَى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ ﴾ وقال ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
المُشْرِكِينَ ﴾ .

فالإنابة هي الرجوع إلى الله ، والتقوى هي امتثال أوامر الله
واجتناب نواهيه ، والاقامة للصلاة الاتيان بها على الوجه الذي أمر
الله به .

قال جلا وعلا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ الَّذِينَ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ وقال
رسول الله ﷺ « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِ أُصَلِّي » فالمصلي على الاتباع
والاقتداء برسول الله ﷺ في صلاته على الوجه الذي نقله علماء
الأمة من السلف والخلف رضى الله عنهم هو المصلي المعدود عند
الله من المقيمين للصلاة والمحافظين عليها .

وللصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة لا كمال للصلاة ولا تمام
لها إلا بإقامتها جميعاً .

فأما صورتها الظاهرة فهي القيام والقراءة والركوع والسجود
ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة .

وأما حقيقتها الباطنة فمثل الخشوع والإخبات وحضور

القلب وكمال الاخلاص .

والتدبر والتفهم لمعاني القراءة ومعاني التسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصلاة حفظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حفظ القلب .

ومن المحافظة على الصلاة والاقامة لها كمال الطهارة والاحتياط فيها في البدن والثوب والمكان .

قال عليه الصلاة والسلام « الطهور شطر الإيمان » وفي الحديث الآخر « الطهور مفتاح الصلاة وإسباغ الوضوء وتثليثه من غير وسوسة ولا إسراف » .

فإن الوسوسة في الطهارة والصلاة من عمل الشيطان يلبس بها على من ضَعُفَ عقله وقلَّ علمه .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة « أن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من أعضائه ودخل في الصلاة نقياً من الذنوب » .

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها المبادرة بها في أول مَوَاقِيتِها وفي ذلك فضلٌ وأجر عظيم .

وهو دليل على محبة العبد لربه وعلى المسارعة في مرضاته ومحابه قال ﷺ « أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله » .

وقبيح بالمؤمن العاقل أن يدخل عليه وقت الصلاة وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ويقوم إلى فريضة الله التي كتبها الله عليه فيؤديها .

وما يفعل ذلك إلا من عظمت غفلته وقلت معرفته بالله وعظمته وضعفت رغبته فيما أعدَّ الله لأولياته في الدار الآخرة .
وأما تأخيرها عن وقتها فلا يجوزُ وفيه إثم عظيم .

وَمِنَ الْمُحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْإِقَامَةِ لَهَا الْخُشُوعُ وَحُضُورُ
الْقَلْبِ وَتَدْبِيرُ الْقِرَاءَةِ وَفَهْمُ مَعَانِيهَا وَاسْتِشْعَارُ الْخُضُوعِ وَالتَّوَاضُّعِ
لِلَّهِ عِنْدَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ .

وَامْتِلَاءُ الْقَلْبِ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ وَإِجْلَالِهِ وَتَقْدِيسِهِ عِنْدَ التَّكْبِيرِ
وَالْتَسْبِيحِ وَجَمِيعِ أَجْزَاءِ الصَّلَاةِ .

وَالْحِرْصُ وَالْاجْتِهَادُ فِي دَفْعِ الْخَوَاطِرِ وَالْهَوَاجِيسِ فِي شُؤُونِ
الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاضِ عَنِ حَدِيثِ النَّفْسِ فِي ذَلِكَ .

وَيَكُونُ هَمُّهُ فِي الصَّلَاةِ وَحُسْنُ تَأْدِيتِهَا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ .

فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَعَ الْغَفْلَةِ وَعَدَمِ الْخُشُوعِ وَالْحُضُورِ قَلِيلَةٌ

الْجَدْوَى .

فَاجْتِهَدِ فِي تَدْبِيرِ مَا تَقُولُ مِنْ كَلَامِ رَبِّكَ وَاحْرَصْ عَلَى

الطَّمَانِينَةِ فِيهَا .

فَإِنَّ الَّذِي لَا يَتِمُّ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ فِي الصَّلَاةِ سَارِقٌ لَهَا كَمَا

وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَوَرَدَ أَنَّ مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا وَأَتَمَّهَا تَخْرُجُ بِيضَاءٍ تَقُولُ

حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي .

وَالَّذِي لَا يَتِمُّ الصَّلَاةُ تَخْرُجُ سَوْدَاءً مُظْلِمَةً تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللَّهُ

كَمَا ضَيَّعْتَنِي ثُمَّ تُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْخَلْقُ فَيَضْرِبُ بِهَا وَجْهَهُ .

رَأَى رَجُلٌ حَاتِمَ الْأَصْمِ وَأَقْفًا يَعِظُ النَّاسَ فَقَالَ : يَا حَاتِمُ

أَرَاكَ تَعِظُ النَّاسَ أَفْتُحِسُّنُ أَنْ تُصَلِّيَ قَالَ نَعَمْ قَالَ : كَيْفَ تُصَلِّيَ ؟

قَالَ : أَقُومُ بِالْأَمْرِ وَأَمْشِي بِالسَّكِينَةِ وَأَدْخُلُ بِالْهَيْبَةِ وَأُكَبِّرُ

بِالْعَظْمَةِ وَأَقْرَأُ بِالْتَرْتِيلِ وَأَجْلِسُ لِلتَّشْهَدِ بِالتَّهَامِ وَأَسْلَمُ عَلَى السَّنَةِ .

وَأَسْلَمْتُهَا إِلَى رَبِّي وَأَحْفَظُهَا أَيَّامَ حَيَاتِي وَأَرْجِعُ بِاللَّيْلِ عَلَى

نَفْسِي وَأَخَافُ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنِّي وَأَرْجُو أَنْ تُقْبَلَ مِنِّي وَأَنَا بَيْنَ الرَّجَاءِ

وَالْخَوْفِ .

وأشكر من علّمني وأعلّم من سألني وأحمد ربي إذ هداني .
 قال له محمد بن يوسف : مثلك يصلح أن يعظ .
 روى أن زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهم
 كان يتغيّر عند الوضوء ويصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة
 أخذته رعدة .
 ف قيل له في ذلك فقال : أتدرون بين يدي من أقوم .
 وقال أبو بكر الوراق : ربما أنصرف من الصلاة وأنا استحي
 من الله جلّ وعلا ولا حياء رجل أنصرف من الزنا .
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[مواعظ]

عن أبي بكر بن عياش قال : قال لي رجل مرة وأنا شاب
 خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة .
 فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدا قال أبو بكر : فما
 نسيتها أبدا .
 وكان يقوم الليل في قباء صوف وسراويل وعكازة يضعها في
 صدره فيتكىء عليها حين كبر فيحیی ليلته ويذكره حمل العصى
 بالسفر إلى الآخرة .
 قال بعضهم :

حملت العصى لا الضعف أوجب حملها علي ولا أني نحلث من الكبر
 ولكنني ألزمت نفسي حملها لأعلمها أن المقيم على سفر

قال بعض أصحاب وكيع بن الجراح : كان لا ينام حتى
 يقرأ ثلث القرآن ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل ، ثم يجلس
 فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلّي ركعتين .

وعن عاصم قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد : رب اغفر لي رب اغفر لي رب اغفر عني إن تعف عني تعف عني تطولاً من فضلك .

وإن تعذبني تُعذبني غير ظالم لي ، قال ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد .

عن خيثمة قال : كان يُعجبهم أن يموت الرجل عند خيرٍ يعملُهُ إما حجٌّ وإما عمرةٌ وإما غزاةٌ وإما صيام رمضان . قال الربيع بن أبي راشد وقد رأى رجلاً مريضاً يتصدق بصدقة فقسّمها بين جيرانه .

فقال : الهدايا أمام الزيارة فلم يلبث الرجل إلا أياماً حتى مات فبكى عند ذلك الربيع بن أبي راشد وقال : أحسن والله بالموت وعلم أنه لا ينفعه من ماله إلا ما قدم بين يديه قال أحمد بن عبدالله بن يونس كان معروف بن واصل التيمي إمام مسجد بني عمرو بن سعد .

قيل إنه كان يختم القرآن في كل ثلاث سفرأً وحضراً وأنه أم قومه ستين سنة لم يسئه في صلاته لأنها كانت تهمه .

وقال عبدالله الملك بن أبجر : ما من الناس إلا مُبتلى بعافية لِيُنظَرَ كيف شكره أو مُبتلى ببليّة لِيُنظَرَ كيف صبره .

وفي الخبر يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يُعَيَّرُونَهُ بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل في المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك . قلت : هذا حاصل في عصرنا فتأمل .

عن معمر مؤذن سليمان التيمي قال : صَلَّى إلى جنبي سليمان التيمي العشاء الآخرة وسمِعته يَقْرَأ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾ .

قال فلما أتى على هذه الآية ﴿ فلما رأوه زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ جعل يُرَدِّدُهَا حتى خَفَّ أهل المسجد وانصرفوا قال فَخَرَجْتُ وَتَرَكَتُهُ .

قال : وعدت لأذان الفجر فإذا هو في مقامه قال فَتَسَمَّعْتُ فإذا هو لم يَجْزُهَا وهو يقول ﴿ فلما رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

وقيل له أَنْتَ أَنْتَ (أَي يُثْنُونَ عَلَيْهِ) قال : لا تقولوا هكذا لا أدري ما يَبْدُو لي من ربي عز وجل ، سَمِعْتُ الله يقول ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ .

ولما حَضَرَهُ الموتُ قال لابنه : يامُعْتَمِرُ حَدِّثْنِي بِالرُّخْصِ لَعَلِّي أَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ .

عن الأعمش قال : قال عمرو بن عُتْبَةَ بنُ فَرْقَدٍ سَأَلْتُ اللهَ ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَأَنَا أَنْتَظِرُ الثَّلَاثَةَ .

سَأَلْتُهُ أَنْ يُزَهِّدَنِي فِي الدُّنْيَا فَبَا أِبَالِي مَا أَقْبَلَ وَمَا أَدْبَرَ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُقَوِّنِي عَلَى الصَّلَاةِ فَرَزَقَنِي مِنْهَا وَسَأَلْتُهُ الشَّهَادَةَ فَأَنَا أَرْجُوهَا .

كان طلحة بن مُصَرِّفٍ يقول في دعائه : اللهم اغفر لي رِيَائِي وَسُمْعَتِي .

قال خُلَيْدُ العَصْرِي : كلنا قد أَيْقَنَ بآموت وما نرى له مستعدا ، وكلنا قد أَيْقَنَ بِالْجَنَّةِ وما نرى لها عاملا .

وكلنا قد أَيْقَنَ بِالنَّارِ وما نرى لها خائِفاً ، فعلام تعرجون ، وما عسيتم تنتظرون ، المـوتُ فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر .

إخواني : إنكم تغدون وتروحون في آجال قد غابت عنكم

لا تدرون متى تهجم عليكم فالوفا الوفا والنجا النجا فالطالب
مُسْرِع .

يَجِدُ بِنَا صَرَفُ الزَّمَانِ وَنَهْزُلُ وَنُوقِظُ بِالْأَحْدَاثِ فِيهِ وَنَغْفُلُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَاعِنٌ أَوْ مُودِّعٌ وَمُسْتَلَبٌ مُسْتَعْجَلٌ أَوْ مُؤَجَّلٌ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ إِذَا مَا قَطَعْنَا مَنَزَلًا بَانَ مَنَزَلُ
فَنَاءٌ مُلْحٌ مَا يُغِيبُ جَمِيعَنَا إِذَا عَاشَ مِنَّا آخِرُ مَاتَ أَوَّلُ
وَكَمْ صَاحِبٍ لِي كُنْتُ أَكْرَهُ فَقْدَهُ تَسَلَّمَهُ مِنِّي الْفَنَاءُ الْمَعْجَلُ
إِسْمَعُوا عِظَةَ الزَّمَانِ إِنْ كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ ، وَتَأَمَّلُوا تَقَلُّبَ
الْأَحْوَالِ إِنْ كُنْتُمْ تُبْصِرُونَ .

قال يحيى بن معاذ : لو سَمِعَ الخلائق صوتَ النِيَّاحَةِ على
الدنيا مِن ألسنةِ الفَنَاءِ لَتَسَاقَطَتِ القلوبُ مِنهم حَزَنًا .
ولو رأتِ العُقُولُ بعينِ الأيمانِ نُزْهَةَ الجنةِ لَذَابَتِ النُفُوسُ
شوقاً إليها .

ولو أدركتِ القلوبُ المحبةَ لِخالِقِهَا لَتَخَلَّعَتِ مَفَاصِلُهَا وَهَاءً
فَسُبْحَانَ مَنْ أَغْفَلَ الخَلِيقَةَ عن كُنْهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَأَهْلَاهُمْ بِالْوَصْفِ
عن حَقَائِقِ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ .

من نالَ من جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ بُغْيَتَهُ يَأْسَى وَيَحْقِرُ قَوْمًا حَظَّهُمْ عَرَضُ
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَشْفُهُمْ حُبُّ الزَّخَارِفِ لَا يَدْرُونَ مَا الْغَرَضُ
أَلَا عُقُولُ الْأَحْلَامِ تَزْجُرُهُمْ بَلَى عُقُولٌ وَأَحْلَامٌ بِهَا مَرَضُ
اللهم تقبل توبتنا ، واغسل حوبتنا ، وأجب دعوتنا ،
وثبت حجتنا ، واهد قلوبنا ، وسدد ألسنتنا ، واسئل سخيمته
صدورنا .

واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فوائد ومواعظ]

إعلم يا أخي أن الناس عند الموت ثلاثة أقسام : الأول : ذو بصيرة علم أن الانسان وإن طال عمره في الدنيا فهو كخطفة برق لمعت في السماء ثم عادت للاختفاء .

فلا يثقل على العاقل اللبيب الخروج من الدنيا إلا بقدر ما يفوته من خدمة ربه عز وجل ، والازدياد من ما يقربه إليه ، والاشفاق مما يقول أو يقال له .

كما قال بعضهم لما قيل له لم تجزع قال : لأني أسلك طريقاً لم أعهده ، وأقدم على ربي جل وعلا ولا أدري ما أقول وما يقال لي . ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت بل إذا عجز عن العبادة ربياً اشتاق إليه .

وقال بعضهم في مناجاته : إلهي إن سألتك الحياة في دار الممات فقد رغبت في البعد عنك ، وزهدت في القرب منك . فقد قال نبيك وصَلَّى الله عليه وسلم « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

الثاني : رجل رديء البصيرة متلطف السريرة منهمك في الدنيا منكر للبعث ، قد رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها ويئس من الآخرة .

فهذا مصيره كما ذكر الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

القسم الثاني : من خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً واعترفوا بذنوبهم وهؤلاء أيضاً مصيرهم كما ذكر الله ، قال الله جل - لا

وتقدس ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ .

ثم اعلم أن طول العمر محبوب ومطلوب إذا كان في طاعة الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « خيركم من طال عمره وحسن عمله » وكلما كان العمر أطول في طاعة الله ، كانت الحسنات أكثر والدرجات أرفع .

وأما طولُه في غير طاعة ، أو في المعاصي ، فهو شر وبلاء ، تكثر السيئات ، وتضاعف الخطيئات .

ومن زعم أنه يحب طول البقاء في الدنيا لِيَسْتَكْثِرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقْرَبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ حَرِيصاً عَلَيْهَا وَمُسْتَمِرّاً فِيهَا وَمُجَانِباً لِمَا يَشْغَلُ عَنْهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَهُوَ بِالصَّادِقِينَ أَشْبَهَ .

وإن كان متكاسلاً عنها ومُسَوِّفاً فِيهَا أَي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ الْمُتَعَلِّلِينَ بِهَا لَا يُغْنِي عَنْهُ .

لأن من أحب أن يبقى لأجل شيء وجدته في غاية الحرص عليه مخافة أن يفوته ويحال بينه وبينه .

ولا سبيها والعمل الصالح محله الدنيا ولا يمكن في غيرها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل .

فتفكر يا أخي في ذلك عسى الله أن ينفعنا وإياك واستعن بالله واصر واجتهد وشمر وبادر بالأعمال الصالحة قبل أن يحال بينك وبينها فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذر من مفاجأة الأجل فإنك غرض للآفات وهدف منصوب لسهام المنايا وإنما رأس مالك الذي يمكنك إن وفقك الله أن تشتري به سعادة الأبد هذا العمر .

قال الله جل وعلا ﴿ أَوْ لِمَ نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ ﴾
الآية فإياك أن تنفق أوقاته وأيامه وساعاته وأنفاسه فيما لا خير فيه
ولا منفعة فيطول تحسرك وندمك وحزنك بعد الموت .
إذا كان رأس المال عُمرِكَ فاحترز

عليه من الإنفاق في غير واجب

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم قال محمد بن
أسلم : مالي ولهذا الخلق كنت في صلب أبي وحدي .
ثم صرت في بطن أمي وحدي .

ثم دخلت الدنيا وحدي .

ثم تقبض رُوحِي وحدي .

ثم أدخل في قبري وحدي .

ثم يأتيني منكرٌ ونكيرٌ فيسألاني وحدي ، فإن صرت إلى خير
صرت وحدي .

ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي .

وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدي .

وإن بُعثت إلى النار بُعثت وحدي ، فما لي وللناس .

ثم تفكر ساعةً فوقعت عليه الرعدة حتى خشيت أن يسقط

قال وسمعته يحلف كذا وكذا مرة يقول : لو قدرتُ أن

أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لَا يَرَانِي مَلَكَائِي لَفَعَلْتُ .

ولكني لا أستطيع ذلك خوفاً من الرياء .

وكان يدخل بيته ويغلقُ بابه ويدخل معه كوزاً من ماء فلم

أدري ما يصنع .

حتى سمعتُ ابناً له صغيراً يحكى بُكاءَهُ فنهته أمه فقالتُ

لها : ما هذا البكاء ؟

فَقَالَتْ : إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ يَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ
وَيَبْكِي فَيَسْمَعُهُ الصَّبِيُّ فَيَحْكِيهِ (أَيَّ يَقْلُدُهُ) .
وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ غَسَلَ وَجْهَهُ وَاکْتَحَلَ لَثْلًا يُرَى عَلَيْهِ
أَثْرُ الْبُكَاءِ .

بَلِّغْ يَا أَخِي الَّذِينَ يَذْكُرُونَ أَعْمَالَهُمْ لِلنَّاسِ مِنْ حَجٍّ وَصَدَقَةٍ
وَصِيَامٍ رِيَاءً وَسُمْعَةً .

وَكَانَ يَصِلُ قَوْمًا وَيُعْطِيهِمْ وَيَكْسُوهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ
لِلرَّسُولِ : أَنْظِرْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا مَنْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ وَيَأْتِيهِمْ هُوَ بِاللَّيْلِ
فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَيْهِمْ وَيَخْفِي نَفْسَهُ .

وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ الَّذِي أَعْطَاهُمْ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَلَ أَحَدًا
بِأَقْلٍ مِنْ مِائَةِ دِرْهَمٍ إِلَّا أَنْ لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ .

وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَبْشِرْ
بِمَا صَنَعَ اللَّهُ بِأَخِيكَ مِنَ الْخَيْرِ قَدْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ أَنَّهُ
لَيْسَ عِنْدِي دِرْهَمٌ يُحَاسِبُنِي اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ عَلِمْتُ ضَعْفِي فَإِنِّي لَا أَطِيقُ الْحِسَابَ ، فَلَمْ يَدَعْ عِنْدِي
شَيْئًا يُحَاسِبُنِي اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ الْبَابَ وَلَا تَأْذَنُ لِأَحَدٍ عَلَيَّ
حَتَّى أَمُوتَ .

وَاعْلَمْ أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ أَدْعُ مِيرَاثًا غَيْرَ كِسَائِي ،
وَإِنِّي الَّذِي أَتَوَضَّأُ فِيهِ وَكُتِبِي .

وَكَانَتْ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا نَجْوُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : هَذَا لِابْنِي
أَهْدَاهُ إِلَيْهِ قَرِيبٌ لَهُ وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَحَلَّ لِي مِنْهُ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ
« أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » .

فَكَفَّنُونِي مِنْهَا وَابْسُطُوا عَلَيَّ جَنَازَتِي لِبَدِي وَغَطُّوا عَلَيَّ
بِكِسَائِي وَتَصَدَّقُوا بِإِنَائِي أَعْطُوهُ مِسْكِينًا يَتَوَضَّأُ مِنْهُ ثُمَّ مَاتَ بِالْيَوْمِ
الرَّابِعِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

قيل إنه مرض قيس أحد الكرماء فاستبطأ إخوانه في عيادته
فسأل عنهم فقالوا : إنهم يستحيون لما لك عليهم من الدين .
فقال : أخزى الله مالا يمنع الإخوان عن الزيارة .
ثم أمر مُنادياً ينادي مَنْ كان لقيسٍ عليه مال فهو
منه في حل .

فكسرت عتبه داره بالعشى لكثرة عواده .
وأتى رجل صديقاً ودق عليه الباب فلما خرج قال : لماذا
جئتني ؟ قال : لأربعمائة درهم دين علي .
فدخل الدار ووزن له أربعمائة درهم وسلمها له ودخل الدار
يبكي .

فقالت إمرأته : هلاً تعللت واعتذرت حين شق عليك
الاجابة ؟

فقال : إنما أبكي لأنني غفلت عنه ولم أتفقّد حاله حتى
احتاج أن يفاجئني به .

وحكى عن حذيفة العدوي قال : انطلقت يوم اليرموك
لطلب ابن عم لي ومعني شيء من ماءٍ وأنا أقول إن كان به رمق
سقيته ومسحت وجهه فإذا أنا به فقلت : أسقيك فأشار إلي نعم
فإذا رجل يقول آه فقال ابن عمي : انطلق إليه .

فجئت إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع
هشام آخر يقول آه فقال : انطلق به إليه فجئت إليه فإذا هو
قد مات .

ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضاً قد مات .
ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات .

إلى كمّ ذا التراخي والتّادي
فلو كنا جماداً لاتّعضنا
تنادينا المنية كلّ وقت
وأنفاسُ النفوس إلى انتقاص
إذا ما الزرعُ قارنه اصفراً
كأنك بالمشيب وقد تبدّى
وقالوا : قد قضى فاقروا عليه
وحادي الموت بالأرواح حادي
ولكنّا أشدّ من الجماد
وما نصغي إلى قول المنادي
ولكنّ الذنوب إلى ازدياد
فليس دواؤه غير الحصاد
وبالأخري مناديا يُنادي
سَلامكم إلى يوم التّناد
عن أبي معشر قال : رأيت عون بن عبد الله في مجلس أبي
حازم يبكي ويمسح وجهه بدموعه .

فقيل له لم تمسح وجهك بدموعك قال : بلغني أنه لا تصيب
دموع الانسان مكانا من جسده إلا حرم الله عز وجل ذلك المكان
على النار .

وقال : قلبُ التائب بمنزلة الزجاجة يُؤثر فيها جميع ما
أصابها فالموعظة إلى قلوبهم سريعة وهم إلى الرقة أقرب .
فداؤوا القلوب بالتوبة فلربّ تائب دعته توبته إلى الجنة حتى
أوفدته عليها ، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب .
سمع المسعودي رجلاً يقول أين الزاهدون في الدنيا الراغبون
فيها عند الله فقال قلب المعنى وضع يدك على من شئت .
عن صالح المري قال : كان عطاء السلمي قد أضر بنفسه
حتى ضعف قال قلت له : إنك قد أضررت بنفسك وأنا متكلف
لك شيئاً فلا تردّ كرامتي قال أفعل .

قال : فاشتريت سويقاً من أجود ما وجدت وسمنا فجعلت
له شربةً وليتها وأرسلتها مع ابني وكوزاً من ماءٍ وقلت له لا تبرح
حتى يشربها فرجع فقال قد شربها .

فلما كان من الغد جعلت له نحوها فرجعتها ولم يشربها فأتته
فلمته فقلت : سبحان الله رددت علي كرامتي إن هذا مما يعينك ،
ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله .

قال : يا أبا بشر لا يسوءك الله قد شربتها أول مرة فلما كان
الغد راودت نفسي على أن تسبغها فما قدرت ذلك .
إذا أردت أن أشربها ذكرت هذه الآية ﴿ يتجرعه ولا يكاد
يسبغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورأيه عذاب
غليظ ﴾ .

فبكي صالح عند هذه وقال : قلت لنفسي أراني في وادٍ وأنت
في آخر .

وقال العلاء بن محمد : دخلت على السلمي وقد غشي
عليه ، فقلت لإمرأته ما شأن عطاء ، فقالت : سَجَرَتْ جارتنا
التنور فنظر إليه فخر مغشياً عليه .

وقال : إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله
وعقابه تمثلت لي نفسي بهم .
فكيف لنفس تغل يدها إلى عنقها وتسحب في النار ، ألا
تصبح فتبكي .

وكيف لنفس تعذب ألا تبكي ، وما أقل غناء البكاء عن
أهله إن لم يرحمهم الله .

وقال له بشر بن منصور : ما هذا الحزن ؟ قال : ومحك الموت
في عنقي والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي ، وعلى جسر جهنم
طريقي ، وربى ما أدري ما يصنع بي ، ثم تنفس فغشي عليه .
وقال عمر بن درهم لعطاء : حتى متى نسهو ونلعب وملك

الموت في طلبنا لا يَكْفُ فِصَاحَ عَطَاءِ صَيِّحَةٍ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .
واجتمع الناس وقعد عمر عند رأسه فلم يزل على حاله
حتى المغرب ثم أفاق فحُمِلَ .

قيل إن أبا عثمان المنتخب أنشد نور الدين أبياتاً تتضمن ما
هو مُتَلَبِّسٌ به نور الدين في ملكه من المكوس والضرائب وفيها
تحذير شديد له كانت هذه الأبيات سبباً لوضعها عن
الناس :

مِثْلُ وَقُوفِكَ أَيَا الْمَغْرُورُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا نُقِلْتَ إِلَى الْبَلَى	فَرْدًا وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفِ	فَرْدًا ذَلِيلًا وَالْحِسَابُ عَسِيرُ
وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومُ وَأَنْتَ فِي	يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَلَّسٌ مَجْرُورُ
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكَ الْجُنُودُ وَأَنْتَ فِي	ضَيْقِ الْقُبُورِ مُوسَّدٌ مَقْبُورُ
وَوَدِدْتَ أَنْكَ مَا وَلَيْتَ وَلَايَةً	يَوْمًا وَلَا قَالَ الْأَنَامُ أَمِيرُ
وَبَقِيتَ بَعْدَ الْعِزِّ رَهْنًا حَفِيرَةً	فِي عَالَمِ الْمَوْتِ وَأَنْتَ حَقِيرُ
وَحُشِرْتَ عُرْيَانًا حَزِينًا بَاكِيًا	قَلَقًا وَمَالِكَ فِي الْأَنَامِ مُجِيرُ
أَرْضَيْتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبُكَ دَارِسُ	عَافِي الْخَرَابِ وَجَسْمُكَ الْمَعْمُورُ
أَرْضَيْتَ أَنْ يُحْطَى سِوَاكَ بِقُرْبِهِ	أَبَدًا وَأَنْتَ مُعَذَّبٌ مَهْجُورُ
مَهْدٌ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بِهَا	يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُو الْعُورُ

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاءً شديداً وأمر
بوضع الضرائب والمكوس في سائر البلاد وكتب إلى الناس ليكون
منهم في حل مما كان أخذ منهم ويقول لهم إنما صرف ذلك في قتال
أعدائكم من الكفرة والذب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم وكتب
ذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه وأمر الوعاظ أن يستحلوا له
من التجار والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث :
صاحب إذا اغوججت قومي ، وصلاة في جماعة يُحمل عني سهوها
وأفوز بفضليها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله عز
وجل علي فيه تبعة .

كان بالكوفة رجل قد خرج عن دنياً واسعة وتعبّد فقال
الفضيل لعبدالله بن المبارك : إن هاهنا رجلاً من المتعبدين قد خرج
عن دنياً واسعة فامض بنا إليه ننظر عقله .

فجاؤا إليه وهو عليل وعليه عباءة وتحت رأسه قطعة لبنة
فسلم عليه ابن المبارك ثم قال له : يا أخي بلغنا أنه ما ترك عبداً
شيئاً لله إلا عوضه الله ما هو أكثر منه فما عوضك ؟

قال : الرضا بما أنا فيه فقال ابن المبارك حسبك ،
وقاما على ذلك .

وأوصى بعضهم أخاه في الله فقال : لا يُلهينك الناس عن
ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولم أر شيئاً أحسن طلباً
ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه لذنب قديم .

قال خليلد العصري : كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له
مستعداً ، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً ، وكلنا قد أيقن
بالنار وما نرى لها خائفاً ، فعلام تعرجون .

وما عسيتم تنتظرون الموت فهو أول وارد عليكم من الله
 بخير أو شر فيا إخواناه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا .
 وقال آخر : ابن آدم لو رأيت يسيرا ما بقي من أجلك ،
 لزهدت في طول ما ترجو من أمك ولرغبت في الزيادة من
 عمك ، ولقصرت من حرصك وحيلك .
 وإنما يلقاك ندمك إذا زل بك قدمك ، واسلمك أهلك
 وحشمك ، وتبرا منك القريب ، وأنصرف عنك الحبيب ، فلا
 أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد .

أبدأ تفهمنا الخطوب كروزها ونعود في عمه كمن لا يفهم
 تلقى مسامعنا العظام كأنها في الظل يرقم وعظه من يرقم
 وصحائف الأيام نحن سطورها يقرأ الأخير ويُدْرَج المتقدم
 لحد على لحد يهال ضريحه وباعظم رمم عليها أعظم
 من ذا توقاه المنون وقبلنا عاد أطاحهم الحماهم وجرحهم
 والتبعان تلاحقا ومحرق والمندران ومالك ومتمم
 رأى مالك بن دينار رجلا يسىء في صلاته فقال : ما أرحمني
 لعياله .

ف قيل له يسىء هذا صلاته وترحم عياله قال : إنه كبيرهم
 ومنه يتعلمون .

وقال سهل بن عبدالله : استجلب حلاوة الزهد بقصر
 الأمل ، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس ، وتعرض لرقعة
 القلب بمجالسة أهل الذكر .

واستفتح باب الحزن بطول الفكر ، وتزين لله بالصدق في
 كل الأحوال .

وإياك والتسوية فإنه يغرق الهلكى ، وإياك والغفلة فإن

فيها سواد القلب ، وَاسْتَجَلِبْ زِيَادَةَ النُّعْمِ بِعَظِيمِ الشُّكْرِ .
كان السلف أحرص ما يكونون على أوقاتهم لأنهم يعرفون
قيمة الوقت وأنه إذا فات لا يُستدرك فهو أعز شيء يُغار عليه أن
يُنْقِضِي بدون عملٍ صالح .

فالوقت ينقضي وينصرم بنفسه ، فمن غفل عن نفسه
تصرمت أوقاته وعظم فواته واشتدَّت حَسْرَاتُهُ .

فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوات مقدار ما أضاع ،
وطلب الرجوع فحيل بينه وبينه ، وطلب تناول الفائت ، وكيف يُردُّ
الامسُ الفائت في اليوم الجديد .

قال الله جل وعلا ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ وَمُنَعَ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيُرْتَضِيهِ .

وعلم أن ما اقتناه ليس للعاقل مما ينبغي أن يقتنيه ، وحيل
بينه وبين ما يشتهيهِ .

فيا لها من حسرة ما إلى رد مثلها من سبيل .

كان الحسن يقول : أصول الشر ثلاثة : الحرص ،
والحسد ، والكبر .

فالكبر منع إبليس من السجود لآدم ، والحرص أخرج آدم
من الجنة ، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه .

وقال غيره : لَيْسَ لِثَلَاثٍ حِيْلَةٌ فَقَرُّ يُخَالِطُهُ كَسَلٌ ، وَخُصُومَةٌ
يُدَاخِلُهَا حَسَدٌ ، وَمَرَضٌ يُدَاخِلُهُ هَرَمٌ .

ثلاثة ينبغي مداراتهم : الملك المسلط ، والمرأة الحمقى ،
والمريض .

وقال آخر : لا نوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة
ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة .

وقال آخر : يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يردده عليك الفوت ، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت .
وكان يقول : ذنوبٌ مزدحمة على عاقبةٍ مبهمه .
إلهي أرحمني لقدرتك علي ولحاجتي إليك .
إلهي ضيعت بالذنب نفسي فارددها بالعفو عني يا أجود الأجودين .

يا مَنْ يغضب على مَنْ لا يسأل لا تمنع مَنْ قد سألك .
وقيل لآخر وهو يجود بنفسه قل ، فقال : اللهم إني نصحت خلقك ظاهرا ، وغششت نفسي باطنا ، فهب لي غشي لنفسي ، لنصحي لخلقك ثم خرجت روحه .
وقال آخر : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال .
وقال : حسن أدب الظاهر عنوان على حسن أدب الباطن لأن النبي ﷺ قال « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » .
وسئل عن الرجال فقال : القائمون بوفاء العهد قال الله تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .
مَنْ نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

وقيل لحمدون ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال :
لأنهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن .
ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق .
قلت : فكيف لو رأى أهل هذا الزمان وما أصيبوا به من التكالب على الدنيا والافتتان بزخارفها ومغرياتها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال شيخ الإسلام :

الْقَلْبُ لَا يَصْلَحُ وَلَا يُفْلِحُ وَلَا يَسُرُّ وَلَا يَلْتَذُّ وَلَا يَطِيبُ وَلَا
يَسْكُنُ وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ .
ولو حصل له كل ما يَلْتَذُّ به من المخلوقات لم يَطْمَئِنُّ ولم
يَسْكُنْ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو مَعْبُودُهُ وَمَحْبُوبُهُ
ومطلوبُهُ .

وبذلك يَحْصُلُ له الفَرَحُ والسُّرُورُ واللَّذَّةُ والنَّعْمَةُ والسُّكُونُ
والطمأنينة .

وهذا لا يَحْصُلُ إلا بإعانة الله له ولا يقدر على تحصيل ذلك
له إلا الله فهو دائماً مُفْتَقِرٌ إلى حقيقة إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .
فهو مُفْتَقِرٌ إليه من حيث هو المَطْلُوبُ المَحْبُوبُ المَعْبُودُ ومن
حيث هو المُسْتَعَانُ به المتوكل عليه .
فهو إله لا إله له غيره وهو ربه لا رب له سواه ولا تتم عبوديته
إلا بهذين .

وقال : إعراض القلب عن الطلب من الله والرجا له يوجب
إنصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا
يرجو الخالق .

بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه
وإما على أهله وأصدقائه وإما على أمواله أو غيرهم ممن مات أو
يموت قال تعالى ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ .
وقال على كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً
لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه .

بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره فمن
قول الله وقول رسوله يتعلم وبه يتكلم .

وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عند علم بذلك
ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس
﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وقال رحمه الله : من ابتلي ببلاءٍ قلبي أزعجه فأعظم دواء له
قوة الالتجاء إلى الله ودوام التضرع والدعاء بأن يتعلم الأدعية
المأثورة ويتوخى الدعاء في مظان الإجابة .

مثل آخر الليل وأوقات الأذان والاقامة وفي سجوده وأدبار
الصلوات ويضم إلى ذلك الاستغفار .

وليتخذ ورداً من الأذكار طرفي النهار وعند النوم وليصبر على
ما يعرض له من الموانع والصوارف .

فإنه لا بد أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الايمان في قلبه .
وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه
وظاهره فإنها عمود الدين .

وليكن هجيراً لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال .

ولا يسأم من الدعاء والطلب فإن العبد يستجاب له ما لم
يعجل .

وليعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع
العسر يسرا .

وقال ابن القيم : مراقبة الرب علم العبد وتيقنه باطلاع الله
على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة

وهي ثمرة عمله بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة .

قال النبي ﷺ « ذاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا .

وقال : من قال حين يسمع النداء رضيتُ بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً غفرت ذنوبه » .

وهذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي . وقد تضمَّنهما الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له .

ومن اجتمعت له فهو الصديق حَقًّا وقال : الأدبُ اجتماعُ خصال الخير في العبد وهي ثلاثة أنواع :

أدب مع الله بأن يَصُونَ قَلْبَهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ أَوْ تَتَعَلَّقَ إِرَادَتُهُ بِمَا يَمُوتُ عَلَيْهِ ، ويصون معاملته أن يشوبها بنقيصه .

وأدب مع الرسول بكمال الانقياد ، وتلقى خبره بالقبول والتصديق وأن لا يعارضه بغيره بوجه من الوجوه .

وأدب مع الخلق بمعاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ويناسب حالتهم .

وقال رحمه الله : المقبول من العمل قسمان : أحدهما أن يُصَلِّيَ الْعَبْدُ وَيَعْمَلُ سَائِرَ الطَّاعَاتِ وَقَلْبُهُ مَتَّعِلِقٌ بِاللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَاكِرٌ لِلّهِ عَلَى الدَّوَامِ فَعَمَلُهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ .

الثاني : أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ الْأَعْمَالَ عَلَى الْعَادَةِ وَالْغَفْلَةِ وَيُنَوِّيَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ .

فأركانها مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله فهذا عمله مقبولٌ ومُثَابٌّ عَلَيْهِ بِحَسَبِهِ .

وقال العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرُونَ على تركها ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم .
وكيف يؤمر بفضيلة مَنْ ترك فريضة فإنَّ صُعْبَ عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحب الله إليهم بذكر نعمه وصفات كماله .
فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإقلال منها .
لا شيء أفسدَ للأعمال من العُجب ورؤْيَةِ النفس .
ولا شيء أصلح لها من شهود العبد منة الله وتوفيقه والاستعانة به والافتقار إليه وإخلاص العمل له .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وقال ابن القيم رحمه الله :

[العقبات التي يتدرج منها الشيطان لإغواء العبد]

« العقبة الأولى » ؛

عقبة الكفر بالله ولقائه وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه ، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح .
فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية وسلم معه نور الإيمان طلبه على :

« العقبة الثانية » :

وهي عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه ، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله ، من الأوضاع والرسوم المحدثّة في الدّين التي لا يقبل الله منها شيئاً .
والبدعتان في الغالب متلازمتان قل أن تنفك إحداهما عن

الأخرى ، كما قال بعضهم : تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال ، فاشتغل الزوجان بالعرس فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيشون في بلاد الإسلام ، تضح منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى .

وقال شيخنا : تزوجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة .

فإن قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة واعتصم منها بحقيقة المتابعة وما مضى عليه السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب ، فإن سمحت به نصب له أهل البدع الحبائل وبغوه الغوائل وقالوا : مبتدع محدث ، فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه على :

« العقبة الثالثة » :

وهي عقبة الكبائر فإن ظفر فيها زينها له وحسنها في عينه وسوف به وفتح له باب الإرجاء وقال له : الإيمان هو التصديق نفسه فلا تقدر فيه الأعمال (أي أعمال الفسوق والعصيان) .
وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهي قوله : (لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة) والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه ، لمناقضتها الدين ، ودفعها لما بعث الله به رسوله .

وصاحبها لا يتوب منها ، ولا يرجع عنها بل يدعو الخلق إليها ، والاجتهاد على إطفاء نور السنة .

وتولية من عزله الله ورسوله ، وعزل من ولاه الله ورسوله ،
واعتبار ما رده الله ورسوله ، ورد ما اعتبره ، وموالاته من عاداه ،
ومعاداة من والاه وإثبات ما نفاه ، ونفي ما أثبتته .

وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب ، ومعارضة الحق
بالباطل وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً والباطل حقاً ، والإلحاد
في دين الله ، وتعمية الحق على القلوب وطلب العوج لصراط الله
المستقيم ، وفتح باب تبديل الدين جملة .

فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها ، حتى ينسلخ
صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين .

فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر ، والعميان
ضالون في ظلمة العمى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾
فإن قطع هذه العقبة بعصمة الله أو بتوبة نصوح تنجيه منها

طلبه على :

« العقبة الرابعة » :

وهي عقبة الصغائر فكاله منها بالقفزان وقال : ما عليك
إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت اللمم أو ما علمت أنها تكفر
باجتناب الكبائر وبالחסنات ، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر
عليها .

فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً
منه ، فالإصرار على الذنب أقبح منه ولا كبيرة مع التوبة
والاستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار .

وقد قال ﷺ : « إياكم ومحقرات الذنوب » ثم ضرب لذلك
مثلاً بقوم نزلوا بفلاة من الأرض فأعوزهم الحطب . فجعل هذا

يجيء بعود وهذا بعود حتى جمعوا حطباً كثيراً فأوقدوا ناراً وأنضجوا
خبزتهم .

فكذلك فإن محقرات الذنوب تتجمع على العبد وهو يستهين
بشأنها حتى تهلكه .

فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ودوام التوبة
والاستغفار وأتبع السيئة الحسنة طلبه على :
« العقبة الخامسة » :

وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها ، فشغله بها
عن الاستكثار من الطاعات ، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده ثم
طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن ، إلى ترك الواجبات .
وأقل ما ينال منه : تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة
والمنازل العالية ، ولو عرف السعر ما فوت على نفسه شيئاً من
القربات ، ولكنه جاهل بالسعر .

فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد ومعرفة بقدر
الطاعات والاستكثار منها وقلة المقام على الميئاء وخطر التجارة وكرم
المشتري ، وقدر ما يعوِّض به التجار فبخل بأوقاته وضمنَّ بأنفاسه
أن تذهب في غير ربح ، طلبه العدو على :
« العقبة السادسة » :

وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات فأمره بها
وحسنها في عينه وزينها له وأراه ما فيها من الفضل والربح ، ليشغله
بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً .

لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله
وفضله ، ودرجاته العالية ، فشغله بالمفضول عن الفاضل

وبالمرجوح عن الراجح ، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه ،
وبالمرضي عن الأرضى له .

ولكن أين أصحاب هذه العقبة ؟ فهم الأفراد في العالم .
والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأول .

فإن نجا منها بفقته في الأعمال ومراتبها عند الله ومنازلها في
الفضل ، ومعرفة مقاديرها والتمييز بين عاليها وسافلها ومفضولها
وقاضلها ورئيسها ومرؤوسها وسيدها ومسودها .

فإن في الأعمال سيداً ومسوداً ورئيساً ومرؤوساً وذروة وما
دونها ، كما في الحديث الصحيح : « سيد الاستغفار أن يقول
العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت » الحديث .

وفي الحديث الآخر : « الجهاد ذروة سنام الأمر » وفي الأثر
الآخر : « إن الأعمال تفاخرت فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله
وكان للصدقة مزية في الفخر عليهن » .

ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولي
العلم السائرين على جادة التوفيق ، قد أنزلوا الأعمال منازلها
وأعطوا كل ذي حق حقه .

فإذا نجا منها أحد لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى
واحدة لا بد منها ، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبيأؤه
وأكرم الخلق عليه .

وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان
والقلب على حسب مرتبته في الخير ، فكلما علت مرتبته أجلب عليه
العدو بخيله وظاهر عليه بجنده ، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع
التسليط

وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها ، فإنه كلما جد في

الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره جدَّ العدو في إغراء السفهاء به ، فهو في هذه العقبة قد لبسَ لأمةَ الحرب ، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله .

فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين وهي تسمى عبودية المراغمة ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة ، ولا شيء أحبُّ إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له اهـ .

[فصل]

كان الصدق في صدر الاسلام أساساً في القول والعلم والمعاملة ، وخصوصاً فيما يتعلق بالدين وحفظ الحديث . فقد ورثت عن العلماء الأوائل علوم الدين مضبوطة كاملة كما أنزلت على رسول الله ﷺ وحدث عنها .

وكان علماء الدين وجامعوا أحاديث النبي ﷺ يتحرون صدق المحدث بشكل عجيب .

يُدْرُسُونَ حَيَاتَهُ وَيَتَحَقَّقُونَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى سُلْطَانٍ فِي صَحْبَةٍ أَوْ وَظِيفَةٍ .
وَأَنَّهُ يُطَبِّقُ تَعَالِيمَ الدِّينِ كَامِلَةً وَلَمْ تُعْهَدْ عَلَيْهِ كَذِبَةٌ فِي حَيَاتِهِ .
فَعِنْدَهَا يُؤْخَذُ عَنْهُ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ .

ومثال على ما ذكر عن الامام أحمد رحمه الله أنه سمع بوجود حديث عند عالم بدمشق فسافر إليه من بغداد حتى وصل دمشق فمكث مدة يسأل عن العالم وعن أخلاقه ومعاملته وكلامه .

حتى إذا وثق من صدقه أتاه مبكراً بعد أن اغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه إجلالاً للحديث ولأنَّ يحمله .

ولما اقترب من بيته وجد العالم خارجاً من بيته يقود حماره وقد كان حمالاً يكتسب رزقه .

فرفض الحمار أن يسير معه فحاول أن يجره أو يسوقه بمختلف الوسائل ويأبى الحمار .

فجمع له طرف جبهته وقدمه للحمار ليؤهمه أن في الجبة شعيراً أو نحوه فتبعه الحمار .

فنظر الإمام أحمد إلى الجبة فوجدتها خالية ما فيها شيء .

فترك أحمد العالم والأخذ عنه حيث تبين له كذبه على الحمار .

فلا يؤتمن على الحديث الشريف اهـ .

وأخطر الكذب الكذب على الله ورسله قال تعالى ﴿إنما

يفترى الكاذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم

الكاذبون﴾ .

قيل إن ربي بن حراش لم يكذب كذبة قط .

وكان له إبنان عاصيان على الحجاج فطلبها فلم يعثر

عليهما .

فقيل للحجاج إن أباهما لم يكذب كذبة قط ، لو أرسلت

إليه فسألته عنها .

فاستدعا أباهما فقال : أين أبناؤك ؟

قال : هما في البيت فاستغرب الحجاج .

وقال لأبيهما : ما حملك على هذا وأنا أريد قتلها .

فقال : لقد كرهت أن ألقى الله تعالى بكذبة فقال الحجاج :

قد عفونا عنها بصدقك .

أتى الحجاج برجلين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلها
فقال أحدهما : إن لي عندك يداً .

قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددتُ
عليه ، فقال : ومن يشهدُ لك ؟ قال : صاحبي هذا فسأله فقال :
نعم (أي صدق) .

فقال : ما منعك أن تفعل كما فعل صاحبك (المعنى لم لم
تدافع عني مثله) .

فقال : بُغِضُكَ (أي لأني أبغضُكَ) فقال : أطلقوا هذا
لِصِدْقِهِ وهذا لِفِعْلِهِ فأطلقوهما .

فانظر يا أخي كيف يُنجي الله الصادقين ، قال الله جل
وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

تنبيهه : إعلم أن الصدق إنما يُحسُن إذا تعلق به نفع ولا
يلحق ضرره بأحد ومن المعلوم قبح الغيبة والنميمة والسعاية وإن
كانتا صدقاً .

ولذلك قيل كفى بالسعاية والغيبة والنميمة ذماً أن الصدق
يقبح فيها .

رحل الأمام أحمد رحمه الله إلى ما وراء النهر ليروي أحاديث
ثلاثية قيل له إن هناك من يروونها ويحفظونها فوجد شيخاً يطعم كلباً
فسلم على الشيخ فردَّ عليه السلام .

ثم اشتغل الشيخ بالطعام الكلب فوجد الإمام أحمد في
نفسه حيث أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه .

فلما فرغ الشيخ من إطعام الكلب التفت إلى الإمام أحمد وقال له : كأنك وجدت في نفسك حيث أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال : نعم .

قال : حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « من قطع رجاء من ارتجأه قطع الله رجاءه منه يوم القيامة فلم يلج الجنة » .

وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب .
فخفت أن أقطع رجاءه .

فقال الامام أحمد : هذا الحديث يكفيني ثم رجع .

مر عبدالله بن جعفر على عبد في بستان معه ثلاثة أقراص شعير ، فأتاه كلب فرمى إليه بأول قرص ، ثم رمى بالثاني ، ثم بالثالث .

فسأله جعفر : ما هو قوت يومك ؟ فقال : هو ما رأيت ، قال ما حملك على هذا ؟ قال : آثرت الكلب على نفسي لأنه أتا من بعيد جائعاً .

قال : وما تفعل في يومك ؟ قال : أطويه بلا طعام ، فاشترى البستان واشترى العبد من سيده وأعتقه ووهبه البستان .

خرج عبدالله بن المبارك إلى الحج مع جماعة وبعد مسيرهم مرحلة خرج في الصباح من الخيمة .

فوجد صبيّة آتت إلى مطرح القمامة وأخذت منها دجاجة
مُلَقاة ميتة وذهبت بها فتبعها عبدالله فوجدها دخلت في خيمة
مهلهلة أي خلقة وفيها ولدٌ صغير .

فقال لها : لم أخذت الدجاجة الميتة ؟ فقالت : أنتم
رَمَيْتُمُوهَا فقال : ألا تعلمين أنه لا يحل أكلها ؟ فقالت : إنها تحل
لنا لشيءة فقرنا .

فذهب عبدالله بن المبارك إلى وكيّله وقال له : ما الذي
معك ؟ قال : ألف دينار .

قال : أبق منها ما يوصلنا إلى بلدنا وادفع للأُنثى الباقي
وسنحج في العام المقبل إن شاء الله .

دخل محمد بن واسع على أمير وعليه جبةٌ صوف فقال
الأمير: ما الذي دعاك إلى لسر هذه فسكت فقال الأمير : لم لم
تُجِبني ؟

فقال : أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي أو أقول فقراً
فأشكوري .

قال ابن رجب : دخلوا على بعض الصحابة في مرضه
ووجهه يتهلل فسألوه عن سبب تهلل وجهه فقال : ما من عمل
أوثق عندي من خصلتين كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي
سليماً للمسلمين .

أتى جُندي إلى بلده فوجد إبراهيم بن ادهم ، فسأله أين
العمران فدله على المقبرة ، فظن أنه يستهزؤ به فصره حتى أدماه
فقيل للجندي هذا الأمير بن ادهم .

فعاد يعتذر إليه فقال إبراهيم لما كنت تضربني كنت أسأل

الله لك الجنة ، قال : ولم ، قال : لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني فخملت رجاء الجنة فكان لك فضل علي فسألت لك الجنة .

ولولا رِوَاةُ الدِّينِ ضَاعَ وَأَصْبَحَتْ
هُمُوا هَاجِرُوا فِي جَمْعِهَا وَتَبَادَرُوا
وَقَامُوا بِتَعْدِيلِ الرِّوَاةِ وَجَرَحِهِمْ
بِتَبْلِيغِهِمْ صَحَّتْ شَرَائِعُ دِينِنَا
وَضَحَّ لِأَهْلِ النُّقْلِ مِنْهُمْ حِجَاؤُهُمْ
وَحَسِبُهُمُوا أَنَّ الصَّحَابَةَ بَلَّغُوا
فَمَنْ حَادَ عَنِ هَذَا اليَقِينِ فَمَارِقُ
وَلَكِنْ إِذَا جَاءَ الهُدَى وَدَلِيلُهُ
وَإِنْ رَامَ أَعْدَاءُ الدِّيَانَةِ كَيْدَهَا
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فوائد وحكم ومواعظ وآداب متنوعة]

العلم صفة يميز المتصِفُ بها تَمِيْزًا جَازِمًا مُطَابِقًا لِلوَاقِعِ .
وله ثلاث مراتب ، المرتبة الأولى : علم اليقين أو خبر اليقين ،
وهو انكشاف المعلوم للقلب بحيث أنه لا يشك فيه .
المرتبة الثانية : مرتبة عَيْنِ اليقين ، ونسبتهَا لِلْعَيْنِ كِنْسَبَةِ
الأولى للقلب .
المرتبة الثالثة : حق اليقين ، وهي مباشرة المعلوم وإدراكه
التام .

فالأولى كعلمك أن في هذا البستان ماء .

والثانية كرؤيتك إياه .

والثالثة كالشرب منه

ومن هذا قول حارثه أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا فقال رسول الله ﷺ « إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك » .

قال : عَزَفْتُ نَفْسِي عن الدنيا وشهواتها فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بَارِزًا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يتعاونون فيها .

قال النبي ﷺ « عَرَفْتُ فالزم ، عَبْدُ نَوْرَ الله الايمان في قلبه » .
مرَّ أبو هريرة رضى الله عنه بسوق المدينة فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة .

قال : ميراث رسول الله ﷺ يُقَسَّمُ وأنتم هَاهُنَا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ، قالوا : وأين هو يا أبا هريرة ؟ قال : في المسجد ، فخرجوا سِرَاعًا ووقف أبو هريرة لهم حتى رجَعُوا فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا : يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نرى شيئًا يقسم .

فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا : بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرؤون القرآن وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام .

فقال لهم أبو هريرة : ومحكم فذاك ميراث محمد ﷺ ، رواه الطبراني في الأوسط .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : كيف بكم إذا لَبَسْتُمْ فتنه يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، وتتخذ سنة فإن غيرت يوماً قيل هذا منكر .

قال : ومتى ذلك ؟ قال : إذا قَلَّتْ أَمَنَاتُكُمْ وكَثُرَتْ أَمْرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ وكَثُرَتْ قُرَاؤُكُمْ وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ . قلتُ : هذا مَوْجُودٌ الآن بِكَثْرَةِ فَتَاوَمَلٍ وَدَقِّقِ النَّظْرَ .

وروى أبو نعيم وغيره عن كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب أنه قال : الناس ثلاثة : عالم رباني .

ومتعلم على سبيل النجاة .

وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا إلى ركن وثيق .

ثم ذكر كلاماً في فضل العلم إلى أن قال () ، إن هاهنا لعلماً جما وأشار إلى صدره لو أصبت له حملة .

بَلْ أَصِيبُ لِقْنَا غَيْرَ مَأْمُونٍ مُسْتَعْمِلَا آةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا
وَمُسْتَظْهِرَا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ .

أو مقلداً لحملة الحق لا بصيرة في أحنائه ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة .

ألا لا إذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة ،
أو مغرماً بالجمع والأدخار ، ليس من رعاة الدين في شيء .

أقربُ شَبَهاً بهما الأنعامُ السائمةُ ، كذلك يموت العلمُ
بموتِ حامليهِ .

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحججه إما ظاهراً
مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً .

لئلا تبطل حجج الله وبيئاته كم ذاً وأين أولئك والله
الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً .

يحفظ الله بهم حججه وبيئاته ، حتى يودعوها نظراءهم ،
ويزرعوها في قلوب أشباههم .

هجم بهم على حقيقة البصيرة ، وبأشروا روح اليقين
واستلأنوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه
الجاهلون .

وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُتَعَلِّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ،
أَوْلَيْكَ خَلْفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالِدُعَاةُ إِلَى دِينِهِ ، آهٍ أَلَا شَوْقًا إِلَى
رُؤْيَتِهِمْ .

لَقَدْ نَشَرُوا الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ فِي الْوَرَى عَلَى حِينِ تَغْلِي الْحَرْبِ غَلِي الْمَرَاجِلِ
وَقَدْ خَطَبُوا فِي الْأَرْضِ بِالْحَقِّ مِنْ عَلَى مَنَابِرِ عِزٍّ مِنْ مُتُونِ الصَّوَاهِلِ
أَزَالُوا سَفَاهَاتِ الشُّعُوبِ وَقَابَلُوا سَفَاسِفَهُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ الْجَلَائِلِ
وَشَادُوا عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ حَضَارَةً أَقِيَمَتْ عَلَى أَسِّ التَّقَى وَالْفَضَائِلِ
كَذَلِكَ قَدْ كَانَتْ أَوَائِلُ قَوْمِنَا أَلَا لَيْتَنَا نَبْنِي بِنَاءَ الْأَوَائِلِ
وَنُحْيِي رُسُومًا غَادِرُوا لِاعْتِبَارِنَا فَأَصْبَحَ مِنْهَا دَارِسًا كُلُّ مَائِلِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

قِيلَ إِنَّ الْقَاضِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ صَعِدَ مِنْ سَمِيرِيَّةِ (مَرْكُوبِ
بَحْرِي) وَهُوَ فِي عَشْرِ الْمِائَةِ ١٠٠ سَنَةً فَقَفَزَ مِنْهَا إِلَى الشَّطِّ .
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : يَا شَيْخُ لَا تَفْعَلْ هَذَا فَإِنَّ
أَعْضَاءَكَ تَضَعُفُ وَرَبِّمَا أَوْرَثْتَ هَذِهِ الْقَفْزَةَ فَتَقَا فِي بَطْنِكَ فَقَالَ :
يَا هَذَا إِنْ هَذِهِ أَعْضَاؤُنَا حَفِظْنَاهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَحَفِظْنَاهَا
اللَّهُ عَلَيْنَا . فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ ﷺ « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ »
قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ نَقَرَ عَلَى النَّاسِ قَلَّ أَصْدِقَاؤُهُ وَمَنْ نَقَرَ عَلَى
ذُنُوبِهِ طَالَ بُكَاءُهُ وَمَنْ نَقَرَ عَلَى مَطْعَمِهِ طَالَ جُوعُهُ .
أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَنَاةُ فِي الْأُمُورِ
وَالْإِعْتِبَارُ بِالتَّجَارِبِ وَأَشَدُّهَا ضَرَرًا بِالْعَقْلِ الْاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ ،
وَالْتِهَانُ بِالْأُمُورِ ، وَالْعَجَلَةُ وَمُشَاوَرَةُ سَخْفَاءِ الْعُقُولِ وَالنِّسَاءِ .
الْعَجَبُ مِنْ وَرَثَةِ الْمَوْتَى كَيْفَ لَا يَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا .

أَوْصَى رَجُلٌ بَنِيهِ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِالنُّسْكِ فَإِنَّهُ إِذَا أُبْتُلِيَ
 أَحَدُكُمْ بِالْبُخْلِ قِيلَ مُقْتَصِدٌ لَا يُحِبُّ الْإِسْرَافَ .
 وَإِنْ أُبْتُلِيَ بِالْعِيِّ قِيلَ يَكْرَهُ كَثْرَةَ الْكَلَامِ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ ، وَإِنْ
 أُبْتُلِيَ بِالْجُبْنِ قِيلَ لَا يُقَدِّمُ عَلَى شِبْهَةٍ .
 أَكْثَرُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ غَفْلَةً عَنْ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَهَا يَكُونُ
 مَغْمُورًا بِتِلْكَ النِّعْمِ وَلَا يَعْرِفُ فَضْلَهَا إِلَّا بَعْدَ زَوَالِهَا .
 فَالْإِنْسَانُ لَا يَعْرِفُ فَضْلَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ إِلَّا عِنْدَ فَقْدِهَا
 وَمِثْلَهُ السَّمْعُ وَالْكَلامُ وَالشَّهْوَةُ لِلطَّعَامِ وَالنِّكَاحُ وَسَائِرُ نِعْمِ اللَّهِ الَّتِي
 قَالَ عَنْهَا ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ
 يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ وَحَمْدَهُ وَشُكْرَهُ .
 وَالشُّكْرُ يَكُونُ بِأُمُورٍ مِنْهَا أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ بِلِسَانِهِ ، وَأَنْ
 يَشْكُرَهُ ، ثَانِيًا : أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ النِّعْمَ كُلَّهَا مِنْ اللَّهِ فَضْلًا وَإِحْسَانًا .
 ثَالِثًا : أَنْ لَا يَعْصِيَ اللَّهَ فِيهَا ، رَابِعًا : أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فِيهَا ،
 خَامِسًا : أَنْ يُقْبَلَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ .
 غَرَبَةُ الصَّادِقِينَ بَيْنَ أَهْلِ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ .
 وَغَرَبَةُ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَسَيِّئِ الْأَخْلَاقِ .
 وَغَرَبَةُ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الَّذِينَ سُلِبُوا الْخَشْيَةَ
 وَالْإِشْفَاقَ وَأَحْبَبُوا الشُّهُرَةَ وَالظُّهُورَ وَالرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ .
 وَغَرَبَةُ الزَّاهِدِينَ بَيْنَ الرَّاعِبِينَ فِيهَا يَنْفَدُ وَلَيْسَ بَبَاقٍ .
 وَغَرَبَةُ أَهْلِ الصَّلَاحِ بَيْنَ الْفُسَّاقِ وَالْمَرْجَةِ وَأَهْلِ الْمُنْكَرَاتِ .
 تَأْهِلُ التَّلْفَازَ وَالْفِيدِيوَ وَالْكُورَةَ وَالِدُخَانَ وَحَالِقِي اللَّحَا وَاللَّهَ أَعْلَمُ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ مِنْ صِفَاتِ الْعَالَمِ الْمَطْبُوقِ لِلشَّرْعِ : أَنْ يَأْمَنَ
 شَرَّهُ مِنْ خَالِطِهِ ، وَيَأْمَلُ خَيْرَهُ مِنْ صَاحِبِهِ .

ولا يؤاخذ بالعثرات ، ولا يُشيع الذنوب عن غيره ، ولا
يُفشي سرّاً من عآداه ، ولا يُنتصرُ منه بغيرِ حقٍ ويعفو ويصفح عنه .
ذليلٌ للحق ، عزيزٌ عن الباطل ، كاظمٌ للغيب عمن آذاه ،
شديدٌ للبغض لمن عصى مولاه .

يجيب السفية بالصمت عنه ، والعالم بالقبول منه ، لا
مداهن ، ولا مشاحن ، ولا مختال ، ولا فخور ، ولا حسود ، ولا
جاف ، ولا فظ ، ولا غليظ ، ولا طعان ، ولا لعان ، ولا مغتاب ،
ولا سباب ، حالٌ بيّته من المنكرات والكافرين والكافرات .

يخالط من الاخوان من عاونه على طاعة ربه ونهاه عما يكره
مولاه ، ويخالق بالجميل من لا يأمن شرّه ، إبقاءً على دينه ، سليم
القلب للعباد من الغل والحسد ، يغلب على قلبه حسنُ الظن
بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر .

لا يُحبُّ زوال النعم عن أحد من العباد ، يدارى جهل
من عامله برفقه ، إذا تعجب من جهلٍ غيره ذكر أنّ جهله فيما بينه
وبين ربه أكثر .

لا يتوقع له بائقة ، ولا يخاف منه غائلة ، الناس منه في
راحة ، ونفسه منه في جهد .

ومن صفته أيضاً أن يكون شاكراً لله وله ذاكراً ، دائم الذكر
بحلاوة حب المذكور مُنعمُ القلب بمناجاة الرحمن يُعدُّ نفسه مع
شدة اجتهاده مذنباً مُوقراً من المعاصي والآثام .

ومع الاستمرار على حسن العمل مقصراً لجأ إلى الله فقوى
ظهره ووثق بالله فلم يخف غيره مستغن بالله عن كل شيء ومفتقر
إلى الله في كل شيء أنسه بالله وحده ووحشته ممن يشغله عن ربه .

إن إزداد علماً خاف توكيد الحجة مشفق على ما مضى من
 صالح عمله أن لا يقبل منه همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه
 وفي سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضيع ما أمر به .
 متأدب بالقرآن والسنة لا يُنَافِسُ أهل الدنيا في عِزِّهَا ولا
 يَجْزَعُ مِنْ ذُهَا يَمْشِي على الأرض هَوْنًا بالسَّكِينَةِ والوقارِ ومشتغل قلبه
 بالفهم والاعتبار والتفكير فيما يقربه إلى الله .
 إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة وإن أطاع
 الله عز وجل بغير حضور فهم فخران عنده مبین .
 يذكر الله مع الذاكرين ، عَالِمٌ بِدَاءِ نَفْسِهِ وَمُتَّهِمٌ لَهَا فِي كُلِّ
 حَالٍ شُغْلُهُ بِاللَّهِ مُتَّصِلٌ وَعَنْ غَيْرِهِ مُنْفَصِلٌ .
 فإن قال قائل فهل لهذا النعت الذي نعت به العلماء
 ووصفتهم به أصل في القرآن أو السنة أو أثر عن تقدم .
 قيل له نعم قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ
 قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا
 إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
 خُشُوعًا ﴾ .
 وصف العلماء بالبكاء والخشية والطاعة والتذلل فيما بينه
 وبينهم اهـ بتصريف واختصار .
 قال أحد العلماء : الحكايات جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ يُثَبَّتُ اللَّهُ
 بِهَا قُلُوبَ الْعَارِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَقَالَ مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
 لِرَسُولِهِ ﷺ ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبَّتُ بِهِ
 فَوَادِكُ ﴾ كَانَ يُقَالُ مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يَمْنَعْ أَرْبَعًا مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ
 لَمْ يَمْنَعْ الْمَزِيدَ قَالَ تَعَالَى ﴿ لَنْ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول قال تعالى ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غلو صلحنا ما فيها من الغلط الاعتقادي وجعلنا على ما فيه تصليح أقواساً :

تَيْقِظُ لِنَفْسٍ عَنْ هُدَاهَا تَوَلَّتْ وَيَادِرُ فِيهِ التَّأخِيرِ أَعْظَمُ خَشْيَةٍ
فَحْتَامَ لَا تَلْوِي لِرُشْدِ عِنَانِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ غِيَّهَا كُلَّ بُغْيَةٍ
وَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَامِسَةٌ لِمَنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةً
إِذَا أَرْمَعَتْ أَمْرًا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا عَنِ الْفِعْلِ إِخْوَانُ التَّقَى وَالْمَبْرَةِ
وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي بَالِهَا أَنْشَى أَبُو مَرَّةٍ يَثْنِيهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَلِي قَدَمٌ لَوْ قُدِّمَتْ لِظُلَامَةٍ لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دُعَيْتُ لِقُرْبَةٍ
لَكُنْتُ كَذِي رَجَلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ
وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ هَيْبٍ وَزَفَرَتِي
رُوَيْدُكَ لَا تَقْنُطُ وَإِنْ كَثُرَ الْخَطَا وَلَا تَيَاسَنُ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَحْمَةٍ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرٌ وَالتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ وَلَا فَرَجٌ إِلَّا بِشِدَّةِ أَرْمَةِ
« وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جَهَنَّمَ فَلَمَّا دَعَى الْمَوْلَى أَعِيدَ لِحُنَّةِ »
فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيَتْ خَيْرًا عَلَى الَّذِي مَنَحَتْ مِنَ الْبُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى وَمَا حِيلَتِي فِي أَنْ تُفَرِّجَ كُرْبَتِي
« فَقَالَتْ فَطَبَّ نَفْسًا وَقَمْ مُتَوَجِّهًا لِرَبِّكَ تَسْلَمَ مِنْ بَوَارٍ وَخَيْبَةٍ »
« فَكَمْ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَالْتَجَا إِلَيْهِ فَحُطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ »
« فَذَيْتُكَ فَأَقْصِدْهُ بِذَلِّ فَإِنَّهُ يُقِيلُ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ »
« إِذَا مَا أَتَوْهُ تَائِبِينَ مِنَ السُّذِيِّ جَنُوهُ مِنَ الْآثَامِ تَوْبَةً مُحِبَّتِ »
وصلى إلهي كل يوم وليلة على أحمد المختار أذكى البرية

[فصل]

عن أبي الدرداء قال : إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عزَّ وجلَّ يَدْخُلُ أَحَدَهُمُ الْجَنَّةَ وهو يَضْحَكُ .
خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يُرِيدُ الْجُمُعَةَ فَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ رَاجِعِينَ
فَدَخَلَ دَارًا فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ : إِنَّهُ مَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ لَا
يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ .

صلى تميم الداري لَيْلَةً حتى أصبح أو قارب ، الصبح وهو
يقرأ آيةً وَيُرَدِّدُهَا وَيَبْكِي ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ
نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

وقام مرة بعد أن صلى العشاء في المسجد فمرَّ بهذه الآية
﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِوَانِ ﴾ فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح .
وسأله رجل عن صلاته بالليل فغضب غضباً شديداً ، ثم
قال والله لركعة أصليها في جوف الليل في سرِّ أحبُّ إليَّ من أن
أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس بلِّغْ مَنْ يَعُدُّكُمْ جَجًّا مِنْ مَرَّةٍ
وَكَمْ اعْتَمَرَ وَحَذِرَهُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ

وقال آخر : قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ ، كَيْفَ يَقِلُّ
عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى ، أَقْوَى الْقُوَّةُ غَلَبَتْكَ نَفْسُكَ .
وَمَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَبِ نَفْسِهِ كَانَ عَنْ أَدَبٍ غَيْرِهِ أَعْجَزَ ، وَمَنْ
خَافَ اللَّهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ .

وقال : إِنْ اعْتَمَمْتَ بِهَا يَنْقُصُ مِنْ مَالِكَ فَاْبِكِ عَلَى مَا
يَنْقُصُ مِنْ عَمْرِكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .
وَلَنْ يَكْمُلَ رَجُلٌ حَتَّى يُوْثِرَ دِينَهُ عَلَى شَهْوَتِهِ وَلَنْ يَهْلِكَ حَتَّى
يُوْثِرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِينِهِ .

ومن علامة الاستدراج العمى عن عُيُوبِ النَّفْسِ .

كان الربيع بن خيثم بعد ما سقط سيقه يعتمد على رجلين إلى المسجد وكان أصحاب عبد الله يقولون له : لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك .

فيقول : إنه كما تقولون ولكني سمعت الأذان حيي على الفلاح فمن سمع منكم فليجبه ولو زحفاً ولو حبواً .

قال بعضهم : يا أخي إن الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير حال ، وإن الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أسلمته إلى شر حال .

وما خير عمر إمرئ لا يدري ما عاقبة أمره ، وما خير عيش لا يكمل ما حفظ منه ، ولئن كانت الرغبة في الدنيا هي المستولية على قلوبنا كما استولت على أبداننا لقد خبنا غداً في القيامة ونحسرتنا .

مرض خيثمة وثقل وجاءته إمرأته فجلست عنده فبكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ الموت لا بد منه ، فقالت : الرجال عليّ حرام .

فقال لها : ما كل هذا أردت منك إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي وهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يتلى فيه كل ثلاث .

وعن الأعمش عن خيثمة ، قال : تقول الملائكة يارب عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا ، وتعرضه للبلاء ، قال : فيقول للملائكة اكشفوا لهم عن ثوابه ، فإذا رأوا ثوابه قالوا يارب لا يضره ما أصابه في الدنيا .

قال : ويقولون عبدك الكافر تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا قال فيقول للملائكة اكشفوا لهم عن عقابه ، قال فإذا رأوا

عقابه قالوا يارب لا ينفعه ما أصابه من الدنيا .
ولما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال : لا تبكي فقد
ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة .
قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : ذهب صفو الدنيا
وبقى كدرها فالموت اليوم تحفة لكل مسلم .
وعظ الحسن أصحابه فقال : والله لقد صحبنا أقواماً كانوا
يقولون ليس لنا في الدنيا حاجة ليس لها خلقنا فطلبوا الجنة بغدوهم
ورواجهم .

نعم والله حتى أهرقوا فيها دماءهم فأفلحوا ونجحوا هنيئاً لهم لا
يطوى أحدهم ثوباً ولا يفترشه ولا تلقا إلا صائهاً ذليلاً متبايساً خائفاً
إذا دخل إلى أهله إن قرب إليه شيء أكله وإلا سكت لا يسألهم
عن شيء ما هذا وما هذا . ثم قال :
ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

قال حذيفة في مرضه الذي مات فيه : لولا أنى أرى أن هذا
اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به .
اللهم إنك تعلم أنى كنت أحب الفقر على الغنى وأحب
العزلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا
أفلح من ندم ثم مات رضى الله عنه قال بعضهم :
من عرف ربه أحبه ومن أحبته ترك الدنيا إلا لما لا بد له منه .
وقال آخر : يا ويح نفسي كيف أغفل ولا يغفل عني أم كيف
تهنؤني معيشتي واليوم الثقيل ورأى أم كيف يشتد عجبى بدار في
غيرها قرارى وخلدي .

وعن عون بن ذكوان قال : صلى بنا زرارَةُ بنُ أبي أوفى صلاة الصبحَ حَتَّى بَلَغَ ﴿ فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاوِرِ ﴾ فخرَ مَيِّتاً وَكُنْتُ فِي مَنْ حَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ .

قال الشيخ تقي الدين : من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم من الشدة والضر ما يلجئهم إلى توحيدهِ فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونهُ ولا يرجون أحداً غيره .

فتتعلق قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من التوكل عليه والإِنابة إليه وحلاوة الإِيْمَانِ وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم من زوال المرض والخوف والجُذْب والضر اهـ .

علامات الشَّقَاوَةِ أربعة : نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله مَحْفُوظَةٌ ، وذكر الحَسَنَاتِ الماضية ولا يَدْرِي أَقْبَلَتْ أم رُدَّتْ ، ونظره إلى مَنْ فوقه في الدنيا ، ونظره إلى مَنْ دُونَهُ في الدين .

وعلامات السعادة أربعة : ذكر الذنوب الماضية ، ونسيان الحَسَنَاتِ الماضية ، ونظره إلى مَنْ فوقه في الدين ، ونظره إلى مَنْ دُونَهُ في الدنيا .

قال بعضهم : الأَدَبُ أَدَبُ الدِّينِ وَهُوَ دَاعِيَةٌ إِلَى التَّوْفِيقِ وَسَبَبٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَزَادَ مِنَ التَّقْوَى .

وهو أن تعلم شَرَائِعَ الإسلامِ وأداء الفرائض وأن تأخذ لِنَفْسِكَ بِحِظْهَا مِنَ النَّافِلَةِ وتزيد ذلك بِصِحَّةِ النِّيَّةِ وإِخْلَاصِ النَّفْسِ وَحُبِّ الخَيْرِ مُنَافِساً فِيهِ مُبْغِضاً لِلشَّرِّ نَازِعاً عَنْهُ .

وَيَكُونُ طَلْبُكَ لِلخَيْرِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ وَمُجَانِبَةً لِلشَّرِّ رَهْبَةً مِنْ عِقَابِهِ فَتَفُوزَ بِالثَّوَابِ وَتَسْلَمَ مِنَ الْعِقَابِ ذَلِكَ إِذَا اعْتَزَلْتَ رُكُوبَ الْمُوبِقَاتِ وَآثَرَتِ الْحَسَنَاتِ الْمُنْجِيَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[حكم وفوائد متنوعة]

ما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته
وما شيء أضعف من جاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى
عبادته التي بناها على غير أساس .

كان أحد الحكماء قليل الأكل خشن اللباس ، فكتب إليه بعض
الفلاسفة : أنت تحسب أن الرحمة لكل ذي روح واجبة وأنت ذو
روح ولا ترحمها بترك قلة الأكل وخشن اللباس .

فكتب إليه : عاتبني على لبس الخشن وقد يعشق الانسان
القبیحة ويترك الحسنة وعاتبني على قلة الأكل وأنا إنما أريد أن أكل
لأعيش وأنت تريد أن تعيش لتأكل والسلام .

فكتب إليه الفيلسوف : قد عرفت السبب في قلة الأكل فما
السبب في قلة الكلام ؟

فكتب الحكيم إليه : أمّا ما احتجت إلى مفارقتة وتركه
للناس فليس لك ، والشغل بما ليس لك عبث .

وقد خلق الحق سبحانه وتعالى لك أذنين ولساناً لتسمع
ضعف ما تقول لا لتقول أكثر مما تسمع والسلام .

تقدمت امرأة إلى قاضي الري فادّعت على زوجها بصداقتها
خمسة دينار فأنكر فجاءت بيينة تشهد لها به .

فقالوا : نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة

أم لا .

فلما صمّموا على ذلك قال الزوج : لا تفعلوا هي صادقة فيما

تدعيه .

فأقر بها ادّعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ حِينَ عَرَفَتْ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ لِيَصُونَ وَجْهَهَا
عَنْ نَظَرِ الرِّجَالِ إِلَيْهِ : هُوَ فِي حِلٍّ مِنْ صِدَاقِي الَّذِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ .

مَنْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ ذِكْرِ أخطَارِ أَرْبَعَةٍ فَهُوَ مُغْتَرٌّ فَلَا يَأْمَنُ
الشَّقَاءَ .

الأول : خَطَرُ المِيثَاقِ حِينَ قَالَ هُوَ لَاءٌ فِي الجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي
وهو لَاءٌ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي ، فَلَا يَعْلَمُ فِي أَيِ الفَرِيقَيْنِ كَانَ .

والثاني : حِينَ خَلِقَ فِي ظِلْمَاتِ ثَلَاثِ فَنَادَى المَلِكُ بِالشَّقَاوَةِ
وَالسَّعَادَةِ ، وَلَا يَدْرِي أَمِنَ الأَشْقِيَاءُ هُوَ أَمْ مِنَ السُّعَدَاءِ .

والثالث : ذَكَرُ هَوْلِ المَطْلَعِ ، فَلَا يَدْرِي أَيُّبَشِّرُ بِرِضَاءِ اللهِ
أَمْ بِسَخَطِهِ .

والرابع : يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ، فَلَا يَدْرِي أَيِ
الطَّرِيقَيْنِ يَسْلُكُ بِهِ أَهـ .

قال علي بن الموفق : كان لي جار مجوسي اسمه شهريار فكنتُ
أعرض عليه الإسلام فيقول نحن على الحق ، فمات على المجوسية .
فرأيت في النوم فقلت له : ما الخبر ؟ فقال : نحن في قعر
جهنم قال قلت : تَحْتَكُمْ قَوْمٌ ؟

قال : نعم قومٌ منكم قال قلت : من أي الطوائف منّا ؟
قال : الذين يقولون إن القرآن مخلوق اهـ من طبقات الحنابلة
المجلد (٢) .

قيل للأعمش : قد أحببت العلم بكثرة من يأخذه عنك ؟
فقال : لا تعجبوا فإن ثلثاً منهم يموتون قبل أن يدركوا وثلثاً يلزمون
السلطان فهم شرٌ من الموتى .

ومن الثلث الثالث قليل من يفلح وقال : شرُّ الأُمراء
أبعدهم من العلماء وشرُّ العلماء أقربهم من الأُمراء .
وقال آخر : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس :
الجبابرة الغافلين والقراء المداهين والمتصوفة الجاهلين .
وقال الخليل بن أحمد : أيامي أربعة .

يوم ألقى فيه من هو أعلم مني فأتعلم منه فذاك يومٌ فائدتي
وغنيمتي ، ويوم ألقى فيه من أنا أعلم منه فذاك يومٌ أجرى .
ويومٌ ألقى فيه من هو مثلي فأذاكره فذلك يومٌ درسي .
ويوم ألقى فيه من هو دوني وهو يرى أنه فوقي فلا أكلمه
وأجعله يومَ راحتي .

قال ابن المسيب : لقد أتى عليّ ثمانون سنةً وذهبت إحدى
عيني وأنا أعشو بالأخرى وصاحبي أعمى وأصم يُريدُ ذكره وإني
أخاف من فتنة النساء .

وقال عبادة بن الصامت : ألا تروني لا أقوم إلا رُفداً (يعني
إنه يساعد على القيام) ولا آكل إلا ما لُوق لي (يعني مالين وسُخن)
وقد مات صاحبي منذ زمان (يعني ذكره) .

وما يسرني أني خلوتُ بإمرأة لا تحل لي وأن لي ما تطلع عليه
الشمسُ مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه عليّ لأنه لا سمع له ولا
بصر وكان كثير من السلف في السوق لا ينظر إلا إلى قدمه .

وقال سعيد بن المسيب : لو إتمنت على بيت مال لأديتُ
الأمانة ولو إتمنت على امرأة سوداء لحفت أن لا أؤدي الأمانة فيها .
وكذلك المال لا يؤتمن عليه أصحاب الأنفس الحريصة على
أخذه وهذا كله يبين أن النفس تخون أمانتها إلا من عصمه الله .

فَرَاكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَابٌ وَمُخْلَبٌ
فَحْتَامٌ لَا تَنْفَكَ جَامِحٌ هَمَّةٌ
تُسَرُّ بِعَيْشِ أَنْتَ فِيهِ مُنْغَصٌّ
تُغَذِّيكِ وَالْأَوْقَاتُ جِسْمَكَ تَغْتَذِي
وَتَعْجَبُ مِنْ آفَاتِهَا مُتْلَفْتَاً
وَتَحْسِبُهَا بِالْبَشْرِ تُبْطِنُ خَلَّةً
إِذَا رَضِيتُ أَعْمَتَكَ عَنْ طُرُقِ الْهُدَى
وَفِي سَلْبِهَا ثَوْبُ الشَّبَابِ دَلَالَةٌ
أَتَرْضَى بِأَنْ يَنْهَاكَ شَيْبُكَ وَالْحِجَا
أَجْدَّكَ لَا تَسْمَعُ لِذُنْيَاكَ مَوْعِدَاً

قال ابن الجوزي رحمه الله : إخواني الأيام لكم مطايا فأين
العُدَّة قبل المنايا أين الأنفة من دار الأذايا أين العزائم أترضون
الدنيا .

إِنَّ بَلِيَّةَ الْهُوَى لَا تُشْبِهُ الْبَلَايَا وَإِنْ خَطِيئَةُ الْإِصْرَارِ لَا
كَالْخَطَايَا ، وَإِنْ سَرِيَّةُ الْمَوْتِ لَا كَالسَّرَايَا ، وَقَضِيَّةُ الْأَيَّامِ لَا
كَالْقَضَايَا ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ لَا يَقْبَلُ الْهُدَايَا .

فِيَامَسْتُورِينَ سَتَطَهَّرُ الْخَبَايَا ، أَيُّهَا الْمَسْتَوْتُنْ بَيْتُ غُرُورِهِ ،
تَاهِبْ لِإِزْعَاجِكَ ، أَيُّهَا الْمَسْرُورُ بِقُصُورِهِ ، تَهَيَّأْ لِإِخْرَاجِكَ .
خُذْ عُدَّتَكَ وَقُمْ فِي قِضَاءِ حَاجَتِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَوْلَادِكَ ،
وَأَزْوَاجِكَ ، مَا الدُّنْيَا دَارُ مَقَامِكَ ، بَلْ مَحْتَأٌ لِأَذْلَاجِكَ .

وَلِلدَّهْرِ تَارَاتٌ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى
وَمَنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَعْتَبِنَهَا
أَجْدَّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا
نَعِيمٌ وَيَوْسُ صِحَّةٌ وَسَقَامٌ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامٌ
وَمَاذَا الَّذِي تَبْغِيهِ فَهُوَ حُطَامٌ

فَدَعَّهَا وَنَعَمَاهَا هَنِئًا لِأَهْلِهَا
 هَبْ إِنَّ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مَلَكَتْهَا
 وَمُتَّعْتَ بِاللَّذَاتِ ذَهْرًا بِغِبْطَةٍ
 فَبَيْنَ الْبِرَايَا وَالْخُلُودِ تَبَايُنٌ
 قَضِيَّةٌ أَنْقَادَ الْأَنَامِ لِحُكْمِهَا
 ضَرُورِيَّةٌ تَقْضِي الْعُقُولَ بِصِدْقِهَا
 وَلَا تَكُ فِيهَا رَاعِيًا وَسَوَامٌ
 وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ هُمَامٌ
 أَلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامٌ
 وَبَيْنَ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسِ لِيَزَامُ
 وَمَا حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وَغُلَامٌ
 وَمَا كَانَ فِيهَا مَرِيَّةٌ وَخِصَامٌ
 سَلِ الْأَرْضَ عَنْ حَالِ الْمُلُوكِ الَّتِي خَلَّتْ

لَهُمْ فَوْقَ مَرَقِي الْفَرَقْدَيْنِ مَقَامٌ

بِأَبْوَابِهِمْ لِلْوَافِدِينَ تَرَائِمٌ
 تَجَبُّكَ عَنْ أَسْرَارِ السُّيُوفِ الَّتِي جَرَتْ
 بَأَنَّ الْمَنَايَا أَقْصَدَتْهُمْ نِبَاهُهَا
 وَسَيِّقُوا مَسَاقَ الْغَابِرِينَ إِلَى الرَّدَى
 وَحَلُّوا مَحَلًّا غَيْرَ مَا يَعْهَدُونَهُ
 أَلَمْ يَهُم رَيْبُ الْمُنُونِ فَعَالَهُمْ
 بِأَعْتَابِهِمْ لِلْعَاكِفِينَ زِحَامٌ
 عَلَيْهِمْ جَوَابًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامٌ
 وَمَا طَاشَ عَنْ مَرْمَى لَهْنٍ سِهَامٌ
 وَأَقْفَرُ مِنْهُمْ مَنْزِلٌ وَمَقَامٌ
 فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامِ قِيَامٌ
 فَهَهُم بَيْنَ أَطْبَاقِ الرُّغَامِ رُغَامٌ

اللهم يا عظيم العفو يا واسع المغفرة يا قريب الرحمة يا ذا
 الجلال والاكرام فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ،
 وهب لنا العافية في الدنيا والآخرة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه
 أجمعين .

[فصل]

إعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تارة يُحمَلُ على
 رجاء ثوابه ، وتارة على خوف العقاب في تركه ، وتارة الغضب لله ،
 وتارة النصيحة للمسلمين والرحمة لهم .

ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض للعقوبة
وغضبه في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه إجلالا لله وعظمته ومحبه
وأنه أهل أن يطاع فلا يُعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن
يشكر فلا يكفر .

وأن يُفتدى من إنتهاك محارمه بالنفوس والأموال كما قال
بعض السلف : وِدِدْتُ أَنْ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَطَاعُوا اللَّهَ وَأَنْ لَحْمِي
قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ .

وكان عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز يقول لأبيه : وِدِدْتُ
أَنْي غَلَّتْ بِي وَبِكَ الْقُدُورُ فِي اللَّهِ تَعَالَى .

وَمَنْ لَحَظَ هَذَا الْمَقَامَ وَالَّذِي قَبْلَهُ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَلْقَى مِنْ
الْأَذَى فِي اللَّهِ تَعَالَى وَرَبِّهَا دَعَا مَنْ آذَاهُ كَمَا قَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا
ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » أَه .

أَتَتْ إِمْرَأَةً إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ
زَوْجِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْكُوهُ وَهُوَ يَعْمَلُ
بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَالَ لَهَا : نِعَمَ الزَّوْجُ زَوْجُكَ فَجَعَلَتْ تُكْرِرُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ
وَهُوَ يَكْرِرُ عَلَيْهَا الْجَوَابَ فَجَاءَ كَعْبُ الْأَسَدِيِّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تَشْكُو زَوْجَهَا فِي مُبَاعَدَتِهِ إِيَّاهَا عَنْ فِرَاشِهِ .

فَقَالَ عُمَرُ : كَمَا فَهِمْتَ كَلَامَهَا فَاقْضِ بَيْنَهُمَا فَقَالَ عَلِيٌّ
بِزَوْجِهَا فَاتِي بِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنْ إِمْرَأَتِكَ هَذِهِ تَشْكُوكَ ، قَالَ : أَفِي
طَعَامٍ أَمْ شَرَابٍ ، قَالَ : لَا .
فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ رُشِدُهُ أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فِرَاشِي مَسْجِدُهُ

زَهْدُهُ فِي مَضْجَعِي تَعْبُدُهُ فَاقْضِ الْقَضَا كَعَبٌ وَلَا تُرَدِّدُهُ
نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ مَا يَرْقُدُهُ وَلَسْتُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهُ
فَقَالَ زَوْجُهَا :

زَهَّدَنِي فِي فُرْشِهَا وَفِي الْحَجَلِ أَنِي أَمْرُو أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلَ
فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَفِي السَّبْعِ الطَّوْلِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَخَوِّفُ جَلَلَ
فَقَالَ كَعْبٌ :

إِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا يَا رَجُلُ نَصِيْبَهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلَ
فَأَعْطَهَا ذَاكَ وَدَعَّ عَنْكَ الْعِلْلُ

ثم قال : إن الله عز وجل قد أحلَّ لك النساءَ مثنى وثلاث
ورباعَ فلَكَ ثلاثة أيامٍ ولياليهنَّ تعبدٌ فيهنَّ لربك .
فقال عمرُ : والله ما أدري من أي أمرٍك أعجبُ أمِن فهمِكَ
أمرهُمَا أم من حُكْمِكَ بينهما .

إِذْهَبْ فَقَدْ وَلَّيْتُكَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ .

قال بعضُ العلماءِ : أنا أخاف من النساءِ أكثرَ مما أخاف من
الشیطانِ لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ إن كيدَ الشيطانِ كان
ضعيفًا ﴾ .

وقال سبحانه في النساءِ ﴿ إن كيدَكن عظيمٌ ﴾ كان بعضُ
العلماءِ يقول : إذا رأيت الليلَ مقبلًا فرحْتُ وأقول أخلو بربي وإذا
رأيتُ الصباحَ استوحشتُ كراهةَ لقاءِ مَنْ يُشغِلني عن ربي .
قال ابن عباسٍ : غي واد في جهنم وإن أودية جهنم
لتستعيد من حرِّه .

أعد الله ذلك الوادي للزاني المصر على الزنا والشارب الخمر
المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق ولشاهد

الزور وإمرأة أدخلت على زوجها ولدا ليس منه .
قال عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ لما رأى العابدون الليلَ قد هَجَمَ عليهم
ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم .
قاموا إلى الله سبحانه وتعالى فرحين مُسْتَبْشِرِينَ بما قد وهبهم
الله من السهر وطولِ التَّهَجُّدِ فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ بِأَبْدَانِهِمْ وَبِأَشْرَ
ظَلْمَتِهِ بِصَفَاحِ وَجُوهِهِمْ .
فَانْقَضَى عَنْهُمْ اللَّيْلُ وَمَا انْقَضَتْ لَدَاتِهِمْ مِنَ التِّلاوَةِ وَلَا
مَلَّتْ أَبْدَانُهُمْ مِنْ طَوْلِ الْعِبَادَةِ فَأَصْبَحَ الْفَرِيقَانِ وَقَدْ ولى
بَرِيحٍ وَغَبِنٍ .
فاعملوا لأنفسكم في هذا الليل وسواده فإن المغبون من غبن
خير الدنيا والآخرة .

يَارُفْقَةَ اللَّيْلِ طَابَ السَّيْرُ فَأَغْتَنِمُوا الْـ مَسْرَى فَمَنْ نَامَ طَوَّلَ لَمْ يَصِلِ
اجتمع الزهري وأبو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بني
أمية لما حج وسمع الزهري كلام أبي حازم وحكمته فأعجبه ذلك .
وقال : هو جاري منذ كذا وكذا وما جالسته ولا عرفتُ أن
هذا عنده .
فقال له أبو حازم : أجل إني من المساكين ولو كنتُ من
الأغنياء لَعَرَفْتَنِي فوبخه بذلك .
وفي رواية أنه قال : لو أَحْبَبْتَ اللهُ أَحْبَبْتَنِي وَلَكِنْ نَسِيتَ اللهُ
فَنَسِيتَنِي يُشِيرُ إِلَى أَنْ مَنْ أَحَبَّ اللهُ أَحَبَّ الْمَسَاكِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَالْحِكْمَةِ لِأَجْلِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى وَمَنْ غَفَلَ عَنِ اللهِ غَفَلَ عَنِ أَوْلِيَائِهِ
مِنَ الْمَسَاكِينَ .

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله والغالب
عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة في الدنيا ويدعون أهل
الرياسات والولايات إذا لم يكونوا أهلا .

وأما إذا كانوا أهلاً فإن الرئاسة لا تمنع بل تزيد العالم شرفاً
وحسن اعتقاد ويكون علمه أنفذ لأنه لا لطمع كالخلفاء الأربعة
رضى الله عنهم .

وقال ابن الجوزي : إخواني إن الذنوب تغطي على القلوب
فإذا أظلمت مرآة القلب لم يبين فيها وجه الهدى ومن علم ضرر
الذنب استشعر الندم .

يا مَنْ أعماله إذا تُؤمِّلت سَقَطَ ، كم أثبت له عمل فلما عدم
الإخلاص سَقَطَ ، يا حاضرَ الدُّهن في الدنيا فإذا جاء الدين
خَلَطَ ، يَجْعَلُ هَمَّهُ في الحساب فإذا صَلَّى اختلط .

يا ساكتاً عن الصواب فإذا تكلم لفظ ، يا قَرِيبَ الأجل وهو
يجرى من الزلل على نَمَطُ .

يا مَنْ لا يعظه وهنُّ العَظْم ولا كلامُ الشَّمَطُ ، يا مَنْ لا
يرعوى ولا ينتهي بل على منهاج الخطيئة فقط ، ويحك بادر هذا
الزمان فالصحة غنيمَةٌ والعافية لقط .

فَكَأَنَّكَ بالموت قد سَلَّ سَيْفُهُ عليك واخترط ، أين العزيز في
الدنيا أين الغنى المغتبط ، خيم بين القبور ، وضرب فسطاطه في
الوسط ، وبات في اللحد كالأسير المرتبط .

واستلبت ذخائره ففرغ الصندوق والسفط ، وتمزق الجلد
المستحسن وتمعط الشعر فكأنه ما رجله وكأنه ما امتشط ورضى
وَرَأَتْهُ بها أصابوه وجعلوا نصبه السخط .

وفرقوا ما كان يجمعه بكف البخل والقنط ووقع في قفر لا ماء
فيه ولا حنط وكم حُدِّثَ أن سعد بن معاذ في القبر انضغط وكم
حُدِّرَ من المعاصي وأخبر أن آدم بلقمة زل فهبط .

نَادِ الْقُصُورَ الَّتِي أَقْوَتْ مَعَالِمَهَا
 أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
 أَيْنَ الْأَسْوَدُ الَّتِي كَانَتْ تُحَاذِرُهَا
 أَيْنَ الْجِيُوشُ الَّتِي كَانَتْ لَوْ اعْتَرَضَتْ
 أَيْنَ الْحِجَابِ وَمَنْ كَانَ الْحِجَابُ لَهُ
 أَيْنَ الَّذِينَ لَهُمْ عَمَّا لَهُ خُلِقُوا
 أَيْنَ الْبُيُوتِ الَّتِي مِنْ عَسْجِدٍ نُسِجَتْ
 أَيْنَ الْأَسِيرَةُ تَعْلُوهَا ضَرَاغِمُهَا
 هَذِي الْمَعَاقِلُ كَانَتْ قَبْلُ عَاصِمَةً
 أَيْنَ الْعَيُونُ الَّتِي نَامَتْ فَمَا انْتَبَهَتْ
 أَيْنَ الْجُسُومِ الَّتِي طَابَتْ مَطَاعِمَهَا
 أَلْهَاهُ نَاضِرُ دُنْيَاهُ وَنَاعِمُهَا
 أَسَدُ الْعَرِينِ وَمِنْ خَوْفِ تُسَالِمِهَا
 لَهَا الْعُقَابُ لِحَانَتِهَا قَوَادِمُهَا
 وَأَيْنَ رُبَّتُهُ الْكَبِيرَى وَخَادِمُهَا
 كَمَا لَهَتْ فِي مَرَاعِيهَا سَوَائِمُهَا
 هَلْ الدَّنَانِيرُ أَغْنَتْ أُمَّ ذَرَاهِمُهَا
 هَلْ الْأَسِيرَةُ أَغْنَتْ أُمَّ ضَرَاغِمُهَا
 وَلَا يَرَى عِصْمَ الْمَغْرُورِ عَاصِمُهَا
 وَهَاهُنَا نَوْمَةٌ مَا هَبَّ نَائِمُهَا
 اللَّهُمَّ انْقِذْنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِإِغْتِنَامِ أَيَّامِ الْمَهَلَةِ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فِصْل]

قَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ : إِنَّمَا فَضِلَ الْعَقْلُ عَلَى الْحَسِّ بِالنَّظَرِ فِي
 الْعَوَاقِبِ فَإِنَّ الْحَسَّ لَا يَرَى الْحَاضِرَ وَالْعَقْلُ يَلَاحِظُ الْآخِرَةَ وَيَعْمَلُ
 عَلَى مَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَقَعُ .
 فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَغْفَلَ عَنْ تَلْمُحِ الْعَوَاقِبِ .
 فَمَنْ ذَلِكَ أَنْ التَّكَاسُلَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ وَإِيثَارِ عَاجِلِ الرَّاحَةِ
 يُوجِبُ حَسْرَاتٍ دَائِمَةً لَا تَفِي لَذَّةِ الْبَطَالَةِ بِمَعْشَارِ تِلْكَ الْحَسْرَةِ .
 وَمَنْ ذَاكَ أَنْ الْإِنْسَانَ قَدْ يَجْهَلُ بَعْضَ الْعِلْمِ فَيَسْتَحْيِي مِنْ
 السُّؤَالِ وَالطَّلْبِ لِكِبَرِ سِنِهِ .

ولئلا يُرى بعين الجهل فيلقى من الفضيحة إن سئل عن ذلك أضعاف ما آثر من الحيا .

ومن ذلك أن الطبع يطالب بالعمل بمقتضى الحالة الحاضرة مثل جواب جاهل وقت الغضب .

ثم يقع الندم في ثاني الحال ، على أن لذة الحلم أوفى من الانتقام ، وربما آثر الحقد من الجاهل فتمكن فبالغ في الأذى له .
ومن ذلك أن يعادي بعض الناس ويأمن أن يرتفع المعادى فيؤذيه وإنما ينبغي أن يضمم عداوة العدو .

ومن ذلك أن يحب شخصاً فيفشى إليه أسراره ثم يقع بينها عداوة فيظهر ذلك عليه .

ولي رجل تباله فصعد المنبر فحمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير أعزنا الله وإياه ولا تي بلادكم هذه وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرّاً فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ويتصالحون ولا يرتفعون إليه .

ومن ذلك أن يرى المال الكثير فينفق ناسياً أن ذلك يفنى فيقع له في ثاني الحال حوائج فيلقى من الندم أضعاف ما التذّب به في النفقة .

فينبغي لمن رزق مالا أن يصور كبر السن والعجز عن الكسب ويتصور ذهاب الجاه في الطلب من الناس ليحفظ ما معه .

ومن ذلك أن ينبسط ذو دولة فإذا عُزل ندم على ما فعل وإنما ينبغي أن يُصوّر العزل ويعمل بمقتضاه .
ومن ذلك أن يؤثر لذة مطعم فيشبع فيفوته قيام الليل ، أو

يؤثر لذة النوم فيفوته التهجد ، أو يأكل أو يجامع بشره فيمرض .
أو يشتهي جماع سَوْدَاءَ وَيَنْسَى أنها ربما حملت فجاءت بنت
سَوْدَاءَ ، فكم من حَسْرَةٍ تَقَعُ له على مدى الزمان ، كلما رأى تِلْكَ
البنت .

وقد كان في زمننا من جامع سوداء فجاءت بولد أسود
فافتضح به منهم صاحب المخزن وقاضي القضاة الدامغاني وكان
تاجراً قد ولد له ابن أسود فلما رآه قال : لعن الله شهوتي .

ومن ذلك الاشتغال بصورة العلم وإنهما يراد العمل به
والاخلاص في طلبه فيذهب الزمان في حب الصيت وطلب مدح
الناس فيقع الخسران إذا حُصِّلَ ما في الصدور . قُلْتُ مَا أَكْثَرَ هَذَا
في وقتنا . نسأل الله الحي القيوم أن يَعْصِمَنَا وَإِخْوَانَنَا المسلمين .
ومن ذلك إقناع العلم بطرف من العلم فأين مزاحمة
الكاملين والنظر في عواقب أحوالهم .

ومن ذلك الاكثار من الجماع ناسياً مغبته وأنه يضعف البدن
ويؤذي فالطبع يرى اللذة الحاضرة والعقل يتأمل .
ولقد جئت يوماً من حر شديد فتعجلت راحة البرودة فنزعت
ثوبي فأصابني زكام أشرفت منه على الموت ولو صبرت ساعة ربحت
ما لقيت فقس كل لذة عاجلة ودع العقل يتلمح عواقبها
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال ابن رجب رحمه الله في شرح الخمسين : فالحاصل من
هذه الأحاديث كلها أن ما حرم الله الانتفاع به .
فإنه يحرم بيعه وأكل ثمنه كما جاء مصرحاً به في الرواية
المتقدمة أن الله إذا حَرَّمَ شيئاً حَرَّمَ ثمنه .
وهذه كلمة عامة جامعة تطرد في كل ما كان المقصود من

الانتفاع به حراماً وهو قسمان : أحدهما ما كان الانتفاع به حاصلاً
مع بقاء عينه كالأصنام ، فإن منفعتها المقصودة منها الشرك بالله
وهو أعظم المعاصي على الإطلاق .

ويلتحق بذلك ما كانت منفعته محرمة ككتب الشرك
والسحر والبدع والضلال ، وكذلك الصور المحرمة وآلات الملاهي
المحرمة كالطنبور وكذلك شراء الجوارى للغناء .

وفي المسند عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « إن الله بعثني
رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير والكبارات (يعني
البرابط والمعازف والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية) .

وأقسم ربي بعزته لا يشربُ عبدٌ من عبيدي جرعة من خمر
إلا سقيته مكانها من حميم جهنم مُعَذَّباً أو مغفوراً له ولا يسقاها
صبياً صغيراً إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذباً أو مغفوراً له .

ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها في
حظيرة القدس ولا يحل بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا تجارة
فيهن وأثمانهن حرام » أه .

ذكر ابن القيم في الهدى : أنه من صحَّ له يومُ جمعة وسَلِمَ
سلمت له سائر جمعة ومن صحَّ له رمضان وسَلِمَ سلمت له سائر
سنته ومن صحت له حجته وسلمت له صح له سائر عمره فيوم
الجمعة ميزان الأسبوع ورمضان ميزان العام والحج ميزان العمر .

وصى بعضهم ابنه فقال : عليك بالمشاورة فإنك واجد في
الرجال من ينصح لك الكي ويحسبُ عنك الداء ويخرجُ لك المُستكين
ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهبها ولا لعدوك فيك فرصة إلا
حصَّنها .

ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك
من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فإن أحمدت أجتنت وإن ذممت
نفتت .

فإن في ذلك خصالا منها أنه إن وافق رأيك إزداد رأيك شدة
عندك وإن خالف رأيك عرضته على نظرك فإن رأيته معتليا لما رأيته
قبلت وإن رأيته متضعا عنه استغنت .
ومنها أنه يجدد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ
ويمحض لك مودته وإن قصر .

إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا
يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور .

وأوصى آخر ابنه فقال : يا بني كن على حذر من اللئيم إذا
أكرمته ومن الكريم إذا أهنته ، قال الشاعر :
واخش الأذى عند إكرام اللئيم كما
تخشى الأذى إن أهنت الحرذا النبيل

وكن على حذر من الجاهل إذا صاحبتة ومن الفاجر إذا
خاصمته .
ومن الرشيد مشاورة الناصح ومداراة العدو والحاسد ، قال
الشاعر :

مَنْ يَدَارِ دَارِي وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَى
عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ
يا بني احذر الحسد فإنه يفسد الدين ويضعف النفس
ويعقب الندم . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم .

[فصل]

ومن وصايا أبي حنيفة لأبي يوسف : لا تتكلم بين يدي العامة

إلا بما تسأل عنه ، قلت أو (فيا يعود عليهم بما ينفعهم
وإن لم يسألوا) .

ولا تكثر الخروج إلى السوق ولا تكلم المراهقين فإنهم فتنة
(قلت إلا لضرورة أو حاجة) .

ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامّة فإنك إن
قدّمتهم إزدري بعلمك وإن أخرتهم إزدري بك من حيث أنهم
أسنُّ منك .

قال النبي ﷺ « من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا
فليس منا » .

ولا تقعد على قوارع الطريق فإن دعاك ذلك فاقعد في
المسجد .

ولا تأكل في الأسواق والمساجد قلت إلا لضرورة أو حاجة .
ولا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك
وتعاطاها فإن العامة إذا لم يروا منك الإقبال عليها أكثر مما يفعلون
اعتقدوا فيك قلة الرغبة واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم
الجهل الذي هم فيه .

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم فلا تتخذها لنفسك بل
كن كواحد من أهلها ليعلموا أنك لا تقصد جاههم ولا يخرجون
عليك بأجمعهم ويطعنون في مذهبك وتصير مطعوناً عندهم بلا
فائدة .

وإن استفتوك فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات .

ولا تذكر لهم شيئاً إلا عن دليل واضح .

ولا تطعن في أساتذتهم فإنهم يطعنون فيك . قلت إلا أن
يكونوا مبتدعين كالشاعرة والمعتزلة والجهمية والرافضة فيحذر

عنهم .

وكن من الناس على حذر .
 وكن لله تعالى في سرّ كما أنت له في علانيتك .
 ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن يجعل سره كعلانيته .
 وإذا أولاك السلطان عملاً فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن
 تعلم أنه إنما يُوَلِّيك ذلك ليعلمك .
 وإياك أن تتكلم في مجلس النظر على خوف ، فإن ذلك
 يُورثُ الخلل في الألفاظ ، والكلل في اللسان .
 وإياك أن تكثر الضحك ، فإنه يميت القلب .
 ولا تمش إلا على طمأنينة . قلت لقول الله تعالى ﴿ وعباد
 الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ .
 ولا تكن عجولاً في الأمور قلت إلا فيما حث الشارع على
 الإسراع والمبادرة فيه .
 وإذا تكلمت فلا تكثر التصويت ، ولا ترفع صوتك . قلت
 لأنه يدل على قلة العقل قال الله تعالى ﴿ إن الذين ينادونك من
 وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ .
 واتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة ، ليتحقق عند الناس
 ثباتك . ولأنه يدل على رزانة العقل .
 وأكثر من ذكر الله تعالى فيما بين الناس ، ليتعلموا ذلك
 منك . قلت وليكون له مثل أجورهم لحديث من دل على خير فله
 مثل أجر فاعله .
 واتخذ لنفسك ورداً خلف الصلوات تقرأ فيه القرآن ، وتذكر
 الله تعالى وتحمده وتشكره .
 واتخذ أياماً معدودةً من كل شهر تصوم فيها ، ليقتدي بك
 غيرك .

ولا تطمئن إلى دُنْيَاكَ وإلى ما أنت فيه فإن الله سائلك عن
 جميع ذلك .
 وإذا عرفت إنسانا بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيرا
 فاذكره به .
 إلا في باب الدين فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره
 للناس كي لا يتبعوه وليحذروه ، قال عليه الصلاة والسلام « اذكروا
 الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس » وإن كان ذا جاه ومَنْزلة فاذكر
 ذلك ولا تُبال من جاهه فإن الله تعالى مُعِينُكَ وناصِرُكَ وناصر
 الدين .
 فإذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار
 البدعة في الدين .
 ولا تجالس أحداً من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى
 الدين ولا تشاتم .
 وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد لئلا تتقدم عليك
 العامة قلت بل للمبادرة إلى أداء الفريضة وليقتدى بك غيرك .
 ولا تتخذ دَارَكَ في جوار السلطان .
 وما رأيت على جارك فاستره فإنه أمانة . قلت إلا أن يكون
 مُجَاهِراً بالمعاصي .
 ولا تُظهر أسرار الناس . قلت إلا أن يكون فيها ضرر على
 مسلم .
 ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما يقربك إلى الله تعالى .
 وإياك والبخل فإنه تنقص به المروءة ولا تكن طماعاً ولا
 كذاباً . قلت ولا جاسوساً ولا غيباً ولا نماماً ولا غشاشاً ولا صاحب
 مقابلة .
 وأظهر غنى القلب مظهرها في نفسك قلة الحرص والرغبة
 وأظهر من نفسك الغنى ولا تظهر الفقر وإن كنت فقيراً .

وكن ذا همةٍ فإن من ضعفت همته ضَعُفَتْ منزلته .
 وإذا مشيت مع الطريق فلا تتلفت يمينا ولا شمالا بل داوم
 النظر في الأرض قلت إلا لضرورة أو حاجة .
 ولا تماكس بالحبات والدوانق وحقر الدنيا المحقرة عند أهل
 العلم (أي علماء الآخرة العاملون بعلمهم لا علماء الدنيا) .
 وَوَلَّ أمورَكَ غيرَكَ ليتمكنك الإقبال على العلم وإياك أن
 تكلم المجانين ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم والذين
 يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فإنهم
 يطلبون تخجيلك ولا يبالون منك وإن عَرَفُوكَ على الحق .
 وإذا دَخَلْتَ على قوم كبار فلا تَرْتَفِعْ عليهم ما لم يَرْفَعُوكَ لئلا
 يُلْحِقَ بك منهم أذية .

وإذا كنت في قوم فلا تتقدم عليهم في الصلاة ما لم يقدموك
 على وجه التقدير . قلت إلا أن يكون أقرأهم لكتاب الله فيتقدم .
 اهـ قال ابن عباس في أمر عزيز ﴿ وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ يعني
 لبني إسرائيل وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب
 لأنه مات وهو ابن أربعين سنة فبعثه الله شاباً كهيئته يوم مات ،
 وقيل في معنى ما قاله ابن عباس :

وأسودُ رأسِ شابٍ من قبيلِهِ ابنُهُ	ومن قبيلِهِ ابنُ ابنِهِ فهو أكْبَرُ
يرى ابنُهُ شيخاً يدبُّ على العِصَا	ولحيتهُ سوداءُ والرأسُ أشْقَرُ
وما لابنِهِ خيلٌ ولا فضلٌ قِوَّةُ	يقومُ كما يمشي الصَّبِيُّ فيعْثَرُ
يعدُّ ابنُهُ في الناسِ تسعينَ حِجَّةُ	وعشرين لا يجري ولا يتبَخَّرُ
وعُمُرُ أبيهِ أربعونَ أمرَهُمَا	ولابنِ ابنِهِ تسعونَ في الناسِ عبَّروا
فما هو في المعقولِ إن كنتَ دارياً	وإن كنتَ لا تدري فبالجهلِ تُعذَّرُ

عن بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلت على جعفر

وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أنه قال : يَا بُنَيَّ أَقْبِلْ وَصِيَّتِي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً .

يابني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ومن مدَّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله عزَّ وجلَّ له اتهم الله تعالى في قضائه .

ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه . يابني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سلَّ سيف البغي قُتل به .
ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل المُنْهَاء حُقِرَ ومن خالط العلماء وُقِرَ ، ومن دخل مداخل السوء أتهم .

يابني قل الحق لك وعليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرعُ الشحناء في قلوب الرجال ، يابني إذا طلبت الجودَ فعليك بمعادنه . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[ومن نصيحة والده لولده]

إعلم أن من تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأى مدةً طويلةً ، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة ، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له .
فإذا أعاد إلى النظر في مقدار بقائه فرضنا ستين سنة مثلاً فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحو من خمس عشر في الصِّبَا .

فإذا حسب الباقي كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب فإذا خلص ما للأخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً ، فإذا تشتري الحياة الأبدية وإنما الثمن هذه الساعات ؟

فانتبه يا بني لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك
واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة . واسق عُصْنَكَ
ما دامت فيه رطوبة .

واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عِظَةً ، ذَهَبَتْ لَذَّةُ
الْكَسَلِ فِيهَا وَفَاتَتْ مَرَاتِبُ الْفَضَائِلِ . وقد كان السلف الصالح
رحمهم الله يحبون جمع كل فضيلة ويبكون على فوات واحدة منها .
قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : دَخَلْنَا عَلَى عَابِدِ مَرِيضٍ ،
وهو ينظر إلى رجله ويبكى ، فقلنا : مَالِكَ تَبْكِي ؟ فقال : عليّ
يوم مضى ما صُمتُهُ وعلى ليلة ذَهَبَتْ ما قمتها . والله أعلم وصلى
الله على محمد . [حكم وآداب ومواعظ]

قال الحسن البصري في قول الله جلا وعلا ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فانتشروا ﴾ نَزَلَتْ فِي الثُّقَلَاءِ .

وقال السري أحد رجال الحديث : ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
الثُّقَلَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فانتشروا ﴾ .
وكان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ
وَأَرْحَمْنَا مِنْهُ .

وكان حماد بن سلمه إذا رأى مَنْ يَسْتَثْقِلُهُ قَالَ (رَبَّنَا اكْشِفْ
عَنَا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) .

قِيلَ لِأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِي : لِمَاذَا يَكُونُ الثَّقِيلُ أَثْقَلَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنَ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ الثَّقِيلَ يَقْعُدُ عَلَى الْقَلْبِ
وَالْقَلْبُ لَا يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُهُ الرَّأْسُ وَالْبَدَنُ مِنَ الثَّقَلِ .
قال حبيب بن أوس :

يَا مَنْ تَبَرَّمْتَ الدُّنْيَا بَطَّلَعْتَهُ كَمَا تَبَرَّمْتَ الْأَجْفَانَ بِالسَّهْدِ

يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالاً فَاحْسِبُهُ مِنْ بَغْضِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَبِدِي

قيل لأبي مسلم : ما كان سبب خروج الدولة عن بني أمية؟
قال : لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم وأدنوا أعداءهم تألفاً لهم فلم
يَصِرَ الْعَدُوُّ صَدِيقًا بِالذَّنْوِ وَصَارَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا بِالْإِبْعَادِ .

نظر عبد الملك بن مروان عند موته وهو في قصره إلى قَصَارٍ
يَضْرِبُ بِالثُوبِ فِي الْمَغْسَلَةِ ، قَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ
الْخِلَافَةَ .

فبلغ كلامه أبا حاتم فقال : الحمد لله الذي جعلهم إذا
حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمنى
ما هم فيهم .

عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون : يا عيسى من
أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين
نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا
إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا ما
خشوا أن يميتهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار
استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياها فواتاً ، وفرحهم بما
أصابوا منها حُزناً ، فما عارضهم منها رفضوه ، أو من رفعتها بغير
الحق وضعوه .

خلقت الدنيا عندهم فلم يجدوها ، وخربت بينهم فلم
يعمروها ، وماتت في صدورهم فليسوا يحيوها .

يَهْدِمُونَهَا فَيَبْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ ، وَيَبِيعُونَهَا فَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى
لَهُمْ ، رَفَضُوهَا وَكَانُوا بِرَفْضِهَا فَرِحِينَ ، وَبَاعُوهَا وَكَانُوا بِبَيْعِهَا
رَابِحِينَ .

نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات ، فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره .

لهم خبر عجيب ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب وبه علموا فليسوا يرون نائلا مع ما نالوا ولا أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يَحذرون ، رواه الامام أحمد والله أعلم .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية]

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه .

فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي . فطفق رجال يَعْترضون الأعرابي فيسأومون بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه .

حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ .

فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : أو ليس قد ابتعته منك ؟ قال الأعرابي : لا والله ما بعته .

فقال النبي ﷺ : بلى قد ابتعته منك . فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيداً يشهد أني بايعتك .

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويحك إن النبي ﷺ لم يكن ليَقُول إلا حقاً . - ٢٣٠ -

حتى جاء خزيمه فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة
الأعرابي وطفق الأعرابي يقول : هلم شهيداً أني بايعتك .
فقال خزيمه أنا أشهد أنك قد بايعته . فأقبل النبي ﷺ على
خزيمه فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يا رسول الله .
فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمه شهادة رجلين .

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال
لخزيمه : بم تشهد ولم تكن معنا ؟ قال : يا رسول الله أنا أصدقك
بخبير السباء أفلا أصدقك بما تقول ؟

قال الخطابي : ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على
الأعرابي بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقاً باراً وجرت شهادة خزيمه
في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه .
فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين
في سائر القضايا . رحمه الله .

قال الواقدي عن أشياخ له : إن شيبه بن عثمان كان يحدث
عن إسلامه فيقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى
عليه أبأؤنا من الضلالات .

فلما كان عام الفتح ودخل النبي ﷺ غنوة قلت : أسير مع
قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد
غرة فأنار منه فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها ، وأقول : ولو
لم يبق من العرب والعجم أحد إلا إتبعت محمداً ما اتبعته أبداً .

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصلت
السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي ، فرفع لي شواظ
من نار كالبرق حتى كاد يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفاً

عليه ، فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَادَانِي : يَا شَيْبَ أَدُنْ مِنِّي .
فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَمَسَحَ صَدْرِي وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنِ
الشَّيْطَانِ » .

فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ سَاعَتِيذٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصَرِي وَنَفْسِي
وَأَذْهَبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلِّ مَا كَانَ بِي .
ثُمَّ قَالَ : أَدُنْ فَقَاتِلْ . فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ أَضْرَبُ بِسَيْفِي ، اللَّهُ
يَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَقِيَهُ بِنَفْسِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَوْ لَقِيتُ تِلْكَ السَّاعَةَ
أَبِي لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَوْقَعْتُ بِهِ السَّيْفَ .

فَلَمَّا تَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ وَكَرُوا كَرَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قَرَّبْتُ بَغْلَةَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَوَى عَلَيْهَا فَخَرَجَ فِي أَثْرِهِمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ
وَجْهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مُعَسَّكِرِهِ فَدَخَلَ خِجَابَهُ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ :
يَا شَيْبَ ، الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا مِمَّا أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ .

ثُمَّ حَدَّثَنِي بِكُلِّ مَا أَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي مِمَّا لَمْ أَكُنْ أَذْكُرُهُ لِأَحَدٍ
قَطْ . فَقُلْتُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ
قُلْتُ : اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « كَمِ مِنْ
ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طَمَرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بْنُ
مَالِكٍ » .

وَإِنَّ الْبِرَاءَ لَقِيَ زَحْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَوْجَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي
الْمُسْلِمِينَ .

فَقَالُوا لَهُ : يَا بِرَاءُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّكَ لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى
اللَّهِ لِأَبْرِكَ فَأَقْسِمَ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لِمَا مَنَحْتَنَا
أَكْتَفَهُمْ فَمُنِحُوا أَكْتَفَهُمْ .

ثم التَّقُوا على قَنْطَرَةِ السُّوسِ فَأَوْجَعُوا في المسلمين فقالوا :
أُقْسِمُ على ربِّكَ ، فقال : أُقْسِمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَفَاهُمْ
وَأَلْحَقْتَنِي بِنَبِيِّكَ ﷺ فَمُنَحُوا أَكْتَفَاهُمْ وَقُتِلَ الْبِرَاءُ شَهِيدًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

[فِصْل]

أَرْسَلَ عُمَرَ إِلَى الْكُوفَةِ مِنْ يَسْأَلُ عَنْ سَعْدٍ فَكَانَ النَّاسُ
يُثْنُونَ عَلَيْهِ خَيْرًا حَتَّى سَأَلَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ .
فَقَالَ : أَمَا إِذَا أَنْشَدْتُمُونَا عَنْ سَعْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَخْرُجُ فِي
السَّرِيَةِ وَلَا يَعْدِلُ بِالرَّعِيَةِ وَلَا يَقْسِمُ بِالسُّوِيَةِ .
فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسَمِعَةَ فَأُطِلَ
عَمْرُهُ وَعَظُمَ فَقْرُهُ وَعَرَضَهُ لِلْفِتَنِ .
فَكَانَ يَرَى وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ تَدَلَّى حَاجِبَاهُ مِنَ الْكِبَرِ يَتَعَرَّضُ
لِلْجَوَارِي يَغْمِزُهُنَّ فِي الطَّرِيقَاتِ ، وَيَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ
أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ .

وَكَذَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ كَانَ مَجَابِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ رَوَى أَنَّ أَرْوَى
بِنْتَ أَوْسٍ اسْتَعَدَّتْ مَرَوَانَ عَلَى سَعِيدٍ وَقَالَتْ : سَرَقَ مِنْ أَرْضِي
وَأَدْخَلَهُ فِي أَرْضِهِ .

فَقَالَ سَعِيدٌ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَذْهَبْ بَصَرَهَا وَأَقْتُلْهَا
فِي أَرْضِهَا فَذْهَبَ بَصَرُهَا وَمَاتَتْ فِي أَرْضِهَا .
قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمٍ : مَرَضَ بَعْضُ الْعِبَادِ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ
نَعُودَهُ ، فَجَعَلَ يَتَنَفَّسُ وَيَتَأَسَفُ ، فَقُلْتُ لَهُ : عَلَى مَاذَا تَتَأَسَفُ ؟
قَالَ : عَلَى لَيْلَةٍ نَمْتُهَا ، وَيَوْمٍ أَفْطَرْتُهُ ، وَسَاعَةٍ غَفَلْتُ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَبَكَى بَعْضُ الْعِبَادِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ :
أَنَّ يَصُومَ الصَّائِمُونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ ، وَيَذْكُرُ الذَّاكِرُونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ ،

ويصلي المصلون ولست فيهم . تأمل يا أخي هذه الأمانى لله دره .
عن ابن أبي مُليكة قال : لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن
أبي جهل البحر هارباً فخبَّ بهم البحرُ ، فجعلتِ الصَّارِي (أي
الملاحون) يَدْعُونَ اللهَ وَيُوْحِدُونَهُ .

فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مكانٌ لا ينفع فيه إلا الله .
قال : هذا إله محمد الذي يدعوننا إليه ، فأرجعوا بنا .
فَرَجَعَ فَأَسْلَمَ .

وعن مصعب بن سعد ، عن عكرمة بن أبي جهل قال :
قال النبي ﷺ يوم جئته : مَرَحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ ، مَرَحَبًا بِالرَّاكِبِ
المهاجر ، قلت : والله يارسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا
أنفقت مثلها في سبيل الله .

وعن عبدالله بن أبي مُليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا
اجتهد في اليمين قال : لا والذي نجاني يوم بدر وكان يضع
المُصْحَفَ على وجهه ويقول : كِتَابُ رَبِّي ، كِتَابُ رَبِّي .
استشهد عكرمة يوم اليرموك في خلافة أبي بكر ، فوجدوا فيه
بضعاً وسبعين من بين ضربة وطعنة ورمية .

قال الزبير : وحدثني عمي مصعب بن عبدالله قال : جاء
الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها بعد من معاوية بن
أبي سفيان بمائة ألف درهم .

فقال له عبدالله بن الزبير : بعثت مكرمة قريش ؟ فقال
حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، يا بن أخي إني اشتريت بها
:أرأى في الجنة أشهدك أني قد جعلتها في سبيل الله .

وعن أبي بكر بن سليمان قال : حجَّ حكيم بن حزام معه

مائة بَدَنَةٍ قَدْ أَهْدَاهَا وَجَلَّلَهَا الْحَبْرَةَ وَكَفَّهَا عَنْ أَعْجَازِهَا وَوَقَّفَ مِائَةَ
وَصَيْفٍ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَطْوَقَةً . الْفِضَّةِ قَدْ نُقِشَ فِي رُؤُوسِهَا :
« عَتَقَاءَ اللَّهِ [عَزَّ وَجَلَّ] عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ » . وَأَعْتَقَهُمْ وَأَهْدَى
أَلْفَ شَاةٍ .

وعن محمد بن سعد يرفعه : أن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ بَكَى يَوْمًا ،
فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : خِصَالُ كُلِّهَا أَبْكَانِي : أَمَا أَوْلَاهَا
فَبَطَأُ إِسْلَامِي حَتَّى سُبِقْتُ فِي مَوَاطِنَ كُلِّهَا صَالِحَةً ، وَنَجَوْتُ يَوْمَ
بَدْرٍ وَاحِدٍ فَقُلْتُ : لَا أَخْرُجُ أَبَدًا مِنْ مَكَّةَ وَلَا أَوْضِعُ مَعَ قُرَيْشٍ
مَا بَقِيَ .

فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ وَيَأْبَى اللَّهُ [عَزَّ وَجَلَّ] أَنْ يَشْرَحَ صَدْرِي
لِلْإِسْلَامِ وَذَلِكَ أَنِّي أَنْظَرُ إِلَى بَقَايَا مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَسْنَانٌ مَتَمَسِكِينَ
بِمَاهِمٍ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأُقْتَدِي بِهِمْ ، وَيَالَيْتَ أَنِّي لَمْ أُقْتَدِ بِهِمْ
فَمَا أَهْلَكْنَا إِلَّا الْإِقْتِدَاءُ بِآبَائِنَا وَكُبْرَائِنَا .

فَلَمَّا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ جَعَلْتُ أَفْكَرُ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو
سَفْيَانَ نَسْتَرُوحُ الْخَبَرَ فَلَقِيَ الْعَبَّاسُ أَبَا سَفْيَانَ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ
ﷺ وَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي ، فَأَغْلَقْتُهُ عَلَيَّ وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ
فَأَمَّنَ النَّاسَ ، فَجِئْتُهُ فَأَسْلَمْتُ وَخَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ .

وعن عُرْوَةَ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ ،
وَفِي الْإِسْلَامِ مِائَةَ رَقَبَةٍ وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : قدم حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ
المدينة ونزلها وبنى بها داراً ، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن
مائة وعشرين سنة رحمه الله .

عن أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ،

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم (أي لا زوج لها) لم يزوجها حتى يُعلم النبي ﷺ : هل له فيها حاجة أم لا ؟
فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : يا فلانُ زوّجني ابنتك . قال : نعم ونعمة عين . قال : إني لست لنفسي أريدها قال : لمن ؟ قال : جلييب . قال : يارسول الله ﷺ حتى أستامرّها (أي أشاورها) وأمّها .

فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك . قالت : نعم ونعمة عين ، زوج رسول الله ﷺ .
قال : إنه ليس لنفسه يريدها . قالت : فلمن ؟ قال : جلييب . قالت : خلقي الجلييب ؟ لا لعمر الله لا أزوج جلييباً .

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبوتها : من خطبني إليكما ؟ قالوا : رسول الله ﷺ . قالت : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني .

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنك بها . فزوّجها جلييباً .

قال اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدري ما دعاها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دعاها به النبي عليه السلام ؟ قال : اللهم صب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كدّاً .

قال ثابت : فزوّجها إياه ، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال : هل تفقدون من أحدٍ ؟ قالوا : نفقد فلاناً ونفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

ثم قال : هل تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالوا : نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

ثم قال : هل تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالوا : لا .
قال : لكني أفقدُ جُليبيبا فطلبوه في القتل .
فَنظَرُوا فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ .
فقال رسول الله ﷺ : هذا مني وأنا منه ، أقتل سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ أَقْتَلُ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ .
فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حَفَرُوا لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ .

لله در هذه الأنفس فما أعزها وهذه الهمم فما أرفعها !
وَمَا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذْلُومَةً عَلَيْهِمْ وَعِزُّ الْمَوْتِ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
أَبُوا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالذَّمَّ وَقَعُ عَلَيْهِمْ وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تُذَمَّمِ
وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
فَحَرْبَةٌ وَحَشِيٌّ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَحَتَفُ عَلِيٍّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فـصـل]

روى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قال :
انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر حتى سبقوا المشركين ،
وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عَرْضُهَا
السموات والأرض . »

قال : عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يارسول الله جنة عَرْضُهَا
السموات والأرض ؟ ! قال : نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يارسول الله .
فقال : ما يملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لا] والله يارسول
الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فإنك من أهلها .
قال : فأخرج تمراتٍ من قرنه فجعل يأكلهن ثم قال : إن

أنا حَيِّتُ حتى آكلُ تمراتي هذه إنها حياةٌ طويلة . فرمى بها كان معه من التمر ثم قاتل حتى قُتل .

قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجُمُوح الخروج إلى أحد ، منعه بُنُوهُ ، وقالوا : قد عذرك الله . فجاء إلى النبي ﷺ فقال : إن بنيَّ يريدون حَبِيبِي عن الخروج معك وإني لأرجو أن أظأ بعرجتي [هذه] في الجنة ، فقال : « أما أنت فقد عذرك الله » ثم قال لبنيه : لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة . فخلوا سبيله .

قالت امرأته هند بنت عمرو بن خُزَام : كأني أنظر إليه مولياً ، قد أخذ دَرَقَتَهُ وهو يقول : اللهم لا تردني إلى خربى وهي منازل بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم تابوا ، وهو في الرَّعِيلِ الأول ، لكأني أنظر إلى ظلع في رجله وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظر إلى ابنه خَلَاد [وهو] يَعْدُو [معه] في إثره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفِنَ عمرو بن الجُمُوح وعبدالله بن عُمر وأبو جابر في قبر واحد ، فخرَّب السيل قُبُورَهُمْ ، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتوا بالأمس .

عن أنس بن مالك قال : كنا جُلُوساً مع رسول الله ﷺ فقال : يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْظِفُ لِحْيَتَهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشَّهَالَ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .

فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله ابن عمرو ، فقال: إني لآحيتُ أبي ، فأقسمتُ أني لا أدخلُ عليه

ثلاثاً ، فإن رأيتَ أن تُؤويني إليك حتى تمضي ففعلت . قال : نعم . قال أنس : فكانَ عبد الله يُحدِّثُ أنه باتَ معه تلكَ الثلاثِ الليالي فلم يره يُقومُ من الليل شيئاً غير أنه إذا تعارَّ ثقلَّ على فراشه ذكرَ الله عز وجل ، وكبر حتى لصلاة الفجر .

قال عبد الله : غيرَ أني لم أسمعهُ يقولُ إلا خيراً ، فلما مضتِ الثلاثُ الليالي ، وكِدْتُ أن أحتقرَ عمله .

قلتُ : يا عبد الله لم يكن بيني وبينَ أبي غضبٌ ولا هجرةٌ ، ولكن سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لك ثلاثَ مرَّاتٍ : يطلعُ عليكم الآنَ رجلٌ من أهل الجنة ، فطلعتُ أنتَ الثلاثَ المرَّاتِ ، فأردتُ أن آوىَ إليك .

فأنظرَ ما عملك ، فأقتديَ بك ، فلم أركَ عملتَ كبيرَ عملٍ ، فما الذي بلغَ بك ما قال رسولُ الله ﷺ ؟

قال : ما هو إلا ما رأيتُ ، فلما وليتُ دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيتَ غيرَ أني لا أجدُ في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً ولا أحسُدُ أحداً على خيرٍ أعطاهُ الله إياه .

فقال عبد الله : هذه التي بلغتُ بك ، رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي .

عن نافع عن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حُدَيْر . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام ، فزودهم رسولُ الله ﷺ ونسي أن يزودَ حُدَيْراً .

فخرج حُديرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نعم الزاد هو يارب . فهو يرددها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أرسلني إليك يُخبرك أنك زوّدت أصحابك ونسيت أن تزود حُديراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا إنتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله ، ويُخبرك أنه كان نسي أن يزودك ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فأنتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلني إليك بزادٍ معي ، ويقول : إني إنما نسيتك فأرسل إليّ جبريل من السماء يُذكرني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال . الحمد لله رب العالمين ، ذكرني ربي من فوق سبع سموات ، ومن فوق عرشه ، ورحم جوعي وضعفي ، يارب كما لم تنس حُديراً فأجعل حُديراً لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بها سمع منه حين أتاه ، وبها قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك

لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نورا ساطعا ما بين السماء والأرض .

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنين والمشاهد .

فقال لعمه : يا عم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً ، فأذن لي في الإسلام .

فقال : والله لئن اتبعت محمداً لا أترك بيدك شيئاً كنت أعطيتكهُ إلا نزعته منك ، حتى توبيك .

قال : فأنا والله متبع محمداً وتارك عبادة الحجر ، وهذا ما بيدي فخذهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جردهُ من إزاره .

فأتى أمه فقطعت بجاداً لها بائنين فأتزر بواحدٍ وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقانٍ فاضطجع في المسجد في السحر .

وكان رسولُ الله ﷺ يتصفحُ الناس إذا انصرفَ من الصُّبحِ فنظرَ إليه فقال : مَنْ أنت ؟ فانتسبَ له ، وكان اسمه عبدُ العزى . فقال : أنت عبدُ الله ذو البجادين .

ثم قال : أنزلَ مِنِّي قُرْبياً . فكان يكون في أضيافِهِ حتى قرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادعُ لي بالشهادة . فرتط النبي ﷺ على عضدِهِ لِحَى سَمرة وقال : اللهم إني أحرم دمه على الكفار .

فقال : ليس هذا أردت .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خرجت غازياً فأخذتكم الحمى فقتلتكم فأنت شهيد ، أو وقصتكم دابَّتكم فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أياماً ثم توفى .

قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شُعلة من نار عند القبر واقفاً بها .

وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : «أدنيا إلي أخاكما . فلما هياه لشيئه في اللحد قال : اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه» .

فقال ابن مسعود : ليتني كنت صاحب اللحد .

وعن أبي وائل ، عن عبدالله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبدالله ذي البجادين ، وأبو بكر وعمر يقول : أدنيا إلي أخاكما .

وأخذه من القبلة حتى أسكنه في لحده ثم خرج النبي ﷺ وولياهما العمل .

فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لو ددت أني مكانه ، ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

عن محمد بن سعد قال : أتى واثلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه . فلما دنا من واثلة قال : من أنت ؟ فأخبره .

فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت أبايع . فقال رسول الله ﷺ : فيها أحببت وكرهت ؟ قال : نعم . قال : فيما أطقت ؟ قال : نعم . فأسلم وبأيعه .

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه الأسقع فلما رأى حاله قال : قد فعلتها؟ قال : نعم . قال أبوه : والله لا أكلمك أبداً .

فأتى عمه فسلم عليه فقال : قد فعلتها ؟ قال : نعم . قال : فلامه أيسر من ملامه أبيه وقال : لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر .

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام . فقال واثلة : أنى لك هذا يا أختي ؟ قالت : سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت .

فقال : جهزي أخاك جهاز غاز فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر . فجهزته فلاحق برسول الله ﷺ قد تحمل إلى تبوك وبقي غبرات من الناس وهم على الشخوص .

فجعل ينادي بسوق بني قينقاع : من يحملني وله سهمي ؟ قال : وكنت رجلاً لا رحلة بي .

قال : فدعاني كعب بن عجرة فقال : أنا أحملك عقبه بالليل وعقبه بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي . قال واثلة : نعم .

قال واثلة : جزاه الله خيراً لقد كان يحملني ويزيدني وأكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل .

خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فينا كثيراً فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص فأقبلت أسوقها حتى

جثتُ بها خيمةَ كعب بن عجرةَ فقلتُ : اخرج رَحِمَكَ اللهُ فانظر إلى قلائصِكَ فاقبضها .

فخرج وهو يبتسم ويقولُ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فيها ما حملتكَ وأنا أريدُ أن آخذَ مِنْكَ شيئاً .

عن بشر بن عبدالله عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : كُنَّا أصحابَ الصفةِ في مسجد رسول الله ﷺ وما فينا رجلٌ له ثوبٌ .

ولقد اتَّخَذَ العرقُ في جلودنا طرقاً مِنَ الغبار ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « لَيْبِشِرُ فقراءِ المهاجرين » ثلاثاً .

عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كنتُ أخدمُ رسولَ الله ﷺ وأقومُ له في حوائجه نهارياً أجمع ، حتى يُصلي رسول الله ﷺ العشاءَ الآخرةَ .

فأجلسُ على بابهِ إذا دَخَلَ بيته ، أقولُ : لعلها أن تُحدِّثَ لرسول الله ﷺ حاجةً . فما أزالُ أسمعُه سبحانه اللهُ ، سبحانه اللهُ ، سبحانه اللهُ وبحمده حتى أملُ فأرجعُ أو تغلبنى عيني فأرقد . فقال لي يوماً لما رأيتُ من حَفَّتِي (أي العناية والخدمة) له وخدمتي إياه ، ياربِّعةُ سَلِّني أعطِكَ . قال : فقلتُ : أنظر في أمري يارسول الله ثم أعلمكَ ذلك .

فقال : ففكرتُ في نفسي فعلمتُ أن الدنيا مُنْقَطَعَةٌ وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رزقاً سيأتيني ، قال : فقلتُ أسأل رسول الله ﷺ لأجرتي فإنه من الله عزَّ وجل بالمنزل الذي هو به .

فجئته فقال : ما فعلت ياربِّعةُ ؟ فقلتُ : أسألك يارسول الله أن تشفعَ لي إلى ربِّكَ فيعتقني مِنَ النارِ .

فقال : مَنْ أمرك بهذا ياربِّعةُ ؟ فقلتُ : لا والذي بعثكَ بالحق ما أمرني به أحدٌ ولكنك لما قلتُ سَلِّني أعطِكَ وكنتُ من الله

بالمنزل الذي أنت به نظرتُ في أمري فَعَرَفْتُ أَنَّ الدنْيَا مُنْقَطِعَةٌ
وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رِزْقاً سَيِّئاً لِي .

فقلتُ أسألُ رسولَ اللهِ ﷺ لِأَخْرَجْتِي . قال : فَصَمَتَ رَسُولُ
اللهِ ﷺ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي : إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ
وَأَخْرَجَا فِي الصَّحِيحِينَ ، مِنْ حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ عَبَادَةَ قَالَ :
كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فِي نَاسٍ فِيهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
ﷺ .

فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرُ خُشُوعٍ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : هَذَا
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا . ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ
فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَدَخَلْتُ فَأَخْبَرْتُهُ .

فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَسَأَحْدِثُكَ لِمَ
ذَلِكَ ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ .
رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ ، وَسَطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، أَسْفَلُهُ
فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ .

فَقِيلَ لِي إِرْقَهُ . فَقُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُ . فَجَاءَنِي مِنْصَفٌ ،
يَعْنِي خَادِمًا ، فَقَالَ بَثْيَابِي مِنْ خَلْفِي ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ .
فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : تِلْكَ الرَّوْضَةُ
الْإِسْلَامُ ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ ، الْعُرْوَةُ
الْوَثْقَى ، وَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ ، وَالرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ
ابْنِ سَلَامٍ .

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَاتَيْتُ
عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُتَخَشِّعٌ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا بْنَ
أَخِي إِنَّكَ جَلَسْتَ إِلَيْنَا وَقَدْ حَانَ قِيَامُنَا ، أَفَتَأْذُنُ ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل]

بعث عمر بن الخطاب عمير بن سعد عاملاً على حمص
فَمَكَثَ حَوْلًا لَا يَأْتِيهِ خَبْرُهُ فَقَالَ عَمْرٌ لِكَاتِبِهِ : أَكْتُبْ إِلَيَّ عَمِيرُ
فَوَاللَّهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ خَانَنَا : إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلْ وَأَقْبِلْ بِهَا
جَبِيَّتِي مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي هَذَا .
قال : فَأَخَذَ عَمِيرُ جِرَابَهُ فَوَضَعَ فِيهِ زَادَهُ وَقَصَعَتَهُ وَعَلَّقَ
إِدْوَاتَهُ وَأَخَذَ عَنزَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي مِنْ حَمصٍ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ .
قال : فَقَدِمَ وَقَدْ شَحِبَ لَوْنُهُ وَاعْتَبَرَ وَجْهَهُ وَطَالَتْ شَعْرَتُهُ
فَدَخَلَ عَلَى عَمْرِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .
قال عمر : مَا شَأْنُكَ ؟ قال : مَا تَرَى مِنْ شَأْنِي أَلَسْتُ تَرَانِي
صَحِيحَ الْبَدَنِ ظَاهِرَ الدَّمِ ، مَعِيَ الدُّنْيَا أَجْرُهَا بِقُرُونِهَا ؟
قال عمر : وَمَا مَعَكَ ؟ وَظَنَّ عَمْرٌ أَنَّهُ جَاءَهُ بِهَالٍ . قال :
مَعِيَ جِرَابِي أَجْعَلُ فِيهِ زَادِي ، وَقَصْعَتِي أَكُلُ فِيهَا ،
وَإِدْوَاتِي أَحْمَلُ فِيهَا وَضَوْئِي وَشِرَابِي ، وَعَنزَتِي أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَجَاهِدُ بِهَا
عَدُوًّا إِنْ عَرَضَ لِي ، فَوَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا إِلَّا تَبَعٌ لِمَتَاعِي .
قال عمر : فَجِئْتَ تَمْشِي ؟ قال : نَعَمْ . قال : أَمَا كَانَ لَكَ
أَحَدٌ يَتَبَرَّعُ لَكَ بِدَابَّةٍ تَرَكِبُهَا ؟ قال : مَا فَعَلُوا وَمَا سَأَلْتُهُمْ ذَلِكَ .
فَقَالَ عَمْرٌ : بئسَ المُسْلِمُونَ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِمْ .
فَقَالَ عَمِيرٌ : اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمْرُ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنِ الْغَيْبَةِ وَقَدْ
رَأَيْتَهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ . قال عمر : فَأَيْنَ بَعْثُكَ وَأَيُّ شَيْءٍ
صَنَعْتَ ؟ قال : وَمَا سَأَلْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قال عمر : سُبْحَانَ اللَّهِ . فَقَالَ عَمِيرٌ : أَمَا إِنِّي لَوْلَا أَخْشَى
أَنْ أَعْمَكَ مَا أَخْبَرْتُكَ : بَعَثْتَنِي حَتَّى أَتَيْتُ الْبَلَدَ فَجَمَعْتُ صُلَحَاءَ
أَهْلِهَا فَوَلَّيْتُهُمْ جَبَايَةَ فِيئِهِمْ حَتَّى إِذَا جَمَعُوهُ وَضَعْتَهُ مَوَاضِعَهُ وَلَوْ
مَالِكَ مِنْهُ شَيْءٌ لَأَتَيْتُكَ بِهِ

قال : فما جئتنا بشيء ؟ قال لا . قال : جَدُّوْا لِعُمَيْرِ عَهْدًا . قال : إن ذلك شيءٌ لا أَعْمَلُهُ لك ولا لأحدٍ بعدك ، والله ما سَلِمْتُ بَلْ لم أَسْلَمْ ، لَقَدْ قُلْتُ لِنَصْرَانِي أَخْزَاكَ اللهُ ، فهذا ما عَرَّضْتَنِي له يا عمر ، وإن أشقى أيامي يومٌ خُلِّفْتُ مَعَكَ .

ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال . فقال عمر حين انصرف عمير : ما أراه إلا قد خَانَنَا .

فَبَعَثَ رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل . وإن رأيت حالاً شديداً فادفع إليه هذه المائة الدينار .

فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير : انزل رحمك الله . فنزل ثم سأله فقال : من أين جئت ؟ فقال : من المدينة .

فقال : كيف تركت أمير المؤمنين ؟ فقال صالحاً . قال : فكيف تركت المسلمين ؟ قال : صالحين . قال : أليس يُقيم الحدود ؟

قال : بلى ضرب ابناً له على فاحشة فهات من ضربه . فقال عمير : اللهم أعن عمر فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك .

قال : فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يَحْصُونُهُ بها ويَطْوُونَ حتى أتاهم الجهد . فقال له عمير : إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل .

قال : فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال : بعث بها أمير المؤمنين فاستعين بها . قال : فصاح وقال : لا حاجة لي فيها فردها .

فَقَالَتْ لَهُ إِمْرَأَتُهُ : إِنْ أَحْتَجَجْتَ إِلَيْهَا وَإِلَّا فَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا .

فَقَالَ عُمَيْرٌ : وَاللَّهِ مَا لِي شَيْءٌ أَجْعَلُهَا فِيهِ . فَشَقَّتِ الْمَرْأَةُ أَسْفَلَ دِرْعِهَا فَأَعْطَتْهُ خِرْقَةً فَجَعَلَهَا فِيهَا ثُمَّ خَرَجَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الشُّهَدَاءِ وَالْفُقَرَاءِ .

ثُمَّ رَجَعَ وَالرَّسُولُ يَظُنُّ أَنَّهُ يُعْطِيهِ مِنْهَا شَيْئًا فَقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ : أَقْرِيءِ مِنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ .

فَرَجَعَ الْحَارِثُ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَالًا شَدِيدًا . قَالَ : فَمَا صَنَعَ بِالْدَنَانِيرِ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَلَا تَضَعْهُ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُقْبَلَ .

فَأَقْبَلَ إِلَى عُمَرَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا صَنَعْتَ بِالْدَنَانِيرِ ؟ قَالَ : صَنَعْتُ مَا صَنَعْتَ وَمَا سُؤَالَكَ عَنْهَا ؟ قَالَ : أَنْشُدُ عَلَيْكَ لِتُخْبِرَنِي مَا صَنَعْتَ بِهَا .

قَالَ : قَدَمْتُهَا لِنَفْسِي . قَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ . فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ وَثَوْبَيْنِ . فَقَالَ : أَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ قَدْ تَرَكْتُ فِي الْمَنْزِلِ صَاعَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ .

إِلَى أَنْ أَكَلَ ذَلِكَ قَدْ جَاءَهُ اللَّهُ بِالرِّزْقِ وَلَمْ يَأْخُذْ الطَّعَامَ . وَأَمَّا الثُّوبَانِ فَإِنَّ أُمَّ فُلَانَ عَارِيَّةٌ . فَأَخَذَهُمَا وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ هَلَكَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ فَشَقَّ عَلَيْهِ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَخَرَجَ يَمْشِي وَمَعَهُ الْمَشَاوُونَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ .

فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لِيَتَمَنَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَمْنِيَّةً . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدِدْتُ أَنْ عِنْدِي مَالًا فَأَعْتَقَ لَوْجَهُ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا . وَقَالَ آخَرٌ : وَدِدْتُ أَنْ عِنْدِي مَالًا فَأَنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وقال آخر : وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله .

فقال عمر بن الخطاب : وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعدٍ أستعينُ به في أعمالِ المسلمين . رحمه الله ورضي الله عنه .
ألا ربُّ ذي طمرين أشعثٌ أغبراً يدافعُ بالأبوابِ إذ ظلُّ مُعسِراً
مُطِيعٌ يخافُ اللهَ في كلِّ أمره يكادُ من الأخرانِ أن يتفطراً
ولو أقسمن يوماً عليه أبره وكان حرياً أن يُجابَ ومُجبراً
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

عن ابن قبادين قال : لم يكن أحد من كبراء قريش ، الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة ، أكثر صلاةً ولا صوماً ولا صدقةً .

ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة ، من سهيل بن عمرو ، حتى إن كان لقد شُحِبَ لونه . وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن .

لقد رُئي يَخْتَلِفُ إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حتى يُقْرئهُ القرآن وهو بمكة ، حتى خَرَجَ مُعَاذٌ مِنْ مَكَّةِ .

فقال له ضيرار بن الخطاب : يا أبا يزيد ، تَخْتَلِفُ إلى هذا الخنزرجي يُقْرئُكَ القرآنَ ؟ ألا يكونُ اِخْتِلافُكَ إلى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ قريش ؟

فقال : يا ضيرار هذا الذي صَنَعَ بنا ما صَنَعَ (يشير إلى الكبر والعجب) حتى سبقنا كلَّ السبق .

أي لعمري اِخْتَلَفُ [إليه] لقد وَضَعَ الإسلامُ أمرَ الجاهلية ورفَعَ الله بالإسلام قوماً كانوا لا يُذَكِّرون في الجاهلية فليتنا كُنَّا مَعَ أولئك فَتَقَدَّمْنَا .

وعن الحسن قال : حضر بابَ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله
عنه سُهَيْلُ بن عمرو ، والحارثُ وبلال ، وتلك الموالي الذين شهدوا
بدرًا . فخرجَ آذُنُ عمر فأذنَ لهم ، وتركَ هؤلاء .
فقال أبو سفيان : لم أرَ كالْيَوْمِ قَطَّ ، يأذنُ هؤلاء العبيد
ونحنُ على بابِهِ لا يَلْتَفِتُ إلينا ؟

فقال سُهَيْلُ بن عمرو : وكان رَجُلًا عَاقِلًا : أيها القوم إني
والله لقد أرى الذي في وُجُوهِكُمْ ، إن كُنْتُمْ غَضَابًا فاغْضَبُوا على
أنفسكم .

دُعِيَ القَوْمُ ودُعِيْتُمْ فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْتُمْ ، فكيف بكم إذا دُعُوا
يَوْمَ القِيَامَةِ وترَكْتُمْ ؟

أما والله لما سَبَقُوكُمْ إليه من الفضلِ بما لا ترون أشدَّ عليكم
فوتًا من بابكم هذا الذي كنتم تنافسونهم عليه . قال : ونفض ثوبه
وانطلق .

قال الحسن : وصدقَ والله سهيل ، لا يجعل الله عبدًا أسرعَ
إليه كعبدٍ أبطأ عنه . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم .

[فـصـل]

وعن أبي قدامة السرخسي قال : قام العمري للخليفة على
الطريق فقال له : فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ . فقال له : ماذا تريد ؟ قال :
تَعْمَلُ بكذا وتعمل بكذا . فقال له هارون : نَعَمْ يا عَمَّ ، نَعَمْ
يا عَمَّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى
وإلى جنبي عبدالله بن عبدالعزيز العمري وقد حج هارون
الرشيد .

فقال له إنسان : يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى

قد أخلى له المسعى . قال العمري للرجل : لا جزاك الله عني خيراً ، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً . ثم تعلق نعليه (أي لبسهما) .
وقام فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به : يا هارون ! فلما نظر إليه قال : لبيك يا عم . قال :
ارق الصفا . فلما رقيه .

قال : أرم بطرفك إلى البيت . قال : قد فعلت . قال :
كم هم ؟ قال : ومن يحصيهم ؟ قال : فكم في الناس مثلهم ؟
قال : خلق لا يحصيهم إلا الله .

قال : أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسأل عن خاصية نفسه وأنت وحدك تُسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون ؟ قال :
فبكى هارون وجلس وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع .

قال العمري : وأخرى أقولها . قال : قل يا عم . قال :
والله إن الرجل لیسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي .

قال محمد بن خلف : سمعت محمد بن عبدالرحمن يقول :
بلغني أن هارون الرشيد قال : إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ثم يسمعني ما أكره .

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته .

ثم أنصرف . وأنه لقيه مرة فقال : يا هارون فعلت وفعلت .
فجعل يسمع منه ويقول : مقبول منك يا عم ، على الرأس والعين .
فقال : يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت . فقال :

عن غير علمي وأمرني وخرج العمري إلى الرشيد مرة ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدو ما زادوا على هيئته . ثم رجع ولم يصل إليه .

وعن أبي يحيى الزهري قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته : بنعمة ربي أحدثت أني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي ، وبنعمة ربي أحدثت : لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ؛ ما أزلتها .

استسقى موسى بن نصير في الناس في سنة ٩٣ حين أقحطوا بإفريقية فأمرهم بصيام ثلاثة أيام ثم خرج بهم وميز أهل الذمة عن المسلمين وفرق بين البهائم وأولادها ثم أمر بالبكاء وارتفاع الضجيج وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ثم نزل فقيل له ألا دعوت لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل فسقاهم الله عز وجل لما قال ذلك .

كتب زر بن حبيش إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه فكان في آخر : ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك فانت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون .

إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها فذي زوع قد دنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتب بكى حتى بل طرف ثوبه بدموعه

ثم قال : صدق زر ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق بنا
آخر :

إذا رأيت بروق الشيب قد بسمت بمفرق فمخياً العيش قد كلفنا
يلقى المشيب باجلال وتكرمة من قد أعد من الأعمال ما صلحنا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال : ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة .

فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله . فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله .

فقلت له : ها هنا عبدالرزاق بن همام . قال : امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . قال : خذ لما جئناك له .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله .

قلت : ها هنا الفضيل بن عياض . قال : امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فقال : مالي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟

أليس قد روى النبي ﷺ أنه قال « ليس للمؤمن أن يُذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت .

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفَّ هارون قبلي إليه . فقال : يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل .

فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبدالله ، ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ . فعُدَّ الخلافة بلاء وعدادتها أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبدالله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت .

وقال له محمد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن عليّ ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تُحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مُت إذا شئت .

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشدَّ الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟
فبَكَى هارون بكاءً شديداً حتى غشى عليه فقلت له : ارفق

بأمر المؤمنين . فقال : يا بن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال له : زدني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكاً إليه . فكتب إليه عمر : يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن يُنصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له : زدني رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل» .

فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له : زدني رحمك الله فقال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتُمسى وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشياً لم يرح رائحة الجنة » .

فبكى هارون وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم دين لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألتني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم أهتم بحجتي قال : إنما أعني دين العباد . قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحده وأطيع

أمره، فقال عز وجل ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك . فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .
ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دللتني على رجل فدلتني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقال : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به . فقال لها : مثلي ومثلكم كمثلي قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نُحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرف . تأمل يا أخي هل يوجد في زميننا من يرد حطام الدنيا إذا عرض عليه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . بلغ يا أخي من يأكلون بالكتب الدينية باسم تحقيق ونشر وقل لهم قال الله تعالى : ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ .

إعلم بأن طريق الحق مُنقردُ والسالكون طريق الحق أفرادُ لا يطلبون ولا تطلب مساعيهم فهم على مهل يمشون قصاد

والناس في غفلة عمّا له قَصَدُوا فَجُلُّهُمْ عن طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثاً فقال : أما
هاهنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا ؟ فقيل له
هاهنا رجل يقال له أبو حازم .

فبعث إليه فجاء فقال سليمان : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟
فقال له أبو حازم : وأي جفاء رأيت مني ؟ فقال له : أتاني وجوه
المدينة كلهم ولم تأتني .

فقال : ما جرى بيني وبينك معرفة آتية عليها ، قال :
صدق الشيخ يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم
دنياكم وخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران إلى
الخراب ، قال : صدقت .

يا أبا حازم فكيف القدوم على الله تعالى ؟ قال : أما المحسن
فكالغائب يقدم على أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالأبق
يقدم على مولاه خائفاً محزوناً .

فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم
فقال أبو حازم : إعرض نفسك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك
عند الله .

قال : يا أبا حازم وأنا أصيب تلك المعرفة من كتاب الله قال

عند قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ .
قال : يا أبا حازم فأين رحمة الله ، قال : قريب من
المحسنين .

قال : يا أبا حازم مَنْ أَعْقَلَ النَّاسَ ؟ قال : مَنْ تَعَلَّمَ
الْحِكْمَةَ وَعَلِمَهَا النَّاسَ .

قال : فسن أحمق الناس ؟ قال : من حط نفسه في هوى
رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : فما أسمع الدعاء ؟ قال : دعاء المخبتين . قال : فما
أزكا الصدقة ؟ قال : جهد المقل .

قال : يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه . قال : اعفني من
هذا . قال سليمان : نصيحة تلقيها .

قال أبو حازم : إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوة من غير
مشاورة المسلمين ولا إجماع من رأيهم فسفكوا فيها الدماء على طلب
الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم .

فقال بعض جلسائهم : بئس ما قلت يا شيخ .

فقال أبو حازم : كَذَّبَتْ إِنْ اللَّهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ
لِيُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ .

قال سليمان : يا أبا حازم إصحبنا تُصِيبُ منا ونُصِيبُ مِنْكَ
قال : أعوذ بالله من ذلك . قال : ولم . قال : أخاف أن أركن
إليكم شيئاً قليلاً فيُذيقني الله ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ .

قال : فأشْرُ عَلِيَّ . قال : اتق الله أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .

قال : يا أبا حازم ادع لنا بخير فقال : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير وإن كان غير ذلك فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ .

فقال : يا غلام هات مائة دينار ثم قال : خُذْ هَذَا يَا أبا حازم ، قال : لا حاجة لي بها لي ولغيري في هذا المال أسوة فإن واسيت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها إني أخاف أن يكون لما سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِي أَيُّ ثَمَنًا لَهُ .

فكان سليمان أعجبَ بأبي حازم فقال الزُّهْرِيُّ : إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط .

فقال أبو حازم : إنك نسيتَ الله فنسيتني ، قال الزُّهْرِيُّ : اتَّشْتُمْنِي ؟

قال سليمان : بل أنت شتمتَ نفسك أما علمتَ أن للجار على الجار حقا .

قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء و كانت العلماء تفر بدينها من الأمراء .

فلما رأى قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء استغنت الأمراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا .

ولو كان علماءنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الأمراء تهابهم وتعظمهم . فقال الزُّهْرِيُّ : كأنك إِيَّايَّ تريد وبي تعرض ، قال : هو ما تسمع « أه .

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له : إني لا أحسن
القضاء ولست بفقير .

قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع
صاحبه من الدناءة .

وفيك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .
وأنت تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه
فَنَظْمٌ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ عَلَيْهِ فَوَلَاهُ فَمَا وَجَدَ فِيهِ مَطْعَنَا » .

دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبدالعزيز فقال له : عِظْنِي
يا يزيد .

قال : اعلم يا أمير المؤمنين أنك أول خليفة تموت فبكى عمر
ثم قال : زدني يا يزيد .

قال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا أبٌ مَيِّتٌ
فبكى عمر وقال : زدني يا يزيد قال : يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة
والنار منزلة فسقط عمر مغشياً عليه رحمه الله » .

وقال الرشيد لابن السَّهَّال : عِظْنِي وَكَانَ فِي يَدِ الرَّشِيدِ شَرْبَةُ
مِنْ مَاءٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هَذِهِ الشَّرْبَةُ
أَكُنْتَ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَوْ حُبِسَ عَنْكَ
خُرُوجُهَا أَكُنْتَ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قال : لا خير في ملك لا يُسَاوِي شَرْبَةَ مَاءٍ وَلَا بَوْلَةَ فَبَكَى
الرشيد .

وقال علي رضي الله عنه لأَسْقُفٍ قَدْ أَسْلَمَ : عِظْنِي فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

إن كان الله معك فمن تخاف . قال : أحسنت زدني .

قال : هب إن الله غفر ذنوب المسيئين أليس قد فاتهم ثواب
المحسنين . قال : حسبي حسبي .
وقال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل : عظمي . قال :
يا أمير المؤمنين إن كنت إذا عصيت الله تعالى ظننت أنه يراك فقد
إجترأت على رب عظيم وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت برب
كريم . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « كل عين باكية يوم
القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله
وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله » يعني دمعة مثل
رأس الذباب .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : أفرس الناس ثلاثة : عزيز
مصر حين قال لامرأته (أكرمي مثواه) ، والمرأة التي قالت لأبيها
عن موسى (يا أبتى استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) ،
وأبوبكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .
قال شقيق البلخي لحاتم الأصم : قد صحبتني مدة فماذا
تعلمت مني ؟ قال : ثمان مسائل .

الأولى : نظرت إلى الخلق فإذا كان لشخص محبوب ،
عندما يصل إلى القبر يفارقه ، فجعلت محبوبي حسناتي لتكون معي
في القبر .

والثانية : نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن
الهوى ﴾ فاجتهدت في دفع الهوى عن نفسي حتى استقرت على
طاعة الله تعالى .

وأما الثالثة : فإني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، فنظرت في قوله تعالى ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة وجَّهتهُ إليه ليبقى عنده .

وأما الرابعة : فإني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، فنظرتُ إلى قول الله تعالى ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .

وأما الخامسة : فإني رأيتُ الناس يتحاسدون فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾ فتركتُ الحسد .

وأما السادسة : فإني رأيتهم يتعادون فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿ إِنْ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوًّا فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فتركتُ عداوتهم واتَّخَذْتُ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا .

والسابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ فاشتغلتُ بها له علي وتركت ما لي عنده .

وأما الثامنة : فإني رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلتُ على الله تعالى .

[فائدة]

إعلم أن ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة فالإجلال ، وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن ، وتارة لنعيمته فيتولد منه الحمد والشكر ولذلك قيل ذكر النعمة شكرها ، وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه العبر ، فحق على المؤمن أن لا يَنْفَكَ أبداً من ذكره على أحد هذه الأوجه .

سأل بعضهم وكيعاً عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على

هارون الرشيد فقال : كان أول من دَعَا به أنا .

فقال لي هارون : يا وكيع إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً
وسموك لي فيمن سموا وقد رأيت أن أشركك في أمانتي .
فقلت : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وإحدى عيني ذاهبة
والأخرى ضعيفة . فقال هارون : اللهم غفراً خذ عهدك أيها
الرجل وامض .

فقلت : يا أمير المؤمنين والله لئن كنت صادقاً إنه لينبغي أن لا
يقبل مني ولئن كنت كاذباً فما ينبغي أن تولي القضاء كذاباً فقال :
اخرج فخرجت .

ودخل ابن إدريس فسمعنا وقع ركبته على الأرض حين برك
وما سمعناه يسلم إلا سلاماً خفياً .

فقال له هارون : أتدري لما دعوتك ؟ قال : لا . قال : إن
أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وإنهم سموك لي فيمن سموا .
وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وأدخلك في صالح ما أدخل
فيه من أمر هذه الأمة فخذ عهدك وامض .

فقال له ابن إدريس : وأنا وددت أني لم أكن رأيتك فخرج .
ثم دخل حفص فقبل عهده فأتى خادماً معه ثلاثة أكياس
في كل كيس خمسة آلاف .

فقال إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول لكم قد لزمتمكم
في شخوصكم مؤنة فاستعينوا بهذه في سفركم .

قال وكيع فقلت : أقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له قد
وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا مستغرن عنها .

وأما ابن إدريس فصاح به مر من هاهنا أي ردها وقبلها
حفص . لله در وكيع وابن إدريس من رقم (١) في الزهد .

وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا عافانا الله وإياك

سَأَلْنَاكَ لِأَنَّ تَدَخَلَ فِي أَعْمَالِنَا فَلَمْ تَفْعَلْ وَوَصَلْنَاكَ مِنْ أَمْوَالِنَا فَلَمْ تَقْبَلْ .

فَإِذَا جَاءَكَ ابْنِي الْمَأْمُونُ فَحَدِّثْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَقَالَ لِلرَّسُولِ : إِذَا جَاءَنَا مَعَ الْجَمَاعَةِ حَدَّثْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَامَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَمَّا سُهِّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَيَّ غَيْرُنَا مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْكَ ، قُمْنَا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكُتْمَانِ ، وَلَا سِيَّامًا حِينَ اتَّسَمَتْ بِمِيسَمِ التَّوَاضُعِ وَوَعَدَتْ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ بِإِثَارِ الْحَقِّ عَلَيَّ مَا سِوَاهُ .

فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مَشْهُدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمَحِيصِ ، لِيَتِمَّ مُؤَدِينَا عَلَى مَوْعُودِ الْأَدَاءِ وَقَابِلِنَا عَلَى مَوْعُودِ الْقَبُولِ ، أَوْ يَزِيدَنَا تَمَحِيصَ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ مَنْ حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْجَهْلِ وَأَشَدُّ مِنْهُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ وَأَدْبَرَ عَنْهُ ، وَمَنْ أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، فَقَدْ رَغِبَ عَنْ هَدْيَةِ اللَّهِ وَقَصَرَ بِهَا .

فَأَقْبَلُ مَا أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ أَلْسِنَتِنَا قَبُولَ تَحْقِيقٍ وَعَمَلٍ ، لَا قَبُولَ سَمْعَةٍ وَرِيَاءٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدَمُكَ مِنْهَا إِعْلَامُ لِمَا تَجْهَلُ أَوْ مَوَاطِئُ عَلَى مَا تَعْمَلُ أَوْ تَذَكِيرٌ مِنْ غَفْلَةٍ .

فَقَدْ وَطَّنَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ نَبِيَهُ ﷺ عَلَى نَزْوِهَا تَعْزِيَةً عَمَّا فَاتَ وَتَمَحِيصًا مِنَ التَّمَادِي وَدَلَالَةٍ مِنَ الْمَخْرَجِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ .

أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ مَا يُنَوِّرُهُ عَلَى إِثَارِ الْحَقِّ وَمُنَابَذَةِ الْأَهْوَاءِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . خرج أحد الزهاد في يوم عيد في هيئة رثة فقيل له أخرج في هذا اليوم في مثل هذه الهيئة والناس يتزينون فقال ما تزين لله أحد بمثل طاعته . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال له إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم علي أن أكون أملك لشيئك منك فقال لا فقال إبراهيم أعجبني صدقك . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[فصل] قام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور فقال له : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده .

فوحم أبو جعفر من قوله فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين . فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينضحك يوماً واحداً وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه .

قال أبو جعفر : فما أصنع قد قلت لك خاتمي في يدك فتعال وأصحابك فاكفني . قال عمرو : أدعنا بعد لك تسخ أنفسنا بعونك .

بيابك ألف مظلمة أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق .
سئل بعضهم أي شيء أشد على النفس ؟ فقال :
الإخلاص لأنه ليس للنفس فيه نصيب .
وقال آخر : أعز شيء في الدنيا الإخلاص (والإخلاص أن يكون العمل مقصوداً به وجه الله خال من الرياء وجميع المفسدات والمنقصات) قلت : هذا يحتاج إلى تيقظ دائم في كل الأعمال .
قال بعضهم : لست أستبشع ولا أستنكر ما يرد علي من الألم

لأني قد أصَلْتُ أصلاً وهو أن الدنيا دَارُ هَمٍّ وغمٍّ وبلاءٍ وفتنةٍ
وكدرٍ ومَصائبٍ وأن كُله شرٌّ ولا بد أن يلقا الإنسان بكل ما يكره وإن
تلقاه بها يجب فهو فضل وإلا فالأصل الأول وهو كثرة النكد والهموم
والأحزان والأذى .

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى الْفُتَّةِ وَأَسْلَمَنِي طَوْلُ الْبَلَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى كَثْرَةَ الْأَذَى وَكَانَ قَدِيماً قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
دَخَلَ ابْنُ السِّمَّكِ عَلَى الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَي رِبِّكَ ثُمَّ مُنْصَرَفٌ إِلَى إِحْدَى
مَنْزَلَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا جَنَّةٌ أَوْ نَارٌ .

فبكى الرشيد حتى خضل لحيته فأقبل الفضل بن الربيع
على ابن السمك فقال : سبحان الله وهل يتخالج شك في أن أمير
المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله لقيامه بحق الله وعدله في
عباده .

قال : فلم يحفل ابن السمك بقوله ولم يلتفت إليه وأقبل على
الرشيد .

وقال : يا أمير المؤمنين إن هذا يعنى الفضل بن الربيع ليس
والله معك ولا عندك في ذلك اليوم . قلت : ولو كان عنده ومعه
ماذا يفيد لأن الحكم لله وحده .

فاتق الله وأنظر لنفسك ، فبكى هارون بكاءً شديداً حتى
اشفقوا وأفحم الفضل فلم ينطق بحرف .

كان يحيى بن يحيى النيسابوري يحضر مجلس مالك فانكسر
قلمه فناوله المأمون قلماً من ذهب فامتنع عن قبوله .

فقال له المأمون : ما اسمك ؟ قال يحيى بن يحيى
النيسابوري . فقال : تعرفني ؟

قال : نعم أنت المأمونُ ابنُ أمير المؤمنين . قال : فكتب
المأمون على ظهر جُرْثُمِهِ : نَأَوَلْتُ يَحْيَى بنَ يَحْيَى النيسابُوري قَلَمًا في
مجلس مالِك فلم يَقْبَلُهُ .
فَلَمَّا أَفْضَتِ الخِلافةُ إليه بَعَثَ إلى عامله بنيسابور وأمره أن
يولي يَحْيَى بنَ يَحْيَى القضاء فبعث إليه يستدعيه .
فقال بعض الناس إنه يمتنع من الحضور فذهب إليه الرسول
فأنفذ إليه كتاب المأمون فقرأه عليه فامتنع من القضاء .
فردَّ إليه ثانياً وقال إن أمير المؤمنين يأمرُك بشيء وأنت تمتنع
عليه ؟ فقال : قل لأمر المؤمنين نَأَوَلْتَنِي قَلَمًا وأنا شاب فلم أقبله
فتجبرني الآن على القضاء وأنا شيخ .
فرفع الخبر إلى المأمون قال : قد علمت امتناعه ولكن نولي
القضاء رجلاً يَخْتَارُهُ فاختار رجلاً فولي القضاء .
ودخل على يحيى فضم يحيى فراشاً كان جالساً عليه كراهية
أن يجمعه وإيأه فقال : أيُّ الشيخ ألم تخترني ؟
قال : إنما قلت إختاروه وما قلت لك تقلد القضاء .
عن محمد بن عبدالكريم المروزي قال : لما ولي يحيى بن
أَكْثَم القضاء كتب إليه أخوه من مرو وكان زاهداً :
وَلُقْمَةٌ بِجَرِيشِ المَلْحِ تَأْكُلُهَا أَلْدُ مِنْ تَمْرَةٍ تُحْشَى بِزُبُّورِ
وَأَكْلَةٌ قَرَّتْ لِلْمَلِكِ صَاحِبُهَا كَحَبَّةِ الفَخِّ دَقَّتْ عُنُقَ عُصْفُورِ
قال ابن سيرين كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له
وبين يديه كانون فيه نار فجاءه رجل فجلس معه فساره بشيء لا
ندري ما هو .
فقال له أبو عبيدة : ضع لي أصبعك في هذه النار . فقال :

سبحان الله تأمري أن أضع أصبعي . فقال أبو عبيدة : أتبخل علي بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم . قال : فظننا أنه دعاه للقضاء .
 بنى أحد الأغنياء داراً وكان في جواره بيت لعجوز يساوي عشرين ديناراً وكان محتاجاً إليه لملاصقته لداره ليتوسّع به ، فبذل لها فيه مأتي دينار فلم تبعه .

ف قيل لها : إن القاضي يحجر عليك بسفهلك حيث تركت مأتي دينار لما يساوي عشرين ديناراً ، قالت لم لم يحجر القاضي على من يشتري بمأتين ما يساوي عشرين ديناراً .
 فأفحمت القاضي ومن معه جميعاً وترك البيت في يدها حتى ماتت .

كان رجل متعبداً بالبصرة فعرض عليه القضاء فتولاه ، فلقية الجنيد يوماً ، فقال : من أراد أن يستودع سراً لمن لا يفشيهِ فعليه بفلان وسماه ، فإنه كتم حُب الدنيا أربعين سنة حتى قدر عليه .
 قال رجل لداود الطائي : أوصني . فدمعت عيناه ، وقال :
 يا أخي إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مَرَحَلَةً بعد مرحلة ، حتى ينتهي ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تُقدِّمَ كُلَّ يوم زاداً لما بين يديك فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب والأمرُ أُعْجِلُ من ذلك ، فتزود لنفسك واقض ما أنت قاض ، فكأنك بالأمر قد بَغَتَكَ ، إني لأقول لك هذا ، وما أعلم أحداً أشدَّ تقصيراً مني !! ثم قام وتركه .

يا لاهياً بالمنايا غرّة الأمل وأنت عمّا قليل سوف ترتجِلُ
 تبغي اللُحوقَ بلا زادٍ تُقدِّمُهُ إن المخفِّين لما شمروا وصلُّوا

لا تركزن إلى الدنيا وزخرفها
أصبحت ترجو غداً يأتي وبعد غدٍ
هذا شبابك قد ولت بشاشته
ماذا التعلل بالدنيا وقد نشرت
فأنت من عاجل الدنيا ستثقل
وربّ ذي أمل قد خانه الأمل
ما بعد شيبك لا هو ولا جذل
لأهلها صحّة في طيها علل

كان محمد بن السّمك يقول : يا بن آدم أنت في حبس منذ
كنت ، أنت محبوس في الصُّلب ، ثم في البطن ، ثم في القمّاط ،
ثم في المكتب ، ثم تصير محبوساً في الكدّ على العيال ، فاطلب
لنفسك الراحة بعد الموت ، لا تكون في حبس أيضاً !

وكان أبو حازم يقول : اضمنوا لي اثنين ، اضمن لكم
الجنة : عملاً بها تكرهون إذا أحبه الله ، وتركاً لما تحبون إذا كرهه
الله .

وقال : انظر كل عمل كرهت الموت لأجله فاتركه ، ولا
يضرك متى مت . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم .

[فصل]

قيل إن رجلاً نادى المأمون باسمه فغضب المأمون ، وقال له
أتدعوني باسمي ، فقال نحن ندعوا الله جلّ جلاله باسمه ،
فسكت المأمون ، وقضى حاجة الرجل وأنعم عليه .

حكى أن المأمون كان يجلس للمظالم يوم الأحد ؛ فنهض
ذات يوم من مجلس نظره والشمس قد زالت ؛ فتلقته امرأة في ثياب
رثة وقالت :

يا خير متّصف يهدى له الرشد
تسكو إليه خفيد الملك أرملة
ويا إماماً به قد أشرق البلد
عدا عليها فما تقوى به أسد
لما تفرق عنها الأهل والولد
فأطرق المأمون مُفكراً في مقالتها ثم رفع رأسه ، وقال مجيباً

لها :

مِن دُونَ مَا قُلْتِ عَيْلَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدُ وَأَقْرَحَ الْقَلْبَ هَذَا الْحُزْنَ وَالْكَمَدُ
هَذَا أَوْ أَنَّ صَلَاةَ الظَّهْرِ فَأَنْصَرَفِي وَأَحْضِرِي الْخِصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ
الْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا أَنْصِفْكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَخْرَدُ
فَأَنْصَرَفْتُ وَحَضَرْتُ يَوْمَ الْأَحَدِ أَوَّلَ النَّاسِ ، فَوَقَفْتُ فِي
مَجْلِسِ الْمُتَظَلِّمِينَ ؟ فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : مَنْ خِصْمُكَ ؟ فَقَالَتْ :
الْقَائِمُ عَلَى رَأْسِكَ الْعَبَّاسُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِقَاضِيهِ
يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ : أَجْلِسْهَا مَعَهُ ، وَانظُرْ بَيْنَهُمَا ، فَأَجْلَسَتْ مَعَهُ
وَالْمَأْمُونُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَعْלו . فَزَجَرَهَا بَعْضُ الْحُجَّابِ ،
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعَهَا فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَالْبَاطِلَ أَخْرَسَهُ ، وَأَمْرٌ بَرْدٌ
ضَيَاعِهَا إِلَيْهَا . فَفَعَلَ الْمَأْمُونُ فِي النَّظَرِ بَيْنَهُمَا مَا يَلْزَمُ .

وَرَدَّ النَّظَرَ بِمَحْضَرٍ مِنْهُ إِلَى مَنْ كَفَاهُ مُحَاوَرَةَ الْمَرْأَةِ فِي اسْتِيضَاحِ
الدَّعْوَى وَالْحُجَّةِ ، وَبَاشَرَ بِنَفْسِهِ تَنْفِيذَ الْحُكْمِ ، وَالزَّامَ ابْنَهُ الْحَقَّ
وَسُلُوكَ الْمَحْجَّةِ .

قَالَ الْمَأْمُونُ لِابْنِ إِدْرِيسَ : يَا عَمَّ إِلَى جَانِبِ مَسْجِدِكَ دَارٌ
إِنْ أَذِنْتَ لَنَا اشْتَرَيْنَاهَا وَوَسَّعْنَا بِهَا الْمَسْجِدَ .

فَقَالَ : مَا لِي إِلَى هَذَا حَاجَةٍ قَدْ أَجْزَأَ مَنْ كَانَ قَبْلِي وَهُوَ
يُجْزِئُونِي فَنَظَرُ إِلَى قَرْحَةٍ فِي ذِرَاعِ الشَّيْخِ .

فَقَالَ : إِنْ مَعَنَا مُتَطَبِّبِينَ وَأَدْوِيَةَ أَتَأَذُنُ أَنْ يَجِيئَكَ مَنْ
يُعَالِجُكَ . قَالَ : لَا قَدْ ظَهَرَ بِي مِثْلُ هَذَا وَبَرًّا .

فَأَمَرَ لَهُ بِهَالِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، تَأَمَّلْ يَا أَخِي هَلْ يَوْجَدُ مِثْلُ
هَذَا فِي عَصْرِنَا مَا أَظُنُّ يَوْجَدُ وَلَا رَقْمَ ثَلَاثَةَ ، وَلَمَّا نَزَلَ بِابْنِ إِدْرِيسَ
الْمَوْتُ بَكَتْ أَبْنَتُهُ فَقَالَ : لَا تَبْكِي فَقَدْ خَتَمْتُ الْقُرْآنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ
أَرْبَعَةَ آلَافٍ خَتْمَةً .

بلغ يا أخي من ضاعت أعمارهم فرطاً عند التلفاز والمذياع
والكورة والجرائد والمجلات والورق والملاهي والقييل والقال .

قال عبد الأعلى بن حماد أحد رجال الحديث : دَخَلْتُ عَلَى
بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَرَأَيْتَهُ مُسْتَبْشِرًا .

فقلت : ما هذا السرور ؟ قال : أَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْحَاسِدِينَ
وَالْبَاغِينَ وَالْمَغْتَابِينَ وَأَقْدَمُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَا أَفْرَحُ .

قيل لبعض الصالحين وهو يجود بنفسه : كَيْفَ تَجِدُكَ وَكَيْفَ
حَالُكَ ؟ فقال : كَيْفَ حَالُ مَنْ يَرِيدُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلَا زَادٍ وَيَدْخُلُ
قَبْرًا مُوَحِّشًا بِلَا مُؤْنِسٍ وَيَنْطَلِقُ إِلَى رَبِّ مَلِكٍ عَادِلٍ بِلَا حُجَّةٍ .
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَانِينَ تَنْزُلُ
[موعظة]

قال الله جل وعلا ﴿ فاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ الاعتبار :
النظر في الأمور ليعرف بها شيء من غير جنسها ، والأبصار :
العقول والمعنى تدبروا .

إخواني : الدنيا دار عبدة ما وقعت فيها حبرة إلا وردفتها عبدة
أين من عاشرناه كثيراً وألفنا ، أين من ملنا إليه بالوداد وانعطفنا ،
أين من ذكرناه بالمحاسن ووصفنا ما نعرفهم لو عنهم كشفنا ،
ما ينطقون لو سألناهم والحنفا .

وسنصيركم كما صاروا فليتنا أنصفنا ، كم أغمضنا من أحببنا
على كرههم جفنا ، كم ذكرتنا مصارع من فني من يفني ، كم عزيز
أحببنا دفناه وانصرفنا ، كم مؤنس أضجعناه في اللحد وما وقفنا ،
كم كريم علينا إذا مررنا عليه انحرفنا .

ما لنا نتحقق الحق فإذا أيقنا صدقنا ، أما ضرر أهله

التَّسْوِيفُ ، وَهِيَ نَحْنُ قَدْ سَوَّيْنَا ، أَمَا التُّرَابُ مَصِيرُنَا فَلِمَ إِذَا مِنْهُ
أَنْفِنَا ، إِيَّامَ تَغْرُنَا السَّلَامَةَ وَكَأَنَّ قَدْ تَلَفْنَا .

أَيْنَ حَبِيبِنَا الَّذِي كَانَ وَانْتَقَلَ ، أَمَا غَمَسَهُ التَّلَفُ فِي بَحْرِهِ
وَارْتَحَلَ أَمَا خَلَا فِي لَحْدِهِ بِالْعَمَلِ أَيْنَ مَنْ جَرَّ ذَيْلَ الْخِيَلَاءِ غَافِلًا وَرَفَلًا
أَمَا سَافِرَ عَنَّا وَإِلَى الْآنَ مَا قَفَلًا .

أَيْنَ مَنْ تَنَعَّمَ فِي قَصْرِهِ وَفِي قَبْرِهِ قَدْ نَزَلَ ، فَكَأَنَّهُ بِالْدارِ مَا
كَانَ وَفِي اللَّحْدِ لَمْ يَزَلْ ، أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ الْأَكَّاسِرَةُ الْأُولَ الَّذِينَ كَنَزُوا
الْكُنُوزَ الْعُتَاةَ الْأُولَ ، مَلِكِ الْأَمْوَالِ سِوَاهُمْ وَالْدُنْيَا دُولًا .

عَجِبًا لِعَيْنِي كَيْفَ يَطْرُقُهَا الْكَرَى
أَلْهُوٌ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ فُوقَتْ
وَإِذَا هَمَمْتُ بِتَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ
كَمْ قَدْ سَمِعْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مَوَاعِظًا
أَيْنَ الَّذِينَ طَغَوْا وَجَارُوا وَاعْتَدَوْا
أَوْ لَيْسَ أَعْطَتْهُمْ مَقَالِيدَ الْعُلَا
وَتَمَسَّكُوا بِجِبَاهِهَا لِكِنِّهَا
مَا أَخْلَدَتْهُمْ بَعْدَ سَالِفِ رَفْعَةٍ
وَإِلَى الْبَلَى قَدْ نَقَلُوا وَتَشَوَّهَتْ
لَوْ أَخْبَرُوكَ بِحَالِهِمْ وَمَسَالِهِمْ
أَفَنَاهُمْ مَنْ لَيْسَ يَفْنَى مُلْكُهُ
فَاصْرِفْ عَنِ الدُّنْيَا طِمَاعَكَ إِنَّمَا
وَصِلِ السُّرَى عَنْهَا فَمَا يُنَجِّيكَ مِنْ

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ : كَانَ لِلْمَأْمُونِ وَهُوَ أَمِيرٌ إِذْ ذَاكَ مَجْلِسٌ
نَظَرَ فَدَخَلَ فِي جَمَلَةِ النَّاسِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ حَسَنُ الثَّوْبِ حَسَنُ الْوَجْهِ

طيب الرائحة قال فتكلم فأحسن الكلام والعبارة .
فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائييلي ؟ قال :
نعم . قال : أسلِمَ حتى أفعل بك وأصنع ووعدته فقال : ديني
ودين آبائي وإنصرف .

قال : فلما كان بعد سنة جاء مُسْلِماً فتكلم على الفقه فأحسن
الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : أَلَسْتَ صَاحِبِنَا
بِالْأَمْسِ ؟ قال : بَلَى .

قال : فما كان سَبَبُ إِسْلَامِكَ ؟ قال : انصرفتُ من
حَضْرَتِكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُمَّتِحِنَ هَذِهِ الْأَدْيَانَ وَأَنْتَ تَرَانِي حَسَنُ الْخَطِّ
فَعَمَدْتُ إِلَى التَّوْرَةِ فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسُخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ
وَأَدْخَلْتُهَا الْكَنِيسَةَ فَاشْتَرَيْتُ مِنِّي . المعنى مَا بَارَتْ تَصَرَّفَتْ وَطَافَتْ
مَا حَقَّقَ فِيهَا .

وعمدت إلى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها
ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني أي كالتوراة .
وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت
وأدخلتها الوراقين فتصفحوها .

فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها
فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي .

قال يحيى بن أكثم فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن
عيينة فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله قال
قلت في أي موضع ؟ قال : في قوله تعالى في التوراة والانجيل
«بما استحفظوا من كتاب الله» فجعل حفظه إليهم فضاع وقال عز
وجل ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فحفظه الله جل

وعلا علينا فلم يضع أهـ . قلت : ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى
﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ .

قيل للحسين بن الفضل هل تجد في القرآن من جهل شيئاً
عاداه ؟ قال : نعم في موضعين ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾
وقوله ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ .

قال عثمان بن مرة الخولاني : لما ابتداء الوليد ببناء مسجد
دمشق وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية ،
فعرضه على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدرُوا على قراءته .
فوجه به إلى وهب بن منبه فقال : مكتوب في أيام سليمان
ابن داود عليهما وعلى نبينا السلام ، فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم .

يا ابن آدم لو عاينت ما بقي من يسير أجلك لزهدت فيما
بقي من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحيلك ، وإنما تلقى
ندمك إذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك .

وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى
فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد .

فاغتتم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ
منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود
فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على الأزورد في حائط

المسجد : ربنا الله لا نعبد إلا الله ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم
الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين ، في ذى الحجة
سنة سبع وثمانين ، وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق

إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ، والله أعلم وصلى
الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فـصـل]

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : ورد كتاب علي بن الجهم :
أن أمير المؤمنين ، يعني المتوكل ، قد وجه إليك يعقوب المعروف
بصُرَّة ، ومعه جائزة ويأمرك بالخروج فالله الله أن تستعفى أو ترد
المال ، فيتسع القول لمن يُبغضك .

فلما كان من الغد ورد يعقوب فدخل عليه فقال : يا أبا
عبدالله أمير المؤمنين يُقرئك السلام ويقول : قد أُحِبَّتْ أن أنسَ
بُقربك وأن أتبرك بدعائك ، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم
مَعونةً على سفرك .

أخرج صُرَّةً فيها بَدْرَةٌ نحو مائتي دينار والباقي صِحاح ، فلم
ينظر إليها ثم شدّها يعقوب وقال له : أعود غداً حتى أبصر ما تعزم
عليه وانصرف .

فجئت باجانة خضراء فكببتها على البَدْرَةِ . فلما كان عند
المغرب قال : يا صالح خذ هذا صيرةً عندك . فصيرتها عند رأسي
فوق البيت . فلما كان سَحْرًا إذا هو ينادي : يا صالح فقامت
فصعدت إليه فقال : ما نمت ليلتي هذه .

فقلت : لِمَ يَا أَبَتِ ؟ فجعل يبكي وقال : سلمتُ من هؤلاء
حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ، قد عزمت على أن أفرق
هذا الشيء إذا أصبحت .

فقلت : ذاك إليك فلما أصبح قال : جئني يا صالح

بميزان . وقال : وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار . ثم قال :
وجه إلى فلان يفرق في ناحية وإلى فلان فلم يزل حتى فرقتها كلها
ونفضت الكيس ، ونحن في حالة الله تعالى بها عليهم .
فجاء بُنيّ لي فقال يا أبتِ أعطني درهماً . فنظر إلى فأخرجت
قطعة فأعطيته وكتب صاحب البريد : إنه قد تصدق بالدرهم من
يومه حتى تصدق بالكيس .

قال علي بن الجهم : فقلت : يا أمير المؤمنين قد علم الناس
أنه قد قبل منك ، وما يصنع أحمد بالمال ؟ وإنما قوته رغيف . فقال
لي : صدقت يا عليّ .

عن محمد بن موسى بن حماد الزيدي قال : حمل الحسن بن
عبد العزيز الحروري من ميراثه من مصر مائة ألف دينار ، فحمل
إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار فقال : يا
أبا عبدالله هذه ميراث حلال فخذها فاستعن بها على عائلتك .
فقال : لا حاجة لي فيها أنا في كفاية . فردّها ولم يقبل منها شيئاً .
وعن اسحاق بن راهوية قال : لما خرج أحمد بن حنبل إلى
عبدالرزاق انقطعت به النفقة ، فأكرى نفسه من بعض الجمالين ،
إلى أن وافى صنعاء ، وقد كان أصحابه فعرضوا عليه المواساة فلم
يقبل من أحد شيئاً .

وعن الرمادي قال : سمعت عبدالرزاق - وذكر أحمد بن
حنبل فدمعت عيناه - فقال : بلغني أن نفقته نفدت فأخذت عشرة
دنانير وأقمته خلف الباب ، وما معي ومعه أحد ، وقلت : إنه لا
تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير
فخذها فأرجو ألا تنفقها حتى يتهيا عندنا شيء . فتبسّم وقال لي :

(يا أبا بكر لو قبلتُ شيئاً من الناس قبلتُ منك)
وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : دخلتُ على أبي في أيام
الوائق والله يعلم في أيِّ حالةٍ نحنُ وخرجَ لِصلاةِ العصر ، وكان له
جلدٌ يجلسُ عليه ، قد أتت عليه سنون كثيرةٌ حتى قد بلى فإذا تحته
كتاب فيه .

بلغني يا أبا عبدالله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من
الدين ، وقد وجهتُ إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان
لتقضي بها دينك وتوسع بها على عيالك وما هي من صدقة ولا
زكاة ، إنما هوشىء ورثته من أبي .

فقرأت الكتاب ووضعتُه ، فلما دخلتُ قلتُ له : يا أبت ما هذا
الكتاب ؟ فاحمر وجهه وقال : رفعته منك . ثم قال : تذهب
بجوابه إلى الرجل . وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك إلى ونحن في عافية
فأما الدين فإنه لرجل لا يرهننا وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد
لله .

قال صالح : وأمر المتوكل أن تشتري لنا دار . فقال :
يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينك فلم
يزل يدفع شري الدار حتى اندفع .

وقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من
يأخذ عنه العلم ألا تقبل قضاء اليمن فامتنع من ذلك إمتناعاً
شديداً .

وذلك أن الرشيد قال للشافعي : إن اليمن يحتاج إلى
قاضي .

وبالتالي قال أحمد رضى الله عنه للشافعي : إني أختلف إليك لأجل العلم المزهد في الدنيا فتأمرني أن ألي القضاء ولولا العلم لم أكلمك بعد اليوم فاستحي الشافعي منه .
وروى أنه كان لا يصلي خلف عمه إسحاق ولا خلف بنيه ولا يكلمهم أيضاً لأنهم أخذوا جائزة السلطان .

ومكث مرةً ثلاثة أيام لا يجد ما يأكله حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقاً فعرف أهله حاجته إلى الطعام فعجلوا وعجنوا وخبزوا له سريعاً .

فقال : ما هذه العجلة كيف خبزتم ؟ فقالوا : وجدنا تنوراً بيّت صالح مسجوراً فخبزنا لك فيه . فقال : ارفعوا ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح لأن صالح أخذ جائزة السلطان وهو المتوكل على الله .

وقال ابنه عبدالله : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربع مدسويق يفطر بعد كل ثلاث ليال على قبضة منه حتى رجع إلى بيته ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر . لله دَرُهُ ما أَوْرَعَهُ وَأَزْهَدَهُ هَكَذَا الْعَفَافُ .

قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث إليه المائدة فيها أشياء كثيرة من الأنواع وكان أحمد لا يتناول منها شيئاً .

قال : وبعث المأمون مرة ذهباً يقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى أن يأخذ .
قال المروزي : دخلت على أحمد بن حنبل فقلت : كيف أصبحت ؟ فقال : كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض .
ونبيه يطالبه بأداء السنة .

والمالكان يطالبانه بتصحيح العمل .
ونفسه تطالبه بهواها .
وإبليس يطالبه بالفحشاء .
وملك الموت يطالبه بقبض روحه .
وعياله يطالبونه بنفقتهم ، والله أعلم وصلى الله على محمد
وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

حُجِبَ رَجُلٌ عَنْ بَابِ السُّلْطَانِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ، نَحْنُ نَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنَ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا ، وَالْهَمَمِ الْقَصِيرَةِ ، وَابْتِدَالِ الْحُرِّيَّةِ .
فَإِنَّ نَفْسِي وَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَيْمَةٌ مَا سَقَطَتْ وَرَاءَ هِمَّةٍ ، وَلَا خَذَلَهَا
صَبْرٌ عِنْدَ نَازِلَةٍ ، وَلَا اسْتَرْقَاهَا طَمَعٌ وَلَا طَبَعَتْ عَلَيَّ هَلَعٌ .
وَقَدْ رَأَيْتُكَ وَلَيْتَ عَرَضَكَ مَنْ لَا يَصُونُهُ ، وَوَصَلْتَ بِيَابِكَ مَنْ
يَشِينُهُ ، وَجَعَلْتَ تَرْجُمَانَ عَقْلِكَ مَنْ يُكَثِّرُ مِنْ أَعْدَائِكَ وَيَتَعَدَّى
أَوْلِيَاءَكَ وَيُسِيءُ الْعِبَارَةَ عَنْكَ وَيُوجِّهُ وَفَدَّ الدَّمَ إِلَيْكَ وَيُضَغِّنُ قُلُوبَ
إِخْوَانِكَ عَلَيْكَ .

لأنه لا يعرف لشريفٍ قَدْرًا ولا لصديقٍ مَنْزِلَةً وَيُزِيلُ الْمَرَاتِبَ
عَنْ جَهْلٍ بِهَا وَيَبْدُرُ جَاتِيهَا ، فَيَحْطُ الْعَلِيُّ إِلَى مَرْتَبَةِ الْوَضِيعِ ، وَيَرْفَعُ
الدُّنْيَى إِلَى مَرْتَبَةِ الرَّفِيعِ .
وَيَحْتَقِرُ الضَّعِيفَ لِضَعْفِهِ وَتَبُو عَيْنُهُ عَنْ ذِي الْبَدَاذَةِ ، وَيَمِيلُ
إِلَى ذِي اللَّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ وَيُقَدِّمُ عَلَى الْهَوَى وَيَقْبَلُ الرُّشَا .
لَمَّا مَاتَ جَالِينُوسُ وَجَدَ فِي جَيْبِهِ رَقْعَةً مَكْتُوبَةً فِيهَا : أَحْمَقُ
الْحَمْقَى مِنْ يَمَلَاءِ بَطْنِهِ مِنْ كُلِّ مَا يَجِدُ ، وَمَا أَكَلْتَهُ فَلِجَسْمِكَ ،
وَمَا تَصَدَّقْتَ بِهِ فَلِرُوحِكَ ، وَمَا خَلَفْتَهُ فَلِغَيْرِكَ .

والمحسن حي وإن نقل إلى دار البلي ، والمسيء ميت وإن
بقي في الدنيا ، والقناعة تستر الخلة .

وبالصبر تدرك الأمور ، وبالتدبير يكثر القليل ، ولم أرى
لابن آدم شيئاً أنفع له من التوكل على الله .

قيل لبعض العلماء : ما خير المكاسب ؟ قال : خير مكاسب
الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجة والأخذ منه للقوة على العبادة
وتقديم فضله الزائد ليوم القيامة .

وأما خير مكاسب الآخرة فعلمٌ معمول به نشرته ، وعملٌ
صالح قدمته ، وسنةٌ حسنةٌ أحييتها .

قيل : وما شر المكاسب ؟ قال : أما شر مكاسب الدنيا فحرام
جمعه ، وفي المعاصي أنفقته ، ولمن لا يطيع ربه خلّفته .

وأما شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسداً ، ومعصية
قدمتها إصراراً وسنة سيئة أحييتها عدواناً .

قيل إنه ظهر إبليس لعنه الله لعيسى عليه السلام فقال له :
ألست تقول : لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك . قال : بلى .
قال : فإرم نفسك من ذروة هذا الجبل فإذا قدر الله لك
السلامة تسلم .

فقال له : يا ملعون إن الله تعالى يختبر عباده وليس للعبد أن
يختبر ربه .

خير الرزق ما سلم من خمسة : من الاثم في الاكتساب ،
والمذلة والخضوع في السؤال ، والغش في الصناعة ، وأثمان آلات
المعاصي ، ومعاملة الظلمة .

جعل الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا ،
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[قصة]

روى ابن عساكر عن أبي الحسين النوري أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح ، فقال : ما هذا ولن هذا ؟ فقال : هذه خمر للمعتضد ، فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود في يده حتى كسرها كلها إلا دنا واحداً تركه .

واستغاث الملاح فجاءت الشرطة ، فأخذوا أبا الحسين ، فأوقفوه بين يدي المعتضد .

فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : المحتسب ، فقال : وَمَنْ وِلاكَ الحِسْبَةَ ؟ فقال : الذي وِلاكَ الخِلافةَ يا أمير المؤمنين ، فأطرق رأسه ثم رفعها .

فقال : ما الذي حملك على ما فعلت ؟ فقال : شفقةٌ عليك لدفع الضرر عنك ، فأطرق رأسه ثم رَفَعَهَا .

فقال : ولأي شيء تركت منها دناً واحداً لم تكسره ؟ فقال : لأنني إنما أقدمتُ عليها فكسرتها إجلالاً لله تعالى فلم أبالي بأحدٍ حتى إذا إنتهيت إلى هذا الدنِ دخل نفسي إعجاب من قبيل أني قد أقدمتُ على مثلك فتركته .

فقال له المعتضد : إذهب فقد أطلقتُ يدك ، فغَيَّرَ ما أَحْبَبْتَ أن تغيره من المنكر ، فقال له النوري : الآن انتقض عزمي عن التغيير .

فقال : ولم ؟ فقال : لأنني كُنْتُ أُغيرهن لله وأنا الآن تغيرت النية ، فقال : سل حاجتك ، فقال : أحبُّ أن تخرجني من بين يديك سالماً فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة .

فأقام بها مختفياً خشية أن يشق عليه أحد في حاجة عند المعتضد ، فلما توفي المعتضدُ رجع إلى بَغْدَاد .

[قصة] ودخل المنصور يوماً إلى قصر الذهب فقام الناس إلا فرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه : لِمَ لَمْ تَقُمْ ؟
قال : خِفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَسْأَلَكَ لِمَ رَضِيتَ بذلك .

وقد كره رسول الله ﷺ القيام للناس .
قال : فبكى المنصور وقربه وقضى حوائجه .
وقال الأصمعي : قال المنصور لرجل من أهل الشام :
إِحْمَدِ اللَّهَ يَا أَعْرَابِي الَّذِي دَفَعَ عَنْكُمْ الطَّاعُونَ بَوْلَايَتَنَا . فقال
الأعرابي : إِنْ اللَّهَ أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ لَا يَجْمَعُ عَلَيْنَا حَشَفًا وَسُوءَ كَيْلٍ
وَلَا يَتَكَمُّ وَالطَّاعُونَ .

وقال : أتبي برجل ليعاقبه ، فقال : يا أمير المؤمنين الانتقام عدلٌ ، والعفو فضلٌ ، ونعودُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأدنى القسمين دونَ أرفع الدرجتين فعفا عنه .

وقال المنصور لابنه المهدي : إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَنْقَصُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ .

وقال : يَا بُنَيَّ اسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ ، وَالطَّاعَةَ بِالتَّالِيفِ ، وَالنَّصْرَ بِالتَّوَاضِعِ وَالرَّحْمَةَ لِلنَّاسِ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَنَصِيبَكَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ .

كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبدالعزيز لما ولي عمر الخلافة : أما بعد يا عمر فإنه قد ولي الخلافة

والملك قبلك أقوام فماتوا على ما قد رأيت ولقوا الله فرأدا بعد
الجموع والحفدة والحشم وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون
فانفقات أعينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لذاتها واندفت
رقابهم غير مؤسدين بعد لين الوسائد وتظاهر الفرش والمرافق
والسرور والخدم وانشقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع
ولون من الأموال والأطعمة وصاروا جيفاً بعد طيب الروائح
العطرة حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم
أحياء لتأذى بهم ولنفر منهم بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من
الطيب والثياب الفاخرة اللينة كانوا ينفقون المال إسرافاً في
أغراضهم وأهوائهم ويقترون في حق الله وأمره فإن استطعت أن
تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون بما عليهم وأنت غير محبوس ولا
مرتهن بشيء فافعل واستعين بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله
سبحانه .

وما ملك عمًا قليل بسالم	ولو كثرت أحرأسه ومواكبته
ومن كان ذا باب شديد وحاجب	فعمًا قليل يهجر الباب حاجبه
وما كان غير الموت حتى تفرقت	إلى غيره أعوانه وحبائبه
فأصبح مسروراً به كل حاسد	وأسلمه أصحابه وحبائبه

عن عمر بن ذر عن مجاهد قال : إذا أراد أحدكم أن ينام
فليستقبل القبلة ولينم على يمينه وليذكر الله وليكن آخر كلامه عند
منامه لا إله إلا الله فإنها وفاء لا يدري لعلها تكون ميتته ثم يقرأ
﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ .

كان محمد بن طارق يطوف في البيت العتيق في اليوم واللييلة
سبعين أسبوعاً وكان كرز يختم القرآن في كل ليلة ويوم وفي ذلك
يقول ابن شبرمة :

لو شئتُ كُنْتُ كَكُرْزٍ فِي تَعْبُدِهِ أَوْ كَابْنِ طَارِقٍ حَوْلَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
قَدْ حَالَ دُونَ لَذِيذِ الْعَيْشِ خَوْفُهَا وَسَارِعًا فِي طِلَابِ الْفُوزِ وَالْكَرَمِ

[فائدة]

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَارِثًا وَفِي مَزَارِعِهِمْ حَارِثًا فَلْيَتَعَلَّمِ
الْعِلْمَ النَّافِعَ .

وهو ما جاء عن النبي ﷺ وهو علم دين الإسلام ففي
الحديث « العلماء ورثة الأنبياء » .

وليحضر مجالس العلماء فإنها رياض الجنة .

وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا نَصِيْبِهِ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا نَصِيْبِهِ
مِنَ الْفِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ .

ففي الحديث « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » ومن أحب
أن لا ينقطع عمله بعد موته فليشر العلم بالتدوين والتعليم .

ففي الحديث « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ
ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوهُ .

وَمَنْ سَأَلَ عَن طَرِيقِ تَبَلُّغِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَمْشِ إِلَى مَجَالِسِ
الْعِلْمِ .

ففي الحديث « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ
بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَعَمِلَ بِهِ فَلَهُ
أَجْرٌ مِثْلُ ذَلِكَ الْعَمَلِ .

وقال الحسن البصري : لَوْلَا اللَّهُ لَمَاتَ الْعُلَمَاءُ لَصَارَ النَّاسُ
أَمْثَالَ الْبَهَائِمِ .

أَلَا رَبُّ مَنْ قَدْ أَنْحَلَ الزُّهْدَ جِسْمَهُ كَثِيرُ صَلَاةٍ دَائِمِ الصُّومِ عَابِدُ

يُرُومُ وَصَالًا وَهُوَ بِالطَّرْقِ جَاهِلٌ إِذَا جُهِلَ الْمَقْصُودُ قَدْ خَابَ قَاصِدُهُ
قَلِيلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ

[فائدة عظيمة]

أربعة أعمال قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنْهَا أُولَاهَا :
الكفر وهو قسمان :

الأول : كفر الشك وهو كفر الظن .

والثاني : كفر السَّخَطِ وَالْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ
الْبَلِيَّتَيْنِ ، لِأَنَّ الشَّاكَّ قَدْ يُؤْمِنُ إِذَا اتَّضَحَ لَهُ الْيَقِينُ ، وَأَمَّا السَّاخِطُ
فَعَلَى بَصِيرَةٍ كَفَرَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

ثانيا : البدعة ، وهي قسمان : مكفرة ، وَمُظَلَّلَةٌ ، فَمَنْ
سَلِمَ مِنْهَا فَقَدْ سَلِمَ لَهُ إِسْلَامُهُ وَمَنْ ابْتُلِيَ بِأَحَدِهِمَا فَقَدْ حَادَ عَنْ
طَرِيقِ الْإِسْلَامِ أَوْ تَاهَ عَنْ سَبِيلِ النِّجَاةِ .

ثالثا : الغفلة عن ذكر الله فإن المعصية إلى الغافل أسرع من
انحِدار الصَّخْرَةِ إِلَى الْمَكَانِ النَّازِلِ .

رابعا : حُبُّ الدُّنْيَا إِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الْقَلْبِ وَلَوْ كَانَ عَابِدًا فَبَدَنُهُ
مُشْتَغِلٌ بِالْعِبَادَةِ وَقَلْبُهُ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا فَتَرَاهُ طَوَّلَ عُمُرِهِ يَتَقَرَّبُ إِلَى
اللَّهِ بِظَوَاهِرِهِ وَيَبْعُدُ عَنْهُ بِقَلْبِهِ .

أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الدُّنْيَا بِزُهْدِكَ فِي حُطَامِهَا وَطَرِيقُ الْحَقِّ مَسْلُوكٌ
وَأَنْتَ عَبْدٌ لَهَا مَا دُمْتَ تَعِشُّهَا إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ مَمْلُوكٌ

[موعظة]

عباد الله الثَّوَاءُ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَلَنَا عَلَيْهَا حِسَابٌ طَوِيلٌ
فَتَهَيَّئُوا لِلنُّقْلَةِ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يُزْعَجَكُمُ الرِّحِيلُ ، لَيْسَ لَكُمْ فِي سَفَرِ
الْآخِرَةِ إِلَّا مَا قَدَّمْتُمُوهُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ .

اسمع يا مَنْ أحياء الله على الاسلام إسأله أن يتوفاك عليه ،
ويا مَنْ سرَّبله الله قميصَ الايمان .

اجتهد أن يكون بالنقاء معلماً ويا مَنْ استحفظه الله القرآن
كن به مؤمناً ، القرآن يدلنا على المتاجر الربحة ونحن متأخرون ،
ويزهدنا في الدنيا الفانية ونحن فيها راغبون .

عباد الله ينبغي للحاضر أن يكون سامعاً وللسامع أن يكون
واعياً ، وللداعي أن يكون بما دعا إليه عاملاً ، وللعامل في عمله
أن يكون مخلصاً .

واعلم يا ابن آدم أنك مريض القلب من جهتين إحداهما :
مخالفتك لأمر الله والأخرى غفلتك عن ذكر الله .

ولن تجد طعم العافية حتى تكون على طاعة مقيماً ولذكر الله
مديماً فعالج مرض المخالفة بالتوبة، ومرض الغفلة بالانابة والرجوع
إلى الله .

يا مُعرضاً عن عَرْضِهِ وَحَسَابِهِ	لا يَسْتَعِدُّ لِيَوْمِ نَشْرِ كِتَابِهِ
مُتَعَلِّلاً بِعِيَالِهِ وَبِأَلِيهِ	مُتَلَهياً فِي أَهْلِيهِ وَصِحَابِهِ
مُتَنَاسِياً لِمَمَاتِهِ وَضُرْمُجِهِ	وَنُشُورِهِ وَوُقُوفِهِ وَمَأْبِهِ
الْقَوْلُ قَوْلٌ مُصَدِّقٌ وَالْفِعْلُ فَعْلٌ	لُ مُكَذِّبٌ بِثَوَابِهِ وَعَقَابِهِ
مَنْ قَالَ قَوْلًا ثُمَّ خَالَفَ قَوْلَهُ	بِفِعَالِهِ فَفِعَالُهُ أَوْلَى بِهِ

[قصة] كان شريك بن عبدالله القاضي الكوفي لا يجلس للحكم
بين الناس حتى يتغدى .

ثم يُخْرِجُ وَرَقَةً فَيَنْظُرُ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ثُمَّ يَأْمُرُ
بِتَقْدِيمِ الْخُصُومَةِ إِلَيْهِ فَحَرَصَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَلَى قِرَاءَةِ مَا فِي تِلْكَ
الْوَرَقَةِ الَّتِي يَقْرَؤُهَا قَبْلَ الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ .

فإذا فيها : يا شريك بن عبدالله إذكُر الصِرْطَ وِحدَتَه
ياشريك أذكر الموقف بين يد الله عز وجل . تأمل يا أخي هل يُوجَد
في زمننا أمثال هؤلاء .

قصة ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبدالواحد الهاشمي عن
شيخ من التجار ، قال : كان لي علي بعض الأمراء مال كثير ، فما
طَلَنِي وَمَنَعَنِي حَقِّي وَجَعَلَ كُلَّمَا جِئْتُ أَطَالِبُهُ حَجَبَنِي عَنْهُ ، وَيَأْمُرُ
غُلَمَانَهُ يُؤذُونَنِي .

فاشتكيت عليه إلى الوزير ، فلم يفد ذلك شيئاً وإلى أولى
الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً ، وما زاده ذلك إلا منعاً
وجحوداً .

فأيست من المال الذي عليه ودخلني همٌّ من جهته ، فبينما
أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل ألا تأتي فلانا
الخياط إمام مسجد هناك .

فقلت وما عسى أن يصنع خياط من هذا الظالم وأعيان
الدولة لم يقطعوا فيه ، فقال : الخياط هو أقطع وأخوف عنده من
جميع من اشتكيت إليه فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً .

قال : فقصده غير محتفل في أمره (يعني مستبعد النجاح)
فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم .

فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر
إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه
إلى الأمير كبير أمر .

غير أنه قال له : ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنتُ فتغير
لونُ الأمير ودفعَ إلي حقي .

قال التاجر : فعجبت من ذلك الخياط مع رثائه حاله
وضعف بنيته كيف انطاع وانقاد ذلك الأمير له .

ثم إني عَرَضْتُ عليه شيئاً من المال فلم يقبل وقال : لو
أردتُ هذا لكان لي من المال ما لا يحصى فَسَأَلْتُهُ عن خبره وذكرتُ
له تَعَجُّبِي منه والحَحْتُ عليه .

فقال : إن سببَ ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي
من أعالي الدولة وهو شاب حسن (أي جميل) .

فمرت به ذات يوم امرأةٌ حَسَنَاءٌ قد خرجت من الحمام وعليها
ثياب مرتفعة ذات قيمة فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريد لها
على نفسها ليدخلها منزله .

وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها تقول : يَا مُسْلِمِينَ أَنَا
إمرأة ذات زوج وهذا رجل يُرِيدُنِي على نفسي ويدخلني منزله .
وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله ومتى
بت هاهنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا
تغسله المدامع .

قال الخياط : فقامت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة
من بين يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي وغلب المرأة على
نفسها فأدخلها منزله قهراً .

فرجعت وغسلت الدم عني وعَصَبْتُ رأسي وصليت بالناس
صلاة العِشَاءِ ثم قلت للجماعة : إن هذا قد فعل ما قد علمتم
فقوموا معي إليه لِئَنُكِرَ عليه ونخلص المرأة منه .

فقام الناس معي فهَجَمْنَا عليه في داره فثار إلينا في جماعة من
غلمانِه بأيايهم العصي والدبابيس يضربون الناس .

وقصدني هو من بينهم فضربني ضرباً شديداً مُبرِّحاً حتى
أدْمَانِي وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الأهانة والذل .

فرجَعْتُ إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة
الوجع وكثرة الدماء فنمت على فراشي فلم يأخذني النوم .

وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لِتَرْجِعَ
فتبيت في منزلها حتى لا يقع عليها من زوجها الطلاق .

فألهِمْتُ أن أذن للصباح في أثناء الليل لكي يظن أن الصباح
قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها فصعدت
المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان
هل أرى المرأة خرجت .

ثم أذَّنتُ فلم تخرج ثم صَمَّمْتُ على أنه إن لم تخرج أقمت
الصلاة حتى يتحقق الصباح ، فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا
إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة .

وهم يقولون أين الذي أذن هذه الساعة ؟ فَقُلْتُ : أنا ذا
وأنا أريد أن يعينوني عليه . فقالوا : إنزل فنزلت فقالوا : أجب
أمير المؤمنين .

فأخذوني وذهبوا بي إليه ولا أملك من نفسي شيئا حتى
أدخلوني عليه فلما رأته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف
وفزعت فزعا شديداً .

فقال : ادن فدنوت ، فقال لي : ليسكن روعك وليهدأ قلبك وما زال يلاطفني حتى اطمأنتت وذهب خوفي .

فقال لي : أنت الذي أذنتَ هذه الساعة ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين فقال : ما حملك على أن أذنت هذه الساعة وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم .

فقلت : يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري ؟ فقال : أنت آمنٌ فذكرتُ له القصة .

قال : فغضب غضباً شديداً .

وأمر باحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعتها على أي حالة كانا فأحضراً سريعاً فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته .

وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والاحسان إليها فإنها مكرهة ومعذورة .

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له : كم لك من الرزق وكم عندك من المال وكم عندك من الجوارى والزوجات ؟ فذكر له شيئاً كثيراً .

فقال له : ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان .

وما كفاك ذلك حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربتته وأهنتته وأدميته فلم يكن له جواب .

فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل

في جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً حتى خفت .
ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد ثم أمر بدراً
صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال
التي كان يتناولها من بيت المال .

ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط : كل ما رأيت منكراً
صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا وأشار إلى صاحب الشرطة
فأعلمني .

فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان فأذن
في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا .

قال : فلهذا لا أمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه
ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من المعتضد وما احتجت أن
أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن .

قال بعضهم موبخاً نفسه :

دَعِ التَّشَاغَلَ بِالْغِزْلَانِ وَالْغَزَلَ
ضَيِّعَتْ عُمُرَكَ لَا دُنْيَا ظَفِرَتْ بِهَا
تَرَكْتَ طُرُقَ الْهُدَى كَالشَّمْسِ وَاضِحَةً
وَلَمْ تَكُنْ نَاطِرًا فِي أَمْرِ عَاقِبَةٍ
يَا عَاجِزًا يَتَهَادَى فِي مُتَابَعَةِ النَّـ
هَلَا تَشَبَّهْتَ بِالْأَكْيَاسِ إِذْ فَطِنُوا
فَرَطْتَ يَا صَاحِبَ فَاسْتَدْرَكَ عَلَى عَجَلٍ
هَلْ أَنْذَرْتِكَ يَقِينًا وَقَتَّ زُورَتِهَا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِيَةٍ

يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي شُغْلٍ
وَمِلْتَ عَنْهَا لِمُعْوجٍّ مِنَ السُّبُلِ
أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ أَمْ أَنْتَ فِي خَبَلٍ
نَفْسَ اللَّجُوجِ وَيَرْجُوا أَكْرَمَ النَّزْلِ
فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ الْعَمَلِ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَأْتِي عَلَى مَهْلٍ
أَوْ بَشَرْتِكَ بِعُمُرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
وَلَا الزَّمَانَ بِنَا أَمَلْتَ فِيهِ مَلِي

لا تُحَسِّبَنَّ اللَّيَالِي سَأَلْتِ أَحَدًا
 وَلَا يَغُرُّنَكَ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
 كَمْ مِنْ فَتَى جَبْرَتُهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ
 إِلَّامَ تَرْفُلٍ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ عَلَى
 وَالشَّيْبِ وَأَفَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ
 وَلَمْ تُرْعَ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحَتْ تَنْشُدُهُ
 وَسِرَّتْ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ
 وَمَالَ عَصْرُ التُّصَابِي مِنْكَ مُرْتَجِلًا
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا
 أَمَا عَلِمْتَ بَأَنَّ اللَّهَ مُطْلِعٌ
 وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ أَنْتَ فَاعِلُهُ
 أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ الْمُنُونِ إِلَى
 وَسَوْفَ تَأْتِي بِلَا شَكِّ إِلَيْكَ فَمَا
 لِكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُذْ
 دَعِ الْبَطَالََةَ وَالتَّفْرِيطَ وَأَبِكِ عَلَى
 وَلَمْ تُحْصِلْ بِهِ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا
 وَأَبْخَلْ بِدِينِكَ لَا تَبْغِي بِهِ عِوَضًا
 وَاتْلُ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ مُنْتَهِيًا
 وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ
 وَلَا زِمَ السُّنَّةَ الْغَرَّاءَ تَحْظُ بِهَا
 وَجَانِبِ الْخَوْضِ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ
 وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ الْحَلَالِ وَلَوْ
 وَاقْنَعْ تَجِدْ غُنِيَّةً عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ

واطْلُبْ مِنَ اللَّهِ وَاتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ تَجِدْ
 وَلَا تُدَاهِنُ فِتْيَ مَنْ أَجَلَ نِعْمَتِهِ
 وَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ لَا تَهْجُرْهُ تَشَقُّ بِهِ
 وَمَنْ أَتَى لَكَ ذَنْبًا فَاغْفُ عَنْهُ وَلَا
 عَسَاكَ بِالْعَفْوِ أَنْ تُجْزَى إِذَا نُشِرَتْ
 وَلَا تَكُنْ مُضْمِرًا مَا لَسْتَ تُظْهَرُهُ
 وَلَا تَكُنْ آيسًا وَارْجُ الْكَرِيمَ لِمَا
 وَقَفَ عَلَى بَابِهِ الْمَفْنُوحِ مُنْكَسِرًا
 وَارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشُّكْوَى وَسَلِّهِ إِذَا
 وَلَازِمَ الْبَابَ وَاصْبِرْ لَا تَكُنْ عَجَلًا
 وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا
 فَإِنِّي عَبْدٌ سَوْءٌ قَدْ جَنَى سَفَهًا
 وَغَرَّهُ الْحِلْمُ وَالْإِمْهَالُ مِنْكَ لَهُ
 وَلَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فَيْكَ فَإِنْ
 حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِبًا جَزَعًا
 وَلَمْ أَكُنْ بِكَ يَوْمًا مُشْرِكًا وَإِلَى
 وَكَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مِنْكَ جُدْتَ بِهِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

[فصل في ذكر قصص من نوادر الأذكياء والملوك]

من ذلك ما حكى أنه قدم رجل إلى بغداد ومعه عقد يساوي
 ألف دينار ، فأراد بيعه فلم يتفق . فجاء إلى عطار موصوف بالخير
 والديانة ، فأودع العقد عنده ، وحجج ، وأتى بهديّة للعطار ، وسلم
 عليه ، فقال له : مَنْ أَنْتَ وَمَنْ يَعْرِفُكَ ؟

فقال : أنا صاحبُ العِقدِ ، فلَمَّا كَلَّمَهُ رَفَسَهُ وَأَلْقَاهُ عَن دِكَانِهِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَقَالُوا : وَيْلَكَ ! هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَمَا وَجَدْتَ مَن تَكْذِبُ عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا ! فَتَحَيَّرَ الْحَاجُّ ، وَتَرَدَّدَ عَلَيْهِ ، فَمَا زَادَهُ إِلَّا شَتْمًا وَضَرْبًا ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ ذَهَبْتَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِحَصْلِ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِهِ خَيْرٌ .

فَكَتَبَ قِصَّتَهُ ، وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَرَفَعَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ؟ فَقَصَّرَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : أَذْهَبُ غَدًا وَاجْلِسْ عَلَى دُكَّانِ الْعَطَّارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَمُرَّ عَلَيْكَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَأَقِفَ وَأَسْلَمَ عَلَيْكَ فَلَا تَرُدَّ عَلَيَّ إِلَّا السَّلَامَ .

فَإِذَا انْصَرَفَتْ فَأَعِدْ عَلَيْهِ ذِكْرَ الْعِقْدِ ثُمَّ أَعْلِمْنِي بِمَا يَقُولُ لَكَ ، فَفَعَلَ الْحَاجُّ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، جَاءَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي مَوَكِبِهِ الْعَظِيمِ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَاجَّ وَقَفَ ، وَقَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ الْحَاجُّ - وَلَمْ يَتَحَرَّكْ - وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ .

فَقَالَ : يَا أَخِي تَقْدِمُ مِنَ الْعِرَاقِ وَلَا تَأْتِينَا ، وَلَا تَعْرِضُ عَلَيْنَا حَوَائِجَكَ ! فَقَالَ لَهُ : مَا اتَّفَقَ هَذَا ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ ذَلِكَ شَيْئًا ، هَذَا وَالْعَسْكَرُ وَاقِفٌ بِكَمَالِهِ ، فَانْذَهَلِ الْعَطَّارُ ، وَأَيَّقَنَ بِالْمَوْتِ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، التفتَ العطارُ إلى الحاجِّ ، وقال له : يَا أَخِي مَتَى أَوْدَعْتَنِي هَذَا الْعِقْدَ؟! وَفِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ مَلْفُوفٌ؟ فَذَكَرَنِي لِعَلِيٍّ أَتَذَكَّرُ . فَقَالَ : مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَامَ وَفَتَّشَ ، ثُمَّ فَتَحَ جَرَابِيًا وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْعِقْدَ . وَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ نَاسِيًا ، وَلَوْ لَمْ تَذَكِّرْنِي مَا تَذَكَّرْتُ .

فَأَخَذَ الْحَاجُّ عِقْدَهُ وَمَضَى إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَعْلَمَهُ ، [فَبَعَثَ بِهِ مَعَ الْحَاجِبِ إِلَى دُكَّانِ الْعَطَّارِ] فَعَلَّقَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَصَلَبَهُ

على باب دكانه ونودي عليه : هذا جزاء من استودع فجحد ! ثم أخذ الحاج العقد ومضى إلى بلاده .

ومثله ما نُقل عن ذكاء إياس الذي سارت به الركبان .
قيل : إن رجلاً استودع أمين إياس مالا ، وخرج المودع إلى الحجاز ، فلما رجع طلبه فجحدته فأتى إياساً فأخبره . فقال إياس : أعلم أنك أتيتني ؟ قال : لا . قال : أفنازعته عند غيري ؟ قال : لا ، قال : فانصرف واكتم سرّك ، ثم عد إليّ بعد يومين .

فمضى الرجل ، ودعا إياس أمينه ، فقال : قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه إليك ، أفحصين منزلك ؟ قال : نعم . قال : فأعدّ موضعاً للمال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجل إلى إياس ، فقال : انطلق إلى صاحبك فإن أعطاك المال فذاك ، وإن جحد فقل له : إني أخبر القاضي بالقصة .

فأتى الرجل صاحبه ، فقال : تُعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي ، وأخبره بالحال ، فدفع إليه المال ، فرجع الرجل وأخبر إياساً ، وقال : أعطاني الوديعة ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به ، فزجره وقال له : لا تقرّني بعد هذا يا خائن .

ومن لطائف المنقول من كتاب الأذكياء ، أن يحيى بن أكرم القاضي ولى القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة ، فاستصغره أهل البصرة ، فقال أحدهم : كم سن القاضي ؟ فعلم يحيى أنه استصغر .

فقال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله ﷺ قاضياً على أهل اليمن ، وأنا أكبر من كعب

بن سُور حينَ وِلاهَ عُمَرُ بنَ الخطابِ قاضياً على أهلِ البصرة ، قال :
فَعَظُمَ في أعينِ أهلِ البصرةِ وهابوه .

ومن المنقول من كتاب الأذكياء أن بعض اللصوص دخل
بيتاً ومعه جماعة تحت أمره ونهيه في القتل والسُّرقة ، فظفروا
بصاحب البيت ، وأوقفوه للقتل فدخل عليهم في إبقاء رُوحه ،
وأخذ ما في البيت بكماله ، فقال كبيرهم : حلفوه بالطلاق
الثلاث ، وعلى المصحف [الشريف ألا يذكُرنا إلا بخير ، فحلفَ
لهم بالطلاق الثلاث وعلى المصحف] ألا يُعلِمَ بهم أحداً .
فأصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ، ولا يقدر أن
يتكلم لأجل اليمين . فجاء إلى الإمام أبي حنيفة وأعلمه بحاله ،
فقال له : أحضر أكابر حيك ، وأعيان جيرانك ، وإمام جماعتك ،
فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة : هل تُحبون أن يردَّ الله على هذا
الرجل متاعه ؟ قالوا : نعم .

فقال : أجمعوا كلَّ ذي عرقٍ منهم ، فأدخلوهم الجامع ،
ثم أخرجوهم واحداً واحداً ، وكلِّموا خراجٍ منهم واحدٌ قولوا : هذا
لصك ، فإن كان ليسَ بلصِّ قال : لا ، وإن كان لصه فيسكت ،
فإذا سكت فاقبضوا عليه ، ففعلوا ذلك ، فردَّ الله عليه جميع ما
سُرِقَ له .

ومنه أن الربيع صاحب المنصور كان يُعادي أبا حنيفة ،
فحضر يوماً عند أمير المؤمنين ، فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، إن
أبا حنيفة يُخالفُ جدك ابن عباس ، وكان جدك يقول : إذا حلفَ
الرجل على شيءٍ يمينا ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين كان ذلك
جائزاً ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا مُتصلاً باليمين ،

فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الربيعَ يزعمُ أن ليس لك في رِقَابِ جُنْدِكَ عَهْدٌ . قال : كَيْفَ [ذَلِكَ] ؟
قال : يَخْلِفُونَ لَكَ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فَيَسْتَشْنُونَ ، فَتَبْطُلُ أَيَّامُهُمْ . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ : يَا رَبِيعَ ، لَا تَتَعَرَّضْ لِأَبِي حَنِيفَةَ .

ومنه أن الإمام أبا حنيفة رضى الله عنه قال : دَخَلْتُ الْبَادِيَةَ فَاحْتَجْتُ إِلَى الْمَاءِ ، فَجَاءَنِي أُعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ قِرْبَةٌ مَلَأَنَّهُ ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهَا إِلَّا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذْتُ الْقِرْبَةَ .
فَقُلْتُ : مَا رَأَيْكَ يَا أُعْرَابِيٌّ فِي السُّوَيْقِ ؟ فَقَالَ : هَاتِ ، فَأَعْطَيْتُهُ سَوَيْقًا مَلْتُوتًا بِزَيْتٍ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ حَتَّى امْتَلَأَ ، ثُمَّ عَطِشَ ، فَقَالَ عَلَيَّ بِشَرْبَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ عَلَيَّ قَدَحٍ مِنْ مَاءٍ ، فَاسْتَرَدَدْتُ الْخَمْسَةَ ، وَبَقِيَ الْمَاءُ .

ومنه أن رجلاً استودع رجلاً مالا ، وَحَجَّ وَرَجَعَ ، فَطَلَبَهُ فَجَحَدَهُ وَجَعَلَ يَخْلِفُ لَهُ ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَخَلَا بِهِ وَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ : لَا تَعْلِمُ أَحَدًا بِجُحُودِهِ - وَكَانَ الرَّجُلُ يُجَالِسُ أبا حَنِيفَةَ - فَقَالَ لَهُ - وَقَدْ خَلَا لَهُمَا الْمَكَانُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ بَعَثُوا يَسْتَشِيرُونِي فِي رَجُلٍ يَصْلُحُ لِلْقَضَاءِ ، وَقَدْ اخْتَرْتُكَ ، فَانصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْإِمَامِ وَقَدْ طَمِعَ بِذَلِكَ .

ثم جاء صاحبُ الوديعَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَمَامُ : ازْجِعْ إِلَى صَاحِبِكَ وَذَكَرْهُ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ نَاسِيًا فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ فَلَمْ يَحْتَجْ مَعَهُ إِلَى عَلامَةٍ ، بَلْ دَفَعَ إِلَيْهِ مَتَاعَهُ ، وَتَوَجَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِكَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ قَدْرَكَ ، وَلَا أَسْمِيكَ حَتَّى يَحْضُرَ مَا هُوَ أَنْفُسُ مِنْ هَذَا .

ومنه أنه كان بجوار أبي حنيفة شابٌ يَغشى مجلسه ، فقال له يوماً من الأيام : يا إمام ، إني أريدُ التزويجَ إلى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلبَ مني من المهرِ فوقِ وسعي وطاقتي ، فقال أبو حنيفة : فاستخر الله تعالى ، وأعطهم ما طلبوه منك .

فأجابهم إلى ما طلبوا ، فلما عَقَدُوا النِّكاحَ جاءَ إلى أبي حنيفة ، فقال : إني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ، ويدعوا البعض عند الدُّخول ، فأبوا ، فما ترى ؟ قال : احتل ، واقترض حتى تدخل بأهلك ، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم . ففعل ذلك .

فلما زُفَّت إليه ، ودخل بها ، قال له أبو حنيفة : ما عليك أن تظهر الخروجَ بأهلك عن هذا البلدِ إلى موضعٍ بعيد . فاكترى الرجلُ جملين وأحضر آلات السفر وما يحتاج إليه ، وأظهر أنه يريدُ الخروجَ من البلدِ في طلبِ المعاشِ ، وأن يصحبَ أهله معه . فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاءوا إلى أبي حنيفة يستشيرونه ، فقال لهم أبو حنيفة : له أن يخرجها إلى حيث شاء ، فقالوا : لم نصبر على ذلك ، قال : فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه ، فأجابوه إلى ذلك .

فقال أبو حنيفة للفتى : إن القومَ قد سمعوا ، وأجابوا إلى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ، ويبرئوك منه ، فقال الفتى : لا بد من زيادة أخذها منهم ، فقال أبو حنيفة : أيها أحب إليك ، أن ترضى بما بذلوا لك . وإلا أقرت المرأة لرجلٍ بدين عليها يزيد على المهر ، ولا

يُمْكِنُكَ حَمْلُهَا ، وَلَا السَّفْرُ بِهَا حَتَّى تَقْضِيَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ ؟
قَالَ فَقَالَ الْفَتَى : اللَّهُ اللَّهُ يَا إِمَامَ ! لَا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِذَلِكَ ،
ثُمَّ أَجَابَ وَأَخَذَ مَا بَدَّلُوهُ مِنَ الْمَهْرِ .

وَمِنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، وَقَالَ : يَا إِمَامَ ، دَفَنْتُ
مَالًا مِنْ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَنَسِيتُ الْمَوْضِعَ الَّذِي دَفَنْتُهُ فِيهِ ، فَقَالَ
الْإِمَامُ : لَيْسَ فِي هَذَا فِيقَةٌ فَأَحْتَالَ لَكَ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ فَصَلِّ اللَّيْلَةَ
إِلَى الْغَدَاةِ ، فَإِنَّكَ سَتَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَفَعَلَ ، فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا أَقْلٌ مِنْ رُبْعِ اللَّيْلِ حَتَّى ذَكَرَ
الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ ، فَجَاءَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : قَدْ
عَلِمْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ تُصَلِّيَ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَهَلَا أَتَمَمْتَ
لَيْلَتَكَ كُلَّهَا شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى .

وَمِنْهُ أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا
شَدِيدًا ، وَتُبَغَّضُهُ بُغْضًا شَدِيدًا ، وَلَمْ تَزَلِ الْمُنَافَرَةُ بَيْنَهُمَا الْبَتَّةَ ،
فَأُضْجِرَهُ ذَلِكَ ، وَطَالَتْ مُدَّةُ تَجَرُّئِهَا عَلَيْهِ فِي تَغْلِيظِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ
لَهَا يَوْمًا : أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا إِنْ خَاطَبْتِنِي بِشَيْءٍ ، وَلَمْ أَخَاطِبْكَ
بِشَيْءٍ مِثْلِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ فِي الْحَالِ : أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا .

فَأَبْلَسَ الرَّجُلُ ، وَلَمْ يَدْرَ مَا يُجِيبُ ! وَخَافَ فِي جَوَابِهَا مِنْ
وُقُوعِ الطَّلَاقِ ، فَأَرْشَدَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا
جَرَى ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا طَالَبْتِكَ بِالْجَوَابِ فَقُلْ لَهَا : أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا
بَتَاتًا إِنْ أَنَا طَلَّقْتُكَ ، فَتَكُونُ قَدْ خَاطَبْتَهَا وَوَفَّيْتَ بِيَمِينِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

[فَصْل]

وَمِنَ الْمَنْقُولِ عَنْ أَذْكَيَاءِ الصَّبِيَّانِ أَنَّهُ وَقَفَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ
وَهُوَ صَبِيٌّ إِلَى قَاضِي دِمَشْقٍ وَمَعَهُ شَيْخٌ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ
الْقَاضِي ! هَذَا الشَّيْخُ ظَلَمَنِي ، [وَاعْتَدَى عَلَيَّ] ، وَأَكَلَ مَالِي ؛

فقال القاضي : ارفق بالشيخ ، ولا تستقبله بمثل هذا الكلام .
فقال إياس : [أصلح الله القاضي !] ، إن الحق أكبر مني ومنه
ومنك ، قال : اسكت . قال : فإن سكنت فمن يقوم بحجتي !
قال : فتكلم فوالله لا تتكلم بخير ، فقال : لا إله إلا الله وحده
لا شريك له فبلغ ذلك الخليفة ، فعزل القاضي .

ومنه أن المتوكل قال يوماً لجلسائه : نقم المسلمون على
عثمان أشياء ؛ منها أن الإمام أبا بكر رضى الله عنه لما تسنم المنبر
هبط عن مقام النبي ﷺ بمرقاة ، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر ،
وصعد عثمان ذروة المنبر .

فقال عباد : ما أحد أعظم منة عليك من عثمان يا أمير
المؤمنين ! قال : وكيف ، وبتلك ! قال : لأنه صعد ذروة المنبر ،
ولو أنه كلاً قام خليفة نزل مرقاة ، ونزل عثمان عمّن تقدمه ، كنت
أنت تخطبنا من بئر ! فضحك المتوكل ومن حوله .

ومن دهاء المنصور أنه كان جالساً في بعض الليالي ، وكانت
ليلة شديدة البرد والريح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له :
انهض الآن إلى فج طليارش وأقم فيه ، فأول خاطر ينخطر عليك
سقه إلي .

قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر
واقفاً على فرسه ، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له
ومعه آلة الخطب ، فقال له الفارس : إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال :
وراء حطب .

فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل
يسوق حطباً ، فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فسار

عني قليلا ، ثم فكرت في قول المنصور ، وخفت سطوته ، فنهضت إلى الشيخ وقلت له : ارجع إلى مولانا المنصور .

فقال : وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي ، سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي ؟ فقال له الفارس : لا أفعل ، ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه - وهو جالس لم ينم ليلته تلك .

فقال المنصور للصقالبة : فتشوه ، ففتش فلم يوجد عنده شيء ، فقال : فَتَشُوا بِرُدْعَةِ حِمَارِهِ ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نَزَعُوا إِلَى الْمَنْصُورِ يَخْدُمُونَ عِنْدَهُ إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنَ النَّصَارَى ، لِيُقْبَلُوا وَيَضْرَبُوا فِي إِحْدَى النُّوَاجِي الْمَعْلُومَةِ ، فَلَمَّا انْبَلَجَ الصَّبِيحُ ، أَمَرَ بِإَخْرَاجِ أَوْلَئِكَ النَّصَارَى إِلَى بَابِ الزَّاهِرَةِ ، فَضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ ، وَضَرَبَتْ رَقَبَةَ الشَّيْخِ مَعَهُمْ .

ومن ذلك قِصَّةُ الْجَوْهَرِيِّ التَّاجِرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَوْهَرِيًّا مِنْ تِجَارِ الْمَشْرِقِ قَصِدَ الْمَنْصُورَ مِنْ مَدِينَةِ عَدَنَ بِجَوْهَرٍ كَثِيرٍ وَأَحْجَارِ نَفِيسَةٍ ، فَأَخَذَ الْمَنْصُورُ مِنْ ذَلِكَ مَا اسْتَحْسَنَهُ وَدَفَعَ إِلَى التَّاجِرِ الْجَوْهَرِيِّ صِرْتَهُ ، وَكَانَتْ قِطْعَةً يَمَانِيَّةً ، فَأَخَذَ التَّاجِرُ فِي انْصِرَافِهِ طَرِيقَ الرَّمْلَةِ عَلَى شَطِّ النَّهْرِ .

فلما توسطها - واليوم قائظ وعرقه منصب - دعته نفسه إلى التبرد في النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط ، فمرت حداة فاخطفت الصرة تحسبها لحماً ، وصاعدت في الأفق ذاهبة ، فقطعت الأفق الذي تنظر إليه عين التاجر ، فقامت قيامته وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة ، فأسر الحزن في نفسه ، ولحقه لأجل ذلك علة اضطرب فيها .

وحضر الدفع إلى التجار ، فحضر الرجل لذلك بنفسه ، فاستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده

من النشاط وشدة العارضة ، فسأله المنصور عن شأنه ، فأعلمه بقصته .

فقال له : هلا أتيت إلينا بحدثان وقوع الأمر فكنا نستظهر على الحيلة ، فهل هديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها ؟ قال : مر مشرقاً على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك - يعني الرملة - فدعا المنصور شرطيه الخاص به ، فقال له جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة .

فمضى وجاء بهم سريعاً ، فأمرهم بالبحث عن من غير حال الاقلال منهم سريعاً ، وانتقل عن الاضافة دون تدريج ، فتناظروا في ذلك ، ثم قالوا : يا مولانا ، ما نعلم إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ويتناولون السبق بأقدامهم عجزاً عن شراء دابة ، فابتاع اليوم دابة ، واكتسى هو وولده كسوة متوسطة ، فأمر بإحضاره من الغد ، وأمر التاجر بالغدو إلى الباب . فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور ، فاستدناه والتاجر حاضر ، وقال له : سبب ضاع منا وسقط إليك ما فعلت به ؟ قال : هو ذا يا مولاي . وضرب بيده إلى حزمة سراويله فأخرج الصرة بعينها .

فصاح التاجر طرباً وكاد يطير فرحاً ، فقال له المنصور : صف لي حديثها ، فقال : بينما أنا أعمل في جناني تحت نخلة إذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها فقلت : إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار . فاحترزت بها ودعتني فاقتني إلى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلت : أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها .

فأعجب المنصور ما كان منه ، وقال للتاجر : خذ صرتك وأنظرها واصدقني عن عددها ، ففعل وقال : ما ضاع منها شيء . سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له ، فقال له المنصور : نحن أولى بذلك منك ، ولا نُنغصُ عليك فرحك ، ولولا جمعه بين الاصرار والاقرار لكان ثوابه موفوراً عليه ، ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً عن دنانيره ، وللجنان بعشرة دنانير ثواباً لتأنيه عن فساد ما وقع بيده .

وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء ،

قال : فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه

والصبر أحمد ما إليه يرجع	الدهر يعقب ما يضر وينفع
حيناً ، وليس عن المنية مدفع	والمرء فيها منه كان مصيره
لا يلتجى منها ولا يستشفع	فاحذر مفاجأة المنون فإنه
وتوثقوا وتجيئوا وتمنعوا	أين الذين تجمعوا وتحصنوا
وتكبروا وتمولوا وترفعوا	وتعظموا وتحشموا وتجرؤوا
وحدا بهم حادي البلى فتقطعوا	صاحت بهم نوب الزمان فأسرعوا
أو مانعوه بالذي قد جمعوا	ألا احتموا عنه بعض باتر
فتفرقت أوصالهم وتضعفوا	كانت منازلهم بهم مانوسة
وسفت على الآثار ريح زعزع	واستوطنوا الأجدات بعد قصورهم
أن غرهم فيه وماذا يصنع	ماذا أعدوا في الجواب لمنكر
بجميل طاعته ووجه أسفع	وجدوا الذي عملوا ، فوجه أبيض
ما دمت حياً فالنصيحة تنفع	أبني كن متمسكاً بنصيحتي
بخلاف ما في نفسه يتذرع	واحذر مجاورة الحسود فإنه
من كل شيء يقتنى لك أنفع	وعليك بالحق الجميل فإنه

وَتَجَنَّبِ الدُّنْيَا وَكُنْ مُتَعَفِّفًا
 وَخُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاعْمَلْ بِهَا
 وَاسْأَلْكَ سَبِيلَ رَسُولِهِ فِي أَمْرِهِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
 حَيٌّ قَدِيرٌ وَاحِدٌ مُتَنَزِّهٌ
 مُتَكَلِّمٌ عَدْلٌ جَوَادٌ مُنْعِمٌ
 ذُو العَرْشِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَةٌ
 فِي الحَشْرِ يَظْهَرُ لِلْعِبَادِ بِلُطْفِهِ
 بِالْعَدْلِ يَحْكُمُ فِي القِيَامَةِ بَيْنَنَا
 خَيْرُ البرِيَّةِ بَعْدَهُ صَدِيقُهُ
 وَكَذَلِكَ الفَارُوقُ أَكْرَمُ صَاحِبِ
 وَمُجَهِّزِ الجَيْشِ العَظِيمِ ، وَمَنْ ثَوَى
 وَحَسْبِيهِ وَنَسِيبِيهِ وَصَفِيَّهُ
 لَهُمُ المَنَاقِبُ وَالمَوَاهِبُ وَالعُلَا
 وَهُمْ الذِّينَ بِهِمْ يَفُوزُ مُجِبُّهُمْ
 وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فـصـل]

قال بعض العلماء : تأملتُ التَّحَاسُدَ بَيْنَ العُلَمَاءِ ، فرأيتُ
 مَنَشَأَهُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا ، فإن علماء الآخرة يَتَوَادَّدُونَ وَلَا
 يَتَحَاسَدُونَ ، كما قال عز وجل ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .
 وقال جل وعلا ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

وقد كان أبو الدرداء يدعو كل ليلة لجماعة من إخوانه .
وقال الامام أحمد لولد الشافعي : أبوك من الستة الذين
أدعوا لهم كل ليلة وقت السحر .
والأمر الفارق بين الفئتين أن علماء الدنيا ينظرون إلى الرياسة
فيها ويحبون كثرة الجمع والثناء .
وعلماء الآخرة بمعزلٍ من إيثار ذلك ، وكانوا يتخوفونه ،
ويرحمون من بلي به .

وقال علقمة : أكره أن يوطأ عقبي .
وكانوا يتدافعون الفتوى ، ويحبون الخمول ، وهو عكس
الشهرة فهم لا يطلبون جاهاً ولا منصباً .
فمثل القوم كمثل راكب البحر إذا خب أي هاج واضطربت
الأمواج ، فعنده شغل إلى أن يوقن بالنجاة .
وإنما كان علماء السلف يدعوا بعضهم لبعض لأنهم ركب
تصاحبوا وتحابوا في طاعة الله فالأيام والليالي مراحلهم إلى سفر
الجنة .

ماتوا وغيب في التراب شخوصهم فالنشر مسك والعظام رميم
وقال رأيت جماعة من العلماء يتفسحون (أي يتوسعون في
أمرهم ويترخصون) ويظنون أن العلم يدفع عنهم .
وما يدرون أن العلم خصمهم وأنه يغفر للجاهل سبعون
ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب وذلك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق
والعالم لم يتأدب معه .

ووجه الأدب مع الله أن يعمل العالم بعلمه فيستفيد ويفيد
ويخشى الله ، قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
قال : فتفكرت .

فإذا العلم الذي هو معرفة الحق وما يجب له ومعرفة الحقائق
والنظر في سير القدماء والتأدب بآداب القوم ليس عندهم .
وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس
كذلك العلم النافع . إنما العلم النافع فهم الأصول ومعرفة
المعبود .

والنظر في سيرة الرسول ﷺ وسير صحابته والتأدب بآدابهم
وفهم ما نقل عنهم هذا هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء
عند نفسه أحقر من أجهل الجهال .

يا مَنْ بغير رضاه لا استبشِرُ
أترى بقربي من جنابك أظفرُ
حزني على ما فات لم أعمل به
عملاً به ترضى عليّ وتغفرُ
وإذا اغتدى قلب بطيب مطاعم
فغذاء قلبي أنه لك يذكُرُ
وإذا تقرب ناسك بضحية
فضيحتي أني لنفسي أنحرُ
يا مَنْ خزائن جوده في قول كُنْ
أمن فإن الفضل عندك أغزرُ
إن كنت تُعطي السائلين لفقُرهم
فأنا إلى جدواك منهم أفقرُ
إن كان بالجُرم الكبير خطيئي
فأنا الشهيد بأن عفوك أكبرُ
هَبني أتيتك بالجرائم كلها
أنت الذي كل الجرائم تغفرُ
وقال مَنْ أحب تصفية الأحوال ، فليجتهد في تصفية
الأعمال .

قال الله عز وجل ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ .

وقال تبارك وتعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى ﴿ لَوْ أَنَّ
عِبَادِي أَطَاعُونِي لَسَقَيْتُهُمُ الْمَطْرَ بِاللَّيْلِ وَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ
بِالنَّهَارِ وَلَمْ أَسْمَعْهُمْ صَوْتَ الرِّعْدِ ﴾ .

وقال ﷺ « البر لا يبلى ، والإثم لا يُنسى ، والديان لا ينام
وكما تدين تُدان » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم . [موعظة]

عباد الله يجبُ على مَنْ لا يَدْرِي مَتَى يَبْغَتْهُ الْمَوْتُ أَنْ يَكُونَ
مُسْتَعِدًّا لَهُ وَلَا يَغْتَرَّ بِشَبَابِهِ وَصِحَّتِهِ فَإِنْ أَقَلَّ مَنْ يَمُوتُ الشُّيُوخُ
الطَّاعِنِينَ فِي السَّنِ .

وأكثرُ من يموتُ الشُّبَّانُ خُصُوصًا فِي زَمَانِنَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ
الْحَوَادِثُ وَهَذَا يَنْدُرُ مَنْ يَكْبُرُ وَقَدْ أَنْشَدُوا :
يُعَمَّرُ وَاحِدٌ فَيَغُرُّ قَوْمًا وَيُنْسَى مَنْ يَمُوتُ مِنَ الشُّبَّانِ
آخِرُ :

لَا تَغْتَرَّ بِشَبَابِ نَاعِمٍ خَظِلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشُّيْبِ شُبَّانٌ
وَمَا يَعِينُكَ عَلَى الْجَدِّ وَالْأَجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ تَصُورٌ قِصْرَ عُمُرِكَ
وَكَثْرَةُ الْأَشْغَالِ ، وَتَصُورُ قُوَّةِ النَّدَمِ عَلَى التَّفْرِيطِ وَالْإِضَاعَةِ عِنْدَ
الْمَوْتِ ، وَطُولِ الْحَسْرَةِ عَلَى الْبَدَارِ بَعْدَ الْفَوْتِ .

وتصوّر عظم ثواب السابقين الكاملين وأنت ناقص ،
والمجتهدين وأنت متكاسل ، واجعل نصب عينيك ما يلي : قوله
تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مَحْضَرًا ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي

جَنبِ اللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي

غفلة وهم لا يؤمنون ﴿ فتصور الحسرة والندامة والحزن عندما ترى
الفائزين .

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثليه وأنت لم ترصد كما كان أرضدا
فالبدار البدار والحذر الحذر من الغفلة والتسوية
وطول الأمل فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً .
وإنما يقدم على المعاصي ويؤخر التوبة لطول الأمل وتبادر
الشهوات .

وتنسى التوبة والإنابة لطول الأمل وتفقد أوقاتك وما عملت
فيها من الذنوب .

وتنسى التوبة والإنابة لطول الأمل فيا أيها المهمل وكلنا
كذلك انتهز فرصة الإمكان وتفقد أوقاتك وما عملت فيها من
الذنوب .

فبادر في محوها بالتوبة النصوح وأكثر من الدعاء والاستغفار
كل وقت خصوصاً أوقات الاجابة .

ومن أوقات الاجابة ثلث الليل الآخر . قال تعالى
﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر للخطبة .

وفي آخر ساعة من يوم الجمعة وعند دخول الامام للخطبة .
وعندما تسمع الأذان إلى أن يفرغ .

وبين الأذان والاقامة .

وبعد الصلاة الفريضة وبعد النافلة .

وعند الفطر للصائم وفي أيام رمضان ولياليه .

وعند نزول الغيث .

عشية عرفة .

وفي السجود .

وعند ختم القرآن وفي ليلة القدر .

وعند البكاء والخشية من الله .

فعلى الانسان أن يُكثِرَ من الدعاء والالاحاح فيه ، فإن الدعاء له أثر عظيم ، وموقع جسيم ، وهو مخرج العبادة .

لا سيما مع حضور قلب ، وإخبات ، وخشوع ، وذُل ، وانكسار ، ورقّة ، وتضرع ، وخشية ، واستقبال القبلة حال دُعائه

وعلى طهارة ، ومجدد التوبة ، ويكثر من الاستغفار ، ويبدأ

بحمد الله وتنزيهه ، وتمجيده ، وتقديسه ، والثناء عليه ، وشكره ،

ثم يصلي على النبي ﷺ بعد الثناء على الله .

ويدعو بالدعاء المشروع باسم من أسماء الله الحسنى ،

مناسب لمطلوبه ، فإن كان يُريدُ علماً قال يا عَلِيمَ عَلِمْنِي ، وإن كان

يطلب رَحْمَةً قال يارحمنُ إرحمني ، وإن كان يسأل رزقاً قال يارزاقُ

أرزقني ونحو ذلك ، ويوقنُ بالاجابة ، فإن الله جل وعلا أصدقُ

القائلين وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ أدعوني استجب لكم ﴾ وقال

لرسوله ﷺ ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

الداعي إذا دعان ﴾ وقال عز من قائل ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً

وخفية ﴾ وقال ﴿ أمنٌ يُجيب المضطر إذا دعاه ﴾ وهو سبحانه أو في

الواعدين قال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ وقال جل

وعلا ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾

وقال أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ .

وإذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا

الدعاء واللجوء إلى الله ، بعد أن تقدم التوبة من الذنوب ، فإن

الزَّلُّل يُوجبُ العقوبة ، قال الله جل وعلا ﴿ وما أصابكم من

مُصِيبَةٍ فبما كسبت أيديكم ﴾ .

فإذا زال الذنب بالتوبة الصادقة النصوح ، إرتفع السبب ،
فإذا أثبت ودعوت ولم تر لإجابة الدعاء أثراً ، فتفقد نفسك فربما
كانت التوبة ما صححت فصحتها .

ثم ادع ولا تضجر ولا تمل من الدعاء فإنه عبادة ، وربما
كانت المصلحة في تأخير الاجابة ، وربما لم تكن المصلحة في
الاجابة ، قال تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .
فأنت تثاب وتُجاب إلى منافعك ومن منافعك أن لا تعطى
ما طلبت بل تعوض غيره .

فإذا جاءك الشيطان فقال إلى متى تدعو ولا تجاب فقل : أنا
أتعبد بالدعاء ، الدعاء مخ العبادة وأنا واثق كل الثقة بالاجابة لأن
الله أصدق القائلين .

وقد قال جل وعلا وتقدس لنبيه ﷺ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ وقال تبارك وتعالى
﴿ أَدْعُونِي أَجْتَبْ لَكُمْ ﴾ .

واعلم أنه رباً كان التأخير لبعض المصالح فهو يجيء
في وقت مناسب وإذا سألت شيئاً فاقرنه بسؤال الخيرة فربما كان
المطلوب سبباً للهلاك .

وإذا كنت قد أمرت بالمشاورة في أمور الدنيا ليبيِّن لك
صاحبك في بعض الآراء ما يعجز رأيك عنه ثم ترى أن ما وقع لك
لا يصلح فكيف لا تسأل الخير ربك الذي أحاط بكل شيء علماً ،
والاستخارة من حسن المشاورة .

كُلُّ الْوَجُودِ لِعِزِّ قَهْرِكَ خَاضِعٌ وَالْكُلُّ فِي صَدَقَاتِ جُودِكَ طَامِعٌ

يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ، أَمْوًا بَابَهُ
يُعْطِي الْعَطَاءَ فَلَا يُبَالِغُ مَا نَبَغُ
مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ
إِنْ عَذَّبُوا فَبَعْدَ لَهُ أَوْ نَعْمُوا
إِلْزَمَ طَرِيقَ الذِّكْرِ عُمْرَكَ دَائِبًا
فَهُنَاكَ فَضْلٌ لِلْبَرِيَّةِ وَأَسِيعُ
يَقْضِي الْقَضَاءَ فَلَا يُدَافِعُ دَافِعُ
كَلًّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَاعُ
فَبَفْضِلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ
فَالذِّكْرُ فِي الْقَلْبِ الْمَحْبَّةَ زَارِعُ

قال أحدُ الوُعَاظِ هذا نذير الموت قد غَدَا يقول الرحيل
غَدَا، كَأَنْكُمْ بِالْأَمْرِ وَقَدْ قُرِبَ وَدَنَا، فَطُوبَى لِعَبْدٍ اسْتَيْقَظَ مِنْ
غَفْلَتِهِ وَوَعَا .

كيف بكم إذا صَاحَ إِسْرَافِيلُ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ قَالَ جَل وَعَلَا
﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .
فَتَصَوَّرَ خُرُوجَكَ مَدْعُورًا تَسْعَى مِنْ تَحْتِ الْمَدْرِ وَقَدْ رُجَّتِ
الْأَرْضُ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ وَشَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ لِتِلْكَ الْعِظَائِمِ وَالْأَهْوَالِ
وَالْمُزْعَجَاتِ ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ .
فَقَلِقَ الْخَائِفُ ، وَشَابَ الصَّغِيرُ ، وَزَفَرَتِ النَّارُ ، وَأَحَاطَتِ
الْأَوْزَارُ ، وَنُصِبَ الصِّرَاطُ ، وَوُضِعَ الْمِيزَانُ ، وَحَضَرَ الْحِسَابُ .
وَجِي بَجَهَنَّمَ تَقَادِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

وَشَهِدَ الْكِتَابَ وَتَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ ، فَكَمْ مِنْ كَبِيرٍ يَقُولُ
وَاشْيَبْتَاهُ ، وَكَمْ مِنْ كَهْلٍ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَآخِيَّتَاهُ ، وَكَمْ مِنْ
شَابٍ يَصِيحُ وَاشْبَابَاهُ .

وَبَرَزَتِ النَّارُ ، قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ ﴾ وَقَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ .

وَسَمِعَ الْخَلَائِقُ حَسِيئَتَهَا إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْحُسْنَى مِنْ اللَّهِ
قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيئَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ
الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
تُوعَدُونَ﴾ .

وَأَيُّقِنَ بِالرَّدَى وَالْهَلَاكِ كُلِّ فَاجِرٍ ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ
الْأَرْزَاقِ إِذْ أَلْقَى الْقُلُوبَ لِذِي الْخُنُوفِ﴾ وَقَامَتْ ضَوْضَاءُ الْجَدَلِ ، وَأَحَاطَ
بِصَاحِبِهِ الْعَمَلُ قَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ
فَظَنُوا أَنَّهُمْ مَوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ .

وَحَالَتِ الْأَلْوَانُ ، وَتَوَالَتِ الْمِحْنُ عَلَى الْإِنْسَانِ ، فَأَيْنَ عُدَّتُكَ
يَا غَافِلٌ عَنْ هَذَا الزَّمَانِ ، أَيْنَ تَصْحِيحُ الْيَقِينِ وَالْإِيْمَانِ .
أَتَرْضَى بِالْخُسْرَانِ وَالْهَوَانِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ
أَمَا تَخَافُ أَنْ تَقُولَ ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أَمَا
عَلِمْتَ أَعْظَمَ الْخُسْرَانَ .

قَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿قُلْ أَنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ .
كَمْ فِي كِتَابِكَ مِنْ خَطَاٍ وَزَلَلٍ ، وَكَمْ فِي عَمَلِكَ مِنْ سَهْوٍ
وَنَحَلٍّ ، هَذَا وَشَمْسُ عُمْرِكَ عَلَى أَطْرَافِ الذُّوَابِ وَقَدْ قَرَّبَ
الْأَجَلَ ، كَمْ ضَيَّعْتَ وَاجِبًا وَفَرَضِيًا ، وَكَمْ نَقَضْتَ عَهْدًا مُحْكَمًا
نَمَضًا ، وَكَمْ أَتَيْتَ حَرَامًا صَرِيحًا مُحَضًا ، يَا أَجْسَادًا صِحَاحًا فِيهَا
قُلُوبٌ مَرُضَى .

عِبَادَ اللَّهِ أَطْوَلَ النَّاسِ حُزْنًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرَهُمْ فَرَحًا فِي
الْآخِرَةِ ، وَأَشَدَّ النَّاسِ خَوْفًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرَهُمْ أَمْنًا فِي الْآخِرَةِ .

إخواني المؤمن يتقلب في الدنيا على جمرات الحذر في نيران
الخوف ، يرهب العاقبة ، ويحذر المعاقبة ، فالخوف من النار
ممكن من سؤداء قلبه .

فإن هفا بأن حصل منه زلة توقدت في قلبه نار الندم ، وإن
تذكر ذنباً اضطربت نار الحزن في باطنه ، وإن تفكر في مصيره
ومُنقلبه التهبت نار الحذر في قلبه ، وصار لا يهنؤه طعام ولا
شراب .

والموت أت واللبيب خبير	خذ ما صفا لك فالحياة غرور
فلك على قطب الهلاك يدور	لا تعتن على الزمان فإنه
والخلق في رق الحياة سطور	تعفو السطور إذا تقادم عهدهما
وله إلى ما فر منه مصير	كل يفر من الردى ليفوته
وزمانها ضافي الجناح يطير	فانظر لنفسك فالسلامة نيرة
وجناح عمرك بالمشيب كسير	مرأة عيشك بالشباب صقيلة
والعمر جيش والشباب أمير	بادر فإن الوقت سيف قاطع

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فائدة عظيمة النفع]

قال بعض العلماء : ذكر الله تعالى في ابتداء الأقوال
والأفعال أنسه من الوحشة وهداية من الضلال .
وحمده جل وعلا فرض لازم لكل أحد على كل حال لأنه
أهل أن يُحمد إن ابتلى ، وإن منع ، وإن أنال .
ففضله جل وعلا عم النساء والرجال والكهول والأطفال .
ولطف في قدره وقضائه بأهل أرضه وسماه فلم يخل من لطفه
سافل ولا عال .

اللهم يَا مَنْ لَا تُمَدُّ الْأَيْدِي بِالرَّغْبَةِ وَالْمَسْأَلَةِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعَوَّلُ فِي كَشْفِ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا عَلَيْهِ .
يَا مَنْ كُلُّ الرِّغَائِبِ وَالْمَطَالِبِ لَدَيْهِ ، وَجَمِيعُ الْمَوَاهِبِ لَدَيْهِ ،
لَيْسَ لِضُرْنَا سِوَاكَ كَاشِفٌ ، وَلَا عَلَى ضُعْفِنَا سِوَاكَ عَاطِفٌ .
الْمُعَافَى مَنْ عَافَيْتَهُ ، فَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ مُوجِبَاتِ سَخَطِكَ
وَعِقَابِكَ ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَهُ ، فَاهْدِنَا يَا رَبَّنَا سُبُلَ الْوَاصِلِينَ إِلَى
مَرْضَاتِكَ .

بِذِكْرِ اللَّهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ مِنْ مَوْتِ غَفْلَتِهَا فَاللَّهُ اللَّهُ بِالْمَدَاوِمَةِ
عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ سِرًّا وَجَهَارًا لَيْلًا وَنَهَارًا قِيَامًا وَقُعُودًا مَا شِئِنَ
وَمُضْطَجِعِينَ .

ذَاكَرَ اللَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ فِي ظِلِّهِ مَقِيلًا ، ذَاكَرَ اللَّهُ لَا
يَجِدُ الشَّيْطَانُ إِلَى إِغْوَاثِهِ سَبِيلًا ، ذَاكَرَ اللَّهُ لَا يَزَالُ شَيْطَانُهُ مَدْحُورًا
ذَلِيلًا ، ذَاكَرَ اللَّهُ قَدْ تَكْفَلُ اللَّهُ بِحِفْظِهِ وَكَيْفَ يَضِيعُ مَنْ كَانَ اللَّهُ بِهِ
كَفِيلًا ، بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ وَتَحْيَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ ﴾ .

ذَكَرْ إِلَهُ الزَّمْ هُدَيْتَ لَذِكْرِهِ فِيهِ الْقُلُوبُ تَطِيبُ وَالْأَفْسَاؤُ
آخِرُ : وَالذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَعْظَمُ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ
حُجَابُهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْهُ ، وَاعْرَاضُهُ عَنْهُمْ ،
وَسَخَطُهُ عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَنَّ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ
نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، وَتَجَلِّيهِ لَهُمْ ، وَرُؤْيُتِهِمْ إِيَّاهُ ، أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ
نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ
ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾

فذكر تعالى لهم ثلاثة أنواع من العذاب ، حجابهم عنه ، ثم صليهم الجحيم ، ثم توييخهم بتكذيبهم به في الدنيا ، ووصفهم بالرآن على قلوبهم ، وهو صدأ الذنوب الذي اسودت به قلوبهم ، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة الله ، ولا من إجلاله ومهابته ، وخشيته ومحبته .

فكما حُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنِ اللَّهِ ، حُجِبُوا فِي الْآخِرَةِ عَنْ رُؤْيَيْهِ ، وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا هُمْ أَهْلُ الْإِحْسَانِ وَالْإِحْسَانُ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ » كَمَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَعَلَ جَزَاءَ الْإِحْسَانِ الْحُسْنَى - وَهُوَ الْجَنَّةُ - وَالزِّيَادَةُ - وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِي حَدِيثٍ صَهِيْبٍ وَغَيْرِهِ ، انْتَهَى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْأَيَّانِ
يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعْدٌ
قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا
وَكَذَاكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيٌّ
فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ أَنْ أَنْ
فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحِينَ الَّذِي
بِرَوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الْ
أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ سُبْحَانَهُ
يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
سُدُّ هُوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بَضْمَانِ
أَعْمَالَنَا ثَقُلْتَ فِي الْمِيزَانِ
نَ اجْرَتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيْرَانِ
أَعْطَيْكُمْوهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
جَهْرًا رَوَى ذُو مَسْلِمٍ بَيَّانِ
نِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ بَعْدَ قُرْآنِ
بِجَلِي عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ

فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا الْـ

— بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرِ الرَّحْمَنِ
بِالْوَحْيِ تَفْصِيلاً بِلَا كِتْمَانٍ
أَخْبَارُ مَعَ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الْإِيْمَانِ
جَنَّاتٍ مَا طَابَتْ لِدِي الْعِرْفَانِ
وَخَطَابُهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
سُبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
لذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانَ
بِجَلَالِهِ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ

وَلَقَدْ رَوَى بَضْعُ وَعَشْرُونَ أَمْرُوءُ
أَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى
وَأَلَّذُ شَيْءٌ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ الْـ
وَاللَّهُ لَوْ لَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ فِي الْـ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ
وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
وَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَى
أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقَهُ
شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَذَّةِ النَّظَرِ السِّدِّي

دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامِهِ الْأَبْدَانِ
دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
ذُو مِنْ اسْتِيَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلنَّسَانِ
اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ
بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ
بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ تَعَلَّمْ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ،
اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مَنَّا ، فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّ
تَلْتَدُ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلْـ
وَكَذَلِكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ

[فصل]

قال بعضهم : بينما أنا سائر في بعض جبال بيت المقدس إذ هَبَطْتُ إلى وادٍ هناك وإذا أنا بصوت عالٍ ولتلك الجبال دويٌّ منه فاتَّبَعْتُ الصوت .

فإذا أنا بروضةٍ فيها شجر مُلْتَفٌ وإذا برجل قائم يُرددُ هذه الآية ﴿ يومَ تُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُّحْضَرًا وما عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمدًا بَعِيدًا ويحذركم الله نفسه ﴾ . قال : فوقفت وهو يُردد هذه الآية ثم صاح صَيْحَةً خَرَّ مَغْشِيًّا عليه فانتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة وهو يقول : أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبَطَالِينِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ إِعْرَاضِ الْغَافِلِينَ .

لَكَ خَشَعَتْ قُلُوبُ الْخَائِفِينَ وَفِرَعَتْ أَعْمَالُ الْمُقْصِرِينَ وَذَلَّتْ قُلُوبُ الْعَارِفِينَ ثُمَّ نَفَضَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا لِلدُّنْيَا وَلِي أَيْنَ الْقُرُونُ الْمَاضِيَةِ وَأَهْلُ الدُّهُورِ السَّالِفَةِ فِي التُّرَابِ يَبْلُونَ وَعَلَى مَرِّ الدُّهُورِ يَفْنُونَ .

فناديته : يا عبد الله أنا منذُ اليوم خَلَفَكَ انْتِظَرُ فَرَاغَكَ . قال : وَكَيْفَ يَفْرُغُ مَنْ يُبَادِرِ الْأَوْقَاتِ وَتُبَادِرُهُ كَيْفَ يَفْرُغُ مَنْ ذَهَبَتْ أَيامُهُ وَبَقِيَتْ آثامُهُ .

ثم قال : أَنْتَ لَهَا وَلِكُلِّ شِدَّةٍ أَتَوَقَّعُ يُرَدِّدُهَا ثُمَّ لَهِيَ عَنِي سَاعَةٌ وَقَرَأُ ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ثم صاح صَيْحَةً أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَقُلْتُ : قَدْ خَرَجْتَ نَفْسُهُ .

فدنوت منه فإذا هو يَضْطَرِبُ ثم أفاق وهو يقول : مَنْ أَنَا مَا خَطَرِي هَبْ لِي إِسَاءَتِي بِفَضْلِكَ وَجَلَّلَنِي بِسِتْرِكَ وَاعْفُ عَنِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ إِذَا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ .

فقلت له : يَا سَيِّدِي بِالَّذِي تَرْجُوهُ لِنَفْسِكَ وَتَتَّقُ بِهِ إِلَّا
كلمتين ، فقال : عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من
أوبقته ذنوبه أنا في هذا الموضع ما شاء الله أجاهد ابليس ويجاهدني .
فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه غيرك فإليك عني فقد
عظمت لساني ومالت إلى حديثك شحنة من قلبي فأنا أعوذ من
شرك بمن أرجو أن يعيدني من سخطه .
فقلت في نفسي هذا ولي من أولياء الله أخاف أن اشغله عن
ربه ثم تركته ومضيت لوجهتي إنتهى .

وصى رجل رجلاً وأعطاه عشرة آلاف درهم وقال له : إذا
قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها فدل على
أهل بيت فطرق الباب فأجابته امرأة قائلة من أنت ؟
فقال : أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف وأمرت
أن أسلمها إلى أفقر أهل بالمدينة وقد وصفهم لي .
فقلت : يا عبد الله إن صاحبك اشتراط أفقر أهل بيت
وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا فتركهم وأتيت أولئك فطرقت الباب
فأجابني امرأة .

فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة فقالت : يا عبد الله
نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم .

أيا راضع الدنيا انقطع عن فطامها	فقد آن تنهاك عنها الشوائب
ألا عامل فيها لينقد نفسه	إلا مخلص في طاعة الله راغب
ألا أسف ذو لوعة وتحرق	ألا نائح في ماتم الحزن نادب
ألا مذنب مستغفر من ذنوبه	ألا خائف من خشية الله راهب

أَلَا خَاشِعٌ مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاضِعٌ أَلَا نَاحِلٌ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ ذَائِبٌ
سَتَلْقَوْنَ مَا قَدَّمْتُمُ الْيَوْمَ فِي غَدٍ وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَىٰ بِمَا هُوَ كَاسِبٌ
قال القرطبي في تفسيره في سورة النمل عند قول الله تعالى
﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ قال مقاتل بن سليمان :
بينما سليمان بن داود جالس ذات يوم إذ مرَّ به طائرٌ يطوف .

فقال جلسائه : أتدرون ما يقول هذا الطائر إنها قالت لي
السلام عليك أيها الملك المُسلِّط والنبي لبني إسرائيل أعطاك الله
الكرامة ، وأظهرك على عدوك ، إني منطلق إلى أفراحي ، ثم أمر
بك ثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية .

ثم رجع فقال : إنه يقول السلام عليك أيها الملك المسلمط
إن شئت أن تأذن لي كيما اكتسبُ على أفراحي حتى يشبوا ثم آتيك
فافعل بي ما شئت ، فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق .
وقال فرقد السبخي مرَّ سليمان على بلبلٍ فوق شجرةٍ يُحركُ
رأسه ويُميلُ ذنبه ، فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل ؟
قالوا : لا يا نبي الله ، قال : إنه يقول أكلتُ نصفَ تمرة فعلى الدنيا
العَفَاءُ .

ومرَّ بهد ففوق شجرة وقد نصب له صبي فخأ فقال له
سليمان إحدِرْ يَاهْدُهُدُ ، فقال : يا نبي الله هذا صبي لا عقل له
فأنا أسخر به .

ثم رجَعَ سليمان فوجدَهُ قد وقع في حباله الصبي وهو في يده
فقال هُدُهُدُ ما هذا ؟ قال : ما رأيتهَا حتى وقعتُ فيها يا نبي الله .
قال : ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض أما ترى الفخ ؟ قال يا نبي
الله إذا نزل القضاء عمي البصرُ .

وقال كعبُ : صاح ورثانُ عند سليمان بن داود فقال :
أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول لِدُوا للموت وابنوا
للخراب .

وصاحت فاختةً فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا . قال :
إنها تقول لَيْتَ هذا الخلق لم يُخْلَقُوا وَلَيْتَهُمْ إِذْ خُلِقُوا عَلِمُوا
لِمَا خُلِقُوا لَهُ .

وصاح عنده طاوس ، فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا
قال : إنه يقول كما تدين تدان .

وصاح عنده هدهد ، فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا
قال : إنه يقول مَنْ لا يرحم لا يرحم .

وصاح صردُ عنده فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ،
قال : إنه يقول اسْتَغْفِرُوا الله يامذنبين . فمن ثم نهى رسول الله
ﷺ عن قتله .

وقيل إن الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت وهو أول
من صام ولذلك يقال للصرد الصوم .

روي عن أبي هريرة . وصاحت عنده طيطوي فقال :
أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ وَكُلُّ
جَدِيدٍ بَالٍ .

وصاحت خطافة عنده ، فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا :
لا . قال : إنها تقول قَدَّمُوا خَيْرًا تَجِدُوهُ فَمِنْ ثَمَّ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
عَنْ قَتْلِهَا .

وقيل أن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله الوحشة فأنسه

الله تعالى بالخطاف والزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم
أنساً لهم .

قال : ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل ﴿ لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته ﴾ إلى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز
الحكيم .

وهدرت حمامة عند سليمان ، فقال : أتدرون ما تقول ؟
قالوا : لا ، قال : إنها تقول سبحان ربي الأعلى عدد ما في سمواته
وأرضه .

وصاح قمري عند سليمان فقال : أتدرون ما يقول ؟
قالوا : لا ، قال : إنه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن .

وقال كعب : وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول : اللهم
ألعن العشار ، والحدأة تقول « كل شيء هالك إلا وجهه » والقطاة
تقول من سكت سلم .

والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا هممه ، والضفدع يقول سبحان
المذكور بكل لسان في كل مكان .

وقال مكحول : صاح دراج عند سليمان فقال : أتدرون ما
يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول « الرحمن على العرش استوى »
وقال الحسن : قال النبي ﷺ « إذا صاح الديك قال اذكروا الله
يا غافلين » .

وقال الحسن بن علي ابن أبي طالب : قال النبي ﷺ « النسر
إذا صاح قال يا ابن آدم عيش ماشئت فأخرك الموت .

وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس الراحة .

وإذا صاح الخطاف ، قرأ الحمد لله رب العالمين إلى آخرها ،
فيقول ولا الضالين ويمد بها صوته ، كما يمد القارىء قال قتادة
والشعبي إنما هذا الأمر في الطير خاصة ، لقوله علمنا منطق الطير
والنملة طائر إذ قد يوجد له أجنحة ، قال الشعبي : وكذلك كانت
هذه النحلة ذات جناحين .

وقال فرقة بل كان في جميع الحيوان وإنما ذكر الطير لأنه كان
جنداً من جند سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث
في الأمور ، فخص بالذكر لكثرة مداخلته ، ولأن أمر سائر الحيوان
نادر وغير متردد ترداد أمر الطير .

وقال أبو جعفر النحاس والمنطق يقع لما يفهم بغير كلام والله جل
وعز أعلم بما أراد ، قال ابن العربي : من قال إنه لا يعلم إلا منطق
الطير فنقصان عظيم .

إلهي إني شاكرٌ لك حَـامِـدٌ	وإني لَسَـاعٌ في رِضَاكَ وَجَاهِـدٌ
وَأَنَّكَ مَهْمَا زَلَّتِ النَّعْلُ بِالْفَتَى	عَلَى الْعَائِدِ التَّوَابِ بِالْعَفْوِ عَائِدٌ
تَبَاعَدْتَ مَجْدًا وَأَدْنَيْتَ تَعَطْفًا	وِحِلْمًا فَأَنْتَ الْمُدْنِي الْمُتَبَاعِدُ
وما لي على شيءٍ سِوَاكَ مُعَوَّلٌ	إِذَا ذَهَمْتَنِي الْمُعْضَلَاتُ الشَّدَائِدُ
أَغْيَرِكَ أَدْعُو لِي إلهًا وَخَالِقًا	وَقَدْ أَوْضَحَ الْبُرْهَانَ أَنَّكَ وَاحِدٌ
وَقَدِمًا دَعَى قَوْمٌ سِوَاكَ فَلَمْ يَقُمْ	عَلَى ذَاكَ بُرْهَانٌ وَلَا لَاحَ شَاهِدُ
وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَائِلِ	يَرَاهَا الْفَتَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
كَفَى مُكْذِبًا لِلْجَاحِدِيكَ نَفْسُهُمْ	تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتُعَانِدُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .	

[موعظة]

قال ابن الجوزي رحمه الله :

اسْتَمِعْ يَا رَهِيْنَ الْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ يَا أُسَيْرَ الطَّارِقَاتِ
النِّوَابِ ، أَيَاكَ وَإِيَاكَ الْأَمَالَ الْكَوَاذِبِ فَالْدُنْيَا دَارٌ وَلَيْسَتْ بِصَاحِبِ
أَمَا أَرْتَكُ فِي فَعْلِهَا الْعَجَائِبِ .

فِيْمَنْ مَشَى فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، ثُمَّ أَرْتَكُ فِيكَ شَيْبَ
الذَّوَابِ .

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ صَوَائِبُ ، لَا يَرُدُّهَا مُحَارِبٌ ، وَلَا
يَفُوتُهَا هَارِبٌ ، تَدْبُ إِلَيْنَا دَبِيبَ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ ، بَيْنَمَا أَنْتَ
تَسْمَعُ صَوْتَ مِزْهَرٍ صَارَ صَوْتُ نَادِبٍ .

يَا أُسَيْرَ حُبِّ الدُّنْيَا إِنْ قَتَلْتِكَ مَنْ نَطَالِبُ كَأَنِّي بِكَ قَدْ بَتَّ
فَرِحًا مَسْرُورًا ، فَأَصْبَحْتَ تَرِحًا مَثْبُورًا ، وَتَرَكْتَ مَالِكَ لِغَيْرِكَ
مَوْفُورًا .

وَخَرَجَ مِنْ يَدِكَ فَصَارَ لِلْكَلِّ شُورَى ، وَعَايَنْتَ مَا فَعَلْتَ فِي
الْكِتَابِ مَسْطُورًا .

وَعَلِمْتَ أَنَّكَ كُنْتَ فِي الْهَوَى مَغْرُورًا ، وَاسْتَحَالَتْ صَبَا
الصَّبَا فَعَادَتْ دُبُورًا ، وَأَسْكَنْتَ لِحْدًا تَصِيرُ فِيهِ مَأْسُورًا ، وَنَزَلْتَ
جَدَثًا خَرِبًا وَتَرَكْتَ قَصْرًا مَعْمُورًا وَدَخَلْتَ فِي خَبْرٍ كَانَ ﴿ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ .

وما هذه الدنيا بدار إقامة
هي الدارُ إلا أنها كمفازة
وإننا لمن مرَّ الجديدين في الوغي
تُجرِّدُ نضلاً والخلائقُ مفصل
وما خلفنا منها مفرُّها رب
وكلُّ وإن طال الثواءُ مصيره
فِيحزَنُ فيها القاطنُ المرحلُ
أناخَ بها ركبٌ وركبٌ تحمَّلوا
إذا مرَّ منها جحفلٌ كرَّ جحفلُ
وتنبضُ سَهْمًا والبريةُ مقتلُ
فكيف لمن رام النجاة التخييلُ
إلى مؤرِدٍ ما عنه للخلق معدلُ
أين الوالدانِ وعمما ولدوا ،
أين أربابُ المعاصي على ما ذاوردوا ،
وخصدوا ، أما قدموا على أعمالهم في مآلهم ووفدوا ،
أما خلوا في ظلمات القبور .

بكوا والله على تفريطهم وانفردوا أما ذلُّوا وقلوا بعد أن عتوا
ومردوا أما طلبوا زاداً يكفي في طريقهم ففقدوا .
عائِنوا والله كلُّ ما قدَّموا ووجدوا فمنهم أقوام شقوا ومنهم
أقوام سعدوا .

كان ابنُ السهاك يقول : ألا منتبه من رقدة ألا مستيقظ من
غفلة ألا مفيق من سكرته ، ألا خائف من صرعته .
أقسم بالله لو رأيت القيامة تخفق بزلازل أهواها وقد علت
النار مشرفة على أهلها وجيء بالنبيين والشهداء لسرك أن يكون
لك في ذلك الجمع منزلة وزلفى أهـ .

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنُ
تَعْنَى بِمَا تُكْفَى وَتَتْرُكُ مَا بِهِ
أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَصْرَعِ أَهْلِهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا أَبَالَكَ بِالذِّي
وَاللَّهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنُ
تُعْنَى كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنُ
فَاعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَاقِهَا يَا آمِنُ
أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ

يَاغَامِرَ الدُّنْيَا أَتَعْمُرُ مَنْزِلًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مِنَ الْمَنِيَةِ سَاكِنٌ
الموتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَيِّئُونَ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُؤَامِرُ مِنْ أَنْتَ فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَسْتَأْذِنُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل في ذكر طرف مما حدث في]

بعض السنين من الأوبية والأمراض

أجدبت الأرض في سنة ثمانى عشرة فكانت الريح تسفي
تراباً كالرماد فسمي عام الرمادة وجعلت الوحوش تأوى إلى الإنس
فألى عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحماً حتى يحيى الناس
واستسقى بالعباس فسقوا .

وفيها كان طاعون عمواس مات فيه أبو عبيدة ومعاذ وأنس
وفي سنة أربع وستين وقع طاعون بالبصرة وماتت أم أميرهم فما
وجدوا من يحملها .

وفي سنة ست وتسعين كان طاعون الجارف هلك في ثلاث
أيام سبعون ألفاً ومات فيه لأنس ثمانون ولدا وكان يموت أهل الدار
فيطين الباب عليهم .

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة مات أول يوم في الطاعون
سبعون ألفاً وفي الثاني نيفٌ وسبعون ألفاً وفي اليوم الثالث خمد
الناس .

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة ذبح الأطفال وأكلت
الجيف وبيع العقار برغفان واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين
ألف درهم .

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أصاب أهل البصرة حرٌّ فكانوا يتساقطون موتى في الطرقات .

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة عم القحط فأكلت الميتة وبلغ المكوك من بزر البقلة سبع دنانير والسفرجلة والرمانه ديناراً والخيارة واللينوفرة ديناراً وورد الخبر من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا داراً فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب والثاني على رأس الدرجة والثالث على الثياب المكورة .

وفي السنة التي تليها وقع وباء فكان تحفر زبية لعشرين وثلاثين فيلقون فيها وتاب الناس كلهم وأراقوا الخمر ولزموا المساجد .

وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وقع الوباء وبلغ الرطل من التمر الهندي أربعة دنانير وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة إشتد الجوع والوباء بمصر حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وبيع اللوز والسكر بوزن الدراهم والبيضة بعشرة قراريط وخرج وزير صاحب مصر إليه فنزل عن بغلته فأخذها ثلاثة فأكلوها فاصلبوا فأصبح الناس لا يرون إلا عظامهم تحت خشبهم وقد أكلوا وفي سنة أربع وستين وأربعمائة وقع الموت في الدواب حتى إن راعياً قام إلى الغنم وقت الصباح ليسوقها فوجدوها كلها موتى انتهى .

وقال ابن كثير رحمه الله :

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقع غلاء شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنانير والكلاب وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم .

وكثر الوباء في الناس حتى كان لا يدفن أحدٌ أحدًا بلُّ

يُتْرَكُونَ عَلَى الطَّرِيقِ فَيَأْكُلُ كَثِيرًا مِنْهُمْ الْكِلَابُ .
وَبِيعَتِ الدُّورُ بِالْخُبْزِ وَانْتَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ
مَاتَ فِي الطَّرِيقِ .

وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ فِي جُمَادِ
الْأُولَى غَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادٍ جَدًّا وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ حَتَّى تَهْدَمَ الْبِنَاءُ
وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ الْهَدْمِ وَتَعَطَّلَتْ أَكْثَرُ الْمَسَاجِدِ مِنْ قَلَّةِ
النَّاسِ .

وَنَقَصَتْ قِيَمَةُ الْعَقَارِ حَتَّى بَاعَ مِنْهُ بِالدَّرْهَمِ مَا يُسَاوِي
الدِّينَارَ وَخَلَّتِ الدُّورُ وَكَانَ الدَّلَالُونَ يُعْطُونَ مِنْ يَسْكُنُهَا أَجْرَةً
لِيَحْفَظَهَا مِنَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا لِيُخْرِتُوهَا .

وَكَثُرَتِ الْكَبَسَاتُ مِنَ اللَّصُوصِ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانَ النَّاسُ
يَتَحَارَسُونَ وَكَثُرَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
أ هـ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ
جَبْرَتِ فَمَاتَ بِسَبَبِهَا مِائَتَا أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَصَارَ مَكَانُهَا مَاءً أَسْوَدَ
عَشْرَةَ فَرَاسِخٍ فِي مِثْلِهَا .

وَزَلَزَلِ أَهْلَ حَلَبٍ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمَانِينَ مَرَّةً فَوَضَعَ السُّلْطَانُ
مَحْمُودٌ مَكُوسًا كَثِيرَةً عَنِ النَّاسِ وَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لَهُ .

قَالَ وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ
بِالشَّامِ هَلَكَ بِسَبَبِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ .

وَتَهَدَّمَتْ أَكْثَرُ حَلَبٍ وَحَمَاةٍ وَشِيرَزٍ وَحَمَصٍ وَكَفَرطَابٍ وَحِصْنِ
الْأَكْرَادِ وَالْمَعْرَةَ وَقَامِيَةَ وَاللَّذْقِيَّةَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَطَرَابُلُسَ .

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : وَأَمَّا قَامِيَةُ فَسَاحَتْ قَلْعَتُهَا وَتَلَّ

حران إنقسم قسمين فأبدي نواويسَ وبيوت كثيرة في وسطه .
وتهدمت أسوار أكثر مدن الشام حتى أن مكتباً من مدينة
حماة إنهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم .
وفي سنة أربع وعشرين ومأتين زلزلت فرغانة فمات فيها خمسة
عشر ألفاً .

وفي السنة التي تليها رجفت الأهواز وتصعدت الجبال وهرب
أهل البلد إلى البحر والسفن ودامت ستة عشر يوماً .
وفي السنة التي تليها مطر أهل تيباً مطراً وبرداً كالبيض فقتل
به ٣٧٠ إنساناً .

وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك ، اعف عن
عبادك .

ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراعٌ بلا أصابع وعرضها شبرٌ
وبين الخطوتين خمسة أذرع أو ستة .

فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً .
وفي سنة ٢٣٣ رجفت دمشق رجفة انقضت منها البيوت
وسقطت على من فيها فمات خلق كثير .
وأنكفات قرية في الغوطة على أهلها فلم ينج منهم إلا رجل
واحد .

وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفاً .
وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها
فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً .

وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز .
ثم ذهبت إلى همدان فأحرقت الزرع .

ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من السعي وتعطلت
الأسواق .

وزلزلت هراة فوقعت الدور .

وذكروا أشياء كثيرة غريبة عجيبة يطول ذكرها اقتصرنا منها
على هذا الطرف اليسير الذي ربما يكون سبباً للاعتبار والתיقظ
والرجوع إلى الله .

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم الواحد الأحد الفرد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .
أن يوقظ قلوبنا ويستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويثبتنا على قوله
الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع قريب على كل شيء
قدير .

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
مُقْبِلِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَائِثِرًا
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا
وَيَرْزُقُنِي طِفْلًا وَكَهْلًا وَقَبْلَهَا
إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاقُ دُونِي قُصُورَهُمْ
فِرْعَتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيْمِنِ طَارِقًا
فَلَمْ أَلْفِ حُجَابًا وَلَمْ أَحْسِ مِنْعَةً
كَرِيمٌ يُلْبِي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
سَأَلَهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَرَاهِزِ مَلْجَأً
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فوائد نافعة حول الافتاء والاستفتاء]

إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن
الفتيا أمرها عظيم ، ولقد كان السلف رحمهم الله يأبون الفتيا ،
ويشدّدون فيها ، ويتدافعون عكس ما عليه علماء هذا العصر .

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : أدركتُ عشرين ومائة من
أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردّها هذا إلى
هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وفي رواية ما منهم من يُحدّث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه
إياه ، ولا يُستفتى عن شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا ، وأنكر الامام
أحمد وغيره على من يهجم على الجواب لخبر أجرؤكم على الفتيا
أجرؤكم على النار .

وقال الامام أحمد : لا ينبغي أن يجيب في كل ما يُستفتى فيه ،
وقال : لا ينبغي للرجل أن يُعرض نفسه للفتيا حتى يكون فيه
خمس خصال :

أحدها : أن تكون له نية ، وهي أن يخلص لله تعالى ، ولا
يقصد رياسةً ولا نحوها ، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا
على كلامه نور .

الثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة ، وإلا لم يتمكن
من فعل ما تصدّى له من بيان الأحكام الشرعية .

الثالثة : أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته ، وإلا
فقد عرّض نفسه لخطر عظيم .

الرابعة : الكفاية ، وإلا أبغضه الناس ، لأنه إحتاج إلى
الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم ، فيتضررون منه .

الخامسة : معرفة الناس بأن يكون بصيرا بمكرهم
وخذاعهم ، ليكون حذراً منهم لئلاً يوقعوه في المكروه .
وإليك ما ورد في ذلك ، نقل الميموني عن الامام أحمد رضى
الله عنه أنه سئل عن حديث ، فقال سلوا أصحاب الغريب فإني
أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطي .
وقال أبو داود الطيالسي : سَمِعْتُ شُعْبَةَ قَالَ : سَأَلْتُ
الأصمعي عن حديث النبي ﷺ إنه لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي ، مَا مَعْنَى
يُغَانُ ؟

قال : فقال لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فَقُلْتُ
نعم فقال : لو كان عن غير النبي ﷺ لَفَسَّرْتُ ذلك ولكن عن
النبي ﷺ لا أَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ .
وعن الأصمعي عن مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانُوا
يَتَّقُونَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَتَّقُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ .
وكان الامام أحمد يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب روى
ذلك الخلال .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله
وقال كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن
الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء .
وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .
وقال أحمد في رواية المروزي : كان مالك يَسْئَلُ عَنِ الشَّيْءِ
فَيُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ يَتَّبِعُ وَهَؤُلَاءِ يَقِيسُونَ عَلَى قَوْلِهِ وَيَقُولُونَ : قَالَ مَالِكُ .
وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : مِنْ عِلْمِ
الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِرَسُولِهِ

﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ .
وصح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : العلم ثلاثة :
كتاب ناطقٌ وسنة ماضية ولا أدري .
وقال أحمد في رواية المروزي : ليس كل شيء ينبغي أن
يتكلم فيه ، وذكر أحاديث النبي ﷺ كان يُسأل فيقول لا أدري
حتى أسأل جبريل .
وقال عبدالله : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كان سفيان لا يكاد يفتي
في الطلاق ويقول مَنْ يُحْسِنُ ذَا مِنْ يُحْسِنُ ذَا .
وقال في رواية الحارث : وَدِدْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ عَنْ
مَسْأَلَةٍ أَوْ مَا شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلِ الْبَلَاءِ
يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ عَنْ عُنُقِهِ وَيُقَلِّدُكَ .
وخاصة مسائل الطلاق والفروج ، ونقل الأثرم عنه أنه سأله
عن شيء فقلت كيف هو عندك فقال وما عندي أنا .
وسمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّمَا هُوَ يَعْنِي الْعِلْمَ مَا جَاءَ مِنْ فَوْقَ ، وقال
سفيان : من فتنة الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحب إليه
من السكوت .
وقال المروزي : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ الْعَالِمَ يَظُنُّونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ
كُلُّ شَيْءٍ ، فقال : قال ابن مسعود رضى الله عنه إن الذي يُفتي
الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وأنكر أبو عبدالله على من يتهجم
في المسائل والجوابات .
قال : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : لِيَتَّقِ اللَّهُ عَبْدٌ وَلِيَنْظُرَ مَا
يَقُولُ وَمَا يَتَكَلَّمُ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ .
وقال : مَنْ أَفْتَى النَّاسَ لَيْسَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحِيلَ النَّاسَ عَلَى
مَذْهَبِهِ ، وَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ .

وقال في رواية القاسم : إنما ينبغي أن يؤمر الناس بالأمر
البين الذي لا شك فيه وليت الناس إذا أمروا بالشئ الصحيح أن
لا يجاوزوه .

ونقل محمد بن أبي طاهر عنه أنه سئل عن مسألة في
الطلاق، فقال : سأل غيري ليس لي أن أفتى بالطلاق بشيء .
وقال في رواية ابن منصور : لا ينبغي أن يُحِبَّ في كل ما
يُسْتَفْتَى وصح عن مالك أنه قال : ذل وإهانة للعالم أن تجيب كل
من سألك .

وقال أيضاً : كل من أخبر الناس بكل ما يسمع فهو مجنون ،
وقال أحمد في رواية أحمد بن علي الأبار وقال له رجل حلفت بيمين
لا أدري إيش هي ، قال : ليت أنك إذا دريت دريت أنا .
وقال في رواية الأثرم : إذا هاب الرجل شيئاً فلا ينبغي أن
يحمل على أن يقول .

وقال في رواية المروزي : إن الذي يفتي الناس يتقلد
أمراً عظيماً ، وقال يُقَدِّمُ على أمرٍ عظيمٍ ينبغي لمن أفتى أن يكون
علماً بقول من تقدم وإلا فلا يفتي .
وقال في رواية الميموني من تكلم في شيء ليس له فيه إمام
أخاف عليه الخطأ .

وقال الثوري : لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا ، وقال
أحمد : نحن الساعة نتعلم ، وسأله إسحاق بن إبراهيم عن
الحديث الذي جاء أجروكم على الفتيا أجروكم على النار ما معناه .
قال أبو عبدالله : يفتي بما لم يسمع ، وقال محمد بن أبي
حرب : سمعت أبا عبدالله وسئل عن الرجل يفتي بغير علم ، قال

يروى عن أبي موسى قال : يمرق من دينه .
ونقل المروزي أن رجلا تكلم بكلام أنكره عليه أبو عبد الله
قال : هذا من حبه الدنيا يُسأل عن الشيء الذي لا يحسن فيحمل
نفسه على الجواب .

ونحو هذا عن حماد وقال : كنت أسائل إبراهيم عن الشيء
فيعرف في وجهي أني لم أفهم فيعيده حتى أفهم روى ذلك الخلال
وغيره .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

قال ابن وهب عن يونس عن الزهري : أن أبا بكر الصديق
رضي الله عنه حدث رجلا بحديث فاستفهمه الرجل فقال
الصديق : هو كما حدثتكم أي أرض تُقلني إذا قلت بها لا أعلم .
وروى نحوه من غير وجه عن أبي هريرة مرفوعا من أفتي بفتيا
غير ثبت فيها فإنها إثم على الذي أفتاه ، وفي لفظ من أفتى بفتيا
بغير علم كان إثم ذلك على الذي أفتاه رواهما أحمد ، وروى الثاني
أبو داود والأول ابن ماجه وهو حديث جيد له طرق مذكورة في
حواشي المنتقى .

وقال الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال
من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون ، وقال مالك : عن
يحيى بن سعيد عن ابن عباس مثله .

وقال الزهري عن خالد بن أسلم قال : كنا مع ابن عمر
فسأله أعرابي أترث العمة ؟ فقال : لا أدري ، قال : أنت لا
تدري ، قال : نعم إذهب إلى العلماء فاسألهم ، فلما أدبر الرجل

قَبْلَ ابْنِ عَمْرِو يَدَهُ فَقَالَ : نَعَمْ مَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِئْلَ عَمَّا لَا يَدْرِي فَقَالَ : لَا أَدْرِي .

وَقَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عَيِّنَةَ وَالثَّوْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : أَدْرَكْتُ عَشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْإِنصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَحْدُثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ إِيَّاهُ .

وَلَا يُسْتَفْتَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفَتْوَى هَذَا لَفْظُ رِوَايَةِ الثَّوْرِيِّ ، وَلَفْظُ ابْنِ عَيِّنَةَ إِذَا سِئِلَ أَحَدُهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ رَدَّهَا هَذَا إِلَى هَذَا وَهَذَا إِلَى هَذَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى الْأَوَّلِ .

وَقَالَ أَبُو حُصَيْنٍ عَثْمَانُ بْنُ عَاصِمِ التَّابِعِيِّ : إِنْ أَحَدُكُمْ يُفْتَى فِي الْمَسْأَلَةِ وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَى عَمْرٍ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرِ .

وَقَالَ الْقَاسِمُ وَابْنُ سَيْرِينَ لِأَنَّ يَمُوتَ الرَّجُلَ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَقَالَ مَالِكٌ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ : إِنْ مِنْ إِكْرَامِ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ أَنْ لَا يَقُولَ إِلَّا مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : وَيَلِ مَنْ يَقُولُ لِمَا لَا يَعْلَمُ إِنِّي أَعْلَمُ ، وَقَالَ مَالِكٌ : مَنْ فَقَهُ الْعَالَمَ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَهِيَ لَهُ الْخَيْرُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعْتُ مَالِكًا سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَجْلَانَ يَقُولُ : إِذَا تَرَكَ الْعَالَمَ لَا أَدْرِي أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ ، وَرَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ عَنْ ابْنِ عَيِّنَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي الزُّبَيْرِ الزُّبَيْرِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَجْلَانَ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَذَكَرَهُ وَقَدْ سَبَقَ .

وَقَالَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ عَمْرًا وَبْنَ دِينَارٍ

عن مسألة فلم يجبه فقال الرجل : إن في نفسي منها شيئاً فأجبنى .
فقال : إن يكن في نفسك منها مثل أبي قُبَيْس أحب إليّ أن
يكون في نفسي منها مثل الشعرة .

وقال ابن مهدي : سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة
فطال ترداده إليه فيه وألح عليه فقال : ما شاء الله يا هذا إني لم
أتكلم إلا فيما احتسبُ فيه الخير ولستُ أحسنُ مُسألتك هذه .
وقال ابنُ وهب : سَمِعْتُ مالكا يقول العجلة في الفتوى
نوعٌ من الجهل والخرق .

وقال يحيى بن سعيد : كان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي
فتياً ولا يقول شيئاً إلا قال : اللهم سلِّمْنِي وَسَلِّمْ مِنِّي ذكره البيهقي
وغيره .

ولا سيما إن كان مَنْ يُفتي يعلم من نفسه أنه ليس أهلاً
للفتوى لفوات شرط أو وجود مانع ولا يعلم الناس ذلك منه .
فإنه يحرم عليه إفتاء الناس في هذه الحال بلا إشكال فهو
يسارع إلى ما يحرم لا سيما إن كان الحامل على ذلك عرض الدنيا .
وأما السلف فكانوا يتركون ذلك خوفاً ولعل غيره يكفيه وقد
يكون أدنى لوجود مَنْ هو أولى منه .

قال ابن معين : الذي يحدث بالبلدة وبها مَنْ هو أولى منه
بالحديث فهو أحمق .

وقال مالك : ما أفتيتُ حتى شهد لي سبعون أني
أهلٌ لذلك .

وقال ابن عُيَيْنَةَ وسحنون أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً
وقال سحنون : أشقى الناس من باعَ آخِرَتَهُ بدنيا غيره .

وقال : فتنةُ الجواب بالصواب أشدُّ من فتنة المال .
وقال سفيان أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في
المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدءاً من أن يُفتوا وقال : أعلمُ الناس
بالفتيا أسكتهم عنها وأجهلهم بها أنطقهم فيها .
وبكى ربيعةٌ فقيلَ ما يبكيك فقال : استفتيتُ من لا علمَ له
وقال : ولبعضُ من يُفتي هاهنا أحقُّ بالسجن من السراق .
وقال بعض العلماء لبعض المفتين : إذا سُئِلتَ عن مسألة
فلا يكن همك تخلص السائل ولكن ليكن همك تخلص نفسك .
وقال عمرو بن دينار : لما جلس قتادة للفتيا تدري في أي عملٍ
وقعت ؟ وقعت ياقتادة بين الله وبين خلقه وقلت هذا يصلح وهذا
لا يصلح .

وقال بعضهم : إن العالم داخل بين الله وبين خلقه فليُنظر
كيف يدخل بينهم .

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام
تغيَّر لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما
وجدت أحداً تسأله غيري .

وقال آخر : إذا سئلت عن مسألة فتفكر فإن وجدت لنفسك
مخرجاً فتكلم وإلا فاسكت .

وعن مالك أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة
والنار .

وقال النخعي : قد تكلمت ولو وجدتُ بدءاً ما تكلمت وإن
زمانا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء .

وقال ابن عيينة : ليس هذا الأمر لمن ود أن الناس إحتاجوا إليه إنما هذا الأمر لمن ود أنه وجد من يكفيه .
وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال : ما أنا على الفتيا بجرىء انتهى .

ذَوُوا الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا نَجُومٌ هِدَايَةٌ
بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ طَرَأَ وَهُمْ لَهُ
وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِنَقْلِهِ
هُمْوَا وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَاحْتَسَبُوا
وَهُمْ كَمَصَابِيحِ الدُّجَى يُهْتَدَى بِهِمْ

أخـر :
الْأَرْبُ مِنْ قَدْ أَنْحَلَ الزُّهُدُ جِسْمَهُ
يَرُومُ وَصَالًا وَهُوَ بِالطَّرْقِ جَاهِلٌ
قَلِيلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ
كَثِيرٌ صَلَاةٍ دَائِمٍ الصُّومِ عَابِدٌ
إِذَا جُهَلَ الْمُقْصُودُ قَدْ خَابَ قَاصِدٌ
كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

أَسْئَلَةُ وَأَجُوبَةُ اللَّهِ أَعْلَمُ بِالسَّائِلِ عَنْهَا وَالْمَسْئُولِ

السؤال الأول عن واحد لا ثاني له .

وعن دين لا يقبل الله غيره .

وعن مفتاح الصلاة وبم تحتم .

وعن غراس الجنة وعن صلاة كل شيء .

وعن أربعة فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا

أرحام النساء .

- وعن رجل لا أب له .
 وعن رجل لا أم له ولا أب .
 وعن حيوان جرى بصاحبه .
 وعن بقعة من الأرض طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم
 تطلع عليها قبل ذلك ولا بعده .
 وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها .
 وعن شجرة نبتت على إنسان .
 وعن شيء يتنفس ولا روح له .
 وعن الحكمة في المحو الذي في القمر .
 وعن ميت مات ألف شهر ومائتي شهر .
 وعن جبل ارتفع ثم رجع .
 وعن اثنان لا ثالث لهما .
 وخمسة لا سادس لها .
 وستة ليس سابع .
 وسبعة ليس لها ثامن .
 وثمانية لا تاسع لها .
 وتسعة لا عاشر لها .
 وعشرة ليس لهم حادي عشر .
 واثنا عشر لا ثالث عشر لها .
 وثلاثة عشر لا رابع عشر لهم .
 وعن أحب كلمة إلى الله .
 وما الموضع الذي ليس له قبلة .
 وعن شيء حل بعضه وحرم بعضه .
 وعن نبي نهى الله النبي ﷺ أن يعمل مثل عمله .

وعن مَنْ بَعَثَهُ اللهُ وَلَيْسَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَا مِنْ الْجِنِّ وَلَا مِنْ
الملائكة .

وعن نَفْسٍ مَاتَتْ وَضُرِبَ بِبَعْضِهَا مِيتٌ فَحَيَا بِإِذْنِ اللهِ .
وعن كَافِرٍ لَمْ تَأْكُلِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ .
وعن نَفْسٍ خَرَجَتْ مِنْ نَفْسٍ وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا .
وعن اثْنَيْنِ تَكَلَّمَا فِي الدَّهْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطَّ ثُمَّ هُمَا سَكَوتٌ إِلَى
يوم القيامة .

وعن أَنْفَعِ كَلِمَةٍ وَأَرْفَعِ كَلِمَةٍ وَأَحْسَنِ كَلِمَةٍ وَأَزْكَى .
وعن جَمَاعَةٍ شَهِدُوا بِالْحَقِّ وَهُمْ كَاذِبُونَ .
وعن جَمَاعَةٍ شَهِدُوا بِالْحَقِّ فَأَدْخَلُوا النَّارَ وَمَنْ شَهِدُوا عَلَيْهِ .
وعن شَيْءٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ .
وعن صَيِّدَيْنِ صَادَهُمَا رَجُلٌ فَحَلَّ أَحَدُهُمَا لَهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ
الآخر .

وعن إِمْرَأَةٍ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا .
وعن خَمْسَةِ مَشَوْا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَمْ يُولَدُوا .
وعن أُمٍّ لَمْ تَلِدْ .
وعن أُمٍّ لَمْ تُولِدْ .
وعن مَاءٍ لَمْ يَذَكَرْ أَنَّهُ نَبْعٌ مِنَ الْأَرْضِ وَلَمْ يَذَكَرْ أَنَّهُ نَزَلَ مِنْ
السَّمَاءِ .

الجواب الواحد الذي لا ثاني له فالله جل جلاله وتقديسه
أسماؤه ، وأما الدين الذي لا يقبل الله غيره فدين الإسلام قال
تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .
وأما مفتاح الصلاة فالتكبير وتُحْتَمَمُ بِالتَّسْلِيمِ .

وأما غراس الجنة فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

وأما صلاة كل شيء سبحان الله وبحمده .
وأما الذي فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء فهم آدم وحواء وناقّة صالح عليه السلام وعصا موسى لما قلبها الله حية والكبش الذي فدى به إبراهيم ابنه قال الله تعالى ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ .
وأما الموضع الذي ليس له قبلة فظهر بيت الله (أي سطح الكعبة) .

وأما الرجل الذي لا أب له فعيسى عليه وعلى نبينا السلام .
وأما الرجل الذي لا أم له ولا أب فأدم عليه السلام .
وأما الحيوان الذي جرى بصاحبه فالحوت الذي سار بيونس في البحر .

وأما البقعة التي طلعت عليه الشمس مرة واحدة فأرض البحر الذي فلقه الله لموسى ومن معه من بني إسرائيل .
وأما الاثنان اللذان ليس لهما ثالث فالليل والنهار .
وأما الثلاث التي ليس لها رابع فالطلاق الثلاث .
وأما الخمس التي لا سادس لها فالصلوات الخمس المفروضة .

وأما الستة الذين لا سابع لهم فالأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

وأما السبعة التي لا ثامن لها فأيام الأسبوع .
وأما الثمانية الذين ليس لهم تاسع فحملة العرش يوم القيامة . قال الله جل وعلا ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ .

وأما التسعة الذين لا عاشر لهم فالتسعة الرهط الذين
ذكرهم الله في سورة النمل . قال تعالى ﴿ وكان في المدينة تسعة
رهط يفسدون في الأرض ﴾ .

وأما العشر التي ليس لها حادى عشرة فقولته تعالى ﴿ والفجر
وليل عشر ﴾ .

وأما الإحد عشر فاخوة يوسف .

وأما الاثنا عشر فشهور السنة .

وأما الثلاثة عشر فاخوة يوسف وأبوه وأمه .

وأما أحب كلمة إلى الله فكلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » .

وأما الشيء الذي أحلُّ بعضه وحُرِّمَ بعضه فهو نهر طالوت

قال تعالى ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم
يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ .

وأما الذي بعثه الله وليس من الانس ولا من الملائكة ولا من

الجن فهو الغراب قال الله تعالى ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في
الأرض ﴾ .

وأما النفس التي ماتت وضرب ببعضها ميتا آخر فحيا بإذن

الله فهي بقرة-بني إسرائيل قال الله جل وعلا ﴿ فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ﴾ .

وأما الشجرة التي نبتت على انسان فالتى أنبتها الله على يونس

بن متى قال تعالى ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ .

وأما النفس التي دخلت في نفس أخرى وخرجت وليس

بينها مناسبة فهو يونس بن متى عليه السلام دخل في بطن الحوت،
وخرج قال تعالى ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ .

وأما الكنز من كنوز الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحديث .

وأما الماء الذي لم يذكر أنه نبع من الأرض ولم يذكر أنه نزل من السماء فالماء الذي نبع بين أصابع النبي ﷺ .
وأما الحكمة التي في محو آية الليل القمر فالله أعلم أنه لأجل تمييز الليل من النهار ولينافع أخرى تتعلق بالنبات والزرع والأشجار .

وأما أنفع كلمة وأرفع كلمة وأحسن كلمة فكلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » .

وأما النبي الذي نهى الله النبي ﷺ أن يعمل مثل عمل عمَلَه فهو يونس قال الله جلا وعلا وتقدس ﴿ واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا حقاً وهم كاذبون فهم المنافقون قال الله تعالى ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا بالحق وأدخلوا النار ومن شهدوا عليه فالجوارح قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ حتى إذا ما جاوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ الآيات .

وأما الجبل الذي ارتفع وعاد فجبل الطور أعاده الله قال الله جل وعلا ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ﴾ .
وأما الكافر الذي لم تأكل الأرض لحمه فقارون .

وأما الذي في الأرض وهو من الجنة فالحجر الأسود .
وأما الصيدان اللذان صادهما رجل فأجل له أحدهما وحرم
عليه الآخر فمحرم صاد صيدين من البر واحد ومن البحر واحد
فالذي من البر حرام والذي من البحر حلال .
وأما الذي مات ألف شهر ومائتي شهر ثم أحياه الله فالعزير
عليه السلام قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ فأماته الله مائة عام ثم
بعثه ﴾ .

وأما المرأة التي أوحى الله إليها فأم موسى ، قال الله جل
وعلا ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ .
وأما الأم التي لم تولد فحواء عليها السلام .
وأما الأم التي لم تلد فمكة المكرمة أم القرى قال الله جل
وعلا ﴿ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ أه .

سئل الشافعي عن رجلين خطبا إمراة فحلت لأحدهما ولم
تحل للآخر ، فقال إن الذي لم تحل له له أربع زوجات فحرمت
عليه الخامسة .

فقال : ما تقول في رجلين شربا خمرأ فوجب على أحدهما
الحد ولم يجب على الآخر وكانا مسلمين ؟ فقال : إن أحدهما كان
حرا بالغا فوجب عليه الحد والآخر صغير لم يبلغ .

قال : فما تقول في خمسة زنوا بإمراة فوجب على أحدهم
القتل ، وعلى الآخر الرجم وعلى الثالث الحد ، وعلى الرابع نصف
الحد ، ولم يجب على الخامس حد ؟

فقال : أمأ الأول فمشارك زنى بمُسْلِمَةٍ فوجب عليه القتل ،
وأما الثاني فمسلم مُحْصَنٌ زنى فوجب عليه الرجم ، وأما الذي
وجب عليه الحد فمسلم بكر زنى .

وأما الرابع فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد وأما الذي لم يجب عليه شيء فالصبي والمجنون .

قال : فما تقول في رجل أخذ كأساً من ماء فشرب بعضه وحرّم عليه الباقي ؟ قال : هذا لما شرب بعضه وقع على الباقي نجاسة فحرم عليه .

قال : فما تقول في رجل دفع إلى امرأته كيساً مختوماً وقال لها : أنت طالق إن لم تُفرّغيه ولا تُفتّحيه ولا تُقطّعيه ولا تفتّقيه ففرغته على ذلك الحكم ولم يلحقها طلاق ؟

فقال : إن الكيس مملوءاً سُكراً أو ملحاً فوضعتّه في الماء فذاب وتفرّغ .

قال : فما تقول في جماعة صلحاء سجدوا لغير الله تعالى وهم في فعلهم مطيعون ؟ قال : الملائكة سجدوا لآدم .

قال : فما تقول في رجل لقي جاريةً فقبلها وقال : فدّيتُ من أبي جدّها وأخي عمّها وأنا زوج أمّها فما تكون منه ؟ قال : هي ابنته .

قال : فما تقول في امرأةٍ لقيت غلاماً فقبلته قالت فدّيتُ من أمّي ولدت أمّه وأخو زوجي عمّه وأبو ابن حماتي وأنا امرأة أبيه ؟ قال : هي أمّه .

وقال ما تقول في رجل تزوّج امرأةً وزوّج ابنه أمّها فجاءت الأمّ والبنت بولدين فما يكون الولد من ذلك وذلك ؟ فقال : ابن الأمّ خال لابن البنت وابن البنت عمّ لابن الأمّ .

وقال : ما تقول في رجل مات وخلف ستائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد .

فقال : هذا شخص مات وخلف ستائة درهم وترك بنتين أصابهما الثلثان أربعائة درهم وخلف والدته أصابها السدس مائة درهم وخلف زوجة أصابها الثمن وهو خمس وسبعون درهما وله اثنا عشر أخاً لكل واحد منهم درهمان ففضل للأخت درهم .
وقال آخر مُلغِزاً :

تَزَوَّجَ شَخْصٌ أُمَّ شَخْصٍ وَأُخْتَهُ
وَشَخْصٌ أَتَى أَيْضاً بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ
وقال آخر :

أَلَا فَاسْأَلُوا مَنْ كَانَ بِالْعِلْمِ بَارِعاً
عَنِ الْمَرْءِ يُوصِي قَاصِداً وَجَهَ رَبِّهِ
فَإِنْ يَكُنْ الْمُوصِي لَهُ مُتَمَوِّلاً
وَإِنْ كَانَ ذَا فَقْرٍ وَقِلِّ وَفَاقَةٍ
أَيُحْرَمُ ذُو فَقْرٍ وَيُعْطَاهُ ذُو الْغِنَى
فَلَا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَوَحْدِهِ
وفي الفقه أفنى عمره بابتداله
لزيد كما سناه من ثلث ماله
دفعنا له الموصى له بكماله
حرمانه ذاك المال فارت حاله
لعمرك ما رزق الفتى باحتياله
ولا تستند إلا لعز جلاله
وحلها موجود في الأسئلة والأجوبة الفقهية في الجزء السابع .

وقال آخر : هل ينوب الماء عن التراب ؟ فقل : نعم إذا مات ميت في البحر ولم يتيسر دفنه في البر يجعل فيه مثقل ويلقى في البحر وينوب الماء عن التراب .

ومن مات في بحر وقد عزّ دفنه

ففي البحر يلقي وهو بالتراب بدلاً

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[موعظة]

عن الزهري قال : سمعتُ علي بن الحسين يُحاسبُ نفسه

ويُناجِي رَبَّهُ .

يَانْفُسُ حَتَّامَ إِلَى الدُّنْيَا سُكُونِكَ ، وَإِلَى عِمَارَتِهَا رُكُونِكَ ، أَمَا
اعْتَبَرْتَ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ ، وَمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أَلْفِكَ ،
وَمَنْ فُجِعَتْ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكَ .

وَنُقِلَ إِلَى الثَّرَى مِنْ أَقْرَابِكَ ، فَهَمُ فِي بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا .
مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَائِرُ

خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاضُهُمْ وَسَاقَهُمْ نَحْوَ المَنَايَا المَقَادِرُ
وَحَلُّوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمَّتْهُمْ تَحْتَ التَّرَابِ الحَفَائِرُ
كَمْ خَرَّبَتْ أَيْدِي المُنُونِ مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ وَكَمْ غَبَّرَتْ
الأَرْضُ وَغَيَّبَتْ فِي تُرَابِهَا مِمَّنْ عَاشَرْتَ مِنْ صُنُوفٍ وَشَيَعَتُهُمْ إِلَى
المَهَالِكِ ثُمَّ رَجَعَتْ عَنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الأَفْلَاسِ .

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكَبِّ مُنَافِسُ لِحُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَائِرُ
عَلَى خَطَرِ تَمْشِيٍّ وَتُصْبِحُ لَاهِيَا أَتَدْرِي بِإِذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ أَمْرًا يَسْعَى لِذُنْيَاهُ دَائِبَا وَيَذْهَلُ عَنِ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ
فَحَتَّامَ عَلَى الدُّنْيَا إِقْبَالَكَ وَبِشَهَوَاتِهَا اشْتِغَالَكَ وَقَدْ وَخَطَكَ
الشَّيْبُ وَأَتَاكَ النَّذِيرُ وَأَنْتَ عَمَّا يَرَادُ بِكَ سَاهٍ وَبِلِذَّةِ يَوْمِكَ وَغَدِكَ لَاهٍ
وَقَدْ رَأَيْتَ انْقِلَابَ أَهْلِ الشَّهَوَاتِ وَعَايَنْتَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ
المُصِيبَاتِ .

أَبْعَدَ اقْتِرَابِ الأَرْبَعِينَ تَرَبُّصُ وَشَيْبِ قَدَالٍ مُنْذِرٍ لِلأَكَابِرِ
كَأَنَّكَ مَعْنِيَّ بِهَا هُوَ ضَّائِرُ لِنَفْسِكَ عَمْدًا أَوْ عَنِ الرُّشْدِ حَائِرُ
أَنْظُرْ إِلَى الأَمَمِ المَاضِيَةِ وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ كَيْفَ اخْتَطَفَتْهُمْ
عُقْبَانُ الأَيَّامِ وَوَأَفَاهِمِ الحِمَامِ فَانْمَحَتْ مِنَ الدُّنْيَا آثَارُهُمْ وَبَقِيَتْ فِيهَا
أَخْبَارُهُمْ وَأَضْحَوْا رِمَا فِي التَّرَابِ إِلَى يَوْمِ الحِشْرِ وَالمَآبِ وَالحِسَابِ .
فَأَمْسَوْا رَمِيمًا فِي التَّرَابِ وَعُطِّلَتْ مَجَالِسُهُمْ مِنْهُمْ وَأَخْلَى المَقَاصِرُ
وَحَلُّوا بَدَارَ لَا تَزَاوِرَ بَيْنَهُمْ وَأَنْى لِسُكَّانِ القُبُورِ التُّزَاوُدُ

فَمَا أَنْ تَرَى إِلَّا قُبُورًا ثَوْرًا بِهَا مُسَطَّحَةٌ تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعْيَاصِرُ
كَمْ مِنْ ذِي مَنَعَةٍ وَسُلْطَانٍ وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ تَمَكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ وَنَالَ
فِيهَا مَا تَمْنَاهُ ، وَبَنَى فِيهَا الْقُصُورَ وَالذُّسَاكِرُ ، وَجَمَعَ فِيهَا الْأَمْوَالَ
وَالذَّخَائِرُ ، وَمُلَّحَ السَّرَارِي وَالْحَرَائِرُ .

فَمَا صَرَفَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةَ إِذَا أَتَتْ مُبَادِرَةٌ تَهْوِي إِلَيْهَا الذَّخَائِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحُصُونُ الَّتِي بَنَى وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهُ وَالذُّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةَ حِيلَةً وَلَا طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ
أَتَاهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يُرَدُّ وَنَزَلَ بِهِ مِنْ قَضَائِهِ مَا لَا يُصَدِّدُ فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْعَزِيزُ الْقَهَّارُ قَاصِمُ الْجَبَّارِينَ وَمُبِيدُ الْمُتَكَبِّرِينَ
الَّذِي ذُلُّ لِعِزِّهِ كُلُّ سُلْطَانٍ وَأَبَادَ بِقُوَّتِهِ كُلُّ دِيَّانٍ .

مَلِيكَ عَزِيزٌ لَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ نَافِذُ الْأَمْرِ قَاهِرٌ
عَنَى كُلُّ ذِي عِزٍّ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ لِلْمُهَيْمِنِ صَاغِرٌ
لَقَدْ خَضَعَتْ وَاسْتَسَلَمَتْ وَتَضَالَّتْ لِعِزَّةِ ذِي الْعَرْشِ الْمَلُوكِ الْجَبَّارِ
فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ وَالْحِدَارَ الْحِدَارَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَائِدَهَا ، وَمَا
نَصَبَتْ لَكَ مِنْ مَصَائِدِهَا ، وَتَحَلَّتْ لَكَ مِنْ زِينَتِهَا ، وَأَبْرَزَتْ لَكَ
مِنْ شَهَوَاتِهَا وَأَخْفَتْ عَنْكَ مِنْ قَوَاتِلِهَا وَهَلَكَاتِهَا .

وَفِي دُونَ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا إِلَى دَفْعِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ آمِرٌ
فَجُدُّ وَلَا تَغْفُلْ وَكُنْ مُتَّقِظًا فَعَمَّا قَلِيلٍ يَتْرُكُ الدَّارَ عَامِرٌ
فَشَمْرٌ وَلَا تَفُتِّرْ فَعُمْرَكَ زَائِلٌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ صَاحِبٌ
وَلَا تَطْلُبْ الدُّنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهُ غِبُّهُ لَكَ ضَعَائِرُ

فَهَلْ يَجْرُصُ عَلَى الدُّنْيَا لَبِيبٌ ، أَوْ يُسَرُّ بِهَا أَرِيبٌ ، وَهُوَ عَلَى
ثِقَةٍ مِنْ فَنَائِهَا ، وَغَيْرُ طَامِعٍ فِي بَقَائِهَا أَمْ كَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ مَنْ يَخْشَى
الْبَيَاتَ وَكَيْفَ تَسْكُنُ نَفْسٌ مَنْ تَوَقَّعَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ الْمَمَاتَ .

ألا لا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نَفُوسَنَا وَتَشْغَلُنَا اللَّذَاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفٍ عَرَضٍ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا سُدِّي مَا لَنَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَصَادِرُ
وَمَا عَسَى أَنْ يَنَالَ صَاحِبُ الدُّنْيَا لَذَّتْهَا وَيَتَمَتَّعَ بِهِ مِنْ بَهْجَتِهَا
مَعَ صُنُوفِ عَجَائِبِهَا وَقَوَارِعِ فَجَائِعِهَا وَكَثْرَةِ عَذَابِهِ فِي مَصَائِبِهَا وَفِي
طَلِبِهَا وَمَا يُكَابِدُ مِنْ أَسْقَامِهَا وَأَوْصَابِهَا وَالْآمِهَا .

أَمَا قَدْ نَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَرُوحُ عَلَيْنَا صَرْفُهَا وَيَبَاكِرُ
تَعَاوُرَنَا آفَاتُهَا وَهُمُومُهَا وَكَمْ قَدْ نَرَى يَبْقَى لَهَا الْمُتَعَاوِرُ
فَلَا هُوَ مَغْبُوطٌ بِدُنْيَاةٍ آمِنٍ وَلَا هُوَ مِنْ تَطْلَا بِهَا النَّفْسَ قَاصِرُ
كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مَخْلِدٍ إِلَيْهَا ، وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍ عَلَيْهَا ،
فَلَمْ تَنْعَشْهُ مِنْ عَشْرَتِهِ ، وَلَمْ تُنْقِذْهُ مِنْ صَرَعَتِهِ ، وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلِيهِ ،
وَلَمْ تَبْرِهَ مِنْ سَقَمِهِ ، وَلَمْ تُخْلِصْهُ مِنْ وَصَمِهِ .

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَمِنَعَةٍ مَوَارِدَ سُوءِ مَا هُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ التَّحَاذِرُ
تَنَدَّمَ إِذْ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ نَدَامَةٌ عَلَيْهِ وَأَبَكَّتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبَائِرُ
إِذَا بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ ، وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ
مِنْ دُنْيَاةٍ ، وَاسْتَغْفَرَ حَتَّى لَا يَنْفَعَهُ الْإِسْتِغْفَارُ ، وَلَا يُنْجِيهِ
الْإِعْتِدَارُ ، عِنْدَ هَوْلِ الْمَنِيَةِ وَنَزُولِ الْبَلِيَّةِ .

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَقَادِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ لَمَّا يُجَادِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ جَشَّتْ خَوْفَ الْمَنِيَةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهُمَّ وَالْحَنَاجِرُ
هُنَالِكَ خَلَّفَ عُوَادَةَ وَأَسْلَمَهُ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ وَإِرْتَفَعَتِ الْبَرِيَّةُ
بِالْعَوِيلِ وَقَدْ أَيَسُوا مِنَ الْعَلِيلِ فَغَمَّضُوا بِأَيْدِيهِمْ عَيْنِيهِ وَمَدَّ عِنْدَ

خُرُوجِ رُوحِهِ رَجُلِيهِ وَتَخَلَّى عَنْهُ الصَّدِيقُ وَالصَّاحِبُ الشَّفِيقُ .
فَكَمْ مُوجَعٌ يَبْكِي عَلَيْهِ مُفَجَّعٌ وَمُسْتَنْجِدٌ صَبْرًا وَمَا هُوَ صَابِرٌ
وَمُسْتَرْجِعٌ دَاعٍ لَهُ اللَّهُ مُخْلِصًا يُعَدِّدُ مِنْهُ كُلُّ مَا هُوَ ذَاكِرٌ
وَكَمْ شَامِتٌ مُسْتَبَشِّرٌ بِوَفَايَةِ وَعَمَّا قَلِيلٍ لِلَّذِي صَارَ صَائِرٌ
فَشَقَّتْ جُيُوبَهَا نَسَاؤُهُ ، وَلَطَمَتْ خُدُودَهَا إِمَاؤُهُ ، وَأَعْوَلَ
لِفَقْدِهِ جِيرَانَهُ ، وَتَوَجَّعَ لِرِزِيَّتِهِ إِخْوَانَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى جِهَازِهِ
وَشَمَرُوا لِإِبْرَازِهِ كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمُ الْعَزِيزُ الْمَقْدِيُّ وَلَا الْحَبِيبُ
الْمُبْدِيُّ .

وَحَلَّ أَحَبُّ الْقَوْمِ كَانَ بِقُرْبِهِ يَحْتُ عَلَى تَجْهِيزِهِ وَيَبَادِرُ
وَشَمَّرَ مَنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لِعَسَلِهِ وَوَجَّهَ لَمَّا فَاضَ لِلْقَبْرِ حَافِرُ
وَكَفَّنَ فِي ثُوبَيْنِ وَاجْتَمَعُوا لَهُ مُشِيعَةُ إِخْوَانِهِ وَالْعَشَائِرُ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْأَصْغَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ ، وَقَدْ غَلَبَ الْحُزْنَ عَلَى فُؤَادِهِ ،
وَيُحْشَى مِنَ الْجُزَعِ عَلَيْهِ وَقَدْ خَضَبَتِ الدَّمُوعُ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَنْدُبُ أَبَاهُ
وَيَقُولُ : يَا وَيْلَاهُ وَاحْرَبَاهُ .

لَعَايِنْتَ مِنْ قُبْحِ الْمَنِيَةِ مَنْظَرًا يِهَالُ لِمَرَاهُ وَيَرْتَاعُ نَاطِرُ
أَكْبَرُ أَوْلَادٍ يَهِيْجُ اكْتِسَابَهُمْ إِذَا مَا تَنَاسَاهُ الْبَنُونَ الْأَصَاغِرُ
وَرِيَّةُ نَسْوَانٍ عَلَيْهِ جَوَازِعُ مَدَامِعُهُمْ فَوْقَ الْخُدُودِ غَوَازِرُ
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ سَعَةِ قَصْرِهِ ، إِلَى مَضِيقِ قَبْرِهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي
اللَّحْدِ ، وَهِيَءٌ عَلَيْهِ اللَّبْنُ اِحْتَوَشَتْهُ أَعْمَالُهُ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطَايَاهُ
وَأَوْزَارُهُ ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِمَا رَأَى ، ثُمَّ حَثَّوْا بِأَيْدِيهِمْ عَلَيْهِ التَّرَابَ ،
وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْبُكَاءَ وَالْإِنْتِحَابَ ، ثُمَّ وَقَفُوا سَاعَةً عَلَيْهِ وَأَيْسُوا مِنَ
النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَوهُ رَهْنًا بِمَا كَسَبَ وَطَلَبَ .

فَوَلَّوْا عَلَيْهِ مُغْرُولِينَ وَكُلَّهُمْ لِمِثْلِ الَّذِي لَاقَى أَخُوهُ مُحَاذِرُ

كَشَاءٍ رَعَاءٍ آمِنِينَ بَدَاها بِمُدَيْتِهِ بَادِي الذَّرَاعِينَ حَاسِرُ
 فَرِيَعَتٌ وَلَمْ تَرَعَى قَلِيلًا وَاجْفَلتُ فَلَمَّا نَأَى عَنْهَا الَّذِي هُوَ جَازِرُ
 عَادتْ إِلَى مَرْعَاهَا ، وَنَسِيَتْ مَا فِي أُخْتِهَا دَهَاها ، أَفَابًا فَعَالِ
 الْأَنْعَامِ اقْتَدَيْنَا أُمَّ عَلَى عَادَاتِهَا جَرِينًا ، عُدُّ إِلَى ذِكْرِ الْمَنْقُولِ إِلَى دَارِ
 الْبَلَى ، وَاعْتَبِرْهُ بِمَوْضِعِهِ تَحْتَ الثَّرَى ، الْمَدْفُوعِ إِلَى هَوْلٍ مَا تَرَى .
 ثَوَى مُفْرَدًا فِي لَحْدِهِ وَتَوَزَّعَتْ مَوَارِيثُهُ أَوْلَادُهُ وَالْأَصْبَاهِرُ
 وَأُخِنُوا عَلَى أَمْوَالِهِ يَقْسِمُونَهَا فَلَا حَامِدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهَا وَشَاكِرُ
 فِيهَا عَامِرٌ الدُّنْيَا وَيَا سَاعِيًا لَهَا وَيَا آمِنًا مِنْ أَنْ تَدُورَ السُّدُورُ
 كَيْفَ أَمِنْتَ هَذِهِ الْحَالَةَ ، وَأَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهَا لَا مُحَالَةَ ، أُمَّ
 كَيْفَ ضَيَّعْتَ حَيَاتَكَ ، وَهِيَ مَطِيئَتُكَ إِلَى مَمَاتِكَ ، أُمَّ كَيْفَ تَشْبَعُ
 مِنْ طَعَامِكَ ، وَأَنْتَ مُنْتَظِرٌ حِمَامِكَ ، أُمَّ كَيْفَ تَهِنُ بِالشَّهَوَاتِ ،
 وَهِيَ مَطِيئَةُ الْآفَاتِ .

وَلَمْ تَتَزَوَّدَ لِلرَّحِيلِ وَقَدْ دَنَا وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ وَشَيْكَ مُسَافِرُ
 فَيَا لَهْفَ قَلْبِي كَمْ أَسُوْفُ تَوْبَتِي وَعُمْرِي فَإِنْ وَالرَّدى لِي نَاطِرُ
 وَكُلُّ الَّذِي اسْلَفْتُ فِي الصُّحُفِ مُثَبَّتٌ يَجَازِي عَلَيْهِ عَادِلُ الْحَكْمِ قَادِرُ
 فَكَمْ تُرْتَعُ بِأَخْرَتِكَ دُنْيَاكَ ، وَتُرَكَّبُ غِيَّكَ وَهَوَاكَ ، أَرَاكَ
 ضَعِيفَ الْيَقِينِ ، يَأْمُوثِرُ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ ، أَهَذَا أَمْرُكَ الرَّحْمَنِ أُمَّ
 عَلَى هَذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ أَمَا تَذَكُرُ مَا أَمَامَكَ مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ وَشَرِّ
 الْمَأْبِ ، أَمَا تَذَكُرُ حَالَ مَنْ جَمَعَ وَثَمَرَ ، وَرَفَعَ الْبِنَاءَ وَزَخَرَفَ وَعَمَّرَ ،
 أَمَا صَارَ جَمْعُهُمْ بُورًا وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا .

تَحْرَبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَإِنِّيَا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
 وَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَازِرُ
 أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الْحَيَاةُ وَتَنْقُضِي وَدِينُكَ مَنقُوصٌ وَمَالُكَ وَإِفْرُ

وقال رحمه الله : اللهم إني أعوذ بك أن تُحَسِّنَ في لَوَامِعِ
الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي وَتُقَبِّحَ في خَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ سَرِيرَتِي .
اللهم كما أَسَأْتُ وَأَحْسَنْتَ إِلَيَّ فَإِذَا عُدْتُ فَعُدْ إِلَيَّ ، اللهم
إِرْزُقْنِي مُوَأْسَاةً مَن قَتَّرْتَ عَلَيْهِ رِزْقَكَ بِهَا وَسَّعْتَ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ .
وقال يوماً لمن كان معه : إني اتكأت على هذا الحائط وأنا
حزين فإذا رَجَلُ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ يَنْظُرُ في تَجَاهِ وَجْهِ .
ثم قال : يا عليُّ بنُ الحسينِ ما لي أراك كَثِيبًا حَزِينًا على
الدنيا فهي رِزْقُ حَاضِرٍ يَأْخُذُ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ فَقُلْتُ ما عليها
أَحْزَنُ لَأَنهَا كَمَا تَقُولُ .

فقال : على الآخرة فهي وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ،
فقلت ما على هذا أحزن لأنه كما تقول .
فقال : فَعَلَامَ حُزْنِكَ ، فقلت : ما أتخوف من الفتنة ، يعني
فتنة ابن الزبير .

فقال لي : يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟
قلت : لا قال : ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ثم غاب عني .
وقيل إنه لما مات رحمه الله فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار
سوادٍ في ظهره ، فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يَحْمِلُ جُرَابَ
الدقيق نَيْلًا على ظهره يعطيه فقراء المدينة .

وقال : ابنُ عَاشِثَةَ : سَمِعْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ : ما فقدنا
الصَّدَقَةَ حتى مات علي بن الحسين

وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مُنَادٍ
لِيَقُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ .
فيقال لهم : انْطَلِقُوا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فيقولون

إلى أين ، فيقولون إلى الجنة فيقولون قَبَلِ الحِسابِ قالوا نعم .
 قالوا : مَنْ أَنْتُمْ قالوا نحنُ أهلُ الفضلِ ، قالوا وما كان
 فضلكم ، قالوا : كنا إذا جُهلَ علينا حَمَلْنَا وإذا ظَلَمنا صَبَرنا ، وإذا
 أَسِئءَ إلينا غَفَرنا ، قالوا لهم : أَدْخُلُوا الجَنَّةَ فَنِعَمَ أَجْرُ العَامِلِينَ .
 ثم يُنادِ مُنادٍ لِيُقِمَ أهلُ الصُّبرِ ، فيقومُ ناسٌ مِنَ الناسِ ،
 فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة فَتَلقَاهُم الملائكةُ ، فيقولون لهم مثلُ
 ذلك .

فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا فما كان صبركم ، قالوا :
 صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرنا
 على البلاء ، فقالوا لهم : أَدْخُلُوا الجَنَّةَ فَنِعَمَ أَجْرُ العَامِلِينَ .
 ثم يُنادِ مُنادٍ لِيُقِمَ جيرانُ الله في داره ، فيقومُ ناسٌ مِنَ الناسِ
 وهم قليل ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة فَتَلقَاهُم الملائكةُ
 فيقولون لهم : مثل ذلك .
 فيقولون : بِمِ اسْتَحَقَّقْتُمْ مجاورةَ الله عز وجل في داره ،
 فيقولون : كُنَّا نَتَزَاوَرُ في الله وَنَتَجَالَسُ في الله وَنَتَبَاذَلُ في الله عز
 وجل .

فيقال لهم : أَدْخُلُوا الجَنَّةَ فَنِعَمَ أَجْرُ العَامِلِينَ .

يُسْرًا الْفَتَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيدُهُ	وَيَغْتَرُّ بِالْدُنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
وَفِي عِبَرِ الْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ وَاعْظُ	إِذَا صَحَّ فِيهَا فِكْرُهُ وَاعْتَبَارُهُ
فَلَا تُحْسِبْنِ يَا غَافِلُ الدَّهْرَ صَامِتًا	فَأَفْصَحُ شَيْءٍ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
أَصْحُ لِمُنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ	سَيُغْنِيكَ عَنِ جَهْرِ الْمَقَالِ سِرَّارُهُ
أَذَارَ عَلَى الْمَاضِينَ كَأَسَا فِكْلُهُمْ	أُبِيحَتْ مَغَانِيهِ وَأَقْوَتْ دِيَارُهُ
وَلَمْ يَحْمِهِمْ مَنْ أَنْ يُسَقَّوْا بِكَأْسِهِمْ	تَنَاشُ أَطْرَافِ الْقَنَا وَاشْتِجَارُهُ

اسْمَعْ يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُصُ الْإِيْمَانَ ، مُعْرَضاً عَنْ
الْأَرْبَاحِ وَمُتَعَرِّضٌ لِلْخُسْرَانِ ، لَقَدْ سُرَّ بِفِعْلِكَ الشَّامِتُ .
يَأْمَنُ يَفْرَحُ بِالْعِيدِ لِتَحْسِينِ لِبَاسِهِ ، وَيُؤَقِنُ بِالْمَوْتِ وَمَا اسْتَعَدَّ
لِبَاسِهِ وَيَغْتَرُ بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ وَجُلَّاسِهِ ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ سُرْعَةَ
اِخْتِلَاسِهِ .

يَا غَافِلاً قَدْ طُلِبَ ، وَيَا مُخَاصِماً قَدْ غُلِبَ ، وَيَا وَائِثِقاً قَدْ
سُلِبَ ، إِيَّاكَ وَالْدُنْيَا فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ ، لَقَدْ أَبَانَتِ لِلنَّوَاطِرِ عِيُومَهَا ،
وَكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ غُيُومَهَا ، وَعَدَّدَتْ عَلَى الْمَسَامِعِ ذُنُومَهَا ، وَمَا مَرَّتْ
حَتَّى أَمَرَتْ مَشْرُومَهَا .

فَلذَاتُهَا مِثْلُ لَمْعَانِ الْبَرْقِ وَمُصِيبَتُهَا وَاسِعَةُ الْخَرْقِ ، سَوَتْ
عَوَاقِبُهَا بَيْنَ سُلْطَانِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، فَمَا نَجَا مِنْهَا ذُو عَدَدٍ ، وَلَا
سَلِمَ فِيهَا صَاحِبُ عُدَدٍ ، مَزَقَتْ الْكُلَّ بِكَفِّ الْبُدْدِ ثُمَّ وَلَّتْ فَمَا
الْوَتُّ عَلَى أَحَدٍ .

قَالَ ﷺ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ
ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنْ أَحَافُ اللَّهُ » .

اسْمَعْ يَا مَنْ أَجَابَ عَجُوزاً هَتْمًا عَمِيًّا صَمًّا جَرِيًّا سَوْدَاءَ شَوْهَاءَ
مُقْعَدَةً عَلَى مَزِينَةٍ وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْكَ مَحَبَّتُهَا عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا .

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ مَسْرَةٍ فَتَخَوَّفِي مَكْرًا لَهَا وَخِدَاعًا
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسِرُّ بِنَفْسِهِ
حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمَنِيَةِ شُرْبَةً
فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى
وَبِإِلَيْهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعًا
وَحِمَّتُهُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ رِضَاعًا
لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَّتُهُ دِفَاعًا
فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْطَاعَا

[فائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ دَاوُهُ الْمَعْصِيَةَ ، فَشِفَاؤُهُ الطَّاعَةَ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُهُ الْغَفْلَةَ ، فَشِفَاؤُهُ الْيَقَظَةَ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُهُ كَثْرَةَ الْأَشْغَالِ ، فَشِفَاؤُهُ فِي تَفْرِيفِ الْمَالِ .

فَمَنْ تَفَرَّغَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا قَلْبُهُ ، قَلَّ تَعَبُهُ ، وَتَوَفَّرَ مِنَ الْعِبَادَةِ نَصِيبُهُ ، وَاتَّصَلَ إِلَى اللَّهِ مَسِيرُهُ ، وَارْتَفَعَ فِي الْجَنَّةِ مَصِيرُهُ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، وَغَوَائِلِ النَّفْسِ .

وَمَنْ كَثُرَ فِي الدُّنْيَا هَمُّهُ ، أَظْلَمَ طَرِيقُهُ ، وَنَصَبَ بَدَنُهُ ، وَضَاعَ وَقْتَهُ ، وَتَشَتَّتَ شَمْلُهُ ، وَطَاشَ عَقْلُهُ ، وَانْعَقَدَ لِسَانُهُ عَنِ الذِّكْرِ ، لِكَثْرَةِ هُمُومِهِ وَغَمُومِهِ ، وَصَارَ مُقَيَّدَ الْجَوَارِحِ عَنِ الطَّاعَةِ ، مِنْ قَلْبِهِ فِي كُلِّ وَادٍ شُعْبَةٌ ، وَمِنْ عُمُرِهِ لِكُلِّ شِغْلٍ حِصَّةٌ .

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ فَضُولِ الْأَعْمَالِ وَالْهَمُومِ فَكُلِّ مَا شِغَلَ الْعَبْدَ عَنِ الرَّبِّ فَهُوَ مَشْتُومٌ ، وَمَنْ فَاتَهُ رِضَى مَوْلَاهُ فَهُوَ مُحْرَمٌ ، كُلُّ الْعَافِيَةِ فِي الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ ، وَكُلُّ الْبَلَاءِ فِي الْغَفْلَةِ وَالْمُخَالَفَةِ ، وَكُلُّ الشِّفَاءِ فِي الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ ، وَانظُرْ لَوْ أَنَّ طَبِيباً نَصْرَانِيّاً نَهَاكَ عَنِ شُرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَجْلِ مَرَضٍ فِي جَسَدِكَ لِأَطْعَمْتَهُ فِي تَرْكِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ يَصْدُقُ وَقَدْ يَكْذِبُ وَقَدْ يُصِيبُ وَقَدْ يُخْطِئُ وَقَدْ يَنْصَحُ وَقَدْ يَغْشَى ، فَمَا بِالكَ لَا تَتْرِكُ مَا نَهَاكَ عَنْهُ أَنْصَحُ النَّاصِحِينَ وَأَصْدُقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ لِأَجْلِ مَرَضِ الْقَلْبِ الَّذِي إِذَا لَمْ تَشْفَ مِنْهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِكَ الْهَالِكِينَ .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيهَا رُمْتَ مَغْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَهَا وَصَلُوا هَذَا فِي سَيْرِهِمْ جَدُّ وَتَشْمِيرٌ

يَأْمُدُّعِي الْحُبَّ فِي شَرَعِ الْغَرَامِ وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَهُ لِكِنِّهَا زُودُ
أَفْنَيْتَ عُمَرَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ هَذَا وَأَنْتَ بَعِيدُ الدَّارِ مَهْجُورُ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا ذُبْتُ مِنْ كَمْدٍ مَا لِلْجِرَاحِ بِجِسْمِ الْمَيْتِ تَأْثِيرُ

اللهم إنا نسألك نفساً مطمئنة تؤمن بِلِقَائِكَ وترضى
بِقَضَائِكَ ، اللهم إنا نسألك بِاسْمِكَ الطاهر الطيب المبارك
الأحب إليك الذي إذا دُعيتَ به أُجبتَ ، وإذا سُئلتَ به أُعطيتَ ،
وإذا استُرِحمتَ به رَحمتَ ، وإذا استفرجتَ به فرجتَ أن تغفرَ
سَيئاتنا وتبديها لنا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وختاماً فالواجب على الانسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة ،
وأن يتتهد الفرصة الامكان قبل هجوم هادم اللذات .
وأن يستعين بالله ويتوكل عليه ويسأله العون في تسير الأعمال
الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .
وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل
به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .
ويحرص على مجالس الذكر ، ويحفظ لسانه عن الغيبة
والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .
ويتهياً للرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان
عنده حقوقٌ لله كزكاة أو لخلقهِ كإمانات أو عواري أو وصايا أداها
بسرعة خشية أن يفجأه الموت وهي عنده .
فإذا لم تؤدها أنت في حياتك ، فمن بعدك من أولاد أو
إخوان يتعدُّ اهتمامهم بذلك ، لأنهم يهتمون ويشغلون بما خلفته
لهم وضيقت بسببه نفسك .

فالله الله ألبدار بالتفتيش على النفس ، والمبادرة بالتوبة
والاكثار من الاستغفار .

ومما يُحُثُّك على ذلك ذكْرُ مَرارة الموت الذي سماه رسول الله
ﷺ هادم اللذات ، وتذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي
حُبِسُوا على أعمالهم لِيُجَازُوا بها فليس فيهم من يُقَدِرُ على نحو
خَطِيئَةٍ ، ولا على زيادة حَسَنَةٍ .

وعاد بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف عَلِمْتَ أنه الموت ؟ قال :
أجدني أجتذب اجتذاباً ، وكان الخناجر في جوفي ، وكان جوفي
تنورٌ حمي يتلهب .

قال له : فاعهد (أي أوصى) ، قال : أرى الأمر أعجل
من ذلك فدعا بدواة وصحيفة قال : فوالله ما أتى بها حتى شخَصَ
بصره فمات .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رياح القيسي فقال :
يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحَدِّثْ بقربهم عهداً .
فانطلقت معه ، فأتى المقابر فجلسنا إلى بعض تلك
القبور ، فقال : يا أبا إسحاق ما ترى هذا مُتَمَنِّياً لو مُنِّء ، قلت :
أن يُردَّ والله إلى الدنيا فيستمتع من طاعة الله ويُصلح .

قال : فيها نحن ، ثم نهض فجَدَّ واجتهد ، فلم يلبث إلا
يسراً حتى مات .

ومما يُحُثُّك على التأهب والاستعداد لهادم اللذات أن تُصوِّرَ
لنفسك عَرْضَهَا على رَبِّكَ وتُحْجِلِهِ إِيَّاكَ بِمَضِيضِ العِتَابِ على
فِعْلٍ مَا نَهَاكَ عنه قال جل وعلا ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان » .

وعن صفوان بن محرز قال : كنتُ آخذاً بيد ابن عمر إذ عَرَضَ له رَجُلٌ ، فقال كيف سَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة .

فقال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إن الله يُدني المؤمن فيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ الناسِ ، وَيُقرُّهُ بِذُنُوبِهِ . » ويقولُ له أتعرفُ ذَنْبَ كذا ، أتعرفُ ذَنْبَ كذا ، حتَّى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك .

قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .
ومما يَحُثُّكَ على الاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تتخايل وتتصوّر شهادَةَ المكان الذي تعصي فيه عليك يوم القيامة .
فعن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ فقال « أتدرون ما أخبارها ، أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها ، أن تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهو أخبارها » .

ومما يحثك على التأهب والاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تُمَثِّلَ نَفْسَكَ عند بعض زَلَلِكَ كأنه يُؤمَرُ بك إلى النار التي لا طاقة لمخلوق بها .

وتصور نفاذ اللذة وذهابها وبقاء العار والعذاب .

تَفْنِي اللذائِدُ مِمَّنْ نَالَ شَهْوَتَهُ مِنْ الحَرَامِ وَيَبْقَى الإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبِتِهَا لا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ناركم هذه ما يُوقدُ

بُنُوا آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قالوا : والله إن كانت لكافية .

وقال بعض السلف : ربما مُثِّلَ لي رأسي بين جبلين من نار وربما رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قعرها فكيف تهنا الدنيا من كانت هذه صفتها .

وكان عمر رضى الله عنه ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر .
ومما يحثك على الاستعداد وتفقد شؤونك وأمرك ذكر أحوال كثير من السلف الصالح الذي أقلقهم خوف الحساب والعذاب في البرزخ والنار .

لما أهديت مُعَاذَةَ العدوية إلى زوجها صيلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيتاً مطيباً فقام يصلي حتى أصبح وفعلت زوجته مُعَاذَةُ مثله .

فلما أصبح عاتبة ابن أخيه على فعله ليلة الزواج فقال له :
أَدْخَلْتَنِي بِالْأَمْسِ بَيْتاً ذَكَرْتَنِي بِهِ النَّارُ ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي بَيْتاً ذَكَرْتَنِي بِهِ الْجَنَّةُ
فَمَا زَالَتْ فِكْرَتِي فِيهَا حَتَّى أَصْبَحْتُ .

ونظر عمر بن عبدالعزيز إلى رجلٍ عنده مُتَغَيِّرُ اللون ، ،
فقال له ما الذي بك ؟ فقال : إني ذُقت حلاوة الدنيا فصغر في عيني زهرتها وملاعبها ، واستوى عندي حجارتهَا وَذَهَبُهَا .

ورأيتُ كأن الناس يُسَاقُونَ إلى الجنة ، وأنا أساقُ إلى النار ،
فأسهرتُ لِدَلِكِ لَيْلِي ، وأظمأتُ نَهَارِي ، وكلُّ ذلك صغيرٌ حقيرٌ في جنب عفو الله ، وثوابه عز وجل وجنب عقابه .

وقال إبراهيم التيمي مثلتُ نفسي في النار آكلُ من زقومها

وأشربُ من صديدها وأعالجُ سلاسلها وأغلاها .
 فقلتُ لِنَفْسِي أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ ، قالت أريدُ أن أُرَدَّ إلى
 الدنيا فأعملَ صالحاً ، قال : فقلتُ أنتِ في الأُمْنِيَّةِ فأعملي .
 وسمعَ عُمَرُ بنَ الخطابِ رجلاً يتَهَجَّدُ في الليلِ ويقرأُ سورةَ
 الطُّورِ ، فلما بلغَ قوله تعالى ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ
 دَافِعٍ﴾ .

قال عمر : قَسَمَ ورب الكعبة حق ، ثم رَجَعَ إلى بيته
 فمرضَ شهراً يَعُودُهُ الناسُ ، وَلَا يَدْرُونَ مَا سَبَبُ مَرَضِهِ .
 وكان جماعة من السلف مَرَضُوا مِنَ الخوفِ وَلِزَمُوا مَنَازِلَهُمْ
 وَبَعْضُهُمْ صارَ صاحبَ فراشٍ .

وكان الحسنُ يقولُ في وصف الخائفين : قد بَرَّاهُم الخوفُ
 فَهَمُّ أَمْثَالُ القِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الناظرُ فيقولُ مَرَضِي وَمَا بِهِم مَرَضٌ
 وَيَقُولُ قَدْ خُولَطُوا وَقَدْ خَالَطَ القَوْمَ مِنْ ذِكْرِ الآخِرَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ .
 هذه القصيدة عَدَلْنَا فِيهَا بَعْضَ الأبيات :

وَحَقِّكَ يَا ذَا الجُودِ مَالِي مَلَجَجُوْ	ولا لي إلى أبواب غيرك مَطْلَبُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي عِنْدَ غَيْرِكَ حَاجَةً	فكَيْفَ إلى أبواب غيرك أَذْهَبُ
إِذْ لَمْ يَكُنْ مُعْطِي سِوَاكَ بِمَطْلَبِي	فكَيْفَ سِوَى مَعْرُوفِ جُودِكَ أَطْلُبُ
عَدُوٌّ لِي فِيهِ مَا يَرَى مَا رَأَيْتَهُ	فِيكثُرُ مِنْ لَوْمِي عَلَيْهِ وَيُطِنُّ
سَلَكْتُ سَبِيلًا مَا اهْتَدَى لِسُلُوكِهَا	فَاعْجَبُ مِنْهُ وَهُوَ مِنِّي يَعْجَبُ
وَكَيفَ سُلُوْ عَنْ جَمَالِ مُحَجَّبٍ	أَيَادِيهِ عَنْ كُلِّ الوَرَى لَيْسَ مُحَجَّبُ
إِذَا سَتَّانَسَ الحَادُونَ لِلرُّكْبِ بِاسْمِهِ	فكُلُّهُمُوا حَتَّى الرُّكَّابِ تَطْرَبُ
يَطِيْبُ وَيَحْلُو لِلْمُحِبِّينَ ذِكْرُهُ	فَلا طَيِّبٌ إِلا وَذِكْرُكَ أَطْيَبُ
فَإِنْ قُلْتُ شَهِدًا فَهُوَ أَحْلَى مَذَاقَةً	وَإِنْ قُلْتُ مَاءً فَهُوَ أَصْفَى وَأَعْدَبُ

سَأَلْتُكَ يَا حَادِيَ الرِّكَائِبِ حَاجَةً فَسَلَّمْ عَلَيَّ مَنْ قَدْ حَوَتْهُ قِبَابُهَا مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ وَالْمَاجِدُ الَّذِي هُوَ الصَّادِقُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَحَدَّهُ فَضَلُوا عَلَيْهِ دَائِمًا فَصَلَّاتِكُمْ

إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنَيْكَ يَشْرَبُ وَشِرْعَتُهُ فِي الْكُونِ تُمَلَّى وَتُكْتَبُ إِلَى فَخْرِهِ كُلِّ الْمُنَاسِبِ تُنْسَبُ فَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ فَهُوَ فِي الْحَشْرِ يُنْدَبُ ثَوَابُكُمْ مِمَّا فِيهَا مِنْ اللَّهِ يُطَلَّبُ

ونحن تماماً فالواجب على العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة ما دام في قيد الحياة وخصوصاً الصلاة التي فرضها الله جل وعلا على عباده أكد أركان الإسلام بعد الشهادتين ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد .

فكما أن لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له وهي خاتمة وصية النبي ﷺ عند آخر عهده من الدنيا .

فعن أنس رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يُغرغر بنفسه « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه أحمد وأبو داود .

وهي أول ما يُحاسبُ به العبد يوم القيامة كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر » الحديث رواه الترمذي .

والصلاة أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه قال الله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ الآية .

فالصلاة سعادة وسرور للمؤمن الخاشع المحب لربه ، فقد قال رسول الله ﷺ « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وكان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، فالصلاة جسد وروح .

أما جسدها فهو كلام اللسان وحركات الأعضاء وأما روحها فهو الخشوع ، قال الله جل وعلا ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ .

والخشوع حضور الذهن وأن يتصوّر الانسان أن ربّه أمامه يسمّعه ويناجيه فلا يشغل فكره بشيء من الدنيا ما دام في صلاته ويجمع فكره إلى تأمل ما يتلو وما يسمع من الإمام ويحرص كل الحرص على طرد الهواجيس .

قال أحد العلماء : إن من المعلوم أن المنتصب لخطاب ملك من ملوك الدنيا يجمع قلبه للاقبال عليه ويحسن التودد إليه ويتحرز التحرز الكلي عن أن تفرط منه كلمة مستهجنة أو التفاتة غير مستحسنة أو ذهول عما يخاطبه به أو يتلقاه من خطابه وإن كان لا يخاف نقمته ولا يرجو نعمته .

فياعجباً من منتصب المناجات ملك السموات والأرض وهو يعلم أنه حاضر لديه ورقيب عليه وأنه محتاج في كل لحظة إليه غير مستغن عنه وإن إحسانه إليه فوق كل إحسان .

وعاقبة عصيانه إنه الخلود في قعر النيران وإن عظّمته لا تدانيها عظمة سلطان ومع ذلك يترك الأقبال عليه ويعرض له الدهول عنه لخواطر دنيوية ووساوس غير نافعة ولا مرضية حتى لا يشعر بمعاني ما يتلوه في صلاته ولا يعقل ما المطلوب بها ويسهو عن أركانها وأذكارها هذا مما تحار فيه العقول .

ولعل السبيل إلى ذلك هو التحفظ عن تلك الشواغل في حالة الصلاة التي هي عماد الدين والفارقة بين الكفرة والمؤمنين التي فرضها الله ليتطهر بها عباده عما اقترفوه فيما بين أوقاتها من الذنوب ويغسلوا بها أبدانهم وأرواحهم عن ذرّ الحُوب .

كما يشعرُ به قوله ﷺ « مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرِ جَارٍ يَمُرُّ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَاتٍ . وَفِي رِوَايَةٍ فَمَاذَا تَرَوْنَ أَيْبَقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ بَعْدَ ذَلِكَ » .
 والمهم أن يَصْرِفَ الْعَبْدُ ذَهْنَهُ إِلَى أَنْ قِيَامَهُ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ
 إِنَّمَا هُوَ لِحَطَابِ مَلِكِ الْمَلُوكِ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْحَيَاءِ مِنْهُ
 فِي أَحْوَالِهِ السَّابِقَةِ وَلِيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَفْوَ وَالْمَسَامِحَةَ وَالْإِحْسَانَ وَالْأَدَاءَ مَا
 كَلَّفَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ .

[فـصـل]

ذكر ابن كثير رحمه الله أن أحد العلماء حضر مجلس مُبتدع وهو يتكلم على الناس فلما نام قال : رأيتُ رَبَّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ فِي اللَّيْلَةِ .

وهو يقول لي وَقَفْتَ عَلَى مُبْتَدِعٍ وَسَمِعْتَ كَلَامَهُ لِأَحْرَمَنَّكَ
 النَّظَرَ فِي الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ لَا يُبْصِرُ وَعَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَانِ كَأَنَّهُ بَصِيرٌ أَهـ .
 قطاع الطريق على أرباب السلوك اربعة :
 مُبْتَدِعٌ يُزِيغُكَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
 وفاسقٌ يُجْرِّؤُكَ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ .

غَافِلٌ يُنْسِيكَ صُحْبَةَ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَافِرٌ يَصُدِّدُكَ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ .
 إِذَا مَا عَزَمْتَ السَّيْرَ فِي نَيْلِ مَتَجَرٍ يَكُونُ لَهُ مِنْ صَفْقَةِ الرَّبْحِ حَاصِلٌ
 فَارْتَعَةٌ لَا تَسْلُكُنَّ سَبِيلَهُمْ كَفُورٌ وَبِدْعِيٌّ وَعَاصِرٌ وَغَافِلٌ
 أَخْر :
 إِذَا أَثْقَلْتِكَ السَّيِّئَاتُ بِحِمْلِهَا وَأَوْقَعَكَ الشَّيْطَانُ فِيهَا بِجُهِدِهِ
 وَلَحَّتْ عَلَيْكَ النَّفْسُ فِي شَهَوَاتِهَا وَصَرَّتْ لَهَا شَبَهُ الْأَسِيرِ بِقَيْدِهِ
 وَضَاقَ عَلَيْكَ الرَّزْقُ فِي كُلِّ مَدْخَلٍ وَلَمْ تَلَقْ ذَا رَفْدٍ يُجُودُ بِرَفْدِهِ
 وَأَمْسَيْتَ ذَا دَيْنٍ وَفَقْرٍ وَغُرْبَةٍ وَهَمٌّ وَغَمٌّ قَدْ أَحَاطَا بِجُنْدِهِ

وَأَحْضَرْتَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَلَى
 وَفَكَّرْتُ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَا حَتَوَى
 وَخِفْتُ مِنَ النَّارِ الَّتِي مَنْ ثَوَى بِهَا
 هُنَالِكَ فَارْفَعَ قِصَّةَ الْحَالِ ثُمَّ قَفَّ
 وَقُلَّ يَا كَرِيمُ أَنْظِرْ إِلَى حَالِ عَاجِزِ
 خَزَائِنُهُ فِيهَا الْمَطَالِبُ كُلُّهَا
 وَصَلَى عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدَ
 بِقَلْبِكَ حَتَّى ضِغْتَ صَدْرًا بَرْدَهُ
 عَلَيْهِ مِنَ الْهَوْلِ الشَّدِيدِ وَإِدَّهُ
 فَذَاكَ مِنَ الْخَيْرَاتِ آخِرُ عَهْدِهِ
 عَلَى بَابِ مَوْلى سَامِعِ صَوْتِ عَبْدِهِ
 فَقِيرِ عَمَى لَا يَهْتَدِي طُرُقَ رُشْدِهِ
 تَوَكَّلْ عَلَيْهِ ثُمَّ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ
 وَأَصْحَابِهِ وَالْمُهْتَدِينَ بِهْتَدِيهِ

[فِصْل]

قيل إنه زر حاتم الأصم محمد بن مقاتل قاضي الري فلما
 وصل إلى الباب فإذا بابٌ مشرف فبقى حاتم متفكراً يقول : عالمٌ
 على هذا الحال .

ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دارٌ قوراء (أي مزخرفة) وإذا بزة
 وسعة وستورٌ وبدخٌ فبقى حاتم متفكراً .

ثم دخلوا إلى المجلس الذي فيه القاضي فإذا لفرشٌ وطبئةٌ
 (أي لينة جميلة) وإذا هوراقد عليها وعند رأسه غلامه بيده مذبة .

فتقدم التاجر الذي عند القاضي يسأله عن حاله وحاتم
 واقفٌ فأوماً القاضي محمد بن مقاتل إلى حاتم أن اقعد وقال له :
 لعلَّ لك حاجة .

قال حاتم : نعم ، قال القاضي : وما هي ؟ قال : مسألةٌ
 في العلم أسألك عنها ، قال : سلني ، قال : فقم واستوى جالساً
 حتى أسألكها فأمر غلامه فأسندوه .

فقال حاتم : علمك هذا من أين جئت به . قال الثقة
 حدثوني قال : عن من ، قال : عن أصحاب رسول الله ﷺ .

قال : وأصحاب رسول الله ﷺ عمَّن ؟

قال : عن رسول الله ﷺ ، قال : ورسول الله ﷺ من أين جاء به ؟

قال : من عند الله بإملاء جبريل عليه السلام .
قال : أفيا آتاه جبريل عن الله وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأداه الصحابة الثقة إليك .
فهل سمعت في العلم المؤدى إليك أن من كان في داره كأنه أميراً في إمارته وحوله الأثاث والرياش تكون له المنزلة عند الله أكثر ؟ قال : لا .

قال حاتم : فكيف سمعت ؟ قال : من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم من دنياه لآخرته كان له عند الله من المنزلة أكثر .

قال : نعم ، قال حاتم الأصم : فأنت بمن اقتديت في ذلك أبا النبي ﷺ وأصحابه أو بصالحى تلك الأمة .
أم بفرعون والنمرود فقال : رجعنا إلى الله وتبنا إليه .
فقال حاتم : غفر الله لي ولك وعفا عني وعنك .

فبلغ أهل الري ما جرى بين حاتم الأصم وابن مقاتل وقالوا بقزوين أكثر من هذا الاسراف وأشاروا به إلى الطنافسي فسار إليه حاتم فدخل عليه فقال : رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني أول مبدء ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة .
قال : نعم يا غلام هات ماءً فقعد الطنافسي وتوضأ ثلاثاً ثم قال هكذا توضأ .

قال حاتم : مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فتوضأ حاتم ثم غسل الذراعين أربع مرات .
قال له الطنافسي : أسرفت يا هذا ، قال له حاتم : في أي

شىءٍ أَسْرَفْتَ ؟ قال : غَسَلْتَ ذِرَاعَكَ أَرْبَعًا .
 قال جاتم : سبحان الله أنا في كَفِّ مِنْ مَاءٍ أَسْرَفْتُ وَأَنْتَ
 يَاهَذَا فِي بَدْخِكَ فِي هَذَا الْجَمْعِ لَمْ تَسْرِف .
 فَعَرَفَ الطَّنَافِيسِي أَنَّهُ أَرَادَهُ بِذَلِكَ وَلَمْ يُرِدْ مِنْهُ التَّعَلُّمَ فَدَخَلَ
 الْبَيْتَ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .
 فَالْعَالِمُ إِذَا خَالَفَ عِلْمَهُ عَمَلُهُ وَكَذَّبَ قَوْلُهُ فِعْلُهُ كَانَ مَمْقُوتًا فِي
 الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ يُضِلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ .
 وَإِذَا أَمْرٌ بغير ما يعمل مجت الأسباعُ كَلَامُهُ وَقَلَّتْ عِنْدَ النَّاسِ
 مَهَابَتُهُ وَزَلَّتْ مِنَ الْقُلُوبِ مَوْعِظَتُهُ وَمَكَانَتُهُ .
 كما قال مالك بن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه تَزَلُّ
 مَوْعِظَتُهُ مِنَ الْقُلُوبِ كما يَزَلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصِّفَاةِ .
 وَحَكَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : يَنْظُرُ
 أَحَدَكُمْ إِلَى الشَّرْطِيِّ فَيَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْهُ .
 وَيَنْظُرُ إِلَى عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الْمُتَصَنِّعِينَ لِلخَلْقِ الْمُتَشَوِّقِينَ إِلَى
 الرِّيَاسَةِ فَلَا يَمَقُّتُهُمْ هَذَا أَحَقُّ بِالْمَقْتِ مِنْ هَذَا الشَّرْطِيِّ .
 قِيلَ إِنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ قُحْطٌ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فَأَمَرَ الْمَلِكُ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِي الْقَاضِي مَنذِرَ الْبَلُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَسْقَى
 لِلنَّاسِ .
 فَلَمَّا جَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ مَعَ الْبَرِيدِ قَالَ لِلرَّسُولِ : كَيْفَ تَرَكْتِ
 الْمَلِكُ ؟ فَقَالَ : تَرَكَتُهُ أَخْشَعَ مَا يَكُونُ وَأَكْثَرَ دُعَاءٍ وَتَضَرَعًا .
 فَقَالَ الْقَاضِي : سُقَيْتُمْ وَاللَّهِ إِذَا خَشَعَ جِبَارُ الْأَرْضِ رَحِمَ
 جِبَّارَ السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ لَغَلَامِهِ : نَادِ فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ فَجَاءَ النَّاسُ إِلَى
 مَحَلِّ الْاسْتِسْقَاءِ وَجَاءَ الْقَاضِي مُنذِرُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ
 إِلَيْهِ وَيَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ .

فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به قال « سلام عليك
 كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم
 تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .
 ثم أعادها مراراً فأخذ الناس في البكاء والنحيب والدُّعاء
 والتضرع والتَّوْبَةَ والإِنَابَةَ والاستغفار فلم يزالوا كذلك حتى سُقُوا
 ورجعوا يَخُوضُونَ الماء بأرجلهم .
 اللهم هب لنا ما وهبته لعبادك الأخيار وأنظمننا في سلك
 المقربين والأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
 النار وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فـصـل]

قال العلماء رحمهم الله : أمهاتُ المعاملة : التوبة ،
 والعبودية والزهد ، والاستقامة ، وتَمَامُ هذه الأربع بأربعة :
 إقلال الطعام ، وإقلال الكلام إلا بذكر الله وما ولاه ،
 وإقلال النوم ، لأن الأعمال تَنْقَطِعُ به ، والعُزلة عن الناس إلا لما
 لأبْدٍ مِنْهُ .

فإنه أَصْوَنُ لدينه وعرضه ، الأولى : مُعاملةُ النفس وذلك
 بمنعها هواها وإذلالها ، ورد جماحها بالطاعة ، وكسرها ، فإنها في
 الحقيقة أكبر الأعداء .

وذلك بأن ينظر في القلب فيطهره من الأخلاق المدمومة
 كالرياء ، والسُّمعةِ ، والحسد ، والكبر ، والعُجب ، والبُخل ،
 والحِرص ، والطَّمع ، والمكر ، والخديعة ، والنفاق ، والغش ،
 وحُبُّ المدح ، والثناء .
 ويُطَهِّرُ لِسَانَهُ وجميع أعضائه عن الغيبةِ ، والنميمة ،

والسَعَايَةِ ، وَالسُّخْرِيَّةَ ، وَالاسْتِهْزَاءَ ، وَالْكَذِبَ ، وَالْبَهْتَ ،
وَالْوُلُوعَ بِالشَّهَوَاتِ ، وَمَحَبَّةَ الدُّنْيَا وَالْغَفْلَةَ عَنِ الْآخِرَةِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ
مِنْ غَرَائِزِهِ الْمَذْمُومَةِ .

وَيَغْرَسَ فِي قَلْبِهِ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ ، وَالتَّوَاضُعَ ، وَالنَّصِيحَةَ ،
وَالْحِلْمَ ، وَالشَّفِيقَةَ ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ ، وَالصَّبْرَ وَاعْتِمَادَ الشُّكْرِ ،
وَالسَّخَاءَ ، وَمَحَبَّةَ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا .

وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا الْحَرَامِ ، وَيُنْظِرُ فِي حُلِّ
مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ تَصَرُّفِهِ .

وَلَا يَطِيعُ نَفْسَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَوَاهَا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
وَتَقَدَّسَ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيُنَادِ
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

الثانية : معاملة الله جل وعلا وهي الالتجاء إليه والتوكل
عليه ورؤية أن لا سواه وأن العمل خالصاً له .

وليحذر أن يفقده حيث أمره أو يراه حيث نهاه ويثق به غاية
الثقة لا بغيره فمن عامله جل وعلا ربح وأفلح ورشد ونجح
وأصلح .

الثالثة : معاملة عدو الله الشيطان الرجيم وذلك بأن يبني
على أنه عدوه اللدود فلا يطيعه أبداً ويستشعر أنه يأتيه من طرق
كثيرة .

فعليه أن يتنبه له ويحذره أشد الحذر فإن له حيلاً ومكراً وخداعاً
قل من يسلم منها فإذا خطر بقلبه ما لم يعلم أنه منه عرضه على
الشرعية المطهرة .

ثم تثبت وتأنى واستخار الله سبحانه وتعالى وتعوذ بالله من
كيدته ومكره وسأل الله أن يكشف له ما لتبس عليه .

وذكر ابن القيم رحمه الله أن من كيده العجيب أنه يُشام
النفْسَ حتى يَعْلَم أَيَّ الْقُوَّتَيْنِ تَغْلِبُ عَلَيْهِ قُوَّةُ الْإِقْدَامِ وَالشَّجَاعَةِ
أَمْ قُوَّةُ الْإِنْكَفَافِ وَالْإِحْجَامِ وَالْمَهَانَةِ .

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تَبْيِطِهِ
وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه فهون عليه تركه
جَمَلَةً أَوْ يَقْصِرُ فِيهِ وَيْتَهَاوَنُ بِهِ .

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يُقَلِّلُ
عنده المأمور ويُوْهِمُهُ أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِ وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى مُبَالِغَةٍ وَزِيَادَةٍ
يَنْقُصُ بِالْأَوَّلِ وَيَتَجَاوَزُ بِالثَّانِي .

كما قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان
فيه نَزْعَتَانِ ، إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وعلو ، ولا
يُبَالِي بِأَيِّهَا ظَفَرَ .

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقلَّ القليل في هذين الواديين ،
وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي .

والقليل منهم جدًّا الثابت على الصراط المستقيم الذي كان
عليه النبي ﷺ وأصحابه .

فقومٌ قَصَّرَ بِهِمْ عَنْ وَاجِبَاتِ الطَّهَارَةِ .

وقومٌ تَجَاوَزَ بِهِمْ إِلَى مُجَاوِزَةِ الْحُدِّ بِالْوَسْوَسِ .

وقومٌ قَصَّرَ بِهِمْ عَنْ إِخْرَاجِ الْوَاجِبِ مِنَ الْمَالِ .

وقومٌ تَجَاوَزَ بِهِمْ حَتَّى أَخْرَجُوا جَمِيعَ مَا بِأَيْدِيهِمْ .

وقومٌ قَصَّرَ بِهِمْ حَتَّى عَنْ تَنَاوُلِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ

وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ حَتَّى أَضْرَوْا بِأَبْدَانِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ .

وقومٌ تَجَاوَزَ بِهِمْ حَتَّى أَخَذُوا فَوْقَ الْحَاجَةِ فَأَضْرَوْا بِقُلُوبِهِمْ

وَأَبْدَانِهِمْ .

وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرِثَتِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُمْ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى عَبْدُوهُمْ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ فِي خُلُطَةِ النَّاسِ حَتَّى اعْتَزَلُوهُمْ فِي الطَّاعَاتِ
 كَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالْجِهَادِ وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ .
 وَتَجَاوَزَ بِقَوْمٍ حَتَّى خَالَطُوهُمْ فِي الظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي وَالْآثَامِ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى امْتَنَعُوا مِنْ ذَبْحِ عَصْفُورٍ أَوْ شَاةٍ لِيَأْكُلَهُ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى جَرَّأَهُمْ عَلَى الدَّمَاءِ الْمُعْصُومَةِ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنَ الاِشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى جَعَلُوا الْعِلْمَ وَحْدَهُ هُوَ غَايَتِهِمْ دُونَ
 الْعَمَلِ بِهِ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى أَطْعَمَهُمْ مِنَ الْعُشْبِ وَنَبَاتِ الْبَرِيَةِ دُونَ
 غِذَاءِ بَنِي آدَمَ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى أَطْعَمَهُمُ الْحَرَامَ الْخَالِصَ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى زَيْنَ لَهُمْ تَرْكُ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النِّكَاحِ
 فَرَغَبُوا عَنْهُ بِالْكَلِيَةِ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى ارْتَكَبُوا مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْحَرَامِ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى جَفَّوْا الشُّيُوخَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ
 وَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ وَلَمْ يَقُومُوا بِحَقِّهِمْ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى عَبْدُوهُمْ مَعَ اللَّهِ .
 وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى مَنَعَهُمْ قَبُولَ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ .
 وَتَجَاوَزَ بِآخَرِينَ حَتَّى جَعَلُوا الْحَلَالَ مَا حَلَّلُوهُ وَالْحَرَامَ مَا
 حَرَّمُوهُ وَقَدَّمُوا أَقْوَالَهُمْ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّحِيحَةِ
 الصَّرِيحَةِ .
 وَعَدَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً يَطُولُ ذِكْرُهَا إِقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ
 بَعْضِهَا .

الرابعة : معاملة الدنيا والضابط لذلك أن كل ما لا نفع فيه في الآخرة فهو دنيوي وما فيه نفع في الآخرة فأخروي .
ومعاملة الدنيا أن يعرف الانسان أن لا راحة فيها فلا يطلبها ولا يتعلق قلبه بالتنعم والترفة والرياسة فيها وليس له منها كفاية .
فليطلب منها ما يطلب المسافر وهو ما يبلغه منزله ولا يتم إلا بالبناء على قُرب الأجل وترقُب هادم اللذات فإنه من أطال الأمل أساء العمل .

إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامٌ	مَا زُخْرَفُ الدُّنْيَا وَزُبْرُجُ أَهْلِهَا
وَلتَمْضِينَ كَمَا مَضَى الأَقْوَامُ	وَلرَّبُّ أَقْوَامٍ مَضُوا لِسَبِيلِهِمْ
أَمسى عليه مِنَ التُّرابِ رُكَامٌ	وَلرَّبُّ ذِي فَرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
تَلَهُوا وَتَلَعَبُ بِالْمَنَى وَتَنَامُ	وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ
وعلى الفناءِ تُدِيرُهُ الأَيَّامُ	كُلُّ يَدُورُ عَلَى البَقَاءِ مُؤَمَّلًا
مَلِكًا تَقَطُّعُ دُونَهُ الأَوْهَامُ	وَالدَّائِمُ المَلَكُوتُ رَبٌّ لَمْ يَزَلْ
أبدًا وليس لما سِوَاهُ دَوَامُ	فالحمدُ لله الذي هُوَ دَائِمٌ

الخامسة : معاملة الخلق وقد عظمت البلوى بهم فإن لهم حقوقاً ومنهم وبسببهم تنشأ أكثر الشرور فليقم بحقوقهم ويتسامح عن حقوقه ما أمكن .

وليبتعد عنهم ما أمكن إن صلحت له العزلة وإن لم تصلح فليجالس من فيه خير وصلاح .
فجليس الخير خير من الوحدة والوحدة خير من جليس
السوء .

ويحب لأخوانه المسلمين ما يحب لنفسه .
ويكره لهم ما يكره لنفسه وتكون محبته في الله ومولاته
ومعاداته كذلك .

ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بقدر طاقته ويملك نفسه عند الشهوة والغضب .

ولا يعجل في شيء من الأمور فيخطي إلا ما يستحسن فيه المبادرة ولا يتوانى فتبطل .

ولا يداهن على المعصية ولا يخل بالمداراة الجائزة عند خوف الضرر .

وليحسن الظن بهم ما أمكنه وينظر إلى من فوقه في الدين فيقتدي به .

وينظر إلى من دونه في الدنيا فيأمن الأزدياء والاحتقار لنعيم الله عليه .

ويكثر من حمد الله وشكره على أن فضله على غيره .
وبالجمللة فما عرف رشده اتبعه ، وما عرف قبحة اجتنبه ،
وما أشكل عليه والتبس توقف فيه واجتهد في معرفته وسأل الله تعالى أن يدلّه على ما فيه الخير والصلاح

[فوائد وقصص ومواعظ مُنَوَّعة]

قال بعضهم : ما زاولت شيئاً أيسرَ من الورع إذا رأيت شيئاً تركته .

أوصى أنس بن مالك أن يغسله محمد بن سيرين فلما مات أنس قيل لمحمد بن سيرين .

فقال : أنا محبوس في السجن ، قالوا : استأذنا الأمير فأذن لك ، قال : إن الأمير لم يحبسني إنما حبسني الذي له عليّ الحق .

عن إبراهيم عن علقمة قال : خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة ومعضد غازين فلما بلغنا ماء سندان وأميرها عتبة بن فرقد .

قال لنا ابنه عمرو بن عتبة : إنكم إن نزلتم عليه صنع لكم
نُزلاً ولعله يظلم فيه أحداً ولكن إن شئتم قلنا في ظل هذه الشجرة
فأكلنا كسرتنا (أي كسر خبز يابس) ثم رجعنا ففعلنا .

عن الحسن قال : كان عطاء سلمان الفارسي خمسة آلاف
وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين وكان يخطب الناس
في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها فإذا خرج عطاؤه أمضاه
(أي تصدق به) ويأكل من شغل يديه . لله دره من رقم (١) في الورع

والزهد . عن وهب بن كيسان قال : مر رجل برجل يتصدق على
المساكين فقال أبو همام : شريك درهم أصيبه بكدي يعرق به جبيني
أحب إلى من صدقة هؤلاء مائة ألف ومائة ألف .

قيل لأبي عبد الله : ما تقول فيمن بنى سوقاً وحشر الناس
إليها غضباً ليكون البيع والشراء بها ترى أن يشتري منها فقال :
يجد موضعاً غيره وكره الشراء منها ، تأمل يا أخي هذا الورع لله
درهم . على هذا التدقيق ما أكثر هذه المواضع المشبهة .

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجْلِ الْمَحْتَمِ يَقْطَعُهُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْبِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةَ وَالْأَمَالَ تَحْدَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهَا وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَوْتَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يَشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دَرَاهِمِهِ وَلَيْسَ يَشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضْيِعُهُ
وَأَسْوَأَ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَتِهِ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمَرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[ذكر نموذج من أكاذيب القصاص للتحذير]

ذكر ابن الجوزي في كتاب الموضوعات قال : صلى الإمام

أحمد ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص .
فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا : حدثنا
عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ
«من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيراً منقاره من
ذهب وريشه من مرجان وأخذ في قصه نحواً من عشرين ورقة .
فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ويحيى ينظر
إلى أحمد فقال له : أنت حدثت بهذا ، فقال : والله ما سمعت بهذا
إلا هذه الساعة .

فلما فرغ من قصصه قال له يحيى بن معين بيده تعال فجاء
مُتَوَهِّمًا لنوال (أي يظن أنه يُعْطِيهِ شَيْئًا) فقال له يحيى بن معين :
من حَدَّثَكَ بهذا الحديث .

فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فقال : أنا يحيى بن
معين ، وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول
الله ﷺ فإن كان لأبَدٍ والكذب فعلى غيرنا .

فقال له : أنت يحيى بن معين ، قال : نعم ، قال : لم أزل
أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققتُه إلا الساعة ، فقال يحيى :
كيف علمت أني أحمق ؟

قال : كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل
غيركما قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .
فَوَضَعَ أحمد كُمَّهُ على وجهه وقال : دعه يقوم فقام
كالْمُسْتَهْزِئِ بهما .

وفي الحوادث والبدع للطُّرْبُوشِي لما دخل سليمان بن مهران
الأعمش البصرة نظر إلى قاصِّ يَقْصُ في المسجد .

فقال : حدثنا الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي وائل
فتوسَّط الأعمشُ الحَلَقَةَ وجَعَلَ يَنْتَفُ شَعْرَ إِبْطِهِ .
فقال له القاصُّ : يا شيخُ ألا تستحي نحنُ في عِلْمٍ وأنت
تفعلُ مثل هذا .

فقال الأعمش : الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه .
قال : كيفَ ، قال لأنني في سُنَّةٍ وأنت في كذبٍ أنا الأعمشُ
وما حَدَّثْتُكَ مما تقول شيئاً .

[موعظة]

قال ابن القيم رحمه الله : الفرحُ بالمعصيةِ دليلٌ على شدةِ
الرَّغْبَةِ فيها والجهلُ بقدر من عصاه ، وهو الله جل جلاله .
ثانياً : الجهلُ بسوء عاقبتها وعظم خَطرها .
فَفَرَحُهُ بها غطى عليه ذلك كله وفرحُه بها أشد ضرراً عليه
من مُواقَعَتِهَا .

والمؤمن لا تتم له لذةٌ بمعصية أبداً ولا يكملُ بها فَرَحُهُ بل
لا يُباشِرُهَا إلا والحُزنُ مُخالطٌ لقلبه .
ولكن سُكْرُ الشهوةِ يَحْجِبُهُ عن الشعور به ومَتَى خَلِيَ قلبه من
هذا الحُزنِ واشتدت غِبْطَتُهُ وسروره فليتهم إيمانُهُ وليبكِ على مَوْتِ
قلبه .

فإنه لو كان حياً لأحزَنَهُ إرتكابُ الذنبِ وغاضَهُ وصَعَبَ عليه
ولا يُحسُّ القلبُ بذلك فحيثُ لم يُحسَّ به فما جُرحَ بِمَيِّتِ إيلام .
وهذه النكتهُ في الذنبِ قلٌّ مَنْ يَهْتَدِي إليها أو يَتَنَبَّهُ لها وهي
مَوْضِعُ نَحْوَفٍ جِدًّا مُتْرَامٍ إلى الهلاكِ إنْ لَمْ يَتَدْرَكَ بثلاثةِ أشياء .

خوفٍ من الموافاةِ عليه قبل التوبة ، وندمٍ على ما فاته من
الله بمُخالفتهِ أمره ، وتشميرٍ للجدد في استدراكه .

خليلي ودَّعْتُ التَّصَابِيَّ وَقَوَّضْتُ
وَأَذِنَ صُبْحُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ لَمْتِي
وَبَاعَدَ مَنْ كُنَّا نَسْرُ بِقُرْبِهِ
رَجَالٌ وَأَوْقَاتٌ وَشَرُخُ شَبِيبَةٍ
فَقُلْ مَا تَشَاءُ فِي مُهْجَةٍ قَدْ تَصَدَّعَتْ
جَعَلْتُ سَمِيرِي حِينَ عَزَّ مُسَامِرِي
فَطَوْرًا أَنَا جِي كُلُّ حَبْرٍ مُوَفَّقِي
مَارَبُ لِي فِي رَيْعِهِ وَمَوَاقِفُ
فَفِئْتُ وَلَكِنِّي عَلَى اللَّيْلِ آسِفُ
وَأَخْرُ مَطْوِيٍّ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
مَضَوْا وَزَمَانٌ بِالْحَبِيبِ مُسَاعِفُ
بَلْوَعَةٌ مَوْتُورٍ بَمَا أَنَا وَاصِفُ
دَفَاتِرٌ أَمَلَتْهَا الْقُرُونُ السَّوَالِفُ
إِذَا مَا دَعَا لَبَّتْ دُعَاهُ الْمَعَارِفُ

مجالسة العارف الزاهد تدعو من ست إلى ست .

من الشك إلى اليقين .

ومن الرياء إلى الاخلاص .

ومن الغفلة إلى الذكر .

ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة .

ومن الكبر إلى التواضع .

ومن سوء الطوية إلى النصيحة .

الأفضل في أوقات السحر الاشتغال بقراءة القرآن والصلاة

والاستغفار .

وفي وقت الأذان إجابة المؤذن والدعاء .

وفي وقت الصلوات الخمس الاستعداد لها والجد والاجتهاد

والحرص على طرد الأفكار الصادة عن تأمل معاني الآيات

والتسبيح .

والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه ، والمبادرة إلى تأديتها

في أول وقتها والخروج إلى الجامع وإن بُعد كان أفضل لكثرة الخطأ .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالمال أو الجاه أو البدن ، الاشتغال بمساعدته وإغاثته .

والأفضل في وقت قراءة القرآن الحرص على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبه به ، ويعزم على تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

والأفضل في عشر ذو الحجة الاجتهاد والحرص على الاكثار من الأعمال الصالحة والدعاء والتضرع والاكثار من قراءة القرآن وذكر الله .

والأفضل في الوقوف بعرفة الاجتهاد في الدعاء والتضرع والاكثار من قول لا إله إلا الله .

والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المساجد والخلوة والاعتكاف وتلاوة القرآن .

والاكثار من الباقيات الصالحات والحرص على إخراج الزكاة في هذا الشهر المبارك وإفطار الصوام .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشيعه وتقديم ذلك على خلواتك وجمعيّتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاعة الناس له أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم .

فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه .

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه واعتزالهم في الشر أفضل فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم .

قلت وفي زمننا هذا ترجح العزلة لفشو المنكرات وكثرتها

وموت الغيرة الدينية عند الكثير هذا فيما يترجح عندي والله أعلم
لأنه كما قال العلماء من اتصل بالخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه
واستثقلوه واغتأبوه ويذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في
الانتقام منهم ومُسَارَقَةُ الطَّبَعِ مَنْ أَخْلَقَهُمُ الرِّدِيَّةُ .
وهو ذاء ذفين قلماً ينتبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين .
وذلك أنه قل أن يجالس الانسان فاسقاً مدةً مع كونه منكراً
عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقاً في
النفور عن الفساد .

لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هيئاً على الطبع ويسقط وقعه
واستعظامه .

ومهما طالت مدة الانسان إذا لاحظ أحوال السلف في الزهد
والتعبد احتقر نفسه واستصغر عبادته .
فيكون ذلك داعية إلى التشمير والجد والاجتهاد في الطاعات
والابتعاد عن المنكرات .

ومما يدل على سقوط وقع الشيء بسبب تكرره ومُشَاهَدَتِهِ أَنْ
أكثر الناس إذا رأوا مسلماً قد أفطر في رمضان استعظموا ذلك حتى
يكاد أن يفضي إلى اعتقادهم فيه الكفر .
وقد يشاهدون من يؤخر الصلاة عن أوقاتها فلا ينفرون عنه
نفورهم عن تأخير الصوم ولا سبب لذلك إلا أن الصلاة تتكرر
والتساهل فيها يكثر .

وكذلك لو لبس الفقيه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب
لاشدد إنكار الناس لذلك .
وقد يشاهدونه يغتاب فلا يستعظمون ذلك والغيبة أشد من
لبس الحرير .

ولكن لكثرة سماعها ومُشاهدة المُغتَابين سَقَطَ عن القلوب
وقعُها .

إذا أَلِفَ الشَّيْءُ اسْتَهَانَ بِهِ الْفَتَى فَلَمْ يَرَهُ بُؤْسًا يُعَدُّ وَلَا نُعْمًا
كَإِنْفَاقِهِ مِنْ عُمُرِهِ وَمَسَاغِيهِ مِنْ الرِّيقِ عَذْبًا لَا يُحْسُّ لَهُ طَعْمًا
فَالْحَذِرُ الْحَذِرُ مِنَ الْإِتِّصَالِ بِالنَّاسِ وَمَجَالِسَتِهِمْ إِلَّا فِيهَا
يَنْفَعُكَ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَزِيدُ فِي حِرْصِكَ
عَلَى الدُّنْيَا وَفِي غَفْلَتِكَ عَنِ الْآخِرَةِ .

وتَهْوَنُ عَلَيْكَ الْمَعَاصِي وَتَضَعُفُ رَغْبَتُكَ فِي الطَّاعَاتِ لِأَنَّ
مُخَالَطَةَ الْكَثِيرِ الْيَوْمِ ضَرَرٌ وَإِنْ وَجَدْتَ أَنَاثًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَلَا تَفَارِقْهُمْ
لِقَاءَ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَأَقِلُّ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ
قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : مُفْسِدَاتُ الْقَلْبِ خَمْسَةٌ :
الْخُلْطَةُ وَالتَّمَنِّيُّ ، وَالتَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللَّهِ ، وَالشَّبَعُ ، وَالنَّوْمُ .
وَالضَّابِطُ النَّافِعُ فِي أَمْرِ الْخُلْطَةِ أَنْ يَخَالَطَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ ،
كَالْجُمُعَةِ ، وَالْجَمَاعَةِ ، وَالْأَعْيَادِ ، وَالْحَجِّ ، وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ،
وَالْجِهَادِ ، وَالنَّصِيحَةَ ، وَيَعْتَزُّ لَهُمْ فِي الشَّرِّ .

قلت ومن الشر مجامع الكورة والتلفزيون والفيديو
والتمثيليات واللعب بالسورق ومجالس شرب الخمر والدخان
والحفلات التي تحتوي على التصوير والإسراف والاختلاط بالنساء
الأجانب .

قال رحمه الله تعالى : وفضول المباحات فإذا دعت الحاجةُ
إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه إعتزالهم .

فالحذر الحذر أن يوافقهم ، وليصبر على أذاهم ، فإنهم لا بُدَّ
أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر .

ولكن أذى يَعْقِبُهُ عِزٌّ وَمَحَبَّةٌ لَهُ وَتَعْظِيمٌ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَالصَّبْرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةٌ وَأُحْمَدُ مَالًا .

وإن دعت الحاجةُ إلى خُلُطِهم في فضول المباحات ، فليجتهد أن يقلبَ ذلك المجلس طاعةً لله إن أمكنه ، ويشججُ نفسه ويقوي قلبه .

ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك ، بأن هذا رياء ، ومحبة لإظهار علمك ، وحالك ، ونحو ذلك .

فليُحَارَبْهُ وَلِيَسْتَعِنَ بِاللَّهِ ، وَيُؤَثِّرَ فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَمَكَهُ .
فإن أعجزته المقاديرُ عن ذلك ، فليُسلِّ قلبه من بينهم ، وليكن فيهم حاضراً غائباً بعيداً نائماً يقظان ينظر إليهم ولا يبصرهم ، ويسمع كلامهم ولا يعينه ، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورفق به إلى الملاء الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية وما أصعب هذا وأشقاه على النفوس وإنه ليسير على من يسره الله عليه .

فبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى ويُدِيمَ اللِّجَاءَ إِلَيْهِ وَيُلْقِي نَفْسَهُ عَلَى بَابِهِ طَرِيحاً ذَلِيلًا .

ولا يُعِينُ عَلَى هَذَا إِلَّا مَحَبَّةٌ صَادِقَةٌ وَالذِّكْرُ الدَّائِمُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَتَجَنُّبُ الْمُفْسَدَاتِ .

وقال : كُلُّ عِلْمٍ صَحْبُهُ عَمَلٌ يُرْضِي اللَّهَ فَهُوَ مِنْهُ وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ .

وكلُّ قوةٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ صحبها تنفيذٌ لمرضاتِ الله وأوامره فهي مِنْهُ وَإِلَّا فَهِيَ حُجَّةٌ .

وكُلُّ ما اقترنَ به إنفاقٌ في سبيلِ الله وطاعته لا لطلبِ الجزاءِ
ولا الشكرِ فهو مِنَّةٌ من الله وإلا فهو حجةٌ .
وكُلُّ فراغٍ اقترنَ به اشتغالٌ بما يُريدُ الربُّ من عبده فهو مِنَّةٌ
عليه وإلا فهو حجةٌ .
وكُلُّ قبولٍ في الناسِ وتَعْظيمٍ ومَحَبَّةٍ لَهُ اتصلَ به خُضُوعٌ
للربِّ وذلٌّ وانكسارٌ ومعرفةٌ بعيبِ النفسِ والعملِ ، وبذِ النَّصِيحَةِ
للخلقِ فهو مِنَّةٌ ، وإلا فهو حجةٌ .
وكُلُّ بصيرةٍ ، وموعظةٍ ، وتذكيرٍ ، وتعريفٍ من تعريفاتِ
الحقِّ ، إلى العبدِ اتصلَ به عبرةٌ ومزيدٌ في العقلِ ومعرفةٌ في الأيمانِ
فهي مِنَّةٌ ، وإلا فهي حجةٌ .
وكُلُّ حالٍ مع الله تعالى أو مقامٍ إتصلَ به السيرُ إلى الله ،
وإيثارٌ مراده على مرادِ العبدِ فهو مِنَّةٌ من الله .
وإن صحبه الوقوفُ عنده والرضى به وإيثارُ مقتضاه من لذةِ
النفسِ به وطمأنينتها إليه وركونها إليه فهو حجةٌ من الله عليه .
فليتأملِ العبدُ هذا الموضوعَ العظيمَ الخطرَ ، ويميزَ بينِ
مواقعِ المِنَّةِ والمِحْنِ والحُججِ والنِّعمِ .
فما أكثرَ ما يلتبسُ ذلكَ على خواصِّ الناسِ وأربابِ السلوكِ
﴿والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾ .
وقال : وحاصلُ هذا كله أن الله سبحانه أمرُ العبادِ أن
يكونوا مع مراده الديني منهم .
لا مع مرادِ أنفسهم فأهلُ طاعته آثروا الله ومراده على
مُرَادِهِمْ فاستحقوا كرامته .
وأهلُ مَعْصِيَتِهِ آثروا مُرَادَهُمْ على مُراده وعلمَ سبحانه منهم

أنهم لا يؤثرون مراده البتة وإنما يؤثرون أهواءهم ومرادهم .
فأمرهم ونهاهم فظهر بأمره ونهيه من القدر الذي قَدَّرَ
عليهم من إثارةهم هوى نفوسهم ومرادهم على مرضاة ربهم ومراده
فقامت عليهم حُجَّةٌ عدله فعاقبهم بظلمهم .

قال : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في قول النبي
ﷺ « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا صورةٌ إذا كانت الملائكة
المخلوقون يمنعها الكلبُ والصورة عن دخول البيت .
فكيف تلج معرفة الله عز وجل ومحبته وجلالته وذكره والأنس
بقربه في قلب ممتلئٍ بكلابِ الشهواتِ وصُورِها فهذا من إشارة
اللفظ الصحيح .

ومن هذا أن طهارة الثوب والبدن إذا كانت شرطاً في صحة
الصلاة والاعتداد بها فإذا أحل بها كانت فاسدة .
فكيف إذا كان القلب نجساً ولم يطهره صاحبه ، فكيف
يعتد له بصلاة وإن أسقطت القضاء .

وهل الطهارة الظاهرة إلا تكميل لطهارة الباطن ، ومن هذا
أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب .
فتوجه المصلي إليها ببدنه وقالبه شرط ، فكيف تصح صلاة
من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن ، بل وَجَّهَ بَدَنَهُ إِلَى الْبَيْتِ
وَوَجَّهَ قَلْبَهُ إِلَى غَيْرِ رَبِّ الْبَيْتِ .

وأمثال ذلك من الاشارات التي لا تنال إلا بصفاء الباطن
وصحة البصيرة وحسن التأمل والله أعلم .

عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « ما من
مصل إلا ومملك عن يمينه ومملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها وإن
لم يتمها ضربا بها وَجَّهَهُ .

تصلي بلا قلب صلاة بمثلها
تظل وقد أتممتها غير عالم
فويلك تدرى من تناجيه مُعرضاً
تخاطبه إياك نَعْبُدُ مُقْبَلًا
ولو رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَةً
أما تُسْتَحِي مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ أَنْ يَرَى
إِلَهِي أَهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا
وقال ابن القيم رحمه الله : فَضِيحَةُ الْبَهْرَجِ تَبِينُ عِنْدَ
الْمَحَكِّ ، لَوْ أَبْصَرْتَ طَلَائِعَ الصَّدِيقِينَ فِي أَوَائِلِ الرُّكْبِ ، أَوْ
سَمِعْتَ اسْتِغَاثَةَ الْمُحِبِّينَ فِي وَسْطِ الرُّكْبِ ، أَوْ شَاهَدْتَ سَاقَةَ
الْمُسْتَغْفِرِينَ فِي آخِرِ الرُّكْبِ ، لَعَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ انْقَطَعْتَ تَحْتَ شَجَرَةِ
أَمِ غَيْلَانَ .

وَاحْسَرْتَاهُ لِمَنْقَطِعِ دُونَ الرُّكْبِ يَعُدُّ الْمَنَازِلَ إِلَى الرُّوْحِ فِي
الهُوِيِّ وَالتَّفْلِيسِ وَحَتَّامِ السَّعْيِ فِي صُحْبَةِ إِبْلِيسِ .
وَكَمْ بَهْرَجَةٍ فِي الْعَمَلِ وَتَدْلِيسِ أَيْنَ أَقْرَانِكَ هَل تَسْمَعُ لَهُمْ
مِنْ حَسِيْسٍ أَعْلَمْتَ أَنَّهُمْ اشْتَدَّ نَدْمُهُمْ وَحَسَرْتَهُمْ عَلَى إِثَارِ
الْحَسِيْسِ .

تالله لقد ودوا أن لو كانوا طلقوا الدنيا قبل المسيس .
أتلها بين باطية وزير
فيا من غره أمل طويل
أفرح والمنية كل يوم
هي الدنيا وإن سرتك يوماً
ستسلب كل ما جمعت فيها
وتعاض اليقين من التظني

وأنت من الهلاك على شفير
به يردى إلى أجل قصير
تريك مكان قبرك في القبور
فإن الحزن عاقبة السرور
كعارية ترد إلى معير
ودار الحق من دار الغرور

قيل إنه دَخَلَ أعرابيُّ على سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين إني مُكَلِّمُكَ بكلامٍ فاحْتَمِلْهُ وإن كرهتَهُ فإن وراءَهُ ما تُحِبُّ إن قَبِلْتَهُ .

قال : قُلْ ، قال : يا أمير المؤمنين إنه قد اُكْتَنَفَكَ رجالٌ إبتاعوا دُنْيَاكَ بدينهم ورضاك بسخطِ ربهم خافوك في الله ولم يخافوه فيك .

خَرَبُوا الآخرةَ وَعَمَّروا الدنيا فهم حَرَبٌ للآخرةِ سِلْمٌ للدُّنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانة تَضِيْعًا والأُمَّةَ خَسْفًا .

وأنتَ مَسْئُولٌ عما اجْتَرَحُوا وَلَيْسُوا بِمَسْئُولِينَ عما اجْتَرَحْتَ فلا تُصَلِّحْ دُنْيَاهُمْ بفسادِ آخِرَتِكَ فإنَّ أعْظَمَ الناسِ غَبْنًا بائعِ آخِرَتِهِ بدنيا غيره .

فقال سليمان : أما أنتَ فقد سَلَلْتَ لِسَانَكَ وهو أقطعُ من سَيْفِكَ .

فقال أجَلُ يا أمير المؤمنين لك لا عليك .

قال : فهل من حَاجَةٍ في ذاتِ نَفْسِكَ قال : أمَّا خاصَّةٌ دُونَ عَامَّةٍ فلا ثم قام فخرج ، لله دره هذا من رقم (٢) في الزهد .

فقال سليمان لله دره : ما أشرفَ أَصْلُهُ وأذْرَبَ لِسَانَهُ وأصْدَقَ نِيَّتَهُ وأرْوَعَ نَفْسَهُ هكذا فليكن الشرفُ والعقلُ .

ولما رأيتُ الشَّيْبَ حَلًّا بعارضِي	نذيرًا بترَّحالِ الشَّبَابِ المُفَارِقِ
رَجَعْتُ إلى نَفْسِي فَقُلْتُ لها أنظري	إلى ما أتى هذا ابتداءً الحَقَائِقِ
دَعَى لهواتِ اللُّهُو قد فاتَ وَقْتُهَا	كما قد أزالَ الليلُ نورَ المُشَارِقِ
دعي مَنزِلَ اللذاتِ ينزلُ أهْلُهُ	وجُدِّي لما تُدْعِي إليه وسابقي

دخَلَ عطاءُ بنَ أبي رباحٍ على هشامٍ فرحبَ به وقال ما
حَاجَتَكَ يا أبا محمدٍ وكانَ أشرفُ الناسِ يتحدَثونَ فسكَّتوا .
فذكَّرَه عطاءُ بأرزاقِ أهلِ الحَرَمينِ وعَطِيَّاتِهِم فقال : نعم يا
غلامِ اكْتُبْ لأهلِ المدينةِ وأهلِ مَكَّةَ بعطاءِ أرزاقِهِم .
ثم قال : يا أبا محمدٍ هل من حاجةٍ غيرِها فقال : نعم فذكَّرَهُ
بأهلِ الحِجازِ وأهلِ نجدِ وأهلِ الثغورِ ففعلَ مثلَ ذلكِ .
حتى ذكَّرَه بأهلِ الذمَّةِ أن لا يكلفُوا ما لا يُطيقونَ .
فأجابَه إلى ذلكِ ثم قال له في آخرِ ذلكِ هل من حاجةٍ
غيرِها .

قال : نعم يا أميرَ المؤمنينِ إتقِ اللهَ في نَفْسِكَ ، فإنكَ خُلِقْتَ
وحدَكَ ، وتموتُ وحدَكَ ، وتُحشَرُ وحدَكَ ، وتُحاسَبُ وحدَكَ ، لا
واللهِ ما مَعَكَ مِمَّنْ ترى أحدًا .
قال فأكَّبَ هشامُ يبيكي ، وقامَ عطاءُ ، فلما كانَ عندَ البابِ
إذا رَجُلٌ قد تَبَعَه بكيسٍ ، ما ندري ما فيه أدراهم أم دنانيرٍ .
وقال : إن أميرَ المؤمنينِ قد أمرَكَ بهذا ، فقال « ما أسألكم
عليه من أجرٍ إن أجري إلا على ربِّ العالمينِ » ثم خرجَ ولا واللهِ ما
شربَ عندهم حَسَوَةَ ماءٍ ، لله دره سلكَ طريقَةَ الرسلِ عليهم
السلامِ هذا من رقم (١) في الزهد .

ولما رجعَ الرشيدُ قيلَ له يا أميرَ المؤمنينِ قد حجَّ شيبانُ قال :
أطلبوه لي فأتوه به فقال يا شيبانُ عطني .
قال يا أميرَ المؤمنينِ أنا رَجُلٌ أَلَكُنُّ لا أفصحُ بالعربيةِ فجئني
بمَنْ يفهمُ كلامي حتى أكلمه فأتني برَجُلٍ يفهمُ كلامَهُ .
فقال له : قلْ له يا أميرَ المؤمنينِ إن الذي يُخَوِّفُكَ قَبْلَ أن تبلغَ

المَأْمَنَ أَنْصَحُ لَكَ مِنَ الَّذِي يُؤْمِنُكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْخَوْفَ .
قال له : أي شيء تفسير هذا قال : قُلْ لَهُ الَّذِي يَقُولُ لَكَ
اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ رَجُلٌ مَسْئُولٌ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي اسْتَرَعَاكَ اللَّهُ عَلَيْهَا
وَقَلَّدَكَ أُمُورَهَا وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا .

فَاعْدِلْ فِي الرِّعْيَةِ وَأَقْسِمِ بِالسُّوِيَةِ وَانْفُذْ فِي السَّرِّيَةِ وَاتَّقِ اللَّهَ
فِي نَفْسِكَ هَذَا الَّذِي يَخُوفُكَ فَإِذَا بَلَغْتَ المَأْمَنَ أَمِنْتَ .
هذا أَنْصَحُ لَكَ بِمَنْ يَقُولُ أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مَغْفُورٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ
قَرَابَةُ نَبِيِّكُمْ وَفِي شَفَاعَتِهِ فَلَا يَزَالُ يُؤْمِنُكَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْخَوْفَ
عَطِبْتَ .

قال : فبكى هارون حتى رحمه من حوله ثم قال : زدني قال
حَسْبُكَ .

رُوي أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ أَسَرَ الْمُشْرِكُونَ إِبْنًا لَهُ فَاتَى رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَسْرَ ابْنِي وَشَكَا إِلَيْهِ الْفَافَةَ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ إِلَّا مُدٌّ ، فَاتَّقِ
اللَّهَ وَاصْبِرْ وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ »
فَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ .

وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني أن تستكثير من قول
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
فقالت : نعم ما أمر به رسول الله ﷺ فأخذنا يقولان ذلك
فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب .

ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستأقها وأتى بها إلى
والديه فنزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ .
قيل لبعض العقلاء لم اعترلت الناس فقال خشيت أن
أسلب ديني ولا أشعر وهذا دليل على مسارقة الطبع كما هو
مُشَاهِدٌ ، ودليل على ذكاء العاقل ودقة نظره وزهده .

قال الحسن البصري إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في
الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه .
الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن أموالهم ،
الناصح لهم .

لكل شيء آفة تفسده فآفة العبادة الرياء وآفة الحلم الظلم
وآفة الحياء الضعف وآفة العلم النسيان وآفة العقل العجب
بالنفس وآفة الحكمة الفحش وآفة القصد الشح وآفة العمر الكبر .
وآفة الجود التبذير .

سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَمْ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ قَالَ أَرْبَعُ
أَصَابِعٍ قِيلَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ الْإِيْمَانُ كُلُّ مَا سَمِعْتَهُ أَذْنَاكَ وَصَدَّقْتَهُ
قَلْبُكَ وَالْيَقِيْنُ مَا رَأَيْتَهُ عَيْنَاكَ فَأَيَّقَنْ بِهِ قَلْبُكَ وَلَيْسَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
أَلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ . وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

[فـصـل]

قال شيخ الإسلام بن تيمية وفي الآثار يقول الله تعالى : أنا
الله لا إله إلا أنا ملك الملوك ونواصيها بيدي .
فمن أطاعني جعلت قلوب الملوك عليه رحمة ومن عصاني
جعلتهم عليه نقمة .
فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي وأطيعون
أعطفهم عليكم .

وقال ابن القيم لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها
في الدنيا فإن لم تف بطهرهم طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة .
نهر التوبة النصوح ، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار
المحيطة بها ، ونهر المصائب العظيمة المكفرة .
فإذا أراد الله بعبده خيراً أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة ،

فورد القيامة طيبًا طاهرًا ، فلم يحتج إلى التطهير الرابع .
مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ الْجَاهِ صَارَ مَقْصُورَ الْهَمِّ عَلَى مُرَاعَاةِ
الْخَلْقِ مُوَنَعًا بِالْتَرَدِّ عَلَيْهِمُ وَالْمَرَاتِ لَهُمْ وَلَا يَزَالُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ
مَلْتَفِتًا إِلَى مَا يُعْظَمُ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُمْ وَذَلِكَ بَذْرُ النِّفَاقِ .
وَأَصْلُ الْفَسَادِ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ الْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ
إِضْطَرَّ أَنْ يَنْافِقَهُمْ بِإِظْهَارِ مَا هُوَ خَالٍ عَنْهُ .
وَيَجْرُ ذَلِكَ إِلَى الْمَرَاتِ فِي الْعِبَادَاتِ ، وَاقْتِحَامِ الْمُحْظُورَاتِ
وَالْتَوْصُلِ إِلَى اقْتِنَاصِ الْقُلُوبِ .

تَفَكَّرْ فِي نُقْصَانِ مَالِكَ دَائِمًا وَتَغَفَّلْ عَنِ نُقْصَانِ دِينِكَ وَالْعُمُرِ
وَيَثْنِيكَ خَوْفُ الْفَقْرِ عَنِ كُلِّ طَاعَةٍ وَخِيفَةُ حَالِ الْفَقْرِ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ
كَانَ السَّلْفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنْ الْخَلْفِ
أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِ الْوَقْتِ ، وَتَعَبَّيْتَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ سِوَاهِ
فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ ، وَطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَالْعَابِدِ .

وَكَانُوا يَقْتَدِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَيُوصِي أَحَدُهُمُ الْآخَرَ عَلَى
صِيَانَتِهِ وَمَلْتَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانُوا يَسَابِقُونَ السَّاعَاتِ ، وَيَبَادِرُونَ
اللَّحْظَاتِ ، حَرَصًا مِنْهُمْ عَلَى الْوَقْتِ ، وَأَنْ لَا يَذْهَبَ هَدْرًا .

لَعَلِمِهِمْ أَنَّهُ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وَيَجْرِي جَرِيَّ الرِّيحِ .
قِيلَ إِنْ نُوحًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
جَاءَ مَلِكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ أَوْ أَقْلٍ أَوْ أَكْثَرَ اللَّهُ
أَعْلَمُ .

فَسَأَلَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ قَالَ لَهُ يَا أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عُمْرًا كَيْفَ
وَجَدْتَ الدُّنْيَا فَقَالَ كِدَارٍ لَهَا بَابَانِ دَخَلْتُ مَعَ أَحَدِهِمَا وَخَرَجْتُ مِنَ
الْآخَرِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ
يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » .

وقال تبارك وتعالى « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » .

وقال تبارك وتعالى وتَقَدَّسَ « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم » .
ومن خصائص الوقت أن كل ساعة أو يوم أو لحظة تمر ليس يمكن استرجاعها .

وقال الحسن البصري ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود .

وما المرء إلا ركبٌ ظهرَ عمره على سفرٍ يُفنيه باليوم والشهر يبيت ويضحى كل يومٍ وليلةٍ بعيدًا عن الدنيا قريبًا إلى القبرِ
آخر:

وما نفسٌ إلا يُباعد مولدًا ويُدني المنيا للنفس فتقربُ
فالذي ينبغي للانسان أن يحافظ على وقته أعظم من محافظته على ماله ، وأن يحرص على الاستفادة منه في كل لحظة فيما ينفعه في دينه وفي دُنْيَاه ، مما هو وسيلة إلى الدار الآخرة .

قال عمر بن عبد العزيز إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

وقال حكيم من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاءه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو أعلم اقتبسه ، فقد عتق يومه وظلم نفسه .

والذي يعين على اغتنام الزمان ، العزلة مهما أمكن ، إلا لضرورة ، أو حاجة لمن يلقاه ، أو يزوره ، وقلة الأكل .
لأن كثرتة تكسل البدن ، وسبب للنوم الطويل ، وضياع

الليل ، وفوات التجهد ، أو تقليله ، وِعِمَارَةُ القلب في أربعة ، في العلم والتقوى وطاعة الله وذكْرِهِ وَخِرَابُهُ مِنَ الجَهْلِ والمعصية والاعتِرَارِ والغَفْلَةِ . والله أعلم وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فـصـل]

ولقد كَانَتْ هَمُّ السلفِ عالية يدل عليها كثرة مُصَنَّفَاتِهِمُ التي هي خلاصة أَعْمَارِهِمُ .
وقد أمر الله سبحانه وتعالى باستباق الخيرات والمسارة إليها قبل أن تشغل عنها الشواغل أو تعوق العوائق .
قال الله جل وعلا « فاستبقوا الخيرات » .
وقل عز من قائل « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .
وقال جل وعلا « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله » .
ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » .
وقد حث النبي ﷺ على المبادرة بالعمل قبل حلول العوائق والفتن .

فقال « هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا غَنِيًّا مُطْعِمًا أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًّا أَوْ مَرَضًا مَفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مَفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهَزًا أَوْ الدَّجَالَ فَشَرَّ غَائِبٍ يَنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدهى وَأمر » رواه الترمذي .
وقال بن القيم رحمه الله وِعِمَارَةُ الوقت الاِشْتِغَالُ في جميع آنائه بما يُقَرِّبُ إلى الله تعالى أو يُعِينُ على ذلك من مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ أَوْ مَنْكَحٍ أَوْ مَنْامٍ أَوْ راحة .

فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه
كانت من عمارة الوقت .

وإن كان له فيها أتم لذة فلا تحسب عمارة الوقت بهجر
اللذات والطيبات المباحة .
قال بعض العلماء أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة
أشياء .

انشغالهم بالنعمة عن شكرها .
ورغبتهم في العلم وتركهم العمل .
واقبال الآخرة وهم معرضون عنها .
والاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم .
وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها .
والمسارعة إلى المعاصي والذنوب وتأخير التوبة .

وكم ذبي معاص نال منهن لذة ومات وخلاها وذاق الدواهيًا
تصرم لذات المعاصي وتنقضي وتبقي تباعاات المعاصي كما هيًا
فيا سوءًا والله راء وسامع لعبد بعين الله يغشى المعاصيا

آخر :

توارى بجدران البيوت عن الورى وأنت بعين الله لاشك تُنظرُ
وقال آخر : إن لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت
مثالاً بين أعينهم وقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا
فهم أنضاء عبادته حلفاء طاعته .

قد أنضجوا خدودهم بوابل دموعهم وافترشوا جباههم في
محاربتهم يناجون ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم .
ومر إبراهيم بن أدهم برجل يتحدث فيما لا يعنيه فوقف عليه
فقال كلامك هذا ترجو به الثواب .

قال لا فقال أفتأمنُ عليه العقاب قال لا .
 قال فما تصنعُ بكلام لا ترجو عليه ثواباً وتخاف منه عقاباً .
 قال بعضهم لو بعث لحظةً من إقبالك على الله بمقدار عمر
 نوح في ملك قارون لَكُنْتَ مَغْبُوتاً في العَقْد .
 قال سفيان الثوري دخلت على جعفر الصادق فقُلْتُ له
 ما لي أراك سَكُنْتَ دَارَكَ ولا تُخَالِطُ النَّاسَ .
 فقال نَعَمْ يا ابنَ سَعِيدِ في العُزلةِ دَعَةٌ وفي الدعةِ القناعةُ
 وما قُدِّرَ لَكَ يَأْتِيكَ .
 يا سُفْيَانَ فَسَدَّ أَهْلُ الزَّمانِ وتَغَيَّرَ الأَصْدِقاءُ فرأيتُ الانفرادَ
 أسكن للفقواد .

تَغَيَّرَ إِخْوَانُ هَذَا الزَّمانِ وَكُلُّ صَدِيقٍ عَراه خَلَلٌ
 قَضَيْتُ التَّعَجُّبَ مِنْ بَابِهِمْ فَصِرْتُ مُنْتَظِراً لِبابِ البَدَلِ
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فـصـل]

كتب العمري العابد إلى مالك يُحِضُّهُ على الانفراد والعمل
 ويرغبه عن الاجتماع إليه في العلم .
 فكتب إليه مالك إن الله قَسَمَ الأَعْمالَ كما قَسَمَ الأَرْزاقَ فَرُبُّ
 رَجُلٍ فُتِحَ عَلَيْهِ في الصَّلَاةِ ولم يُفْتَحْ له في الصَّومِ .
 وآخر فُتِحَ له في الصَّدَقَةِ ولم يُفْتَحْ له في الصَّومِ .
 وآخر فُتِحَ لَهُ في الجهادِ ولم يُفْتَحْ لَهُ في الصَّلَاةِ .
 ونَشَرُ العِلْمِ وتعليمه مِنْ أَشْرَفِ أَعْمالِ البرِ .
 وقد رَضِيتُ بما فَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ فيه من ذلك .
 وما أَظُنُّ ما أَنَا فيه بِدُونِ مَنْ ما أَنْتَ فيه .
 وأرجو أن يَكُونَ كِلاتَا على خَيْرٍ وِبرٍ وَيَجِبُ على كُلِّ مِنَّا أن
 يَرْضَى بما قَسِمَ له والسَّلامُ .

قيل أصاب عبد الرحمن بن مدين مالا عظيما وكان رجل
صديق وصاحب دين فجهز سبعين مملوكا بأسلحتهم إلى هشام بن
عبد الملك ثم أصبحوا معه يوم الرحيل .
فلما استوى بهم في الطريق نظر إليهم وقال في نفسه
ما ينبغي لرجل أن يتقرب بهؤلاء إلى غير الله عز وجل .
ثم قال لهم اذهبوا فأنتم أحرار وما معكم لكم .
وقال ابن القيم رحمه الله إن الذي يحسب مادة رجاء
المخلوقين من قلبك هو الرضي بحكم الله عز وجل وقسمه لك .
فمن رضي بحكم الله وقسمه لم يبق لرجاء الخلق في قلبه
موضع .

والذي يحسب مادة الخوف هو التسليم لله فإن من سلم لله
واستسلم له وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه .
وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعلم أنه لن يصابه إلا ما كتبه
الله له لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع أيضا .
فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى وليها ومولاها
وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها .
وأن ما كتب لها لا بد أن يصيبها فلا معنى للخوف من غير
الله .

والذي يحسب مادة المبالاة بالناس شهود الحقيقة .
وهو رؤية الأشياء كلها من الله وبالله وفي قبضته وتحت قهره
وسلطانه .
لا يتحرك منها شيء إلا بحوله وقوته ولا ينفع ولا يضر شيء
إلا بإذنه ومشئته فما وجه المبالاة بالخلق .

شعرا :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ بِحَسَابِ مَا تَعْمَلُ
وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَنِ ذَلِكَ تَرَكَبُ مَا
يَرَى وَيَسْمَعُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
نَهَاكَ عَنْهُ فَأَيْنَ الْخُوفُ وَالْحَذَرُ
تُجَاهِرُ اللَّهَ إِقْدَامًا عَلَيْهِ وَمِنْ
حُثَالَةِ النَّاسِ تَسْتَحِينِي وَتَعْتَذِرُ
اشْتَرَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مِنْ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ دَارَهُ الَّتِي فِي
السُّوقِ بِتِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد متأسفين على بيع الدار
فقال ما لهؤلاء يبكون .

قالوا يبكون على دارهم التي اشتريتها قال يا غلام ائتهم
فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعا .

وكان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم
فخرج إلى المسجد فقال طلحة قد تهيأ مالك فأقبضه .
فقال هو لك يا أبا محمد معونة على مروأتك .

ودخل علي بن الحسن على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه
فجعل يبكي فقال ما شأنك ،

قال علي دين قال كم هو قال خمسة عشر ألف دينار أو بضعة
عشر ألف دينار قال هي علي .

أَمْطَارَهَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالذَّهَبُ
أَقْصَرْنَ عَنْ بَعْضِ مَا نُعْطِي وَمَا نَهَبُ
رَأَيْتَ أَمْوَالَهُمْ لِلنَّاسِ تَنْهَبُ
لَهُمْ سَحَابٌ جُودٍ فِي أَنْامِلِهِمْ
فِي الْعُسْرِ قَالُوا إِذَا أَيْسَرْنَا ثَانِيَةً
حَتَّى إِذَا عَادَ أَيَّامُ الْيَسَارِ لَهُمْ
أَخْرَجَ :

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبَقِيَ دَرَاهِمُنَا
لَكِنْ إِذَا اجْتَمَعْتَ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا
وَمَا بِنَا صَلَفٌ فِيهَا وَلَا خَرْقُ
ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَكِنْ يَمُرُ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرْتَنَا

لَمَّا وَلى عُمَرُ بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن
البصري إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظري أعوانا يعينوني عليه .
فأجابهُ الحَسَنُ أما أبناء الدنيا فلا تَريدُهُم ، وأما أبناء
الآخِرَةِ فلا يُريدُونَكَ فاستعن بالله .
روى أن عمر بن عبد العزيز كان في سفر مع سليمان بن عبد
الملك .

فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة حتى
فزعوا لذلك ، وجعل عُمَرُ يَضْحَكُ .
فقال له سليمان ما يُضحِكُكَ يا عُمَرُ أما ترى ما نَحْنُ فيه .
فقال له يا أمير المؤمنين هذه آثارُ رَحْمَتِهِ فيها شَدَائِدٌ ما ترى
فكيف بآثار سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ .
أرسل المنصور إلى سفيان الثوري ، فلما حضر قال له سَلِّني
حاجتك يا أبا عبد الله .

قال سفيان أو تَقْضِيهَا يا أمير المؤمنين قال نعم ، قال
لا تَطْلُبْني حتى آتِيكَ ، ولا تَعْطِيَنِي حتى أسألك ثم خَرَجَ مِنْ
عِنْدِهِ .

فقال المنصورُ أَلْقِينَا الحَبَّ إلى العُلَمَاءِ فَالْتَقَطُوا إلا سُفْيَانَ .
إن الوُقُوفَ على الأبواب حِرْمَانُ والعَجْزُ أن يَرجُو الإنسانَ إنسانُ
فلا تُؤمِّلُ مَخْلُوقًا وَتَقْضُدُهُ إن كانَ عِنْدَكَ بِالرَّحْمَنِ إِيْمَانُ
ثق بالذي هُوَ يُعْطِي ذَا وَيَمْنَعُ ذَا في كُلِّ يَوْمٍ لَهُ في خَلْقِهِ شَأْنُ
آخر :

إذا انقَطَعَتْ أَطْمَاعُ عبيدٍ عَنِ الوَرَى تَعَلَّقَ بِالرَّبِّ الرَّحِيمِ رَجَاؤُهُ
فأصْبَحَ حُرًا عِزَّةً وَقِنَاعَةً عَلى وَجْهِهِ أنوارُهُ وَضِيأُوهُ
وإن عََلِقْتَ بِالخُلُقِ أَطْمَاعُ نَفْسِهِ تَبَاعَدَ ما يَرجُو وَطَالَ عَناءُهُ
فلا تَرَجُ إلا اللهَ لِلخُطْبِ وَحَدِّهِ ولو صَحَّ في خَلِّ الصِّفَاءِ صَفَاؤُهُ

دخل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه المسجد فرأى رجلا
مُعْتَكِفًا فِيهِ لِلْعِبَادَةِ ، فَسَأَلَهُ عَمَّنْ يَعُولُهُ .

فَقَالَ أَخِي يَعْمَلُ وَيَسْعَى لِرِزْقِهِ وَرِزْقِي وَرِزْقِ عِيَالِهِ ، فَقَالَ
لَهُ عُمَرُ أَخُوكَ أَعْبَدُ مِنْكَ .

وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فَصْل]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فَقَالَ أَيُّ رَبِّ أَيْ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ .

قَالَ الَّذِي يَذْكُرُنِي وَلَا يَنْسَانِي قَالَ فَأَيُّ عِبَادِكَ أَقْضَى .

قَالَ الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَتَّبِعُ الْهَوَى قَالَ أَيُّ رَبِّ أَيْ

عِبَادِكَ أَعْلَمُ .

قَالَ الَّذِي يَبْتَغِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ عَسَى أَنْ يَصِيبَ

كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هَدًى أَوْ تَرُدَّهُ عَنْ رَدًى .

قَالَ أَيُّ رَبِّ فَهَلْ فِي أَرْضِكَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي .

قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قَالَ الْخَضِرُ قَالَ فَأَيْنَ أَطْلَبُهُ .

قَالَ عَلَى السَّاحِلِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ الَّتِي يَنْفَلِتُ عِنْدَهَا الْحُوتُ .

قَالَ فَخَرَجَ مُوسَى يَطْلُبُهُ حَتَّى كَانَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ .

يُرْوَى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ شَاهِرِينَ

سُيُوفَهُمْ .

فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا حَنِيفَةَ أَفْتِنَا فِي مَسْأَلَتَيْنِ فَإِنْ أَجَبْتَ جَوَابًا

صَحِيحًا نَجَّوْتُمْ وَإِلَّا قَتَلْنَاكُمْ .

قَالَ أَغْمِدُوا سُيُوفَكُمْ فَإِنَّ بَرُوءِيَّتَهَا يَنْشَغِلُ الْقَلْبُ قَالُوا وَكَيْفَ

نُغْمِدُهَا وَنَحْنُ نَحْتَسِبُ الْأَجْرَ بِإِغْمَادِهَا فِي رَقَبَتِكَ .

قَالَ إِسْأَلُوا قَالُوا جَنَازَ اتَانِ بِالْبَابِ .

أَحَدُهُمَا رَجُلٌ شَرِبَ خَمْرًا فَمَاتَ سَكْرَانًا .
وَالْأُخْرَى إِمْرَأَةٌ حَمَلَتْ مِنَ الزَّانَا فَمَاتَتْ فِي وِلَادَتِهَا قَبْلَ التَّوْبَةِ
أَهُمَا مُؤْمِنَانِ أَمْ كَافِرَانِ .
فَسَأَلَهُمْ مِنْ أَيِّ الْفِرْقِ كَانَا مِنَ الْيَهُودِ .
قَالُوا لَا قَالَ مِنَ النَّصَارَى قَالُوا لَا .
قَالَ مِنَ الْمُجُوسِ قَالُوا لَا .
قَالَ يَمُنُّ كَانَا قَالُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ قَدْ أَجَبْتُمْ .
قَالُوا هُمَا فِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ .
قَالَ أَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَمُنُّ هُوَ شَرٌّ مِنْهُمَا
« فَمَنْ تَبِعَنِي فَأَنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَانْكَرُ غُفُورٌ رَحِيمٌ » .
وَأَقُولُ كَمَا قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُمْ
وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .
فَنَكَّسُوا رُؤُسَهُمْ وَأَنْصَرَفُوا .
وَسَأَلَ أَبُو حَنِيفَةَ نَاسٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ عَنِ وُجُودِ اللَّهِ فَقَالَ ذَكَرُوا
لِي أَنَّ سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ مُوقَرَةٌ .
وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ يُحْرَسُهَا وَلَا يَسُوقُهَا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَذْهَبُ
وَتُجْبَى وَتَسِيرُ بِنَفْسِهَا مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ يَسُوقُهَا .
فَقَالُوا هَذَا شَيْءٌ لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ فَقَالَ وَيُحْكَمُ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ
بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ .
وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْكَمَةِ لَيْسَ لَهَا صَانِعٌ
فَبُهَّتِ الْقَوْمُ وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ .
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ إِنْ السُّنَّةُ بِالذَّاتِ تَمَحُّقُ الْبِدْعَةَ وَلَا تَقُومُ لَهَا
وَإِذَا طَلَعَتْ شَمْسُهَا فِي قَلْبِ الْعَبْدِ قَطَعَتْ مِنْ قَلْبِهِ ضُبَابَ كُلِّ
بِدْعَةٍ وَأَزَالَةَ ظِلْمَةِ كُلِّ ضَلَالَةٍ

إِذْ لَا سُلْطَانَ لِلظُّلْمَةِ مَعَ سُلْطَانِ الشَّمْسِ وَلَا يَرَى الْعَبْدُ
الْفَرْقَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ .

وَلَا يُعِينُهُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ ظِلْمَتِهَا إِلَى نَوْرِ السُّنَّةِ إِلَّا الْمُتَابِعَةُ .
وَالهَجْرَةُ بِقَلْبِهِ كُلِّ وَقْتٍ إِلَى اللَّهِ بِالِاسْتِعَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَصِدْقِ
اللَّجَاءِ إِلَى اللَّهِ .

وَالهَجْرَةُ إِلَى رَسُولِهِ بِالْحَرِصِ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ
وَهَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ .

« فَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ حَظُهُ وَنَصِيبُهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَقَالَ وَأَشَدُّ الْعُقُوبَةِ الْعُقُوبَةُ بِسَلْبِ الْإِيمَانِ ، وَدُونَهَا الْعُقُوبَةُ
بِمَوْتِ الْقَلْبِ ، وَمَحْوُ لَذَّةِ الذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ وَالِدُعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ .
وَرَبِمَا دَبَّتْ عُقُوبَةُ الْقَلْبِ فِيهِ ذَيْبِ الظُّلْمَةِ ، إِلَى أَنْ يَمْتَلِي
الْقَلْبُ بِهَا فَتَعْمِي البَصِيرَةَ .

وَأَهْوَنُ الْعُقُوبَةِ ، مَا كَانَ وَاقِعًا بِالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَهْوَنُ مِنْهَا
مَا وَقَعَ بِالْمَالِ .

وَرَبِمَا كَانَتْ عُقُوبَةُ النِّظَرِ فِي البَصِيرَةِ أَوْ فِي البَصْرِ أَوْ فِيهِمَا .
حِذَارِ حِذَارٍ مِنْ أَمْرَيْنِ لَهَا عَوَاقِبُ سُوءٍ .
رَدِ الْحَقِّ لِمُخَالَفَتِهِ هَوَاكَ ، فَإِنَّكَ تُعَاقَبُ بِتَقْلِيْبِ الْقَلْبِ .
وَرَدَّ مَا يَرُدُّ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ رَأْسًا وَلَا تَقْبَلُهُ إِلَّا إِنْ بَرَزَ فِي قَالِبِ
هَوَاكَ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا « وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » فَعَاقِبُهُمْ عَلَى رَدِّ الْحَقِّ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بِأَنْ قَلَّبَ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ .

والثاني التهاون بالأمر إذا حَظَرَ وَقْتَهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَهَاوَنْتَ بِهِ
ثَبَطَكَ اللَّهُ وَأَقْعَدَكَ عَنْ مَرَاضِيهِ وَأَوَامِرِهِ عُقُوبَةً لَكَ .

قال تعالى « فَاِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ
لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ
رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَّ مَرَةً فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ » فَمَنْ سَلِمَ مِنْ هَاتَيْنِ
الْآفَاتَيْنِ فَلْيَهْنِهِ السَّلَامُ .

قال يحيى بن مُعَاذٍ يُخْرِجُ الْعَارِفُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَقْضِ وَطْرَهُ
مِنْ شَيْئَيْنِ .

بِكَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ .

وهذا يدل على مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَعُيُوبِهِ وَأَفَاتِهِ .

وعلى مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ وَكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ فَهُوَ شَدِيدُ الْإِزْدِرَاءِ عَلَى نَفْسِهِ

وَلَهْجٌ بِالثَّنَاءِ عَلَى رَبِّهِ .

قال رجلٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنِّي أَكْرَهُ الْمَوْتَ .

فَقَالَ لَعَلَّكَ أَخْرَتَ مَالِكَ وَلَوْ قَدَّمْتَهُ لَسَرَّكَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ .

ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا مَدَحَ رَجُلًا آخَرَ فِي وَجْهِهِ وَكَانَ الْمَمْدُوحُ عَاقِلًا

ذَكِيًّا وَرِعًا .

فَقَالَ لِمَا مَدَحْتَنِي أَجْرَيْتَنِي عِنْدَ الْغَضَبِ فَوَجَدْتَنِي حَلِيمًا قَالَ لَا .

قال أَجْرَيْتَنِي فِي السَّفَرِ فَوَجَدْتَنِي حَسَنُ الْخُلُقِ قَالَ لَا .

قال أَجْرَيْتَنِي عِنْدَ الْأَمَانَةِ فَوَجَدْتَنِي إِمِينًا قَالَ لَا .

قال فَلَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْدَحَ آخَرَ مَا لَمْ يُجَرِّهُ فِي هَذِهِ

الْأَشْيَاءِ .

قُلْتُ لِأَنَّهَا مَحَكٌ يَنْكَشِفُ فِيهَا الْخَبَايَا خُصُوصًا السَّفَرَ لِأَنَّهُ
يَسْفِرُ عَنِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ أَتْنِي رَجُلٌ عَلَى زَاهِدٍ فَقَالَ يَا هَذَا لَوْ عَرَفْتُ

مِنِّي مَا أَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِي لِأَبْغَضْتَنِي .

فالنفسُ في الوطن لا تظهرُ خبائثُ أخلاقِها لاستئناسِها بما
يُوافقُ طَبَعَهَا مِنَ المألوفاتِ المعهودة .

فإذا حملت وَعَشَاءَ السفرِ وصُرِفَتْ عن مألوفاتها المعتادة
وامتحنَتْ بمشاقِ الغُربة انكشفتْ غوائلُها ووقَعَ الوقوفُ على
عُيوبِها . والله أعلمُ وصلى اللهُ على محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

[فـصـل]

قيل إنه سُكِّيَ أَحَدُ الولايةِ إلى المأمون فكذبهم وقال قد صحَّ
عندي عدله فيكم ، وإحسانه إليكم ، فاستَحْيُوا أن يردُّوا عليه .
فقام شيخٌ منهم وقال يا أمير المؤمنين إذا كان قد عدل فينا
خمسة أعوام .

فانقله إلى مصرٍ آخرَ حَتَّى يَسَعَ عدلهُ جَمِيعَ رَعِيَّتِكَ وتربح
الدُّعَاءَ فَضَحَكَ المأمونُ واستَحْيَا منهم ونقله عنهم .
قال حَكِيمٌ لِلقَلْبِ سِتَّةُ مَوَاطِنَ يَجُولُ فِيهَا ثَلَاثَةُ سَافِلَةٍ ،
وثلَاثَةُ عَالِيَةٍ ، فَالسَافِلَةُ دُنْيَا تَتْرِينُ لَهُ ، وَنَفْسٌ تُحَدِّثُهُ ، وَعَدُوٌّ
يُوسُّوسُ لَهُ .

وَالعَالِيَةُ عِلْمٌ يَتَبَيَّنُ لَهُ ، وَعَقْلٌ يُرْشِدُهُ ، وَإِلَهٌ يَعْبُدُهُ .
أَشَدُّ الأَعْمَالِ ثَلَاثَةُ الجُودِ مِنْ قِلَّةِ ، وَالوَرَعِ فِي الخَلْوَةِ ، وَكَلَامُ
الحقِ عِنْدَ مَنْ يُرْجَى وَخُفَاةٌ .
إِحْدَرُ سُؤَالَ البَخِيلِ فَإِنَّهُ إِنْ مَنَعَكَ أَبْغَضْتَهُ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ
أَبْغَضَكَ .

إِحْدَرُ صُحْبَةَ الأَشْرَارِ وَالفَسَقَةَ فَإِنَّهُمْ يَمُنُونَ عَلَيْكَ بِالسَّلَامَةِ
منهم .

وَإِحْرَصْ عَلَى صُحْبَةِ الزُّهَادِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالوَرَعِ
إِنْ وَجَدْتَهُمْ تَسَعِدُ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَةِ .

وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى فَضِيلَةَ صَاحِبِ فَانظُرْ بَعِينَ الْبَحْثِ مَنْ نُدَمَاؤُهُ
فَالرُّءُ مَطْوِيٌّ عَلَى عَالِيَةِ طَيِّ الْكِتَابِ وَصَحْبُهُ عُنْوَانُهُ
آخِرُ :

تَحَرَّ إِذْ صَادَفْتَ مَنْ وَدَّهَ مُحَضُّ يُصَانُ لَدَيْهِ الدِّينُ وَالْمَالُ وَالْعَرَضُ
فَكُلُّ خَلِيلٍ مُنْبِيءٌ عَنْ خَلِيلِهِ كَمَا عَنْ شُؤْنِ الْقَلْبِ قَدْ أَنْبَأَ النَّبْضُ
وَبِالْصِدْقِ عَامِلٌ مَنْ تُحِبُّ مِنَ الْوَرَى وَإِلَّا فَذَاكَ الْحُبُّ آخِرُهُ الْبُغْضُ
كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ جِرَايَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَسُئِلَ عَنْ
مَسْأَلَةٍ فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ .

فَقَالَ لَا أَدْرِي فَقَالُوا لَهُ تَأْخُذُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ كَذَا
وَكَذَا وَلَا تُحْسِنُ مَسْأَلَةَ .

فَقَالَ إِنَّمَا أَخُذُ عَلَى الَّذِي أَحْسِنُ فَقَطْ ، وَلَوْ أَخَذْتُ عَلَى مَا
لَا أَحْسِنُ لِفَنَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَلَا يَفْنَى مَا لَا أَحْسِنُ .
فَأَعْجَبَ الْخَلِيفَةَ جَوَابُهُ وَأَمَرَ بِجَائِزَةٍ وَزَادَ فِي جِرَايَتِهِ أَيَّ مَا
يَجْرِي لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

قَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ مَا خَدَعَنِي قَطُّ غَيْرُ غَلَامٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ
فَإِنِّي ذَكَرْتُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَعِنْدِي شَابٌّ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ .
فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّهُ لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا فَقُلْتُ وَلَمْ قَالَ رَأَيْتُ
رَجُلًا يَقْبَلُهَا .

فَأَقَمْتُ أَيَّامًا ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّ الْفَتَى تَزَوَّجَ بِهَا فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ
فَقُلْتُ أَلَمْ تُعَلِّمْنِي أَنَّكَ رَأَيْتَ رَجُلًا يَقْبَلُهَا .

قَالَ بَلَى رَأَيْتُ أَبَاهَا يَقْبَلُهَا فَذَا ذَكَرْتُ الْفَتَى وَمَا صَنَعَ غَمَّنِي
ذَلِكَ .
خَطَبَ مَعَاوِيَةَ فَأَعْجَبَتْهُ خُطْبَتُهُ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ مِنْ
خَلَّلٍ فَقَالَ رَجُلٌ نَعَمْ خَلَّلٌ كَخَلَّلِ الْمُنْخَلِ فَقَالَ وَمَا هُوَ فَقَالَ

إِعْجَابُكَ بِهَا وَمَدْحُكَ إِيَّاهَا
وَمَا حَسَنٌ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَخْلَاقًا تَذُمُّ وَمَدْحُ
يُرَوَى أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ الرَّشِيدُ الْكُوفَةَ قَاصِدًا الْحَجَّ خَرَجَ إِلَيْهِ
أَهْلُ الْكُوفَةِ .

فَنَادَاهُ الْبُهْلُولُ يَا هَارُونَ فَقَالَ الرَّشِيدُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا الْبُهْلُولُ
الْعَامِرِيُّ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَوَيْنَا بِالْإِسْنَادِ عَنْ قُدَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ لَا ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ
وَلَا قَالَ إِلَيْكَ إِلَيْكَ وَتَوَاضَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ
تَكْبُرِكَ
فَبَكَى الرَّشِيدُ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ وَقَالَ أَحْسَنْتَ يَا بُهْلُولُ
زِدْنَا .

فَقَالَ أَيُّهَا رَجُلُ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَجَمَالًا وَسُلْطَانًا فَأَنْفَقَ مَالَهُ
وَعَفَّ جَمَالَهُ وَعَدَلَ فِي سُلْطَانِهِ كُتِبَ فِي دِيْوَانِ اللَّهِ مِنَ الْأَبْرَارِ .
فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ أَحْسَنْتَ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي
فِيهَا رُدَّهَا إِلَى مَنْ أَخَذَتْهَا مِنْهُ .
قَالَ الرَّشِيدُ فَتَجَرَّى عَلَيْكَ رِزْقًا يَقُومُ بِكَ فَرَفَعَ الْبُهْلُولُ طَرْفَهُ
إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَأَنْتَ عِيَالُ اللَّهِ فَمُحَالٌ أَنْ يَذْكُرَكَ
وَيُنْسِيَانِي .

جَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَسَأَلَهُ أَنْ يَمُدَّهُ
بشئٍ مِنَ الْمَالِ مَعُونَةً عَلَى الزَّوْجِ .
فَأَجَابَهُ بِجَوَابٍ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ مَا سَيَسَاعِدُهُ بِهِ .
فَلَمَّا مَضَى الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لِصَاحِبِ خِزَانَتِهِ أَعْطِهِ
أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ فَاسْتَكْثَرَهَا أَحَدٌ مِنْ حَوْلِهِ .
وَقَالَ لَقَدْ رَدَدْتِ رَدًّا ضَعِيفًا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّكَ تُعْطِيهِ شَيْئًا قَلِيلًا

فقال عبد الرحمن أحبُّ أن يكونَ فعليَ أعظمَ مِن قولي .
جاء يوماً بعضُ خَدمِ الخليفةِ المعتضدِ إلى مجلسِ القضاءِ معَ
خَصْمٍ لَهُ فَتَرَفَّعَ في المجلسِ على خصمه .
فأمره حاجبُ القاضي يوسف بن يعقوب أن يساوي خصمه
فامتنعَ إذلاًلاً بجأه عندَ الخليفةِ فزجره القاضي .
وقال إئتوني بالدَّلالِ النخاسِ حتى أبيعَ هذا العبدَ وأبعثَ
بثمنه إلى الخليفةِ .

وجاءَ صاحبُ القاضي فأخذَ بيده وأجلسه مع خصمه .
فلما انقضتِ القضيةُ رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين
يديه .

فقال له مالك فأخبره بالخبر وما أراد القاضي من بيعه .
فقال والله لو باعك لأجزتُ بيعه ولما استرجعتك أبداً .
فليسَ خصوصيتك عندي تُزيلُ مرتبةَ الشرعِ فإنه عمودُ
السُّلطانِ وقوامُ الأديانِ .

وذكروا أن أحدَ التجارِ قدم إلى العراقِ من خراسان فتأهبَ
للحجِ وبقي معه ألفُ دينارٍ لا يحتاجُ إليها .
فقال إن حملتها خاطرتُ بها وإن أودعتها خفتُ جحدِ
المودعِ .

فمضى إلى الصَّحراءِ فرأى شجرةَ خرُوعٍ فحفرَ تحتها ودفنها
ثم خرجَ إلى الحجِ وعادَ فحفرَ المكانَ فلم يجد شيئاً .
فجعل يبكي فإذا سُئِلَ عن حاله قال الأرضُ سرقتُ مالي
فقيل له لو قصدتُ عضدَ الدولةَ فأنَّ له فطنةً فقصده فأخبره
بقصتهِ .

فجمعَ الأطباءُ وقال هل تداوى عندكم في هذه السنة بعُروقِ
الخرُوعِ أحدٌ .

فقال أحدُهم أنا دَاوَيْتَ فلانًا وهو من خَواصِكَ فقال عَلِيٌّ به فجاء .
 فقال له هَلْ تَدَاوَيْتَ هذه السنة بعُروق الخِرُوع قال نَعَمْ .
 قال مَنْ جَاءَكَ به قال فلان الفراش قال عَلِيٌّ به فلما جاء قال
 لَهُ مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عُرُوقَ الخِرُوع فقال من المكان الفلاني .
 فقال إذهب بهذا مَعَكَ فأرِه المكان الذي أَخَذَ منه فذهب
 بصاحب المال إلى تلك الشجرة وقال من هذه الشجرة أَخَذْتُ .
 فقال ها هُنَا واللَّهِ تَرَكْتُ مالي فرَجَعَ إلى عَضُدِ الدولة فَأَخْبَرَهُ
 فقال لِلْفَرَّاشِ هَلُمَّ المَالَ فَتَلَكَّا فَأَوَعَدَهُ فَأَحْضَرَ المَالَ . واللَّهِ أَعْلَمُ
 وصلى اللهُ على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فـصـل]

ويروى أن المهدي الخليفة لما دخل البصرة رأى إياس بن
 معاوية وهو صبي وخلفه جماعة من العلماء وإياس قدامهم .
 فقال المهدي أما كان في هؤلاء شيخ يتقدمهم غير هذا
 الحدث ثم التفت المهدي إلى إياس وقال كم سنك يا فتى .
 فقال سني أطل الله بقاء الأمير سن أسامة بن زيد بن

حارثة .
 لما ولَّاه رسول الله ﷺ جيشًا فيهم أبو بكر وعمر فقال له
 المهدي تقدّم بورك فيك .
 ويروى أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه قريباً من
 عشرين سنة فاستصغروه .

فقالوا كم سن القاضي .
 فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجّه به رسول الله
 ﷺ قاضياً بمكة يوم الفتح .
 وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجّه به رسول الله ﷺ
 قاضياً لليمن .

وأكبر من كعب بن سؤر الذي وجّه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً للبصرة .

حبس أحد الملوك أحد الحكماء وأمر أن لا يزيد طعامه اليومي على قرصين من شعير فأقام الحكيم على هذه الحالة دون أن يتكلم .

فأمر الملك أصحابه أن يسألوه عن ذلك فقالوا أيها الحكيم أنت في شدة وضيق ولم تتأثر صححتك فما هو السبب في ذلك . فقال عملت ستة أخلاط أخذ منه كل يوم شيئاً . الأول الثقة بالله جلّ جلاله .

والثاني علمي أن كل ما قدره الله كائن لا محالة .

والثالث علمي أن الصبر خير ما يستعمله الممتحن .

والرابع الثبات على الصبر .

والخامس أنه قد يمكن أن أكون في أشد مما أنا فيه .

والسادس ترويجي على نفسي في قولي من ساعة إلى ساعة

فرج فبلغ الملك ذلك فعفا عنه .

قال بعضهم انتفعت بأعدائي أكثر مما انتفعت بأصحابي لأن

أعدائي يعيروني بالخطأ وينبهوني عليه فأتجنبه .

وأصحابي يمدحونني ويزينون لي الخطأ ويشجعونني عليه

بنفاقهم وليس كذلك يكون الأصحاب .

عَدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ . فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا

هُمُوا بَحَثُوا عَن زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا . وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال آخر :

عَدُّوا عَلَيَّ مَعَائِبِي فَحَذَرْتُهَا . وَنَفَيْتُ عَن أَخْلَاقِي الْأَقْدَاءَ

وَلَرُبَّمَا انْتَفَعَ الْفَتَى بِعَدُوِّهِ . كَالسُّمِّ أَحْيَانًا يَكُونُ شِفَاءً

وقال آخرُ لا خَيْرَ في القول الا مع العمل ولا في الفقه إلا مع الورع ولا في الصدقة إلا مع النية الصالحة .
ولا في المال إلا مع الجود فيما يرضى الله ، ولا في الصدق ،
والوعد ، والعهد ، إلا مع الوفاء .

قال ابن القيم رحمه الله ، ومعلوم عند الخاصة والعامة أن
فتنة سماع الغناء والمعازف أعظم من فتنة النوح بكثير .
والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفنا بالتجارب أنه ما ظهرت
المعازف وآلات اللهو في قوم وفشت فيهم واشتغلوا بها إلا سلط الله
عليهم العدو .

ويُلُو بالقُحط والجُذب ووُلاة السُّوء والعاقل يتأمل أحوال
العالم وينظر والله المستعان .

وقال شيخنا عبدالرحمن الناصر السعدي رحمه الله أعلموا
رحمكم الله أن المعازف والغناء وآلات اللهو من المحرمات .
فاجتنبواها فقد جاءت نصوص الشرع بتحريمها وحذر منها
العلماء وحرموها .

وقد تهاون بذلك بعض الذين يفتحون الراديو على إذاعات
العزف والغناء وذلك لا يحل ولا يجوز .

وفيه مفسد وشور كثيرة تصد القلوب عن الخير وترغبها في
الشر ويؤذون المارين والسامعين والجيران .

فمن فتح على الغناء والمعازف فقد باء بإثمه وإثم كل من
سمع .

يقول سبحانه وتعالى « ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم .

[فصل]

قال شيخ الإسلام فالعبد لا بُدَّ له من رزق وهو محتاج إلى ذلك فإذا طلب رزقه من الله صار عبداً لله فقيراً إليه .
وإذا طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه .
ولهذا كانت مسألة (المخلوق) أي سؤاله (محرمة) في الأصل .

وانما أبيضت للضرورة ، وفي النهي عنها أحاديث كثيرة .
وقال رحمه الله ولن يستغن القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به .
ولا يتوكل إلا عليه ولا يفرح إلا بما يحب ويرضاه ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه .

ولا يؤالي إلا من والاه الله ولا يعادي إلا من عاداه الله .
ولا يحب إلا لله ولا يبغض شيئاً إلا لله ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله .

فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقين .

وبكمال عبوديته لله تكمل تربيته من الكبر والشرك .
والشرك غالب على النصرارى والكبر غالب على اليهود .
قال الله تعالى في النصرارى « اتخذوا أئبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » .
وفي اليهود « أفكلاً جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » .

وقال رحمه الله أرجح المكاسب التوكل على الله تعالى والثقة
بِكُفَيْتِهِ وَحُسْنِ الظن به .
ويأخذُ المالَ بسَخاؤِهِ نَفْسٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْقَلْبِ
مَكَانَةٌ .

ولكن يَسْعَى فِي تَصْلِيحِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ لِإِقَامَةِ مَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ
وَمُسْتَحْبَاتٍ وَلِلْإِسْتِغْنَاءِ بِهِ عَنِ الْخَلْقِ .

وقال ابن القيم رحمه الله أَعْجَبُ الْعَجَبِ أَنْ تَعْرِفَ اللَّهَ ثُمَّ
لَا تَحِبُّهُ ، وَأَنْ تَسْمَعَ دَاعِيَهُ ثُمَّ تَتَأَخَّرُ عَنِ الْإِجَابَةِ ، وَأَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ
الرَّبْحِ فِي مُعَامَلَتِهِ ثُمَّ تُعَامِلَ غَيْرَهُ ، وَأَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ غَضَبِهِ ثُمَّ
تَتَعَرَّضُ لَهُ .

وَأَنْ تَذُوقَ أَلْمَ الْوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِهِ ثُمَّ لَا تَطْلُبُ الْإِنْسَ
بِطَاعَتِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ وَأَنَّكَ أَحْوَجُ
شَيْءٍ إِلَيْهِ وَأَنْتَ عَنْهُ مُعْرِضٌ وَفِيهَا يُبْعَدُكَ عَنْهُ رَاغِبٌ أَهـ .
فوائد جمّة : مَنْ أَهَانَ خَمْسَةَ خَيْرٍ خَمْسَةً ، مَنْ اسْتَخَفَّ
بِالْعُلَمَاءِ خَيْرَ الدِّينِ .

وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَمْرَاءِ خَيْرَ الدُّنْيَا .
وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْجِيرَانِ خَيْرَ الْمَنَافِعِ .
وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِأَهْلِهِ خَيْرَ طَيْبِ الْمَعِيشَةِ .
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لَا يُعْطَى اللَّهُ لِأَحَدٍ خُمْسًا إِلَّا
وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ خُمْسًا أُخْرَى .

لَا يُعْطِيهِ الشُّكْرَ إِلَّا وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ الزِّيَادَةَ .
وَلَا يُعْطِيهِ الدُّعَاءَ إِلَّا وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ الْإِسْتِجَابَةَ .
وَلَا يُعْطِيهِ الْإِسْتِغْفَارَ إِلَّا وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ الْغُفْرَانَ .

ولا يُعْطِيهِ التَّوْبَةَ إِلَّا وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ الْقَبُولَ .
ولا يُعْطِيهِ الصُّدْقَةَ إِلَّا وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ التَّقْبُلَ .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . .

[فـصـل]

اعلم وفقنا الله وإياك أن من أكثر ذكر الموت وزيارة
المستشفيات والمستوصفات والمقابر والمرضى استفادة عدة فوائد
الأولى المبادرة إلى التوبة :

الثانية القناعة بالرزق اليسير .

الثالثة النشاط في العبادة .

الرابعة الوصية .

الخامسة ترجيع العواري .

السادسة أداء الحقوق التي عليه لله أو لخلق الله .

السابعة استحلال من بينه وبينه معاملة أو مخاصمة .

قديمة أو حديثة من جار ، أو زوجة ، أو مُعامل ، أو

صديق ، أو شريك ، أو أجير ، أو نحو ذلك .

شعرا :

وَرُبَّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زُرْتُهُمْ
وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقَفَّةَ عَاشِقٍ
فَمَا سَأَلَ فَيَضُ الدَّمْعَ حَتَّى قَرْنَتْهُ
أَسْكَانُ بَطْنِ الْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمْ
رَضِيْتُمْ بِأَكْفَانِ الْبَلَى حُلًّا لَكُمْ
وَقَدْ كُنْتُمْ تُرْذِي الْحَشَايَا جُنُوبَكُمْ
إِلَّا يَا قُبُورًا زُرْتَهَا غَيْرَ عَارِفٍ
بِمُنْهَلٍ دَمَعٍ لَا يُنْهِنُهُ بِالزُّجْرِ
عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دَارِسَ الطَّلَلِ الْقَفْرِ
إِلَى زَفْرَاتٍ قَدْ تَصَاعَدْنَ مِنْ صَدْرِي
عُهُودًا مَضَتْ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى الظُّهْرِ
وَكُنْتُمْ أُولَى الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحُمْرِ
فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَالْجُنُوبُ عَلَى الصُّخْرِ
بِهَا سَاكِنُ الصُّحْرَاءِ مِنْ سَاكِنِ الْقَصْرِ

لَقَدْ حَارَ فِكْرِي فِي ذَوْبِكَ وَإِنَّهُ لَيَحْتَارُ فِي مَثْوَى ذَوْبِكَ أَوْلُو الْفِكْرِ
 لَا تَحْمِلُ مَا لَا تَطِيقُ ، وَلَا تَعْمَلُ عَمَلًا لَا يَنْفَعُكَ ، وَلَا تَغْتَرُ
 بِالْمِرَاةِ وَإِنْ كَانَتْ عَفِيفَةً ، وَلَا تَتَّقُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ .
 السُّعَاةُ وَالنَّهَامُونَ لُصُوصُ الْمَوَدَّاتِ فَاحْذَرُهُمْ ، لَا تُصَدِّقُ
 كَثِيرَ الْحَلْفِ وَإِنْ اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ وَاحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الْخَدَامِينَ
 وَالْخَدَامَاتِ وَالسَّائِقِينَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 مَنْ قَصَرَ فِي حَقِّكَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَكَ فَلَا تَلْمُهُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ
 مَوْصِيًّا عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا ، ثَانِيَا الْحِلْمَ ، ثَالِثَا
 التَّقْوَى ، رَابِعَا الثِّقَةَ بِاللَّهِ وَالِاتِّكَالَ عَلَيْهِ ، فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ ،
 خَامِسَا الْإِخْلَاصَ فِي الْعَمَلِ .

سَادِسَا الْقِنَاعَةَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ ، سَابِعَا الصِّدْقَ ، وَالْوَفَاءَ
 بِالْوَعْدِ ، وَالْعَهْدِ ، ثَامِنَا الْإِلْحَاحَ فِي الدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ
 وَتَقَدَّمَ ذِكْرَهَا .

شِعْرًا :

وَلَيْسَ بِمَنْسُوبٍ إِلَى الْعِلْمِ وَالْحِجَا	فَتَى لَا تُرَى فِيهِ خَلَائِقُ أَرْبَعُ
فَوَاحِدَةٌ تَقْوَى إِلَهِ الَّتِي بِهَا	يُنَالُ جَسِيمُ الْخَيْرِ وَالْفَضْلُ أَجْمَعُ
وِثَانِيَةٌ صِدْقُ الْحَيَاءِ فَإِنَّهُ	طِبَاعٌ عَلَيْهِ ذُو الْمُرُوَّةِ يُطْبَعُ
وِثَالِثُهَا حِلْمٌ إِذَا الْجَهْلُ أُطْلِعَتْ	إِلَيْهِ خَبَايَا مِنْ فُجُورٍ تَسْرَعُ
وَرَابِعَةٌ جُودٌ بِمُلْكٍ يَمِينِهِ	إِذْ نَابَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

نُبْدَةُ مِمَّا جَرَى لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمِحْنِ وَالْقَتْلِ وَالضَّرْبِ مِنَ
 الظُّلْمَةِ وَالطُّغَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ جَازَاهُمْ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ .

لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير أمر بخشبة
فصلبه عليها .

فلما أقبلت أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
إلى الخشبة فعانقتها وجلست تبكي وتقول واغوثاه .

يا لله ما أعظم ما نزل بنا بعدك يا محمد يا رسول الله لو تدرك
ما نزل بعدك بأصهارك وأرحامك وأبناء المهاجرين لرأيت أمرا
عظيما .

اللهم فبلغ عنا نبيك ﷺ في عظيم ما نزل بنا فأخبر بمقالتها
عبد الله بن عمر فبكى حتى كادت نفسه تفيض .

ثم قال لابنه قُذني إليها وقد كبر وكان يرتعش من الكبر وكان
قد عمّر فقاده ابنه إليها فلما أشرف على الخشبة نظر إليه مصلوبا .

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليقتلني أمير جائر على
طاعة أحب إلي من أموت مجاهدا في سبيل الله فاتى شقي من
الأشقياء فبلغ ذلك إلى الحجاج فبلغ منه قول ابن عمر كل مبلغ .

فركب إلى خشبة بن الزبير فأصاب أمه عندها تبكى وابن
عمر وابنه سالما فقال ليس مثله يبكى عليه فقال ابن عمر قومي
فقامت ولم تكلمه وانصرف ابن عمر إلى منزله .

فدعا الحجاج رجاله فقال إن ابن عمر بن خليفة وصاحب
رسول الله ﷺ وأخاف إن خرجنا أن يستحل منا ما استحل ابن
الزبير وعلماء العراق .

قالوا فما ترى قال هذا أعظم مما كان منا إنما عمدنا إلى جبل
الإسلام وحاجب محمد ومن عرضت عليه الخلافة فلم يقبلها ومن
حج أربعين حجة ومن سمته قريش حمامة البيت يريد ابن عمر .
وقدره في العرب كما علمتم وحب الأوس والخزرج لأبيه عمر
بن الخطاب . نعوذ بالله من الظلمة وأعوانهم .

فبعث الحجاجُ غلامه أن يركب فرساً جامحاً وأمره أن يطحنه
بالفرس ويقتله

فركب الغلام الفرسَ فنظر إلى ابن عمر وهو سائرٌ يومَ
الجمعة فحمل عليه وصدمه ورضه .

فبادر الناسُ إليه وقالوا يا غلام أهلكت المسلمين في علمهم
فطلبك الله وأقام الحجاجُ ينتظر موته .

فلما أبطأ عليه عمد إلى الحديد التي في الرمح فسماها سماً
ناقعاً وجعلها في عصا وقال لأحد رجاله ضعه على ظهر قدمه
واتكىء عليه حتى يدخل .

فإن قال أهلكتني فقل ما علمت أن رجلك ها هنا .
ففعل ذلك ثم خرج عنه فاشتعل جسدُ ابن عمر سماً فأقام
ثلاثة أيام فمات رحمة الله عليه .

ودخل الحجاج على ابن عمر يعوده قبل موته فقال ابن عمر
أنت قتلتني ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

ومن الذين أودوا في سبيل الله وقتلوا سعيد بن جبير وقصته
أشهر من تذكر فلا نطيل بذكرها وكان قد دعا من قبل أن يذبحه
الحجاج فقال اللهم لا تسلطه على أحدٍ يقتله بعدي .

وقيل إنه عاش بعد قتله لسعيد ستة عشر يوماً فقط وقعت
الأكلة في بطنه .

وكان ينادي في بقية حياته مالي ولِسعيد بن جبير كلما أردتُ
النوم أخذ برجلي .

وقيل دعا عليه بالزُمهرير البرد العظيم فكانوا يجعلون حوله
الكواين تلتهبُ جمرًا مع ما عليه من الثياب التي يذثرونه بها .

فما زال في العذاب الأليم ثم أرسل في طلب الحسن البصري

التابعي المشهور فأتاه واشتكى إليه ما نزل به من الألم ، فقال قد
نهيتك مرة بعد أخرى لا تتعرض للصالحين ، ولا تكن منهم إلا
بسبيل خير فأبیت وُلججت (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) .
وذكر في كتاب المحن أن الحجاج أرسل إلى أبي صالح مَاهَان
المُسَبِّح فلما أتاه قال بلغني عنك صلاح وخير وإني أريد أن أولئك
القضاء .

قال له أنا قال نعم قال أنا لا أحسن أعد عشرة قال يأمرائي
علي تتبأله .

قال والفرات قد مدّ فعدا من بين يديه وهو شيخ كبير يجنح
حتى وقف على جرف الفرات .

فقال اللهم إن كنت مُرَائِي كما زعم الحجاج فغرقني قال
فرمى بنفسه .

فقام على متن الماء فلم تغب قدماه قال فوالله ما نهته ذلك
فأخذه وصلبه على بابه .

وممن ضرب مالك ابن أنس رضي الله عنه وذلك أن الحساد
دسوا إلى أبي جعفر بن سليمان من قال له إن مالكاً يفتي الناس أن
أيمان البيعة لا تلزمهم لمخالفتك واستكارهك إياهم عليها .

فدس عليه جعفر من يسأله عن ذلك فأفتاه مالك طمأنينة
إليه وحسبة منه .

فجاءه رسول جعفر بن سليمان واتى به مُنتهك الحرمة مهاناً
فأمر به جعفر فضربه سبعين سوطاً .

ومن ما جرى على عبدالله بن عون البصري الذي قيل ما
كان بالعراق أعلم بالسنة منه .

وكان ورعاً تزوج امرأة عربية فضربه بلال بن أبي بردة عشرة

أسواط وقال له إنزل عنها قال لا أفعل فقال له بلال والله لا أبرح
أضربك حتى تطلقها .

فقال ابن عون والله لا أبرح أصبر ولا أطلقها حتى أعجز
قال وكان رجلا نحيفا لا يحتمل الضرب بالسوط قال فضربه أيضا
عشرة أسواط وقال بلال هو ما ترى .

قال فأمر به فضرب عشرة أسواط وقال يا ابن عون هو ما
ترى حتى تطلقها قال هي طالق قال بتتها .

ومن امتحن عطاء بن أبي رباح وذلك أن رجلا أتى من
الحجاج إلى مسجد مكة .

فنام فكشفت الريح الثوب عن بطنه فظهر جراب الفلوس
فمر به أصحابه فخافوا عليه فنزعوا الجراب .

وبعد قليل انتبه الرجل فنظر فإذا جرابه مأخوذ فنظر يمينا
وشمالا فلم يرى حوله إلا عطاء بن أبي رباح قائما يصلي .

فجاءه فأخذ بتلابيبه وضيق عليه وقال له يا عدو الله فعلت
الذي فعلت بي فلما رهقتك قمت تصلي .

فقال له ما بالك يا هذا قال منطقتي حلتها (أي الجراب)
قال له وكم فيها قال مائتا دينار قال فهل سمع بهذا غيرك قال لا .

قال فاذهب معي حتى أعطيك ما ذهب لك قال فذهب
فعد له مائتي دينار فذهب إلى أصحابه فأخبرهم الخبر .

فقالوا له ظلمت والله الرجل كان من قصتنا كيت وكيت ثم
حللنا عنك خوفا عليها وها هي هذه .

فقاموا بأجمعهم إلى الرجل فوقفوا عليه فسألوا عنه فقيل لهم
هو عطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة وسيدهم .

فاعتذروا إليه وسألوه أن يجعل الرجل في حل ويقبل
الدنانير .

فقال لهم هيهات ما كانت بالتي ترجع إليّ إذ هبّ فأنّت في

حل وهي لك .

شَمَّرَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّشْمِيرُ وَأَنْظُرْ بِفِكْرِكَ مَا إِلَيْهِ تَصِيرُ
طَوَّلْتَ آمَالًا تَكْنَفُهَا الْهَوَى وَنَسِيتَ أَنَّ الْعُمَرَ مِنْكَ قَصِيرُ
قَدْ أَفْصَحْتَ دُنْيَاكَ عَنْ غَدْرَاتِهَا وَأَتَى مَشِيئِكَ وَالْمَشِيئُ نَذِيرُ
دَارٌ لَهْوَتَ بَزْهَوَهَا مُتَمَتِّعًا تَرْجُوُ الْمَقَامَ بِهَا وَأَنْتَ تَسِيرُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ رَاحِلٌ عَنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ فِيهَا مَا أَقَامَ ثَبِيرُ
لَيْسَ الْغِنَى فِي الْعَيْشِ إِلَّا بُلْغَةٌ وَيَسِيرُ مَا يَكْفِيكَ مِنْهُ كَثِيرُ
لَا يَشْغَلَنَّكَ عَاجِلٌ عَنْ آجِلٍ أَبَدًا فَمُلْتِمَسُ الْحَقِيرِ حَقِيرُ
وَلَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى فِي الْأَرْضِ مَأْمُورٌ بِهَا وَأَمِيرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فـصـل]

بعث أبو جعفر في طلب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق
فقيل له إن أمير المؤمنين متغيظ عليك فدخل وهو يحرك شفتيه .
فلما رآه أبو جعفر نهض إليه واعتنقه وأجلسه معه ثم عانقه .
وقال له يا أبا عبدالله ما هذا الذي يبلغني عنك لقد
هَمَمْتُ .

فقال له إن أيوب ابتلى فصبر وإن سليمان أعطى فشكر وأنت من
ذلك النسج .

قال ، فِيرْفَعُ إِلَيَّ أَنْ الْأَمْوَالُ تُجْبَى إِلَيْكَ بِلَا سَوْطٍ وَلَا عَصَا
ثم أمر بالرافع فأحضر .

فقال أبو عبدالله أَحَقًّا رَفَعْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ نَعَمْ ،
قال فاستحلفه يا أمير المؤمنين قال أبو عبدالله رد اليمين عليه .

فقال له أبو جعفر إحلف فقال والله الذي لا إله إلا هو فقال

له أبو عبد الله ليس هو كذا إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَجَّدَ اللَّهَ فِي يَمِينِهِ أَمَهَلَهُ فِي الْعُقُوبَةِ .

وَلَكِنْ قُلْ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنِّي وَأَنَا خَارِجٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ رَاجِعٌ إِلَى حَوْلِ نَفْسِي وَقُوَّتِهَا .

قَالَ فَحَلَفَ فَوَاللَّهِ مَا رُفِعَ إِلَّا مَيْتًا فَرَاعَ ذَلِكَ أبا جَعْفَرَ وَقَالَ انصَرَفَ يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ فَلَسْتُ أَسْأَلُكَ بَعْدَهَا .

وَسِئَلٌ عَمَّا حَرَّكَ بِهِ شَفَتَيْهِ حِينَهَا دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ بِكَ اسْتَفْتَحْ وَبِكَ اسْتَنْتَجِ اللَّهُمَّ ذَلِّلْ حُزُونَتَهُ وَكُلْ حُزُونَهُ وَسَهِّلْ لِي صُعُوبَتَهُ وَكُلْ صُعُوبَةَ .

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي مِنْهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَرْجُو وَاصْرِفْ عَنِّي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَا أَحْذِرُ فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتَثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

كَانَ صَفْوَانَ بْنِ سَلِيمٍ قَدْ كُفَّ بَصَرَهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالسُّوقِ يُقَادُ إِذْ دَخَلَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ فَسَمِعَ الطَّرِيقَ وَالْجَلَاوِزَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ مَا هَذَا فَقِيلَ بِلَالُ فَقَالَ سَحَابٌ صَيْفٍ عَنِ قَرِيبٍ تَقْشَعُ فَسَمِعَهُ بِلَالُ .

فَقَالَ وَاللَّهِ لِأَذِيقَنَّكَ مِنْ بَرْدِكَ شُبُونًا فَلَمَّا نَزَلَ بِهِئِكَ بَعَثَ فِي طَلْبِهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ نَعُودًا بِاللَّهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ لَوْ قِيلَ لِصَفْوَانَ بْنِ سَلِيمٍ غَدًا يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا قَدِرَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ شَيْئًا .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا امْتَحَنَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَسْوَدَ الْعَنَسِيَّ تَنَبَّأَ بِالْيَمَنِ فَدَعَا أبا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ فَقَالَ

إِشْهَدْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . - ٤١٦ -

قال لا أسمع قال أشهد أن محمداً رسول الله قال نعم فأمر
الأسود بنار فقذف فيها أبا مسلم فخرج يرشح عرقاً .
فقيل للأسود إنفه عنك لا يفسد عليك الناس فأخرجوه ثم
قدم المدينة وبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

فقال له عمر من أين أقبل الرجل قال من اليمن قال ما فعل
الرجل الذي أحرقه الكذاب قال ذلك عبد الله بن ثوب .
قال له عمر أنشدك بالله أنت هُر قال نعم قال فأدخله
وأجلسه بينه وبين أبي بكر .

وقال الحمد لله الذي أراني في هذه الأمة من فعل به مثل ما
فعل بإبراهيم خليل الرحمن .

وممن قتل صبراً كميل بن زياد النخعي الكوفي كان شجاعاً
زاهداً قتله الحجاج بن يوسف .

وذلك أن الحجاج نقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان
القصاص من لطمته لطمها إياه فلما مكثه عثمان من نفسه عفا عنه .
فقال له الحجاج أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص
ثم أمر به فضربت عنقه نسأل العافية .

وذكر أن رياح بن يزيد على أتانه في سفر إذ غشيته السلابة
(أي قطاع الطريق) وهو يسير فاخذوا أتانه ونزعوا ثيابه إلا واحداً
ثم ذهبوا عنه .

فمال رياح إلى موضع فأحرم بتكبيره ثم أقبل يصلي فبينما هو
يُصلي إذ اظلمت السماء فلم تدري السلابة أين يتوجهون .
فلما طوّل في الصلاة قالوا أحسن صلاتك يا عبد الله أما ترى
ما نزل بنا ولا نحسب ذلك إلا من أجلك .

فسلم ثم التفت إليهم فقال ما تريدون أخذتوا ثيابي وحماري

فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَدَابَّتَهُ فَانجَلَتْ عَنْهُمْ الظُّلْمَةُ .
فَرِغُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ مَنْ هُوَ وَأَقْسَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ
رِيَّاحُ بْنُ يَزِيدٍ .

طَالَعُ تَوَارِيخٍ مَنْ فِي الدَّهْرِ قَدْ وُجِدُوا تَجِدُ خُطُوبًا تُسَلِّيُ عَنْكَ مَا تَجِدُ
تَجِدُ أَكْبَرَهُمْ قَدْ جُرَّعُوا غُصَصًا مِنْ الرِّزَايَا بِهَا قَدْ فُتَّتْ كُبْدُ
عَزْلٌ وَنَهْبٌ وَضَرْبٌ بِالسَّيَاطِ يَلِي حَسْبُ وَقْتَلُ وَتَشْرِيدُ لِمَنْ زَهْدُوا
وَإِنْ وُقِيتَ بِحَمْدِ اللَّهِ شِرَّتَهُمْ فَلْتَحْمِدِ اللَّهَ فِي الْعُقْبَى كَمَنْ حَمِدُوا
أَخِيرُ :

إِنَّ الشَّدَائِدَ قَدْ تَغَشَى الْكَرِيمَ لِأَنَّ تُبِينُ فَضْلَ سَجِيَّاهُ وَتُوضِحُهُ
كَمُبْرِدِ الْقَيْنِ إِذْ يَعْلُو الْحَدِيدَ بِهِ وَلَيْسَ يَأْكُلُهُ إِلَّا لِيُصْلِحَهُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فِصْل]

قال ابن القيم ومن تجرّيات السالّكين التي جرّتوها فألفوها
صحيحة أن من أذمن (أي أكثر) من قول « يا حيّ يا قيوم لا إله
إلا أنت » أورثه ذلك حياة القلب والعقل .

وكان شيخ الإسلام شديد اللّهج بها جدًّا وقال لي يوماً
لهذين الاسمين وهما « الحي القيوم » تأثير عظيم في حياة القلب .
وكأنه يشير إلى أنها الاسم الأعظم وسمعته يقول من واظب
على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر « يا حيّ
يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث » حصلت له حياة القلب ولم
يَمُتْ قَلْبُهُ .

قال العلماء أعلم أنه لا يقف على الدواء من لا يقف على
الداء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء ولا يبطل الشيء
إلا بضده .

وسبب الاصرار الغفلة والشهوة ولا تضاد الغفلة إلا بالعلم

ولا تُضَادُّ الشَّهْوَةَ الا بالصبر على قَطْعِ الأسبابِ المُحَرِّكَةِ لِلشَّهْوَةِ .
والغفلة رأس الخطايا فلا دَوَاءَ إِذَا لِلتَّوْبَةِ إِلَّا بِمَعْجُونٍ يُعْجَنُ
مِنْ حَلَاوَةِ الْعِلْمِ وَمَرَارَةِ الصَّبْرِ .
والأطباءُ لهذا المرض هم العلماءُ لِأَنَّهُ مَرَضُ الْقُلُوبِ وَمَرَضُ
القلوبِ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ مَرَضِ الْأَبْدَانِ .
وذلك لِأُمُورٍ أَحَدُهَا أَنْ مَرَضَ الْقَلْبِ بِالذُّنُوبِ لَا يَدْرِي
صَاحِبُهُ أَنَّهُ مَرِيضٌ .

الثاني أن عاقبته غير مشاهدة في الدنيا بخلاف مرض
الأبدان فإن عاقبته موت مشاهد ينفر الطَّبْعُ عَنْهُ .
وما بعد الموت غير مشاهد فَقَلَّتِ النَّفْرَةُ عَنِ الذُّنُوبِ وَإِنْ
علمها مرتكبها .

فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب .
ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال .
والأمر الثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فإن الأطباء
هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مَرَضٌ مَخُوفٌ .
لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وَمَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ أَنَّهُ قَدْ
غَلَبَ هَذَا الدَّاءُ عَلَى الْأَطْبَاءِ أَي الْعُلَمَاءِ .

فلم يَقْدِرُوا عَلَى تَحْذِيرِ الْخَلْقِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ فَمَا لَكُمْ
تَأْمُرُونَ بِالْعِلَاجِ وَتَنْسُونَ أَنْفُسَكُمْ أَمَا تَقْرَأُونَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
وَتَقْدَسَ « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

وقال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .
فبهذا السَّبَبِ عَمَّ الدَّاءُ وَأَنْقَطَعَ الدَّوَاءُ .

القائل في القرن الخامس فكيف لو رأى أكثر علماء هذا العصر .

وما هم فيه من التكالب على الدنيا وإهمالهم القيام بما أوجب الله عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والنصيحة لله ولكتابه ورسوله والأئمة والمؤمنين .

قال العلماء من نتائج المعصية قلة التوفيق ، وفساد الرأي ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وخمول الذكر وإضاعة الوقت ، ونفرت الخلق ، والوحشة مع الرب وقلة السداد وتشتت الفكر .

ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، ولباس الذل ، وضيق الصدر .

كَيْفَ يَسْلَمَ مَنْ لَهُ زَوْجَةٌ لَا تَرْجِمُهُ ، وَوَلَدٌ لَا يَعْذُرُهُ ، وَجَارٌ لَا يَأْمَنُهُ ، وَصَاحِبٌ لَا يَنْصَحُهُ ، وَشَرِيكٌ لَا يُنْصِفُهُ .

وَعَدُوٌّ لَا يَنَامُ عَنْ مُعَادَاتِهِ ، وَنَفْسٌ أَمَّارَةٌ السُّوءِ ، وَدُنْيَا مُتَزَيِّنَةٌ ، وَهَوًى مُرْدِيٌّ .

وشهوة غالبة له ، وغضب قاهر ، وشيطان مزين ، وضعف مستول عليه ، فإن تولاها الله وجذبته إليه إنقهرت له هذه كلها وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة .

الرأي أخذك بالحزامة في الذي تبغي فقصرك ميتة وذهاب
غلب الفساد على العقول فكذبت صدق الأنام وصدق الكذاب
ضربوا الجماجم بالسيف على الذي يفنى وطال عن الهوى الإضراب
وتغرنا آمالنا فنخالها ماء يموج وكلهن سراب

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

موعظة لابن الجوزي

اسمع يا غائب في صلاته ، يا شتيت لهم في جهاته ،

يا مشغولاً بآفاته عن ذكر وفاته ، يا قليل الزاد مع قرب مماته .
يا من يرحل عن الدنيا في كل لحظة مرحلة ، وكتابه قد
حوى حتى مقدار الخردلة ، وما ينتفع بالندير والندر متصلة .

وما يرعوي لنصيح وكم قد عدله ، ودرعه متخرقة والسهام
مُرسلَة ، ونور الهدى قد يروي وما رآه ولا تأمله ، وهو يأمل البقاء
وقد رأى مصير من أمله .

وأجله قد دني ولكن أمله قد شغله ، وقد عكف على العيب
بعد الشيب بصباية وولاه ، ويحضر بدنه في الصلاة وأما القلب فقد
أهمله .

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَبَيْنَ يَدَيْكَ الْحِسَابُ وَالزَّلْزَلَةُ ، وَنَعْمَ
جِسْمَكَ فَلَا بُدَّ لِلدُّودِ أَنْ يَأْكُلَهُ .

يا عجباً من فتور مؤمن بالجزاء والمسألة ، أيقين بالنجاة أم
غرور وبله ، بادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر
المؤمن لا قيمة له .

وَمُسْتَدُونَ تَعَاقَرُوا كَأْسَ الرَّدِيِّ وَدَعَا بِشُرْبِهِمُ الْحِمَامُ فَاسْرَعُوا
بَرَكَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمُوا بِجِرَانِهِ وَهَفَّتْ بِهِم رِيحُ الْخُطُوبِ الزَّعْزَعُ
خُرْسٌ إِذَا نَادَيْتَ إِلَّا أَنَّهُمْ وَعَظُّوا بِمَا يَزِعُ اللَّيْبَ فَاسْمَعُوا
وَالدَّهْرُ يَفْتِكُ بِالنُّفُوسِ حِمَامَهُ فَلَمَنْ تَعَدَّ كَرِيمَةً أَوْ تُجْمَعُ
عَجَبًا لِمَنْ يُبْقِي ذَخَائِرَ مَالِهِ وَيَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وَهُوَ مُضَيِّعُ
وَلِغَافِلٍ وَيَرَى بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ مُلْقَى لَهُ بَطْنُ الصَّحَائِفِ مُضْجَعُ
أَتْرَاهُ يُحْسِبُ أَنَّهُمْ مَا أَسَارُوا مِنْ كَأْسِهِ أضعاف ما يتجرعُ

عباد الله كم أخلى الموت داراً ، وترك المعمور قفاراً ، كم
أوقد من الأسف في الجوانح نارا ، وكم أذاق الغصص المرة
مرارا .

لَقَدْ جَالَ يَمِينًا وَيَسَارًا فَمَا حَابَى فَقْرًا وَلَا يَسَارًا ، أَيْنَ الْجَيْشُ
الْعَرْمَرَمُ ، أَيْنَ الْكَبِيرُ الْمُعْظَمُ ، الْحَقُّ الْأَخِيرُ بِمَنْ تَقَدَّمَ .
قال محمد بن كعب القرظي إنما الدنيا سُوقٌ خَرَجَ النَّاسُ مِنْهَا
بِهَا يَضُرُّهُمْ وَبِهَا يَنْفَعُهُمْ .

وَكَمْ اغْتَرَّ نَاسٌ فَخَرَجُوا مَلُومِينَ وَاقْتَسَمَ مَا جَمَعُوا مَنْ لَمْ
يُحْمَدُهُمْ وَصَارُوا إِلَى مَنْ لَا يَعْدُرُهُمْ .
فِيحَقُّ لَنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَا نَغْبِطُهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ فَنَعْمَلُهَا ،
وَالِإِىَ مَا نَتَخَوَّفُ فَتَتَجَنَّبُهَا .

وَأَتَى الْمَشِيبُ بِحِلْمِهِ وَوَقَارِهِ	وَذَهَبَ الشَّبَابُ بِجَهْلِهِ وَبِعَارِهِ
بَغُرُورِهِ وَمُبَشِّرِ بَجْوَارِهِ	شَتَانَ بَيْنَ مُبَعَّدٍ مِنْ رَبِّهِ
كَالطَّرْفِ يَمْرُحُ مُعْجَبًا بِعِذَارِهِ	مَازَلْتُ أَمْرُحُ بِالشَّبَابِ جَهَالَةً
وَجَرَرْتُ مِنْ بَطْرِ فُضُولِ أَزَارِهِ	وَسَحَبْتُ أَثْوَابَ الْبَطَالَةِ لَاهِيًا
عَوْرَاتِهِ وَبَدَا قَبِيحُ عَوَارِهِ	حَتَّى تَقْلُصَ ظِلُّهُ فَتَكْشِفَتْ
وَتَنَدَّمُ مِنِّي عَلَى أَوْزَارِهِ	لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِطَائِلٍ غَيْرِ الْأَسَى
بِمَوَاعِظِ وَالْحَقِّ فِي تَذْكَارِهِ	وَالآنَ قَدْ خَطَّ الْمَشِيبُ بِمَفْرَقِي
عَنْهُ وَلَا تُصْنَعُ إِلَى إِنْذَارِهِ	وَالنَّفْسُ تَرْكَبُ غَيْبَهَا لَا تَرْعَوِي
مُحْصَى عَلَى بَلِيلِهِ وَنَهَارِهِ	لَهْفِي عَلَى عُمُرٍ يَمُرُّ مُضِيْعًا

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مَيِّدَانُكُمْ بِنُفُوسِكُمْ فَإِنْ
انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهَا كُنْتُمْ عَلَى غَيْرِهَا أَقْدَرُ ، وَإِنْ خُذِلْتُمْ فِيهَا كُنْتُمْ عَلَى
غَيْرِهَا أَعْجَزُ ، فَجَرَّبُوا مَعَهَا الْكِفَاحَ أَوَّلًا .

كان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ مَا يَنَامُ إِلَّا أَوَّلَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَسْتَفْضُ فِرْعَانَ
مَرْعُونًا يُنَادِي النَّارَ النَّارَ شَغَلَنِي ذِكْرُ النَّارِ عَنِ النَّوْمِ وَالشَّهْوَاتِ .
ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيَقُولُ عَلَى أَثَرِ وُضُوئِهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَالِمٌ بِحَاجَتِي
غَيْرَ مُعَلِّمٍ وَمَا أَطْلُبُ إِلَّا فَكَأَنَّكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ .

قال عمر بن عبد العزيز أيها الناس إنما يُراد الطيب للوجع الشديد ، ألا فلا وجع أشد من الجهل ولا داء أخبث من الذنوب ولا خوف أخوف من الموت .

يُروى عن الأصمعي قال قرأت « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » والله غفورٌ رحيم .

وبجني أعرابي فقال كلامٌ من هذا فقلت كلامُ الله . قال أعد فأعدت فقال ليس هذا كلامُ الله ، فانتبهت فقرأت « والله عزيرٌ حكيم » .

فقال أصبت هذا كلامُ الله ، فقلت أتقرأ القرآن ، قال لا فقلت من أين علمت .

فقال يا هذا عزٌّ فحكمت فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع . كان أحد العلماء له وظيفة يأخذ عليها راتبٌ جيدٌ فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع أصحابه طعاماً فجاء قط فرموا له شيئاً فأخذه وذهب سريعا .

ثم رجع فرموا له أيضاً شيئاً فانطلق به سريعا ثم جاء أيضاً فرموا له شيئاً فعلموا أنه لا يأكل هذا كله فتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قطٍ آخر أعمى في سطحٍ هناك فتعجبوا من ذلك .

فقال الشيخ ياسبحان الله هذا حيوانٌ بهيمٌ قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقني وأنا عبده وعبده .

ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه . وأقبل على العبادة والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص إلى أن مات .

تَنَامُ وَقَدْ أُعِدُّ لَكَ السُّهَادُ وَتَوَقِّنُ بِالرَّحِيلِ وَلَيْسَ زَادُ
وَتُصْبِحُ مِثْلَ مَا تُسَيِّ مُضِيْعًا كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا الْمُرَادُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوزَ غَدًا هِنِيًّا وَلَمْ يَكُ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا اجْتِهَادُ
إِذَا فَرَطْتَ فِي تَقْدِيمِ زَرْعٍ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ عَدَمِ حَصَادُ
قال بعض العلماء عليكم بأهل السخاء والشجاعة فإنهم
أهل حُسن الظنِّ بالله ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر
بُخلهم ومدمة الناس لهم وإطباق القلوب على كراهتهم إلا سوء
ظنهم برَّبهم في الخلف لكان عظيمًا . والله أعلم وصلى الله على
محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل في ذكر بعض مسائل فيها ترويح للنفس وإجمام لها
وتسلية]

قال رجل من اليهود لعنهم الله لأمير المؤمنين علي بن أبي
طالب ما دفنتم نبيكم حتى قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير .
فقال علي رضي الله عنه أنتم ما جفت أقدامكم من البحر
حتى قلت « اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة » .
أخذ زياد رجلًا فأفليت منه فأخذ أخاه فقال إن جئت بأخيك
وألا ضربت عنقك .
قال أرايت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين نُخلي سبيلي قال
نعم .

قال فأننا آتيت بكتاب من العزيز الرحيم وأقيم عليه
شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام « أم لم ينبأ بما في صحف
موسى وإبراهيم الذي وفي أن لا تزرا وازرة أخرى » قال زياد خلوا
سبيله هذا لقي حجتته .

قيل لأَسْلَمَ بن زُرْعَةَ إن انْهَزَمَتْ من أصحابِ مُرْدَاسِ
يَغْضَبُ عَلَيْكَ الأَمِيرُ عُبَيْدُ اللهِ بن زياد .
فقال لأن يَغْضَبَ عَلَيَّ وأنا حَيٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أن يَرْضَى عَنِّي
وأنا مَيِّتٌ .

وقع النزاع بين أهل السنة والرافضة في المفاضلة بين أبي بكر
وعلي رضي الله عنهما .
فحكّموا بينهم ابن الحوزي وأمروا شخصاً أن يسأله عن
ذلك فقال مَنْ كانت إبنته تحته .
فقال أهل السنة هو أبو بكر لأن بنته عائشة كانت تحت
رسول الله ﷺ .

وقالت الرافضة هو علي لأن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت
تحتة .
أجوبة مُسَكَّتة .

قال عَمْرُو بن العاصِ لِعَدِي بن حاتمَ متى فُقِئتَ عَيْنُكَ قال
يَوْمَ طُعِنْتَ وأنت مُولٍ في صِفِينِ .
شَهِدَ أَعْرَابِي بِشَهادَةِ عِنْدَ مُعاويةَ على شيءٍ فقال له مُعاويةُ
كَذَبْتَ .

فقال الكاذِبُ والله مُزَمِّلٌ في ثِيابِكَ .
فَتَبَسَّمَ مُعاويةُ وقال هذا جِزَاءُ مَنْ عَجَلَ .
دَخَلَ عَدِيُّ بن حاتمِ على مُعاويةَ وعنده عبدُ اللهِ بن عَمْرٍو
فقال عبدُ اللهِ يا عَدِيُّ متى ذَهَبَتْ عَيْنُكَ .
قال يَوْمَ مِثْلِ أبوكَ هارِباً وضربَ على قفاه مُولِياً وأنا يَوْمئِذٍ على
الحقِّ وأنتَ وأبوكَ على الباطلِ .
قال الحسنُ لابنِ سِيرينَ تُعَبِّرُ الرُؤيا كأنكَ من آلِ يَعْقوبِ

فقال ابن سيرين وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .
قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له من عندنا خرج
العلم .

فقال ابن شبرمة ثم لم يعد إليكم .
قال معاوية لعقيل بن أبي طالب أين ترى عمك أبا لهب .
قال في النار هو وعمتك حمالة الحطب .
قال الرشيد لشريك القاضي : آية في كتاب الله ليس لك
ولا لقومك فيها شيء .

قال وما هي قال قوله تعالى « وإنه لذكر لك ولقومك » .
فقال آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء قال وما هي
قال قول الله جل وعلا « وكذب به قومك وهو الحق » .
قال معاوية بكلام عرض فيه بعبد الله بن الزبير فقال يا أمير
المؤمنين لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك وتعمل
لسانك في قومك .

اشتكى عبدالله بن صفوان ضرسه فأتا رجلاً يعودُه وقال ما
بك قال وجع ضرس .
فقال أما علمت ما يقول إبليس قال لا قال يقول دواؤه
الكسر .

قال إنما يطيع إبليس أوليائه .
وقال معاوية لرجل من أهل اليمن ما كان أحق قومك حين
قالوا « ربنا باعد بين أسفارنا » أما كان جمع الشمل خيراً لهم .
فقال اليهاني قومك أحق منهم حين قالوا « اللهم إن كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب
أليم » .

قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي بلغني
أنك خنت أمير المؤمنين .

فقال شريك لا تقل ذلك لو خنته لأتاك نصيبك .

مرض الشعبي فعاده رجل ثقيل الدم فأطال الجلوس جدا .

فقال للشعبي ما أشد ما مر عليك في مرضك .

قال فعودك عندي .

ودخل لص بيتا لأحد الظرفاء الأذكيا .

فقال للص إن الذي تطلبه بالليل ما وجدناه بالنهار .

سئل إنسان عن نسبه فقال أنا ابن أخت فلان فسمعه رجل

فقال الناس ينتسبون طولا وهذا ينتسب عرضا .

قال بعضهم يوصى إخوانه عاشروا الناس معاشرة الكرام

إن غبتم حنوا إليكم وذكروكم بخير وإن مرضتم عادوكم ودعوا

لكم بالشفاء وإن متم ترحموا عليكم ولا تعاشرهم معاشرة اللئام

إن غبتم قالوا الحمد لله الذي أزال عنا نقمة وإن متم قالوا تخفيف

ورحمة وإن مرضتم فرحوا وقالوا نسأل الله أن يريحنا منهم واعلموا ان

الناس ما منهم سلامة إن انقبضتم أو انبسطتم فكونوا منهم على

حذر .

الناس داء دفين لا دواء له العقل قد حار منهم فهو منذهل

إن كنت منبسطا سميت مسخرة أو كنت منقبضا قالوا به ثقل

وإن تخالطهم قالوا به طمع وإن تجانبهم قالوا به ملل

وإن تهور لاقوك بمنقصة وإن تزهد قالوا زهده حيل

وفد اعرابي على أحد الولاة وأنشده قصيدة يثني عليه فيها

وكان في فمه ميلان فلم يأمر له بشيء وكان ملتَمِسا للمكافاة .

فقال له الوالي ما بال فمك معوجا فقال لعله عقاب من الله

تعالى .

فقال الوالي على أي شيء عاقبك فقال لكثرة ما كذبتُ
بالمدح والثناء بالباطل على بعض الناس . يعني وأنت منهم .
وَجَدَ يَهُودِيٌّ مُسْلِمًا يَأْكُلُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ وَهُوَ غَيْرُ مَسَافِرٍ
فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُطْعِمَهُ .

فقال المسلم يا هذا إن ذبيحتنا لا تَحِلُّ على اليهود .
فقال اليهودي أنا في اليهود مثلك في المسلمين .
سأل رجل حكيمًا عن أخ له كيف حاله فقال مات فقال ما
سَبَبُ موته قال حَيَاتُهُ .

يُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا عِنْدَهُ زَوْجَةٌ مَاتَ عَنْهَا أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ فَمَرَضَ
الْخَامِسُ فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ تَبْكِي وَقَالَتْ إِلَى مَنْ تُوصِي بِي فَقَالَ
إِلَى السَّادِسِ .

وَدَخَلَ الْخَلِيلُ ابْنَ أَحْمَدَ عَلَى مَرِيضٍ نَحْوِي وَعِنْدَهُ أَخٌ لَهُ مَا
يُحْسِنُ النَّحْوَ فَقَالَ أَخُو الْمَرِيضِ لِلْمَرِيضِ افْتَحْ عَيْنَاكَ وَحَرِّكْ شَفَتَاكَ
إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ عِنْدَكَ جَالِسًا .
فقال الخليل إن أكثر مَرَضٍ أَخِيكَ مِنْ كَلَامِكَ لِأَنَّ كَلَامَهُ
لَحْنٌ .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْجَاحِظِ وَقَالَ لَهُ سَمِعْتُ أَنَّ لَكَ أَلْفَ جَوَابٍ
مُسَكَّتٍ فَعَلِمَنِي مِنْهَا فَقَالَ لَهُ الْجَاحِظُ لَكَ مَا تُرِيدُ .

فقال الثقيل إذا قال لي رجلٌ ياتقيل الدَّمِ وَيَا خَفِيفَ الْعَقْلِ
فَبِمَاذَا أَجِيبُهُ فَقَالَ لَهُ الْجَاحِظُ قُلْ لَهُ صَدَقْتَ .

رُويَ أَنَّ صُهَيْبًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرٌ وَخُبْزٌ فَقَالَ
أَذُنُ فَكُلْ فَأَخَذَ يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ .

فقال له النبي ﷺ « إِنْ بَعَيْنِكَ رَمَدًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا
أَكُلُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ .

وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ
قَالَ مَنْ نَوَى الْحَجَّ وَعَاقَهُ عَائِقٌ كَتَبَ لَهُ الْحَجَّ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ مَا وَقَعَ
أُرْخِصَ مِنْ هَذَا .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى بَصْرَى قَبْلَ
مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَامٍ وَمَعَهُ نَعِيمَانُ وَسُوَيْبُ بْنُ حَرْمَلَةَ .
وَكَانَا قَدْ شَهَدَا بَدْرًا وَكَانَ نَعِيمَانُ عَلَى الزَّادِ وَكَانَ سُويِبُ
رَجُلًا مَزَاحًا فَقَالَ لِنَعِيمَانَ أَطْعِمْنِي قَالَ حَتَّى يَجِيءَ أَبُو بَكْرٍ .
قَالَ أَمَا لِأَغِيظَنَّكَ قَالَ فَمَرُوا بِقَوْمٍ فَقَالَ لَهُمْ سُويِبُ تَشْتَرُونَ
مِنِي عَبْدًا لِي قَالُوا نَعَمْ قَالَ إِنَّهُ عَبْدٌ لَهُ كَلَامٌ فَهُوَ قَائِلٌ لَكُمْ إِنِّي حَرٌّ
فَإِنْ كُنْتُمْ إِذَا قَالَ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ تَرَكَتُمُوهُ فَلَا تَفْسُدُوا عَلَيَّ عَبْدِي .
قَالُوا لَا بَلْ نَشْتَرِيهِ مِنْكَ فَاشْتَرَوْهُ بِعَشْرِ قَلَائِصٍ ثُمَّ أَتَوْهُ
فَوَضَعُوا فِي عُنُقِهِ عِمَامَةً أَوْ حَبْلًا فَقَالَ نَعِيمَانُ إِنَّ هَذَا يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ
وَإِنِّي حَرٌّ وَلَسْتُ بِعَبْدٍ .

فَقَالُوا قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَكَ فَاَنْطَلَقُوا بِهِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْبَرُوهُ
بِذَلِكَ فَاتَّبَعَ الْقَوْمَ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْقَلَائِصَ وَأَخَذَ نَعِيمَانَ .
فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرُوهُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ
وَأَصْحَابُهُ مِنْهُ .

إِنَّا عَلَى قَلْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ
نَبِيَّيْ وَنَنْدُبُ آثَارِ الَّذِينَ مَضَوْا
طَالَتْ عِمَارَتُنَا الدُّنْيَا عَلَى غَرَرٍ
يَا مَنْ يُحِثُّ بِتَرْحَالٍ عَلَى عَجَلٍ
نَسَاقُ عَنْهَا بِأُمْسَاءٍ وَإِبْكَارِ
وَسَوْفَ تَلْحَقُ آثَارُ بَأَثَارِ
وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا غَيْرُ عُمَارِ
لَيْسَ الْمَحَلَّةُ غَيْرَ الْفَوْزِ مِنْ نَارِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمِ الْفَخْرِ وَالْعَارِ
فَاتْرُكْ مُفَاخِرَةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ تَرَكُوا الدُّنْيَا فَأَصَابُوا ، وَسَمِعُوا مُنَادِيَّ
اللَّهِ فَأَجَابُوا ، وَحَضَرُوا مَشَاهِدَ التَّقِيِّ فَمَا غَابُوا ، وَاعْتَذَرُوا مَعَ
التَّحْقِيقِ ثُمَّ تَابُوا وَأَنَابُوا ، وَقَصَدُوا بَابَ مَوْلَاهُمْ فَمَا رُدُّوا وَلَا
خَابُوا .

قال عمرو بن ذرٍ لما رأى العابدونَ الليلَ قد هَجَمَ عليهم ،
ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم .
قاموا إلى الله سبحانه وتعالى فرحين مُستبشرين بما قد وهب
اللهُ لهم من السَّهرِ وطولِ التَّهَجُّدِ .

فاستقبلوا الليلَ بأبدانهم ، وناشروا ظلمته بصفاح
وجوههم ، فانقضى عنهم الليلُ ، وما انقضت لذتهم من
التلاوة ، ولا ملت أبدانهم من طول العبادَةِ ، فأصبح الفريقان وقد
ولى الليلُ برنجٍ وغبن .

فاعملوا في هذا الليلِ وسواده ، فإنَّ المغبونَ من غبن الدنيا
والآخرة ، كم من قائم لله تعالى في هذا الليلِ قد اغتبط بقيامه في
ظلمة حُفرتَه .

قال بعض العارفين ما أحبُّ أنَّ حسابي يومَ القيامة يُجعلُ إلى
أبويِّ لاني أعلم وأتيقن أن الله جلُّ وعلا أرحمُ بي منهم .

شعراً :

أفق وابتك حانت كبرة ومشيبي أما للتقي والحق فيك نصيب
أيا من له في باطن الأرض منزل أتانس بالدنيا وأنت غريب
وما الدهر إلا مرُّ يومٍ وليلة وما الموت إلا نازل وقريب

[فصل]

عباد الله قد نقلنا في كتاب إرشاد العباد عن النار وأهوالها وغمومها وأنكالها وشراب أهلها وطعامهم وما إلى ذلك مما أعده الله جل وعلا لأهلها من أنواع العذاب الأليم الأبدي السرمدي ما فيه كفاية .

ويقابل دار الأشقياء دار أخرى دار قرارٍ ونعيمٍ وسرورٍ وحبورٍ وأمنٍ وصحةٍ وحياةٍ أبديةٍ فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ بما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .
دار جعلها الكريمُ جل وعلا دار ضيافةٍ ، يُكرم فيها عبادهُ الأنخيار الذين وفقهم لخدمتهِ والعمل بطاعتهِ .

ولا تظن هذه الضيافة محدودة ، ولا أن الكرامة فيها تنتهي بل كل ما تحبه وتتمناه أمامك إن كنت من أهل العفو والتجاوز فتوهم إن تفضل الله عليك بالعفو والتجاوز (أي تصور ممرك على الصراط) .

ونورك يسعى بين يديك وعن يمينك ، وكتابك بيمينك مبيض الوجه .

قال الله جل وعلا ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ وقد أيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمرة العابدين ووفود المتقين .

والملائكة تُنادي : سلِّم سلِّم ، والوجلُّ مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين ، تُنادي وينادون : ﴿ ربنا ائتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ .
فتدبر حين رأوا المنافقين طفيء نورهم ، وهاج الوجلُّ في قلوبهم ، فدعوا بتمام النور والمغفرة .

فَتَوَهَّمُ أَيَّ تَصَوُّرٍ وَتَخَيَّلٍ وَتَمَثُّلٍ نَفْسِكَ ، وَأَنْتِ تَمُرُّ خَفِيْفًا مَعَ
الْوَجَلِ وَتَصَوِّرُ مَمْرَكَ عَلَى قَدْرِ خِفَّةِ أَوْزَارِكَ وَثِقَلِهَا وَقَدْ انْتَهَيْتِ إِلَى
آخِرِهِ .

فَغَلَبَ عَلَى قَلْبِكَ النِّجَاةُ ، وَقَدْ عَايَنْتِ نَعِيمَ الْجَنَانِ وَأَنْتِ
عَلَى الصِّرَاطِ ، فَحَنَّ قَلْبُكَ عَلَى جِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَشْتَقُ إِلَى
رِضَا اللَّهِ .

حَتَّى إِذَا صِرْتِ إِلَى آخِرِهِ خَطَوَاتٍ بِأَحَدِ رِجْلَيْكَ إِلَى الْعَرِصَةِ
(أَيِ عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ) الَّتِي بَيْنَ آخِرِ الْجِسْرِ وَبَيْنَ بَابِ الْجَنَّةِ ،
فَوَضَعْتَهَا عَلَى الْعَرِصَةِ الَّتِي بَعْدَ الصِّرَاطِ ، وَبَقِيَتِ الْقَدَمُ الْآخْرَى ،
عَلَى الصِّرَاطِ ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ قَدْ اعْتَلِيَا فِي قَلْبِكَ وَغَلَبَا عَلَيْكَ .
ثُمَّ ثَنَيْتِ بِالْآخِرَى ، فَجُزَّتِ الصِّرَاطُ كُلُّهُ وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمَاكَ
عَلَى تِلْكَ الْعَرِصَةِ ، وَزَلَّتْ عَنِ الْجِسْرِ بِبَدْنِكَ ، وَخَلَّفَتْهُ وِرَاءَ
ظَهْرِكَ .

وَجَهَنَّمُ تَضْطَرِبُ مِنْ تَحْتِ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا ، وَتَثْبُ عَلَى مَنْ
زَلَّ عَنْهُ مُغْتَاظَةً تَزْفَرُ عَلَيْهِ وَتَشْهَقُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الْجِسْرِ فَانْظَرَتْ إِلَيْهِ بِاضْطِرَابِهِ ، وَنَظَرَتْ إِلَى
الْخَلَائِقِ مِنْ فَوْقِهِ ، وَإِلَى جَهَنَّمِ مِنْ تَحْتِهِ تَثْبُ وَتَزْفَرُ عَلَى الَّذِينَ زُلُّوا
عَنِ الصِّرَاطِ .

لَهَا فِي رُؤُوسِهِمْ وَأَنْحَائِهِمْ قَصِيْفٌ ، فَطَارَ قَلْبُكَ فَرِحًا إِذْ
نَجَوْتَ بِضَعْفِكَ مِنَ النَّارِ وَخَلَّفْتَ النَّارَ وَجَسْرَهَا مِنْ وِرَاءِ ظَهْرِكَ .
مُتَوَجِّهًا إِلَى جِوَارِ رَبِّكَ .

ثُمَّ خَطَوْتَ أَمْنًا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ امْتِلَاءً لِقَلْبِكَ سُرُورًا وَفَرَحًا ،
فَلَا تَزَالُ فِي مَمْرِكَ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ حَتَّى تُوَافِيَ أَبْوَابَهَا .

فإذا وافيت بابها استقبلك بحسنة ، فنظرت إلى حسنه ونوره
وحسن صورة الجنة وجدراها .
وقلبك مستطير فرح مسرور متعلق بدخول الجنة حين
وافيت بابها أنت وأولياء الرحمن .

فتوهم أي تخيل وتصور نفسك في ذلك الموكب ، وهم أهل
كرامة الله ورضوانه ، مبيضة وجوههم ، مشرقة برضا الله ،
مسرورون فرحون مستبشرون ، وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك ،
وحر المقام ووهج ما مر بك .

فنظرت إلى العين التي أعدها الله لأولياؤه وإلى حسن مائها ،
فانغمست فيها مسروراً ، لما وجدت من برد مائها وطيبه ،
فوجدت له برداً وطيباً ، فذهب عنك بحزن المقام .

وطهرتك من كل دنس وغبار ، وأنت مسرور لما وجدت من
طيب مائها لما باشرته ، وقد أفلت من وهج الصراط وحره ، لأنه
قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده بلفحها وقد بلغت
منه .

فما ظنك وقد انفلت من حر المقام ووهج أنفاس الخلائق ،
ومن شدة توهج حر الصراط فوافيت باب الجنة بذلك ، فلما
نظرت إلى العين قدفت بنفسك فيها .

فتوهم (أي تصور وتخيل) فرحة فؤادك لما باشر برد مائها
بدنك بعد حر الصراط ، ووهج القيامة ، وأنت فرح لمعرفة أنك
إنما تغتسل لتطهر للدخول الجنة والخلود فيها .

فأنت تغتسل منها دائماً ، ولونك متغير حسناً ، وجسدك
يزداد نضرة وبهجة ونعياً ، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتم
النور .

فَتَوَهَّم (أي تصور وتخيّل) فَرِحَ قَلْبُكَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْهَا
فَنَظَرْتَ إِلَى كِهَالِ جَمَالِكَ ، وَنَضَارَةِ وَجْهِكَ وَحُسْنِهِ ، وَأَنْتَ عَالِمٌ
مُوقِنٌ بِأَنَّكَ تَتَنَظَّفُ لِلدُّخُولِ إِلَى جِوَارِ رَبِّكَ .

ثُمَّ تَقْصُدُ إِلَى الْعَيْنِ الْأُخْرَى ، فَتَتَنَاوَلُ مِنْ بَعْضِ آيَاتِهَا ،
فَتَوَهَّمُ نَظْرَكَ إِلَى حُسْنِ الْإِنَاءِ ، وَإِلَى حُسْنِ الشَّرَابِ ، وَأَنْتَ
مَسْرُورٌ بِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَشْرَبُ هَذَا الشَّرَابَ لِتُطَهَّرَ جَوْفَكَ مِنْ
كُلِّ غِلٍّ ، وَجَسَدُكَ نَاعِمٌ أَبَدًا .

حَتَّى إِذَا وَضَعْتَ الْإِنَاءَ عَلَى فَيْكِ ثُمَّ شَرَبْتَهُ ، وَجَدْتَ طَعْمَ
شَرَابٍ لَمْ تَذُقْ مِثْلَهُ ، وَلَمْ تَعُودْ شَرِبْتَهُ ، فَيَسْلَسُ مِنْ فَيْكِ إِلَى
جَوْفِكَ ، فَطَارَ قَلْبُكَ سُرُورًا لِمَا وَجَدْتَ مِنْ لَذَّتِهِ ، ثُمَّ نَقِيَ جَوْفَكَ
مِنْ كُلِّ آفَةٍ .

فَوَجَدْتَ لَذَّةَ طَهَارَةِ صَدْرِكَ مِنْ كُلِّ طَبَعٍ كَانَ فِيهِ يُنَازِعُهُ إِلَى
الْغُمُومِ وَالْهُمُومِ وَالْحِرْصِ وَالشَّدِيدَةِ وَالْغَضَبِ وَالْغِلِّ ، فَيَا بَرْدَ
طَهَارَةِ صَدْرِكَ ، وَيَارُوحَ ذَلِكَ عَلَى فؤَادِكَ .

حَتَّى إِذَا اسْتَكْمَلْتَ طَهَارَةَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، وَاسْتَكْمَلَ
أَحْبَاءُ اللَّهِ ذَلِكَ مَعَكَ ، وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ بِرَأْسِكَ وَيَرَاهُمْ .

أَمَرَ مَوْلَاكَ الْجِوَادُ الْمُتَّحِنِينَ خِزَانِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، الَّذِينَ
لَمْ يَزَالُوا مُطِيعِينَ خَائِفِينَ مِنْهُ مُشْفِقِينَ وَجَلِيلِينَ مِنْ عِقَابِهِ إِعْظَامًا لَهُ
وَإِجْلَالًا ، وَهَيْبَةً لَهُ ، وَحَذْرًا مِنْ نِقْمِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوا بَابَ
جَنَّتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ .

فَانْحَدَرُوا مِنْ دَارِهَا ، وَبَادَرُوا مِنْ سَاحَاتِهَا ، وَأَتَوْا بَابَ الْجَنَّةِ
فَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِيَفْتَحُوا أَبْوَابَهَا .
وَأَيَّقَنْتَ بِذَلِكَ ، فَطَارَ قَلْبُكَ سُرُورًا ، وَامْتَلَأَتْ فَرْحًا ،

وَسَمِعْتَ حُسْنَ صَرِيرِ أَبْوَابِهَا ، فَعَلَاكَ السُّرُورُ ، وَغَلَبَ عَلَى
فُؤَادِكَ ، فَيَا سُرُورَ قُلُوبِ الْمَفْتُوحِ لَهُمْ بَابَ جَنَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
فَلَمَّا فَتَحَ لَهُمْ بَابُهَا ، هَاجَ نَسِيمُ طِيبِ الْجَنَانِ ، وَطِيبُ جَرَى
مَائِهَا ، فَفَنَحَّ وَجْهَكَ ، وَجَمِيعَ بَدَنِكَ ، وَثَارَتْ أَرَايِيحُ الْجَنَّةِ الْعَبْقَةِ
الطَّيْبَةِ .

وَهَاجَ رِيحُ مِسْكِهَا الْأَذْفَرِ ، وَزَعْفَرَانِهَا الْمُتَوْنِعِ ، وَكَافُورِهَا
الْأَصْفَرِ ، وَعَنْبَرِهَا الْأَشْهَبِ ، وَأَرِيَاحُ طِيبِ ثَمَارِهَا وَأَشْجَارِهَا ، وَمَا
فِيهَا مِنْ نَسِيمِهَا .

فَتَدَاخَلْتُ تِلْكَ الْأَرَايِيحُ فِي مَشَامِكُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى
دِمَاجِكَ ، وَصَارَ طِيبُهَا فِي قَلْبِكَ ، وَفَاضَ مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِكَ .
وَنَظَرْتُ بَعَيْنِكَ إِلَى حُسْنِ قُصُورِهَا ، وَتَأْسِيسِ بُيَانِهَا مِنْ
طَرَائِقِ الْجَنَدَلِ الْأَخْضَرِ مِنَ الزُّمُرِدِ ، وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، وَالذَّرِّ
الْأَبْيَضِ ، قَدْ سَطَعَ مِنْهُ نُورُهُ وَبِهَائُوهُ وَصَفَاؤُهُ .

فَقَدْ أَكْمَلَهُ اللَّهُ فِي الصَّفَاءِ وَالنُّورِ ، وَمَا زَجَّهُ نُورُ مَا فِي الْجَنَانِ ،
وَنَظَرْتُ إِلَى حُجُبِ اللَّهِ ، وَفَرَحَ فُؤَادُكَ لِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَهَا فَإِنَّ
لَكَ فِيهَا الزِّيَادَاتِ ، وَالنَّظْرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّكَ ، فَاجْتَمَعَ طِيبُ أَرَايِيحِ
الْجَنَّةِ وَحَسْنُ بَهْجَةِ مَنَظَرِهَا ، وَطِيبُ نَسِيمِهَا ، وَبَرَدُ جَوْهَا .

فَتَصُورُ نَفْسَكَ إِنْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ ، فَلَوْ مَتَّ
فَرِحًا لَكَانَ ذَلِكَ يَحِقُّ لَكَ ، حَتَّى إِذَا فَتَحُوا بَابَهَا ، أَقْبَلُوا عَلَيْكَ
ضَاحِكِينَ فِي وَجْهِكَ وَوُجُوهِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَعَكَ .

وَنَادَوْكُمْ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فَتَوَهَّمْ حَسْنَ نَغْمَاتِهِمْ ، وَطِيبِ
كَلَامِهِمْ ، وَحَسْنَ تَسْلِيمِهِمْ ، فِي كِمَالِ صُورِهِمْ ، وَشِدَّةِ نُورِهِمْ .
ثُمَّ اتَّبِعُوا السَّلَامَ بِقَوْلِهِمْ : ﴿ طِيبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ،

فأثنوا عليهم بالطيب والتهذيب من كل دنسٍ ودرنٍ وغلٍ
وغشٍ ، وكل آفةٍ في دينٍ أو دنيا ، ثم أذنوا لهم على الله بالدخول
في جوارِهِ .

ثم أخبروهم أنهم باقون فيها أبداً ، فقالوا : ﴿ طبتم
فادخلوها خالدين ﴾ ، فلما سمعت الأذن وأولياء الله معك ،
بادرتم الباب بالدخول ، فكضت الأبواب من الزحام .
فتصور نفسك إن عفا الله عنك في تلك الزحمة مبادراً مع
مبادرين ، مسروراً مع مسرورين ، بأبدانٍ قد طهرت ، ووجوهٍ قد
أشرقت وأنارت فهي كالبدر ، قد سَطَعَ من أعراضهم كشعاعِ
الشمس .

فلما جاوزت بابها ، وضعت قدميك على تربتها ، وهي
مسكٌ أذفرٌ ، ونبتُ الزعفران المونع ، والمسكُ مصبوبٌ على
أرضٍ من فضةٍ ، والزعفرانُ نابتٌ حولها .
فذلك أولُ خطوةٍ خطوتها في أرضِ البقاءِ بالأمنِ من
العذابِ والموتِ ، فأنت تتخطى في ترابِ المسكِ ، ورياضِ
الزعفرانِ ، وعيناك ترمقانِ حُسنَ بهجةِ الدرِّ ، من حُسنِ
أشجارها ، وزينةِ تصويرها .

فبينما أنت تتخطى في عرصاتِ الجنانِ ، في رياضِ
الزعفرانِ ، وكُثبانِ المسكِ ، إذ نُودي في أزواجك وولدانك
وخذامك وغلمايك وقهارمتك ، أن فلاناً قد أقبل ، فأجابوا ،
واستبشروا لِقْدُومِك ، كما يبشُرُ أهلُ الغائبِ في الدنيا بقُدُومِهِ -
كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فبينما أنت تنظرُ إلى قُصُورك ، إذ سمعت جَلْبَتَهُم

وتبشيشهم ، فاستطرت لذلك فرحاً ، فبينما أنت فرح مسرر
بغبطتهم لقدمك لما سمعت إجلابهم فرحاً بك .
إذ ابتدرت القهارمة إليك وقامت الولدان صُفُوفاً لقدمك ،
فبينما أنت القهارمة مُقبلةً إليك ، إذ استخف أزواجك للعجلة ،
فبعثت كل واحدة منهن بعض خدماً لينظر إليك مُقبلاً .
ويُسرع بالرجوع إليها بقدمك ، لتطمئن إليه فرحاً ،
وتسكن إلى ذلك سروراً ، فنظر إليك الخدم قبل أن تلقاك
قهارمتك .

ثم بادر رسول كل واحدة منهن إليها فلما أخبرها بقدمك ،
قالت كل واحدة لرسولها : أنت رأيتهُ ، من شدة فرحها بذلك ،
ثم أرسلت كل واحدة منهن رسولاً آخر .

فلما جاءت البشارات بقدمك إليهن ، لم يتماكن فرحاً ،
فأرذن الخروج إليك مُبادراتٍ إلى لقاءك لولا أن الله كتب القصر
لهن في الخيام إلى قدمك ، كما قال مليكك : ﴿ حور مقصورات
في الخيام ﴾ .

فوضعن أيديهن على عَضَائِدِ أَبوابهن . وأذرعهن
برؤوسهن ، ينظرن متى تبدو لهن صَفْحَةٌ وَجْهك ؛ فيسكن طول
حينهن ، وشدة شوقهن إليك ، وينظرون إلى قرير أعينهن ،
ومعدن راحتهن ، وأنسهن إلى ولي ربهن وحبیب مولاهن .
فتوهم ما عاينت ، حين فتحت أبواب قصورك ، ورُفعت
سُورهُ ، من حُسن بهجة مقاصيره ، وزينة أشجاره ، وحُسن
رياضه ، وتلاؤ صحنه . ونور ساحاته .
فبينما أنت تنظر إلى ذلك ، إذ بادرت البشري من خدامك

يُنَادُونَ أَزْوَاجَكَ هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ قَصْرِهِ ، فَلَمَّا
سَمِعْنَ نِدَاءَ الْبُشْرَاءِ بِقُدُومِكَ وَدُخُولِكَ ، تَوَثَّنَ مِنَ الْفُرْشِ عَلَى
الْأَسْرَةِ فِي الْحِجَالِ .

وَعَيْنُكَ نَاطِرَةٌ إِلَيْهِنَّ فِي جَوْفِ الْخِيَامِ وَالْقِيَابِ ، فَنَظَرْتَ إِلَى
وُثُوبِهِنَّ مُسْتَعْجَلَاتٍ ، قَدْ اسْتَخَفَّهِنَّ الْفَرْحُ ، وَالشُّوقُ إِلَى رُؤْيَتِكَ .
فَتَخَيَّلَ تِلْكَ الْأَبْدَانِ الرَّخِيْمَةَ الرَّغْبُوبَةَ الْخَرِيْدَةَ النَّاعِمَةَ ،
يَتَوَثَّنَ بِالتَّهَادِي وَالتَّبَخُّرِ .

فَتَصَوَّرَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، حِينَ وَثَبَتْ فِي حُسْنِ حُلِيِّهَا
وَحِلْيَتِهَا بِصَبَاحَةِ وَجْهِهَا ، وَتَثْنِي بَدَنَهَا بِنِعْمَتِهِ .
فَتَوَهَّمُوا انْحِدَارَهَا مُسْرَعَةً بِكَمَالِ بَدَنِهَا ، نَازِلَةً عَنْ سَرِيرِهَا إِلَى
صَحْنِ قُبَّتِهَا ، وَقَرَارِ خِيْمَتِهَا ، فَوَثَّنَ حَتَّى أَتَيْنَ أَبْوَابَ خِيَامِهِنَّ
وَقِيَابِهِنَّ .

ثُمَّ أَخَذْنَ بِأَيْدِيهِنَّ عَضَائِدَ أَبْوَابِ خِيَامِهِنَّ لِلْقَصْرِ ، الَّذِي
ضُرِبَ عَلَيْهِنَّ إِلَى قُدُومِكَ ، فَقُمْنَ آخِذَاتٍ بِعَضَائِدِ أَبْوَابِهِنَّ .
ثُمَّ خَرَجْنَ بِرُؤُوسِهِنَّ وَوُجُوْهِهِنَّ ، يَنْحَدِرْنَ مِنْ أَبْوَابِ
قِيَابِهِنَّ . مُتَطَلِّعَاتٍ ، يَنْظُرْنَ إِلَيْكَ ، مُقْبِلَاتٍ قَدْ مَلِئْنَ مِنْكَ
فَرَحًا وَسُرُورًا .

وَتَخَيَّلَ نَفْسَكَ بِسُرُورِ قَلْبِكَ وَفَرَحِهِ ، وَقَدْ رَمَقْتَهُنَّ عَلَى حُسْنِ
وُجُوْهِهِنَّ ، وَغَنَجِ أَعْيُنِهِنَّ .

فَلَمَّا قَابَلَتْ وَجُوْهَهُنَّ حَارَ طَرْفُكَ ، وَهَاجَ قَلْبُكَ بِالسُّرُورِ ،
فَبَقِيَتْ كَالْمَبْهُوتِ الذَّاهِلِ مِنْ عَظِيمِ مَا هَاجَ فِي قَلْبِكَ مِنْ سُرُورِ
مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ ، وَسَكَنْتَ إِلَيْهِ نَفْسُكَ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَرْفُلُ إِلَيْهِنَّ ، إِذْ دَنَوْتَ مِنْ أَبْوَابِ الْخِيَامِ ،

فأسرعن مبادراتٍ قد استخفهنَّ العشقُ ، مُسرعاتٍ يتثنين من
نعيم الأبدان ، ويتهادين من كمال الأجسام .
ثم نادتك كل واحدةٍ منهن : يا حبيبي ما أبطاك علينا ؟
فاجبتها بأن قلت : يا حبيبة ما زال الله عز وجل يوقفني على ذنب
كذا وكذا حتى خشيت أن لا أصل إليكن .
فمشين نحوك في السندس والحرير . يثرن المسك ، وشوقاً
وعشقا لك .

فأول من تقدمت منهنَّ مدت إليك بنانها ومعضمها وخاتمها
وضممتك إلى نحرها فأنشيت عليها بكفك وساعدك حتى وضعتهُ
على قلائدها من حلقيها ، ثم ضممتها إليك وضممتك إليها .
فتوهم نعيم بدنِها لما ضممتك إليها كاد أن يداخل بدنك
بدنِها من لينه ونعيمه .

فتوهم ما باشر صدرك من حُسن نُودِها ، ولذّة مُعانقتها .
ثم شممت طيب عوارضها ، فذهب قلبك من كل شيء سواها
حتى غرق في السرور ، وامتلاً فرحاً ، لما وصل إلى رُوحك من
طيب مسيسها ، ولذّة روائح عوارضها .

فلما استمكنت خفة السرور من قلبك ، وعمت لذّة الفرح
جميع بدنك ، وموعد الله عز وجل في سرورك ، فناديت بالحمد لله
الذي صدقك الوعد ، وأنجز لك الموعد . ثم ذكرت طلبك إلى
ربك إياهنَّ بالدُوب والتشمير .

فأين أنت في عاقبة ذلك العمل الذي استقبلته وأنت
تلتئمهنَّ وتشم عوارضهنَّ ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .
فتوهم صعودها على السرير بعظيم بدنِها ونعيمه ، حتى

استوت عليه جالسةً ، ثم ارتقيت على السرير ، فاستوت عليه معها ، فقابلتك وأنت مقابلهما ، فيا حُسنَ مَنْظِرِكَ إليها جالسةً في حالها وحليها بصباحة وجهها وتعيم جسمها ! الأساورُ في معاصمها ، والخواتمُ في أكفها ، والخلائيلُ في أسواقها ، والقلائد في عنقها ، والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها ، والتاج من فوق ذلك على رأسها ، والذوائب من تحت التاج ، قد حل من مناكبها ، وبلغ أردافها ، ترى وجهك في نحرها ، وهي تنظر إلى وجهها في نحرك .

وقد تدلت الأشجار بثمارها من جوانب حَجَلَتِكَ ، واطردت الأنهارُ حولَ قصرِكَ ، واستعلى الجداول على خيمتك بالخمير والعسل واللبن والسلسبيل .

وقد كمل حُسنُكَ وحُسنُها ، وأنت لابسُ الحرير والسُنْدُس ، وأساور الذهب واللؤلؤ على كل مفصل من مفاصلك ، وتاجُ الدر والياقوت منتصف فوق رأسك ، وأكاليل الدر مُفَصَّصةً بالنور على جبينك .

وقد أضاءت الجنةُ وجميعُ قُصورِكَ من إشراق بدَنِكَ ونور وجهك ، وأنت تُعاينُ من صفاء قُصورِكَ جميع أزواجك وخدمك وجميع أبنية مقاصيرِكَ .

وقد تدلَّت عليك ثمارُ أشجارِكَ ، واطردت أنهارُكَ من الخمر واللبن من تحتك ، والماءُ والعسلُ من فوقك ، وأنت جالسٌ مع زوجتك على أريكتك ، وقد فتحت مصاريع أبوابك ، وأرخيت عليك حجال خيمتك ، وحفت الخدام والولدان بقبتك ، وسمعت زجلهم بالتقديس لربك عز وجل .

وَأَنْتَ وَزَوْجُكَ بِأَكْمَلِ أَهْيَةِ وَأَتَمِّ النِّعْمَةِ ، وَقَدْ حَارَ فِيهَا
 طَرْفُكَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا مُتَعَجِّبًا مِنْ جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا ، طَرَبْتُ قَلْبُكَ
 بِمَلَاخَتِهَا ، وَأَنْسُ قَلْبُكَ بِهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَهِيَ مُنَادِمَةٌ لَكَ عَلَى
 أَرْيَكْتِكَ ، تُنَازِعُكَ وَتُعَاطِيكَ الْخَمْرَ وَالسَّلْسَبِيلَ وَالتَّسْنِيمَ فِي
 كَأْسَاتِ الدَّرِّ وَأَكَاوِيبِ قَوَارِيرِ الْفِضَّةِ .

فَتَوْهَمَ الْكَأْسَ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالذَّرِّ فِي بَنَانِهَا ، وَقَدْ قَرَّبْتَ إِلَيْكَ
 ضَاحِكَةً بِحُسْنِ ثَغْرِهَا ، فَسَطَعَ نُورُ بَنَانِهَا فِي الشَّرَابِ ، مَعَ نُورِ
 وَجْهِهَا وَنَحْرِهَا ، وَنُورِ الْجَنَانِ ، وَنُورِ وَجْهِكَ وَأَنْتَ مُقَابِلُهَا ،
 وَاجْتَمَعَ فِي الْكَأْسِ الَّذِي فِي بَنَانِهَا نُورُ الْكَأْسِ ، وَنُورُ الشَّرَابِ ،
 وَنُورُ وَجْهِهَا ، وَنُورُ نَحْرِهَا ، وَنُورُ ثَغْرِهَا ، إِنَّتْهِى بِتَصْرِفِ .

وقال ابن القيم :

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَاتِ ثُمَّ
 حُورٌ حَسَانٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلَائِقًا
 حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
 وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
 وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤْسِ جَمَالِهَا
 كَمَلْتُ خَلَائِقَهَا وَأَكْمَلْتُ حُسْنَهَا
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
 فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ
 فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعِهِ
 وَكِلَاهُمَا مِرَاةٌ صَاحِبِهِ إِذَا
 فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
 حَمْرُ الْخُدُودِ تُغَوَّرُهُنَّ لِأَلْيَاءِ

مَ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
 وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النَّسْوَانِ
 قَدْ أَلْبَسْتُ فَالطَّرْفُ كَالْحَيَّرَانِ
 سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّسْوَانِ
 كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيِّئَةِ بَعْدَ ثَمَانِ
 وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
 لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
 سُبْحَانَ مُتَقِنِ صُنْعَةِ الْإِنْسَانِ
 مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيَانِ
 وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعَيْنَانِ
 سُودُ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الْأَجْفَانِ

وَالْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ تُغْرَهُهَا
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ تُغْرَضِ احِكِ
لِلَّهِ لِإِثْمِ ذَلِكَ التُّغْرِ السُّدِّي
رَبَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ
لَمَا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بَعْضُهَا
فَالْوَرْدُ وَالتُّفَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
وَالْقَدْ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّذَن فِي
إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ
وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيئَتِهَا وَيَحْتَقُ ذَا
وَوَصَائِفُ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمُّهُ قَدْ حُفَّتْ فِي
فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلَا
فَسَلِ الْمُتِّيمَ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ
وَسَلِ الْمُتِّيمَ كَيْفَ حَالَتِهِ وَقَدْ
مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّهَ
وَسَلِ الْمُتِّيمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا
يَتَسَاقَطَانِ لِثَالِثًا مَنشُورَةً
وَسَلِ الْمُتِّيمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ

فَيُضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجَنَانِ
فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ
فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكَ كُلِّ أَمَانِ
بِ فَغُصْنِهَا بِالمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
حَمَلِ الثَّمَارِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
غُصْنِ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ
حُسْنِ القَوَامِ كَأَوْسَطِ القُضْبَانِ

وَتَمَّيَلَتْ كَتَمَّائِلِ النَّشْوَانِ
وَرْدٌ وَتَفَّاحٌ عَلَى رُمَّانِ
كَ لِيْلِيهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ المِيزَانِ
دَهَشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
وَالعُرْسُ إِثْرَ العُرْسِ مُتَّصِلَانِ
أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ القَمَرَانِ
فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بَأَيِّ مَكَانِ
مِلَّتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالعَيْنَانِ
هَ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
وَهُمَا عَلَى فُرْشَيْهِمَا خَلْوَانِ
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظَمِ جُمَانِ
مَحْبُوبٍ فِي رُوحٍ وَفِي رَمْحَانِ

بَأَكْفِ أَقْمَارٍ مِنَ الْوَلْدَانِ
 وَالْحُودِ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكْتَبَانِ
 شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِينِ
 وَهُمَا بِثُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
 وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجْرَانِ
 حِينَهُ جَدِيداً سَائِرَ الْأَزْمَانِ
 مُتَسَلِّلاً لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
 وَبِالْأَحْقِ وَكِلَاهُمَا صِنَوَانِ
 يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
 جَدِّ الرَّحِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
 قَنَعُوا بِذَا الْحِطِّ الْحَسِيسِ الْفَانِ
 فَتَبِعَهُمْ فَرَضِيَتْ بِالْحَرَمَانِ
 لِي بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
 دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ
 مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

صَرِيحَ الْأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ
 سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضْرَمُ
 هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ
 وَعَضُّ عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ تَسْلَمُ
 فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْحَمُ
 مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرَضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ

وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
 يَتَنَازَعَانِ الْكَاسَ هَذَا مَرَّةً
 فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعَهُ
 غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مَنْكَدٍ
 أَتْرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
 وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لَصَا
 وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
 فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
 فَرَقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا
 وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلُ
 يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ
 سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلْفُوكَ مَعَ الْأُولَى
 وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
 لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطْبِي عَجْزَ وَجْهِهِ
 مَنَّكَ نَفْسُكَ بِالْحُقُوقِ مَعَ الْقُعُوقِ
 وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
 وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَيَاسَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
 أَفِقْ قَدْ دَنَى الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
 وَبِالْسُّنَّةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا
 تَمَسِّكْ بِهَا مَسْكَ الْبَيْخِيلِ بِهَالِهِ
 وَدِعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
 وَهِيَءُ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا

بِهِ رُسُلِي لَمَّا اتَّوَكَّمْتُمْ فَمَنْ يَكُنْ
 وَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةً
 وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجَسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا
 وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لِيُوعِدَهُ
 وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبِّكَ حَقَّهُ
 وَيُنْشِرُ دِيُونََ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ الـ
 فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ
 وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
 فَيَأْتِيَتْ شِعْرِي كَيْفَ حَالِكَ عِنْدَمَا
 أَتَاخُذُ بِالْيُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ
 وَتَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
 تَقُولُ كِتَابِي فَاقْرُؤُهُ فَإِنَّهُ
 وَإِنْ تَكُنَ الْآخِرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ
 فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمُرِ فُسْحَةٌ
 وَجُدْ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصَّبَا
 وَسِرْ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا

عن النعمان بن بشير أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول
 إن الحلال بين وإن الحرام بين .
 وبينهما أمورٌ مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى
 الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .
 ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول
 الحمى يوشك أن يرتع فيه .
 ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه .
 ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا

فَسَدَّتْ فَسَدَّ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ لَوْلَا أَنِي
أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .
وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابٍ فَاتَتْهُ امْرَأَةٌ
فَقَالَتْ إِنِّي أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا .
فَقَالَ عُقْبَةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي فَرَكِبَ إِلَى
رَسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ ففَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ
زَوْجًا غَيْرَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ
رَسُولِ ﷺ « دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ » (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)
وَمَعْنَاهُ إِتْرُكْ مَا تَشْكُ فِيهِ وَخُذْ مَا لَا تَشْكُ فِيهِ .
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخِرَاجَ فَجَاءَهُ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو
بَكْرٍ .

فَقَالَ الْغُلَامُ تَدْرِي مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا هُوَ فَقَالَ كُنْتُ
تَكْهَنُتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْطَانِي لِذَلِكَ (أَيُّ لِأَجْلِ) تَكْهَنِي
هَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ .

فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .
وَعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ
الْأُولَى أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَفَرَضَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ فَقَطُ .
فَقِيلَ لِعُمَرَ إِبْنُكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ الرَّبْعَ فَقَالَ :
(إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ) أَيُّ لَيْسَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ اشْتَرَيْتُ إِبِلًا
وَارْتَجَعْتُهَا إِلَى الْحَمَى فَلَمَّا سَمِنَتْ قَدِمْتُ بِهَا .

قال فدخل عُمرُ السُّوقَ فرأى إبلاً سماناً فقال لمن هذه فقيل
لعبدالله ابن عمر فجعل يقول يا عبدالله بَخِ بَخِ ابن أمير
المؤمنين .

قال فجئتُه أسعى فقلتُ مالك يا أمير المؤمنين قال ما هذه
الإبل فقلتُ إبلٌ هزيلة اشتريتها وبعثتُ بها إلى الحمى أبتغي ما
يبتغي المسلمون .

قال : فقال : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين أسقوا إبل ابن أمير
المؤمنين .

يا عبدالله بن عمر أغدُ على رأس مالك واجعلُ باقيه في
بيت مال المسلمين .

ورهنَ الإمامُ أحمدُ سَطْلًا له عند بَقَالٍ بمكة فلما أرادَ فكاكَهُ
أُخْرِجَ البقالُ سَطْلين وقال خذُ سَطْلَكَ .

فقال أحمدُ أشكل عليَّ سَطْلِي لا أدري أيُّهُما .
هو لك والدراهم لك فقال البقالُ سَطْلَكَ هذا وأشار إلى
أحدهما وقال أردتُ أن أجربَكَ أيُّ أختبرَكَ .

فقال لا آخذُه وتركهُ عنده .
ورجعَ عبدالله بنُ المبارك من مرو إلى الشام في قلمٍ استعارَهُ
ليردَهُ علي صاحبه .

وحملَ إلى عُمرَ بن عبد العزيز مسكٌ من الغنائم فلما أدخله
إلى بيتِ المال أمسكَ بأنفه .

وقال إنما يُنتفعُ منه بريجِه وأنا أكرهُ أن أجِدَ ريحَهُ دونَ
المسلمين .

شعراً :

القَلْبُ أَعْلَمُ يا عَدُوْلُ بدائه ما غيرُ ذاءِ الذَّنْبِ من أدوائه
والذَّنْبُ أَوْلَى ما بكاهُ أخو التَّقَى وأحقُّ منك بجفْنِه وبمائه

قَسَمًا بِهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
 إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
 وَرَجَا مَثْوَتَهُ وَحُسْنَ جَزَائِهِ
 بَبْدِيحِ نَظْمِي فِي مَدِيحِ سِوَائِهِ
 فَرُشًا وَتَوَجَّهًا بَسَقْفِ سَمَائِهِ
 يَهْدِي بِهَا السَّارِينَ فِي ظُلُمَائِهِ
 تَجْرِي بِتَقْدِيرِ عَلِيٍّ أَرْجَائِهِ
 لَا وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِنَائِهِ
 لَيْلُ فِشَابِهِ صُبْحُهُ - بِضِيَائِهِ
 وَأَتَتْ قِصَارًا عِنْدَ فَضْلِ شِتَائِهِ
 وَكَفَى الْجَمِيعَ بِرِّهِ وَعَطَائِهِ
 مِنْ أُمِّهِ يَمْتَصُّ طِيبَ غِذَائِهِ
 إِحْسَانُهُ بِنِوَالِهِ وَنِدَائِهِ
 خَلَوْا تَصِيحُ الْبُومِ فِي أَرْجَائِهِ
 وَأَنْظُرْ لِمَنْ شَاهَدْتَ فِي عِلْوَائِهِ
 يَخْتَالُ بَيْنَ جِيُوشِهِ وَلِوَائِهِ
 وَسَقَّتَهُ مَرَّ السُّمِّ فِي حَلْوَائِهِ
 هِيَ طَلَّقَتْهُ وَمَتَّعَتْهُ بِدَائِهِ
 وَاللَّحْدَ سُكْنَاهُ وَبَيْتَ بَلَائِهِ
 حَتَّى تَكُونَ حَشَاهُ فِي أَحْشَائِهِ
 بِحِجَارَةٍ وَبِطِينَةٍ رِبْمَائِهِ
 عَنْ دِينِهِ لَا عَنْ سُؤَالِ سِوَائِهِ
 ضَرْبًا لَهُ فِي وَجْهِهِ وَقَفَائِهِ
 وَيُقِيمُ فِي ضَيْقِ لَطُولِ عَنَائِهِ
 عِنْدَ امْتِحَانِ الْعَبْدِ تَحْتَ ثَرَائِهِ

فَوَمَنْ أَحَبُّ لِأَعْصِينَ عَوَازِلِي
 مَنْ ذَا يَلُومُ أَخَا الذُّنُوبِ إِذَا بَكَى
 فَوَحَقُّ مَنْ خَافَ الْفُؤَادَ وَعَيْدَهُ
 مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي حُسْنَ الثَّنَا
 مَنْ ذَا الَّذِي بَسَطَ الْبَسِيطَةَ لِلْوَرَى
 مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَ النُّجُومَ ثَوَاقِبًا
 مَنْ ذَا أَتَى بِالشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
 أَسْوَاهُ سِوَاهَا ضِيَاءً نَافِعًا
 مَنْ أَطْلَعَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ إِذَا دَجَى
 مَنْ طَوَّلَ الْأَيَّامَ عِنْدَ مَضِيْفِهَا
 مَنْ ذَا الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
 وَأَدْرَكَ لِلطُّفْلِ الرُّضِيعِ مَعَاشَهُ
 يَا وَيْحَ مَنْ يَعِصِي الْإِلَهَ وَقَدْ رَأَى
 وَرَأَى مَسَاكِينَ مِنْ عَصَى مِمَّنْ خَلَا
 وَدَعَّ الْجَبَابِرَةَ الْأَكَاسِرَةَ الْأَلَى
 كَمْ شَاهَدْتَ عَيْنَاكَ مِنْ مَلِكٍ غَدَا
 مَلَأَتْ لَهُ الدُّنْيَا كُؤُوسًا حُلُوءًا
 مَا طَلَّقَ الدُّنْيَا إِخْتِيَارًا إِنَّمَا
 جَعَلَتْ لَهُ الْأَكْفَانَ كِسُوءَ عُدَّةٍ
 وَبَضْمُهُ لَا مُشْفِقًا فِي ضِمْمِهِ
 وَهُنَاكَ يُغْلِقُ لِحْدَهُ عَنْ أَهْلِهِ
 وَيَزُورُهُ الْمَلَكَانَ قَصْدَ سُؤَالِهِ
 فَإِذَا أَجَابَ بِـ «لَسْتُ» أَدْرِي أَقْبَلًا
 وَيَرَى مَنَازِلَهُ بِقَعْرِ جَهَنَّمَ
 يَا رَبِّ ثَبَّتْنَا بِقَوْلِكَ ثَابِتِ

أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَيُكْتَبُ بِهِ وَيَبْعَثُ بِهِ وَلِقَائِهِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَالْأَلِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَهْلِ كِسَائِهِ

اللهم إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقيّة ، وعيشة نقيّة ،
وميتة سويّة ، ومرداً غير مخزي ولا فاضح .
اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن
المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .
« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتُنزع الملك ممن
تشاء وتُعز من تشاء وتُذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء
قدير » .

يا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيءُ يَا مُعِيدِ يَا فَعَالٌ لِمَا تُرِيدُ
نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرك التي قدرت
بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت
أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم
رؤوف رحيم .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا
وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ، ، ،

[نختم هذا الكتاب بنبذة من زهده عليه السلام]

كان رسول الله صلى الله عليه وآله أزهد الناس ، ويكفيك في تعريف ذلك
أن فقره صلى الله عليه وآله كان فقر اختياري لا فقر اضطراري .
لأنه صلى الله عليه وآله فُتِحَتْ عَلَيْهِ الْفَتْوحُ وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ ، ومات
ودِرْعُهُ مَرهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ ، وهو يدعو : اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا .

وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة
أيام تباعاً من خبزٍ حتى مضى لسبيله ، ولو شاء لأعطاه الله ما لا
يخطر ببالٍ .

وعنها قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا شاة ولا درهماً
ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير
في رَفِّ لي .

وقال لي : إني عرضَ عليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً .
فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه
فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني
عليك .
وعنها قالت : إن كنا آل محمد لنمكثُ شهراً ما نستوقدُ

نارا، إن هو إلا التمرُ والماء .
وعنها قالت : لم يمتل جوفُ النبي ﷺ شبعاً قط ، ولم يئث
إلى أحدٍ شكوى .

وكانت الفاقة أحبَّ إليه من الغنى ، وإن كان ليظُلُّ جائعاً
يلتوى طولَ ليلته من الجوع ، فلا يمنعه من صيام يوم ولو شاء
لسأل ربه جميعَ كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها .

ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مما أرى به وأمسحُ بيدي على بطنه
مما به من الجوع ، وأقول نفسي لك الفداء ، لو تبَلَّغت من الدنيا
بما يقوتك .

فيقول يا عائشة مالي وللدنيا إخواني أولو العزم من الرسل
صبروا على ما هو أشدُّ من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
وأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم .

وأجدني استحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصرني غداً
دونهم .

وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأحلامي ،
 قالت : فما أقام بعد إلا شهرا ثم توفي ﷺ .
 وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ
 قط غداء لعشاء ولا عشاء قط لغداء .
 ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا
 إزارين ، ومن النعال ولا رثى قط فارغا في بيته إما يخفض نعلا
 لرجل مسكين أو يخيظ ثوبا لأرملة .
 وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة
 خبز إلى النبي ﷺ ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟
 قالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه
 الكسرة ، فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .
 وروى مسلم عن النعمان قال : ذكر عمر ما أصاب الناس
 من الدنيا ، فقال : لقد رأيت رسول يظل يلتوي ما يجد من الدقل
 ما يملأ بطنه .
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن كان ليمر بآل رسول
 الله ﷺ الأهل ما يسرج في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار
 إن وجدوا زيتا إدهنوا به وإن وجدوا ودكا أكلوه رواه أبو يعلى ورواه
 ثقة .
 عن عبد الله بن مسعود قال : نام رسول الله ﷺ على حصير
 فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء .
 فقال : مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب أستظل تحت
 شجرة ثم راح وتركها ، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .
 قال عمر بن الخطاب : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على
 حصير فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر
 في جنبه .

وإذا أنا بقبضةٍ من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة ،
وإذا إهاب معلق (الإهاب : الجلد) فابتدرت عيناى .
فقال : ما يُبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلتُ : يا نبي الله وما
لي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في جنبك ، وهذه خزانة لا أرى
إلا ما أرى .

وذاك كسرى وقيصر في الشار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته
وهذه خزانة .

قال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة وهم
الدنيا ، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط
مسلم .

وروي عن جابر رضى الله عنه قال : حضرنا عرسَ علي
وفاطمة فما كان عرساً كان أحسنَ منه حشونا الفراش يعني من
الليف وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب
كبش ، رواه البزار . الإهاب : الجلد .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضى الله عنه : لقد
تزوجتُ فاطمة ، وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل
ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجهُ فاطمة
بعثَ معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورخين وسقاءٍ
وجرتين .

فقال علي لفاطمة ذات يومٍ : والله سنوتُ حتى اشتكيتُ
صَدْرِي (المعنى تعبتُ من إخراج الماء من البئر) وقد جاء الله
بسببي فأذهبني فاستخدميه (أي اطلبني منه خادماً) .
فقالت : وأنا والله لقد طحنتُ حتى مجلتُ يدي من العمل

فأتت النبي ﷺ فقال : ما جاء بك وما حاجتك أي بُنية ، قالت :
جئت لأسلم عليك واستحييت أن تسأله فرجعت .
فقال علي : ما فعلت ؟ قال : استحييت أن أسأله ، فأتياه
جميعاً فقال علي : يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت
صدري .

وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك
الله عز وجل بسبي وسعة فأخدمنا .

فقال : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا
أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم .

فرجعا وأتاهما النبي ﷺ ، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا
رؤسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤسهما
فثارا فقال : مكانكما .

ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتاني ، قالا : بلى قال :
كلمات علمنيهن جبريل تسبحان في دبر كل صلاة عشر
وخمسة عشر ، وتكبران عشرا .

وإذا أويتما إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثا وثلاثين وأحمدا ثلاثا
وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، قال : فوالله ما تركتُهُن منذ
علمنيهن رسول الله ﷺ .

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم أني
أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله
باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه
أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .
عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذى النون إذ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول (يا ذا الجلال والاکرام) فقال « قد استُجيبَ لك فسل » رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكثِرِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لِوَعْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عِنْدَكَ .
رَاضِينَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ .

يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ ، وَيَأْمُرُ بِهَا أَعْفُ عْنَا ،
وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا .

فإنك بالذي أنت له أهلٌ من عَفْوِكَ أحقُّ منا بالذي نحن له
أهلٌ من عُقُوبَتِكَ .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حتى
لا نَرْجُوا غَيْرَكَ ولا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِإِيَاكَ ، يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ ، ويا أكرم
الأكرمين .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ،
والاستغناء عن خلقك .

واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .
اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا
بالتقوى وجعلنا بالعافية .

اللهم افتح مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وارزُقنا طاعتك وطاعة
رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتقى والعافية والغنى ، ونعوذ
بِكَ مِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ ، وَمِنْ جَهْدِ البَلَاءِ وَمِنْ سُوءِ القَضَاءِ وَمِنْ
شَهَاتَةِ الأعداء .

اللهم لك الحمدُ كُلُّهُ ، ولك الملكُ كُلُّهُ ، وبِيَدِكَ الخيرُ كُلُّهُ ،
وإليك يَرْجِعُ الأمرُ كُلُّهُ عَلاَنِيتُهُ وَسِرُّهُ ، أهلُ الحمدِ والثناءِ أَنْتَ ،
لا إله إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّكَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ مِنَّا مِنَ الذُّنُوبِ ، واغصمنا
فيما بَقِيَ مِن أَعْمَارِنَا ، ووفقنا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَرْضَى بِهِ عَنَّا .

اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ،
يا مَنْ لا تُشْتَبَهُ عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح
البرهان ، يا مَنْ هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إِنَّكَ أَنْتَ
الغفور الرحيم .

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ،
 يا ذا الجلال والاکرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .
 اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشغِلْنَا بها
 تَكْفَلتَ لنا به ، واجعلنا ممن يُؤمِنُ بِلِقَائِكَ ، ويرضَى بِقَضَائِكَ ،
 ويقنعُ بعصائِكَ ، ويخشاك حقَّ خشيتِكَ .
 اللهم اجعلْ رزقنا رَغداً ، ولا تشمتْ بنا أحداً .
 اللهم رَغْبنا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفنى ، وهب لنا اليقين
 الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعولُ في الدين إلا عليه .
 اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام
 وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمنا وما لا نهتم
 به وأن تعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .
 اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز
 والكبرياء يا مَنْ تَعَنُوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .
 وفقنا لصالِح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك
 عمن سواك إنك على كل شيء قدير .
 اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع
 بها شملنا ، وتلمم بها شعثنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ،
 وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء
 يا أرحم الراحمين .
 اللهم ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ
 علينا ديننا وصحة أبداننا .
 اللهم يا هادي المضلين وياراحم المذنبين ، ومُقيل عثرات
 العائرين ، نسألك أن تُلحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت

عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين يارب
العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .
نسألك أن تديقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم
الراحمين وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغتقنا من رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ أَشْرِ النُّفُوسِ ،
وَأَذْهَبْ عَنَّا وَخَشَّةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .
اللهم طيِّبْنَا لِلْقَائِكَ ، وَأَهْلْنَا لِوَلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ
مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أعنا على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ
كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ
الْمُنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصُّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللهم يا فالق الحب والنوى ، يا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى
يا مُؤَيِّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطِعِ الرَّجَاءُ إِلَّا
مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْاعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرِّكَ وَاحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقَنَا
لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْوْفٌ غَفُورٌ
رَحِيمٌ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَلًا ،
وَنَسْأَلُكَ بَرَكَةَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ ، وَشَرِّ
الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَغْرَّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ
الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .

وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ
الْوُجُوهُ ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا مَالِكَ الْمَلِكِ ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ ،
وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا نَخْشَاكَ حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ ، وَاسْعِدْنَا بِتَقْوَاكَ ،
وَلَا تُشَقِّقْنَا بِمَعْصِيَتِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامَنَا ، وَتَرَى مَكَانَنَا ، وَتَعْلَمُ سِرَّانَا ،
وَعَلَانِيَتَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ
إِلَيْكَ ، الْمُسْتَعِيْثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ الْوَجُلُونَ الْمَشْفُقُونَ الْمَعْتَرِفُونَ
بِذُنُوبِنَا .

نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ ، وَنَبْتَهِلُ إِلَيْكَ إِبْتِهَالَ الْمَذْنِبِ
الذَّلِيلِ ، وَنَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابِنَا ، وَفَاضَتْ لَهُ عِبَارَاتُنَا ،
وَذَلَّتْ لَهُ أَجْسَامُنَا ، وَرَغَمَتْ لَهُ أَنْفُونَا لَا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِكَ أَشْقِيَاءَ ،
وَكَنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى
بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ
صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْبِتِينَ ، الْغُرِّ الْمُحَجِّلِينَ الْوَفْدِ

اللهم إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقيّة ، وعيشة نقيّة ،
وميتة سويّة ، ومرداً غير مخزي ولا فاضح .
اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن
المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء وتُعزّز من تشاء وتُدبّل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء
قدير » .

ياودودُ ياذا العرش المجيد يا مُبديُّ يا مُعيدُ يا فَعَالُ لما تُريدُ
نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت
بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت
أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم
رؤوف رحيم .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا
وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ، ، ،

عبدالعزیز بن محمد بن سلمان

